النصر المؤزر للنبي الموقر

وهو الدلائل المِئة على عِظم قدر النبي
محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،

وبيان حقوقه السبعة عشر
على الأمة

وبذيله: القول المسدد في العشرين من خصائص أمة محمد
(صلى الله عليه وسلم)

تأليف: ماجد بن سليمان الرسي

شوال ١٤٤٧

نسخة ٢

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الخلق ، وفضَّل بعضهم على بعض ، فاصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس أنبياء ، وفضل النبيين بعضهم على بعض ، فاصطفى منهم أولي العزم ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، واصطفى من الخمسة الخليلين ، إبراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام ، واصطفى من الخليلين محمد ﷺ ليكون سيد البشر ، وخاتمهم ، وأكثرهم تابعا ، وأعلاهم قدرا ، ثم أوجب علينا طاعة رسوله محمد ﷺ ومحبته وطاعته واتباعه وتوقيره ونصرته حيا وميتا ، وكذلك احترامه والصلاة عليه ، كل هذا من غير غلو ولا إفراط.

ولغرض إفادة نفسي وإخواني ؛ جمعت في هذا البحث خمسة مواضيع تتعلق بالإيمان بالنبي ﷺ :

١. مقدمات في الإيمان بالنبي ﷺ
٢. مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ الخمسة عشرة
٣. الدلائل المِئة على عِظم قدر النبي ﷺ .
٤. حقوق النبي ﷺ السبعة عشر على الأمة
٥. نواقض الإيمان بالنبي ﷺ

وفهم حقوق النبي ﷺ أمر في غاية الأهمية ، لأنه مرتبط بتحقيق العبد لشهادة أن محمدا رسول الله ، وذلك أن تحقيقها لا يحصل بمجرد النطق باللسان ، بل بالقيام بما تضمنته تلك الشهادة وارتكزت عليه من شروط ، كما سنبينه إن شاء الله ، فإن أقواما كانوا يعلمون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ولكن ذلك العلم بهذه الكلمة لم يدخلهم في الإسلام ، لأنه لم يُصاحبه رضا ولا انقياد لشريعة الإسلام ، كأبي طالب عم النبي ﷺ ، فقد كان مقرا لابن أخيه بالنبوة ، ولكنه لم ينقد

لشريعته ، خوفا من ملامة قومه ، فمات كافرا عياذا بالله ، ولم ينفعه ذلك العلم المجرد بأنه لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله.

وكذلك النفر الذين خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك من المؤمنين ، فلما كانوا ببعض الطريق سخروا من شخص النبي ﷺ وصحابته ، فنزل القرآن بالحكم بكفرهم لأنهم لم يقوموا بحق التوقير للنبي ﷺ ، الذي هو من لوازم تلك الشهادة ، قال تعالى ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾.

وصنف آخر على النقيض الآخر تماما ، وهم الذين جاوزوا الحد في تعظيم النبي ﷺ فعبدوه ، فلم يكتفوا بالإيمان بأنه رسول ، بل صرفوا له بعض خصائص الرب سبحانه وتعالى مما يستحقه من العبادات ، كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك ، ووصفوه بصفات الله الخاصة به ، كعلم الغيب وغيره.

وكلا الفريقين لم يفهموا معنى شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ الفهم الصحيح ، ولم يحققوها ، وإن كانوا منتسبين للإسلام ، مدَّعين له ، بل دخل عليهم الشيطان من مدخل الإفـراط أو التفريط ، فأخرجهم من الإسلام ، عياذا بالله.

والحق أن «شهادة أن محمدا رسول الله» كقسيمتها «شهادة أن لا إله إلا الله» تماما ، لها معنى وشروط ونواقض ومقتضيات ، وهي داخلة في الإيمان بالرسل الذي هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، فعلى هذا فلا يتم للعبد تحقيق ركن الإسلام الأول وركن الإيمان الرابع إلا بتحقيقها ، فَحَرِيٌّ به أن يتعلمها ليكون على بصيرة من أمره ، ليكون ممن اعتقدها بجنانه ، وقالها بلسانه ، وحققها بأركانه ، فيكون ممن قال تعالى فيهم ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾.

وقد التزمت في بحثي هذا الاختصار وعدم التطويل ، وأن يكون الكلام منصبا على الموضوع ، دون الخوض في التحليلات ، وفي ثنايا البحث ذكرت مراجع علمية مطولة لمن أراد الاستزادة ، نفع الله بها.

وصاحب هذه الكُـلَيمات ليس بشيء وليس عنده شيء ، بل استفادها من بحوث عدة ، على رأسها كتاب «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال» ، ويتضمن عدة بحوث علمية لبعض المشايخ الفضلاء ، قدم لهذا الكتاب معالي الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله ، وكذا كتاب «حقوق النبي ﷺ على أمته» للشيخ د. محمد بن خليفة التميمي حفظه الله ، وقد استفدت منه استفادة جمة ، وكذا كتاب «عظيم قدر نبينا محمد ﷺ وحقه على الإنس والجن» لفضيلة د. عبد الرحيم بن إبراهيم الـهاشم حفظه الله ، كما استفدت كثيرا من الكتاب الماتع «الجامع في الخصائص»، للباحث موسى بن راشد العازمي ، حفظه الله ، وزدت عليه ما يسر الله تعالى.

فجزى الله خيرا هؤلاء المشايخ على جهودهم في بيان الحق ، وإفادة الخلق ، وكثّر من أمثالهم ، وجعلنا وإياهم ممن حقق الشهادتين ، ومات عليها ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه ، وسلَّم تسليما كثيرا.

وكتبه: ماجد بن سليمان الرسي ، ظهر الجمعة ، الثالث والعشرين من عام أربع وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة.

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

المملكة العربية السعودية

majed.alrassi@gmail.com
www.saaid.net/book

محتوى الكتاب

الفصل الأول: مباحث في الإيمان بالنبي ﷺ
الفصل الثاني: مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ الخمسة عشرة
الفصل الثالث: الدلائل المِئة على عظم قدر النبي ﷺ
الفصل الرابع: حقوق النبي ﷺ السبعة عشر على الأمة
الفصل الخامس: نواقض الإيمان بالنبي ﷺ وهي خمسة
فتوى في حكم الاحتفال بما يسمى بالمولد النبوي
الفصل السادس – ملاحق الكتاب
١. كمالُ خَلْقِ النبي ﷺ
٢. ملحق – دلائل رحمته ﷺ
٣. ملحق – محمد ﷺ ؛ كتابٌ مفتوح على مر القرون إلى نهاية الدنيا
٤. خصائص أمة محمد ﷺ ، ورؤوسها ثلاثة وعشرون
خاتمة الكتاب

الفصل الأول: مباحث في الإيمان بالنبي ﷺ

المبحث الأول: تعريف معنى الإيمان

تعريف معنى الإيمان لغة: الإيمان لغة يتضمن معنيين ؛ الأول هو التصديق كما في قوله تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ ، أي صدَّقوا بما أنزل إليهم من ربهم.

والمعنى الثاني هو (أَقَرَّ له) ، وذلك إذا عدي باللام ، كما في قوله تعالى عن إخوة يوسف لأبيهم ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ ، وقوله ﴿فآمن له لوط﴾ ، أي: أَقَرَّ له.

تعريف معنى الإيمان شرعا: تنوعت عبارات السلف الصالح في تعريف الإيمان ، ولا مشاحة في الاصطلاح ، وحقيقة كلامهم متفقة على أن الإيمان هو قولٌ باللسان ، واعتقادٌ بالجنان[1] ، وعملٌ بالأركان[2] ، يزيد بالطاعة ، وينقُص بالعصيان.[3]

قال ابن تيمية رحمه الله في تقرير أن الإيمان لغة هو الإقرار وبيان معنى الإقرار:

إن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق ، والإقرار ضُمِّن قول القلب الذي هو التصديق ، وعمل القلب الذي هو الانقياد.[4]

فعلى هذا **فالإيمان في الشرع يتضمن** التصديق والانقياد ، فلا يصح حصره بالتصديق فقط ، إذ لابد من الإقرار والطمأنينة ، فقد صدَّق أبو طالب عم النبي ﷺ بنبوة ابن أخيه ﷺ ، ولكن لم يُقِر له بالإسلام ويتبعه ويطمأن قلبه بالإيمان به ، واستمر على ذلك إلى أن مات ، وفي هذا أنزل الله قوله تعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

وهكذا بعض الكفار اليوم يؤمنون بنبوة محمد ﷺ ، ويسمونه بذلك ، أي بالنبي محمد ، وهم باقون على دين قومهم ، لم يُقِروا بالشهادتين ويعملوا بمقتضاها.

---

[1] أي القلب.

[2] أي الجوارح ، وهي اليد والرجل والعين والأذن ونحوها.

[3] بحث هذه المسألة ابن تيمية رحمه الله بحثا مستفيضا في كتابه «الإيمان» ، وانظر «مجموع الفتاوى» (٦٤٢/٧).

[4] «مجموع الفتاوى» (٦٣٨/٧ – ٦٣٩).

وكذلك النفر من اليهود ، الذين جاءوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن أشياء فأخبرهم ، فقالوا نشهد أنك نبي ، ولم يقروا بالإيمان به ولم يتبعوه.

بل إن اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ كانوا يعرفون أنه نبي كما يعرفون أبنائهم ، كما حكى الله عنهم ذلك في آيات من سورة البقرة ، ومع هذا حكم الله عليهم بالكفر لأنهم لم يتبعوه وينقادوا لشريعته.

***

تنبيه مهم

هناك من يقول إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحدا ، ويرى أن النجاة في الآخرة تحصل بمتابعة الرسول ﷺ وبغير متابعته ، كما هو قول الفلاسفة الصابئة ، وهو دين التتار ومن دخل معهم، مع كونهم صدقوا الرسول ﷺ وأطاعوه في أمور أتى بها ، وهذا مذهب خبيث باطل ، إذ لا نجاة للعبد يوم القيامة إلا بعبادة الله وحده ، ومتابعة الرسول ﷺ وحده ، والكفر بما يعبد من دونه.[1]

***

تنبيه آخر

في قصة هِرقل عظيم الروم عبرة ، فقد سأل عن النبي ﷺ ، فلما علِم أنه نبي وتيقن من خروجه وظهور أمره ؛ رأى أن يبايعه على الإيمان ، ونادى عظماء قومه ليبايعوه ، وقال لهم: يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرُّشد ، وأن يثبت ملككم ، فتُبايعوا لهذا النبي؟

فأبوا ، فخاف نكولهم عن طاعته ، فنكص على عقبيه وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شِدتكم على دينكم!

***

[1] انظر «مجموع الفتاوى» (٦٣٩/٧).

وكان مما قاله هرقل لأبي سفيان: إن يكن ما تقول فيه حقا فإنه نبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم[1] ، ولو أني أعلم أني أخلُص[2] إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي.[3]

***

والشاهد من القصة أنَّ عِلمَ هِرقل بأن محمدا ﷺ نبي لم يدخله في الإيمان لأنه لم ينقد له ، لكونه استحب الحياة الدنيا على الآخرة ، وخشِي ذهاب ملكه ونكول قومه عن طاعته ، نعوذ بالله من الخذلان.

ثم إنه لو أن الإيمان هو التصديق فقط بدون انقياد لكان إبليس مؤمنا ، لأنه يعلم الحق من الباطل ، ولكنه لم ينقد للحق استكبارا عليه.

***

[1] أي العرب.

[2] أي أصل إليه.

[3] رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

المبحث الرابع: أهمية الإيمان بالنبي ﷺ

تتبين أهمية الإيمان بالنبي ﷺ إذا علِمنا أن الإيمان بالله تعالى لا يتم إلا به ، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه ، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه ، ولهذا كان ركنا الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله.[1]

[1] قاله ابن تيمية رحمه الله ، كما في «مجموع الفتاوى» (٦٣٨/٧-٦٣٩) ، بتصرف يسير.

المبحث الثالث: معنى النبوة والرسالة

معنى النبوة لغة:

النبوة لغة مشتقة من النبأ وهو الخبر ، أو النَّباوة والنَّبْوة وهو الارتفاع ، أو النبيء وهو الطريق الواضح.[١]

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني اللغوية ، "إذ النبوة إخبار عن الله عز وجل ، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم ، وهي الطريق الموصلة إلى الله سبحانه".[٢]

والنبوة في اصطلاح الشرع خبرٌ خاص ، يُكرِم الله عز وجل به أحدا من عباده ، فيميزه به عن غيره بإلقاءه إليه ، ويُوقفه به على شريعته بما فيها من أمرٍ ونهيٍ ووعظٍ وإرشادٍ ووعدٍ ووعيد.[٣]

معنى الرسول لغة:

الرسول لغة مأخوذ من الرِّسل – بتشديد الراء وكسرها – أو الرَّسل ، – بتشديد الراء وفتحها.

فأما الرِّسل فهو الانبعاث على تؤدة ، يقال: على رِسلك ، أي سر بمهل وتؤدة.[٤]

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبَعِث.

وأما الرَّسل فهو التتابع ، يقال جاءوا أرسالا أي متتابعين.

فالرسول على هذا الاشتقاق هو الذي يتابع أخبار من بعثه.[٥]

والرسول يطلق كذلك على متحمل القول والرسالة.

---

[١] انظر «لسان العرب».

[٢] «حقوق النبي ﷺ على أمته» ، ص ٦٣ .

[٣] «شعب الإيمان» للبيهقي ، (١/١٥٠).

[٤] «لسان العرب» ، مادة «رسل».

[٥] «لسان العرب» ، مادة «رسل».

معنى الرسول شرعا: كل المعاني المتقدمة يدل عليها المعنى الشرعي لكلمة رسول ، فالرسول مبعوث من قبل الله ، وهو أيضا يتابع أخبار من بعثه ، وهو كذلك متحمل لرسالة ربه.

والرسل وسائط بين الله وبين خلقه ، يبلغونهم أمره ونهيه ، فهم السفراء بين الله وبين عباده في مجال التبليغ ، يبلغونهم شرع ربهم ، ويرشدونهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم ، وبهذا كانوا حجة لله على الناس ، كما قال تعالى ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾[1].[2]

---

[1] سورة النساء: ١٦٥ .

[2] وقد تجاوز أقوام هذا الحد الشرعي ، فجعلوا الرسل وسائط في الدعاء ، فمن هذا قول بعضهم: (نحن ندعو النبي ﷺ ليكون وسيطا بيننا وبين الله ، فنحن ندعوه ، وهو يدعو الله ، فيستجاب لنا) ، وهذا الفعل شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، فقد أمر الله بدعائه وحده ، وما أرسل الله الرسل ليدعونهم الناس ، بل أرسلهم ليبلغوا رسالته ، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك الله ، فمن دعا غير الله – أيا كان ذلك المدعو – فقد خالف أصل الرسالة الإلهية ، وضل عن السبيل المستقيم ، والله الهادي.

المبحث الرابع: الفرق بين النبي والرسول

اختلف العلماء رحمهم الله في تعريف النبي على عدة أقوال ، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن النبي هو الذي أَوحى الله إليه بوحيٍ ، لينقله إلى المؤمنين الذين عنده ، كأنبياء بني إسرائيل ، يأمرون أقوامهم بما جاء في التوراة التي أُنزِلت على موسى ﷺ .

وكذا اختلف العلماء في تعريف الرسول على عدة أقوال ، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن الرسول هو الذي ينبئه الله ، ثم يأمره أن يبلغه رسالته إلى قوم كافرين كما حصل مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ويشهد لصحة هذا المعنى أن نوحا وُصف بالرسالة مع أنه قد تقدمه أنبياء على مدى عشرة قرون ، منهم شيث وإدريس عليهما السلام ، وما ذاك إلا لأنه بُعِث لقوم كافرين أول ما وقع الشرك في الأرض ، بخلاف من تقدمه من الأنبياء ، فإنهم بُعِثوا إلى قوم مؤمنين.

وعلى هذا فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا.[1]

---

[1] انظر كتابه «النبوات» ، (٢/٧١٤ ، ٧١٧) ، تحقيق د. عبد العزيز بن صالح الطويان ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

وانظر للاستزادة في هذا الباب ما قاله الشنقيطي رحمه الله في كتابه «أضواء البيان» في تفسير قوله تعالى من سورة الحج ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾.

المبحث الخامس: ذكر الأدلة على وجوب الإيمان بالنبي ﷺ

أدلة وجوب الإيمان بالنبي ﷺ كثيرة جدا ، منها قوله تعالى ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾[1].

ومن السنة قوله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله.[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: والذي نفس محمد بيده ؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ؛ إلا كان من أصحاب النار.[3]

---

[1] سورة التغابن: ٨ .

[2] رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي الباب عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما.

[3] رواه مسلم (١٥٣).

المبحث السادس: دلائل نبوته

مقدمة

سمَّى الله تعالى نفسه باسم «المؤمن» ، أي المصدق لرسله وأنبيائه بما جاؤوا به ، بالآيات البينات والبراهين القاطعات والحجج الواضحات.[1]

وقد أيد الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بالدلائل والآيات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصِدق رسالته ، وقد ذكر ابن القيم[2] رحمه الله في آخر كتابه «إغاثة اللهفان»[3] أنها تزيد على الألف ، وهذا من رحمة الله بعباده ، ليكون ذلك أدعى للاقتناع والإيمان بنبوته ﷺ ، وقاطعًا لحجة من خالفه ، وأعظم تلك الدلائل هي القرآن الكريم ، المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة ، وسوف يأتي الكلام على وجوه إعجازه مع غيره من دلائل النبوة التي انقضت ، وكذلك دلائل نبوته التي لم تظهر بعد ، فسبحان من بهر برحمته العقول.

---

[1] قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير اسم الله «المؤمن» ، وقد ورد هذا الإسم مرة واحدة في القرآن في خاتمة سورة الحشر.

[2] هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة ٧٢٨ ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة ٧٥١ ، كان واسع المعرفة ، قوي الحجة ، دقيق الاستنباط ، كثير المصنفات ، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس ، حتى صار من بعده عيالا عليه ، نصر العقيدة الإسلامية نصرا مؤزرا ، ورد على المبتدعة نظما ونثرا ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفا في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

[3] ص ١١٠٧ .

الحكمة من دلائل النبوة

الحكمة من دلائل النبوة أمران:

الأول: إثبات النبوة ، بالاستدلال بالآية على أن صاحب الآية نبي ، وتحدي من أُرسِلَ إليهم ذلك النبي أن يأتوا بمثلها.

الثاني: حاجة المسلمين ، كما حصل لنبينا محمد ﷺ في قصة تكثير الطعام القليل ، ونبع الشراب بين يديه حتى كفى أضعاف حاجة العسكر ، وبَصْقِهِ في عين علي رضي الله عنه لما اشتكى منها فعادت سليمة[1] ، وكان كل هذا بين الصحابة لسد حاجتهم ، لم يكن أمام المشركين ليتحداهم أو ليثبت نبوته ، وإنما لحاجة المسلمين ، ولا شك أن في ذلك زيادة إيمان لمن حضر القصة أو سمع بها ، وإظهار كرامة النبي ﷺ .[2]

ومن ذلك ما حصل لموسى ﷺ لما فر بقومه من فرعون ثم أدركه ولم يكن أمامه إلا البحر فضربه بعصاه فانفلق فساروا فيه فنجوا ، فانشقاق البحر لم يكن للتحدي وإنما لحاجة المؤمنين معه.

أما إلقاء موسى لعصاه ثم ابتلاعها لعِصِيِّ السحرة فكانت من قبيل التحدي.

ومن هنا يُعلم أن تحدي النبي ﷺ لقومه لم ينقل إلا في القرآن خاصة ، لم يكن كلما ظهر شيء من الآيات تحدى به ، أو كان مقترنا بدعوى النبوة ، فإن الله تعالى لم يقل ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ إلا

---

[1] سيأتي تخريج هذه القصص الثلاث في مظانها بإذن الله.

[2] انظر كتاب «النبوات» (٤٩٨).

حين قالوا: افتراه[1] ، فلم يتحداهم به ابتداء.[2]

أنواع دلائل النبوة التي أوتيها محمد ﷺ

تنقسم دلائل نبوة محمد ﷺ إلى عشرة أنواع ، **فالأولى** بشارات الأنبياء قبله ، ولهذا شهد له بعض علماء أهل الكتاب بالنبوة قبل نبوته لما كان صغيرا وبعد نبوته.

والثانية أنه لو لم يكن نبيا لحذر الأنبياء منه ، ولانتشر هذا في كتبهم وسيرهم ، بينما الواقع خلاف ذلك.

والثالثة أنه ﷺ من أعقل الناس وأصدقهم ، يُقِر له بهذا أصدقاءه وأعداه ، قبل النبوة وبعدها.

والرابعة من الدلائل انقطاع استراق السمع من السماء قبيل بعثته ، لئلا يختلط الوحي بأكاذيب الكهان.

والخامسة من الدلائل أنه كان لا يرى رؤيا في المنام إلا جاءت مطابقة للواقع.

والسادسة أن الله خرق له العادة مرارا.

والسابعة إخباره ببعض الأمور الغائبة عن عيون الناس في حينها.

والثامنة من دلائل نبوته ﷺ توقير بعض الحيوانات والجمادات له ﷺ .

والتاسعة إخباره عن أمور مستقبلية ، فوقعت كما أخبر بها ﷺ .

والعاشرة من الدلائل إنزال القرآن الكريم ، وهو الآية الخالدة الباقية إلى يوم القيامة.

---

[1] هذه الفائدة منتقاة من كتاب «النبوات» (٥٠٩ - ٥١٠).

[2] انظر كتاب «النبوات» (٥٤١).

تفصيل

الأولى من دلائل نبوته ﷺ بِشارات الأنبياء به ، ومن ذلك ذكر مبعثه في التوراة والإنجيل ، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إسرائيل إِنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يدي مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأتي مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَد﴾ .

قال الإمام محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي[1] رحمه الله كما في «أضواء البيان» في تفسير هذه الآية:

وقد بشَّرَت به ﷺ جميع الأنبياء ، ومنهم موسى عليه السلام ، ومما يشير إلى أن موسى مبشراً به ؛ قول عيسى عليه السلام في هذه الآية ﴿مصدقاً لما بين يدي﴾ ، والذي بين يديه هي التوراة ، أنزلت على موسى.

وقد جاء صريحاً التعريف به ﷺ وبالذين معه في التوراة في قوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أشداء عَلَى الْكُفَّارِ رُحماء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ ، إلى قوله تعالى ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاة﴾.

كما جاء وصفهم في الإنجيل في نفس السياق في قوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ ، إلى آخر السورة.

وجاء النص في حق جميع الأنبياء في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَة ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِين﴾[2].

---

[1] هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من علماء القرن الرابع عشر المبرزين ، كان غزير العلم ، متوقد الذكاء ، ذو حافظة نادرة ، له نحو عشرين كتابا ، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة ، أشهرها ذكرا «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ، و «مذكرة أصـول الفقه على روضة الناظر» ، وقد جمعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة بعنوان «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي». توفي رحمه الله عام ١٣٩٣ هـ. باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء» ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[2] سورة آل عمران: ٨١ .

وجاء مصداق ذلك في قصة النجاشي لما سمع من جعفر عنه ﷺ فقال: أشهد أنه رسول الله ، فإنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم.[1]

وكذلك دعوة نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ ، ولذا قال ﷺ : أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت.[2]

وقد خُصَّ عيسى بالنص على البشرى به ﷺ لأنه آخر أنبياء بني إسرائيل ، فهو ناقل تلك البشرى لقومه عمن[3] قبله ، كما قال ﴿مصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ ، ومَن قبله ناقل عمَّن قبله وهكذا، حتى صرح بها عيسى عليه السلام وأداها إلى قومه. انتهى.[4]

ولما كانت نبوءة محمد ﷺ مستقرة في كتب أهل الكتاب ؛ شهد بعض علماء اليهود والنصارى للنبي ﷺ بالنبوة قبل بعثته وبعدها ، لِما رأوا عليه من أماراتها في جسده وهيئته ، مما ورد في الكتب السابقة ، فمن حين مولده ﷺ كان الذي يراه من أهل مكة من غير أهل الكتاب يشعر أن سيكون له شأنا إذا كبر ، ثم لما شب أيقن بنبوته بعض الرهبان من أهل الكتاب وشهدوا له بالنبوة ، أما العرب فلم يكن عندهم من خبره شيء ، وذلك أن العرب كانوا كما قال ابن إسحاق في «السيرة»: كانت العرب أُمِّيِّين ، لا يدرسون كتابا ، ولا يعرفون من الرسل عهدا ، ولا يعرفون جنة

---

[1] رواه أحمد (٤٦١/١) وغيره.

[2] رواه أحمد (١٢٨/٤) وابن حبان (٣١٣/١٤) عن العرباض بن سارية الفزاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين ، وإن آدم لمُنجدَلٌ في طينته ، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني ؛ أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام.

واللفظ لابن حبان، ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٣٤٠/٢).

منجدل أي ملقى على الجَدالة وهي الأرض. انظر «النهاية».

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة البقرة ، آية ١٢٩: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للإسلام وأهله ، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ، ولهذا جاء في الصحيحين: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

وفي صحيح البخاري: وهم بالشام. انتهى.

[3] في المطبوع (عما) ، ولعله تصحيف ، والصواب: (عمَّن) ، كما هو مُثبت مرة أخرى في آخر الجملة.

[4] تفسير سورة الصف ، باختصار.

ولا نارا ولا بعثا ولا قيامة ، إلا شيئا يسمعونه من أهل الكتاب لا يثبت في صدورهم ، ولا يعملون به شيئا من أعمالهم.[1]

***

وسنكتفي بذكر عشر قصص في دلائل نبوة النبي ﷺ عند أهل الكتاب، **أولها** قصته ﷺ مع **صاحب الدِّير**[2] ، وذلك أن عمه أبا طالب ذهب به في تجارة إلى الشام ، فنزلوا على صاحب دِير ، فقال صاحب الدير: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال: ما هو بابنك ، ولا ينبغي أن يكون له أبٌ حي.

قال: ولِم؟

قال: لأن وجهه وجه نبي ، وعينه عين نبي.

قال: وما النبي؟

قال: الذي يوحى إليه من السماء ، فينبئ به أهل الأرض.

قال: الله أجلُّ مما تقول.

قال: فاتّقِ عليه اليهود.[3]

ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير ، فقال: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال: ما هو بابنك ، وما ينبغي أن يكون له أب حي.

قال: ولم ذلك؟

قال: لأن وجهه وجه نبي ، وعينه عين نبي.

قال: سبحان الله ، الله أجلُّ مما تقول.

---

[1] «السيرة» ، ص (٦٢) ، باب قصة الأحبار.

[2] الدِّير هو خان النصارى. انظر «لسان العرب».

[3] أي قِهِ منهم.

وقال: يا ابن أخي ، ألا تسمع ما يقولون؟
قال: أي عم ، لا تنكر لله قدرةً.[1]

***

وأما القصة الثانية فرواها ابن سعد في «الطبقات» عن محمد بن صالح بن دينار وعبد الله بن جعفر الزهري وداود بن الحصين قالوا: لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في المرة الأولى وهو ابن اثنتي عشرة سنة ؛ فلما نزل الركب «بُصرى»[2] من الشام وبها راهب يقال له **بَحِيرا** في صومعة له ، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه ، فلما نزلوا بحيرا صنع لهم طعاما ثم دعاهم ، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تُظل رسول الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة ، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة ، واخضلَّت[3] أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين استظل تحتها ، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به وأَرسل إليهم ، فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه ، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يَعرف ويجدها عنده ، وجعل ينظر ولا يرى الغمامة على أحد من القوم ، ويراها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ ، قال بحيرا: يا معشر قريش ، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي.
قالوا: ما تخلف أحد إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنا في رحالهم.
فقال: ادعوه فليحضر طعامي ، فما أقبح أن تَحضروا ويتخلف رجل واحد ، مع أَني أراه من أنفَسِكم.
فقال القوم: (هو والله أوسطنا نسبا ، وهو ابن أخي هذا الرجل) ، يعنون أبا طالب ، (وهو من ولد عبد المطلب).

---

[1] رواه ابن سعد في «الطبقات» ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٣ – ٧٤).

[2] بصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام ، وهي مدينة حوران ، بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل ، قاله النووي رحمه الله في شرح الحديث.

[3] اخضلَّت أي ابتلت.

فقال الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف: والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا.

ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام ، والغمامة تسير على رأسه ، وجعل بحيرا يلحظه لحظا شديدا ، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك.

فقال رسول الله ﷺ : لا تسألني باللات والعزى ، فو الله ما أبغضت شيئا بغضهما.

قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه.

قال: سلني عما بدا لك.

فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده، فقَبّل موضع الخاتم ، وقالت قريش: إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً ، وجعل أبو طالب لِما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه.

فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟

قال أبو طالب: ابني.

قال: ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا.

قال: فابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال: هَلَكَ وأمه حُبلى[1] به.

قال: فما فعلت أمه؟

قال: تُوُفِّيت قريبا.

---

[1] أي حامل به.

قال: صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده ، وأحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبغُـنَّه عنتًا[1] ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عـظيم نَجِدُه في كتبنا وما رُوينا عن آبائنا ، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة.

فلما فرغوا من تجاراتهم خرج به سريعا ، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته ، فأرادوا أن يغتالوه ، فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره ، فنهاهم أشد النهي ، وقال لهم: أتجدون صفته؟

قالوا: نعم.

قال: فما لكم إليه سبيل.

فصدقوه وتركوه ، ورجع به أبو طالب ، فما خرج به سفَرا بعد ذلك خوفا عليه.[2]

***

وروى ابن سعد عن نفيسة بنت مُنية أن رسول الله ﷺ لما بلغ خمسا وعشرين سنة ؛ خرج في تجارة لخديجة رضي الله عنها مع غلام لها اسمه ميسرة ، حتى قدِما «بصرى» من الشام ، فنزلا في سوق بصرى في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان يقال له **نَسطور** ، فاطلع الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه قبل ذلك فقال: يا ميسرة ، من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة؟

فقال ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ثم قال: في عينيه حمرة؟

قال ميسرة: نعم ، لا تفارقه.

قال الراهب: هو هو آخر الأنبياء ، يا ليت أني أُدركه حين يؤمر بالخروج.

---

[1] أي يريدون أن تصيبه المشقة والهلاك.

[2] مختصرا من «الطبقات» لابن سعد ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٣-٧٤) ، وكذا روى القصة ابن إسحاق في «السيرة» ، ص (٥٣-٥٥) ، كما رواها الترمذي (٣٦٢٠) ، والحاكم (٢/٦١٥ – ٦١٦) ، وصححها الألباني.

ثم حضر رسول الله ﷺ سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى غيرها ، فكان بينه وبين رجل اختلاف في شيء ، فقال له الرجل: إحلف باللات والعُزى.

فقال رسول الله ﷺ : ما حلفت بهما قط ، واني لأمُرُّ فأُعرض عنهما.

قال الرجل: القول قولك.

ثم قال لميسرة – وخلا به – : يا ميسرة ، هذا والله نبي ، والذي نفسي بيده إنه لهو ، تجده أحبارنا في كتبهم منعوتا ، فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا.

وكان ميسرة يرى رسول الله ﷺ إذا كانت الهاجرة واشتد الحر ؛ يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره ، قالوا: كأن الله قد ألقى على رسوله المحبة من ميسرة ، فكان كأنه عبدٌ لرسول الله ﷺ ، فلما رجعوا فكانوا بمر الظهران قال: يا محمد ، انطلق إلى خديجة ، فاسبقني ، فأخبرها بما صنع الله لها على وجهك ، فإنها تعرف ذلك لك.

فتقدم رسول الله ﷺ حتى قدم مكة في ساعة الظهيرة ، وخديجة في عُلِّيَة[1] لها معها نساء فيهن «نفيسة بنت مُنية» ، فرأت رسول الله ﷺ حين دخل وهو راكب على بعيره ، وملَكان يُظِلان عليه ، فأرته نساءها فعجِبن لذلك ، ودخل عليها رسول الله ﷺ ، فخبَّرها بما ربِحوا في وجهِهم[2] ، فسُرَّت بذلك ، فلما دخل ميسرة عليها أخبرته بما رأت ، فقال ميسرة: قد رأيتُ هذا منذ خرجنا من الشام ، وأخبرها بقول الراهب نسطور ، وما قال الآخر الذي خالفه في البيع ، وربحَت في تلك المرة ضعف ما كانت تربح ، وأضعَفَتْ له ضِعف ما سمَّت[3] له.[4]

---

[1] أي غرفة. انظر «النهاية».

[2] أي لما انطلقوا في سفرهم تجاه الشام حيث ولوا وجوههم.

[3] أي أعطته من المال ضعف ما حددته له سلفا ، جزاء له على ما قام به.

[4] باختصار من «الطبقات» لابن سعد ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (١/٧٤-٧٥) ، ورواها كذلك ابن إسحاق في السيرة ، (٢/٥٩) ، وقد نقل القصة ابن هشام في السيرة ، باب حديث تزويج رسول الله ﷺ خديجة رضي الله عنها ، (١/١٥٢-١٥٣).

***

وروى ابن سعد في «الطبقات» عن بَرّة ابنة أبي تجراة قالت: إن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة ؛ كان إذا خرج لـحاجته أبعد حتى لا يرى بيتا ، ويُفضي إلى الشعاب وبطون الأودية ، فلا يمر بحجر ولا شجرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله ﷺ ، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا.[1]

***

وأما قصته مع ورقة بن نوفل ؛ فإنه لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ في غار حراء ؛ رجع إلى خديجة فزعا يرجف فؤاده ، فأخبرها بالذي رآى ، فلما ذهب روعه انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة: يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك.

فقال ورقة للنبي ﷺ : يا ابن أخي ، ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس[2] الذي نزَّل الله على موسى ، يا ليتني فيها جَذَع[3] ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ : أومُخرجيَّ هم؟

قال: نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزّرا.

ثم لم يَنشب[1] ورقة أن تُوفي.[2]

---

[1] رواه ابن سعد في «الطبقات» ، باب ذكر علامات النبوة في رسول الله ﷺ قبل أن يوحى إليه ، (٧٥/١).

[2] قال السيوطي في «الديباج»: (هذا الناموس) ؛ إشارة إلى المَلَك الذي ذكره النبي ﷺ في خبره ، وهو اسم لجبريل ، وأصله في اللغة: (صاحب سر الخير) ، يقال: نمست الرجل ، أي ساررته ، ونمست السر ؛ كتمته.
(١٨٧/١) ، تحقيق أبي إسحاق الحويني ، الناشر: دار ابن عفان.

[3] أي يا ليتني أكون جذعا إذا نبئت ، والجذع هو الشاب.

***

وروى ابن إسحاق في «السيرة» عن عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني أشياخ منا قالوا:

لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ مِنا ، كان معنا يهود ، وكانوا أهل كتاب ، وكُنا أصحاب وثن ، فكنا إذا بلَغنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه ، نَتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وأرم ، فلما بعث الله تعالى رسوله أتبعناه وكفروا به ، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم﴾ الآية.[٣]

ومن دلائل نبوته عند أهل الكتاب ما قاله ابن الهيَّبان ، وكان حبرا[٤] من أحبار اليهود ، وكان عابدا لله ، وكان إذا دعا الله بالسُّقيا[٥] سُقوا وسالت الشعاب ، أتى من الشام إلى المدينة ، فلما حضرته الوفاة اجتمع إليه ثلاثة فتية فقال لهم: يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخَمَر[٦] والخَمِير[٧] إلى أرض البؤس والجوع[٨]؟

قالوا: أنت أعلم.

قال: فإنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلاد مُهاجَرُه ، فأتَّبِعُه ، فلا تُسبقنَّ إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري والنساء **ممن خالفه** ، فلا يمنعكم ذلك منه.

---

[١] ينشب أي يلبث.

[٢] رواه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) عن عائشة رضي الله عنها.

[٣] ص (٦٣) ، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٧٥) ، وكذا في (٢/٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[٤] الحَبر هو العالم ، وكان يقال لابن عباس الحَبر البحر.

[٥] أي المطر.

[٦] الخمر – بفتح الخاء والميم – هو المكان الكثيف الأشجار ، والمقصود بأرض الخمر هي الشام. انظر «النهاية».

[٧] الخمير هو الخبز ، سمي بذلك لأن عجينته تتخمر فتذهب فطورته. ولعله أرض الشام سُمِّيت بذلك لطيب ما يصنع من الخبز هناك والله أعلم. انظر «لسان العرب».

[٨] يقصد المدينة.

ثم مات ، فلما كانت الليلة التي فُتحت فيها قريظة ؛ قال أولئك الفتية الثلاثة – وكانوا شبابا أحداثا – : يا معشر يهود ، والله إنه الذي كان ذَكر لكم ابن الهيَّبان.[1]

فقال: ما هو به.

قالوا: بلى والله ، إنه لصفته.

ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم.[2]

***

ومن الأخبار الواردة عن النبي ﷺ عند أهل الكتاب؛ قصة سلمان الفارسي مع الراهب النصراني الذي كان بـ «عمُّورِيَّة»[3] ، وكان سلمان الفارسي مجوسيا ، فلما حضرت الراهب الوفاة قال سلمان له: إلى من توصى بي؟ وما تأمرني؟

قال: أي بُني ، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي ، هو مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب مهاجرا إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

فلما مات لحق سلمان بالمدينة ثم التقى برسول الله ﷺ وآمن به ، في قصة طويلة رواها أحمد في «مسنده»[4].

***

ومن الأخبار الواردة عن النبي ﷺ عند أهل الكتاب؛ قصة زيد بن عمرو بن نفيل مع حبر من أحبار الشام ، دله على النبي ﷺ ، وكان هذا قبل أن يبعث ، قال الحبر لزيد: إنك تسأل عن دين هو دين

---

[1] يقصد القتل والسبي لمن خالف أمره.

[2] رواه ابن إسحاق في «السيرة» ، ص (٦٤-٦٥) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٨١).

[3] بلدة من بلاد الروم كما في «معجم البلدان» لياقوت الحموي.

[4] (٥/٤٤١ – ٤٤٣).

الله ودين ملائكته ، وقد خرج في أرضك نبي ، أو هو خارج يدعو إليه ، إرجع إليه وصدِّقه واتبعه وآمن بما جاء به.[1]

***

ومما ورد في هذا الباب قصة النجاشي لما هاجر إليه جعفر بن أبي طالب وبعض الصحابة ، فلما بينوا له دين الإسلام وأن عيسى هو روح الله وكلمته ، وأنه ابن مريم العذراء التي لم يقربها بشر ؛ تناول النجاشي عودا من الأرض وقال: يا معشر القسيسين والرهبان ، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزِن هذه[2] ، مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، والذي بشر به عيسى ابن مريم.[3]

***

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائما عند رسول الله ﷺ ، فجاء حَبر من أحبار اليهود فقال: جئت أسألك.

فقال له رسول الله ﷺ : أينفعك شيء إن حدّثتك؟

قال: أسمع بأُذُنَي.

فنكَت[4] رسول الله ﷺ بِعودٍ معه فقال: سَلْ.

فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟

فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون الجسر[5].

قال: فمن أول الناس إجازةً[6]؟

---

[1] روى هذه القصة الحاكم في «مستدركه» (٢١٦/٣) ، والنسائي في «الكبرى» (٨١٣٢) ، كتاب المناقب ، باب زيد بن عمرو بن نفيل.

[2] أي العود الذي تناوله.

[3] روى هذه القصة ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٦٢٩) ، باب ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي وقصة إسلامه ، وصحح إسنادها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ، ص ١٠٥ .

[4] أي ضرب الأرض. انظر «النهاية».

[5] الجسر هو الصراط الذي يضرب على متن جهنم. انظر شرح النووي على صحيح مسلم.

[6] إجازةً أي عبورا على الصراط.

قال: فقراء المهاجرين.

قال اليهودي: فما تُحفتهم[1] حين يدخلون الجنة؟

قال: زيادة كبد النون[2].

قال: فما غداؤهم على إثرها[3]؟

قال: يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها.

قال: فما شرابهم عليه؟

قال: مِن عينٍ فيها تسمى سلسبيلا.

قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان.

قال: ينفعك إن حدّثتك؟

قال: أسمع بأُذُنَي.

قال: جئت أسألك عن الولد[4].

قال: ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منِي الرجل منِي المرأة أذْكَرا بإذن الله ، وإذا علا منِي المرأة منِي الرجل آنثا بإذن الله.

قال اليهودي: لقد صدقت ، **وإنك لنبي**.

ثم انصرف فذهب.

فقال رسول الله ﷺ : لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ، وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله به[5].[6]

---

[1] التحفة هي ما يلاطف به الرجل ليذهب به عنه المشقة والشدة ،كالفاكهة ونحوها. انظر «لسان العرب».

[2] النون هو الحوت ، والمقصود بزيادة كبده هي طرفها ، وهي أطيبها. انظر شرح النووي على «صحيح مسلم».

[3] أي بعدها.

[4] أي عن خلقه في بطن أمه.

[5] أي عن طريق الوحي ، وكان هذا في نفس المجلس الذي سأله فيه اليهودي.

[6] رواه مسلم (٣١٥).

***

وعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مَقدم النبي ﷺ المدينة ، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي.

قال: ما أول أشراط الساعة ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، ومن أي شيء ينزِع[1] الولد إلى أبيه ، ومن أي شيء ينزع إلى أَخواله؟

فقال رسول الله ﷺ : خَبّرني بهن آنفا جبريل.

فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

فقال رسول الله ﷺ : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[2].

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت[3].

وأما الشَّبه في الولد ؛ فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها.

قال: أشهد أنك رسول الله.

ثم قال: يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهْت[4] ، إن علموا بإسلامي قبل أن تَسْألهم[5] بَهَتُوني[6] عندك.

فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟

قالوا: أعلَمُنا وابن أعلَمِنا ، وأخيَرنا وابن أخيَرنا.

فقال رسول الله ﷺ : أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟

قالوا: أعاذه الله من ذلك.

فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله.

---

[1] أي: ما الشيء الذي يجذبه في الشبه إلى أبيه.

[2] أي من أشراط الساعة الكبرى.

[3] هي القطعة المنفردة المتعلقة في الكبد ، وهي أطيبها ، قاله النووي في شرحه على الحديث.

[4] البُهت هو الكذب والافتراء ، والمقصود أنهم أهل كذب وافتراء.

[5] أي قبل أن تسألهم عني.

[6] أي كذبوا وافتروا علي.

فقالوا: شرُّنا وابن شرِّنا ، ووقعوا فيه.[1]

وقد ذكر البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما «دلائل النبوة» قصصا كثيرة في هذا الباب فليراجعها من أراد الاستزادة.

***

وقد جاءت صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل ، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

قال: أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ ، وحِرزا للأميين[2] ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب[3] في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويُفتح بها أعين عمي وآذان صم ، وقلوب غلف.[4]

***

قال ابن كثير رحمه الله:

والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتاب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بني إسرائيل ، وهو عيسى ابن مريم ، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل ، وقص اللهُ خبره في ذلك فقال تعالى ﴿وإذ قال عيسى ابنُ مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد﴾.

---

[1] رواه البخاري (٣٣٢٩).

[2] الحرز هو الموضع الذي يتحصن به الإنسان من أسباب الهلاك ، والمقصود أن من اتبعه من الأميين وهم العرب فقد نجا من الهلاك ، وسمي العرب بالأميين لأن الكتابة كانت في وقتهم قليلة. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[3] السخب هو الصيَّاح ، والمقصود التساخب على الدنيا شحا وحرصا في الأسواق.

[4] رواه البخاري (٢١٢٥).

قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

وقد وُجدت البشاراتُ به ﷺ في الكتب المتقدمة ، وهي أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر.[1]

انتهى مختصرا.

***

ثم نقل رحمه الله شيئا مما ورد في كتب أهل الكتاب التي يعترفون بصحتها ، قدر أربع صفحات ، فليراجعها من أراد الاستزادة.

***

والأناجيل المتوافرة بأيدي النصارى الآن – على ما فيها من التحريف – تبشر به ، انظر كتاب «البشارات بنبوة محمد في العهد القديم – ٣٠ بشارة».

***

ولهذا استشهد الله على نبوة محمد ﷺ بشهادة من عنده علم الكتاب ، أي الكتب المنزلة من قبل وهي التوراة والإنجيل ، قال تعالى ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾.

***

[1] كتاب «دلائل النبوة» ، باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ ، (٦/٢٦٤) ، من كتابه «البداية والنهاية».

النوع الثاني من دلائل نبوته ﷺ أنه لو لم يكن نبيا لحذر منه الأنبياء ، كما قال ابن كثير رحمه الله:
ثم إنه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغارب ، وعمَّت دولةُ أمتِه أقطار الآفاق عمومًا ما لم يحصل لأمة من الأمم قبلها ، فلو لم يكن محمد ﷺ نبيًا ؛ لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذَّر عنه الأنبياء أشد التحذير ، ولنَفَّروا أممهم منه أشد التنفير ، فإنَّ جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة ، ونَهَوْ أممهم عن اتِّباعِهم والاقتداء بهم ، ونصُّوا على المسيح الدجال ، حتى نوح – وهو أول الرسل – قد أنذر قومَه منه.[1]
ومعلوم أنه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من محمد ﷺ ، ولا التنفير عنه ، ولا الإخبار عنه بشيء **خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتِّباعه ، والنهى عن مخالفته ، والخروج عن طاعته.**[2] انتهى.

***

قلت: أضف إلى ذلك أنه ﷺ لم يأتِ مُكذبا لمن قبله من الأنبياء مُزرِيًا عليهم ، كما يفعل الملوك المُتغلبة على الناس بمن تقدَّمهم من الملوك ، بل جاء مصدقا لهم ، شاهدا بنبوتهم ، ولو كان كاذبا مُتقوِّلًا مُنشِئًا مِن عنده سياسةً ؛ لم يُصدِّق مَن قَبله ، بل كان يُزري بهم ويطعن عليهم كما يفعل أعداء الأنبياء.[3]

---

[1] انظر «صحيح البخاري» (٣٣٣٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، والبخاري أيضا (٣٣٣٨) ومسلم (٢٩٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] بتصرف يسير من كتاب «دلائل النبوة» ، باب المسائل التي سئل عنها رسول الله ﷺ ، (٦/٢٦٤) من كتابه «البداية والنهاية».

[3] استفدت هذه الفائدة من ابن القيم رحمه الله من كتابه «إغاثة اللهفان» (٢/١١٣٦) ، تحقيق: محمد عزير شمس ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

النوع الثالث من دلائل نبوته ﷺ أنه من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمخالف ، ولذا كان الرجل المنصف الذي ليس له إرادة إلا اتباع الحق ؛ يبادر إلى الإيمان بالنبي ﷺ بمجرد ما يراه ويسمع كلامه ويعلم مضمون دعوته ، فيؤمن به ولا يرتاب في رسالته ، بل كان بعضهم يؤمن به بمجرد ما يراه ، ويقول: هذا ليس بوجه كذاب.[1]

ولهذا لما سمع به هرقل ملك الروم ، وعلِم بما تضمنته رسالته ، وما يأمر به وما ينهى عنه ؛ أيقن أنه رسول ، وكاد أن يؤمن به ، ولكن خشِي على نفسه من فوات الرئاسة ، فآثر الدنيا على الآخرة ، فهلك عياذا بالله.[2]

***

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضِمادًا قدم مكة ، وكان من أزدِ شنوءة ، وكان يرقي من هذه الريح[3] ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمدا مجنون ، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل ، لعل الله يشفيه على يدي.

قال: فلقيه فقال: يا محمد ، إني أرقي من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، فهل لك؟

فقال رسول الله ﷺ :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد.

قال: فقال: أعِد عليَّ كلماتك هؤلاء.

فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات.

---

[1] انظر «دلائل النبوة» لابن كثير ، (٦/٢٦٤) ، من كتابه «البداية والنهاية».

[2] انظر قصته مطولة في صحيح البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[3] قال النووي رحمه الله: المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن ، وفي غير رواية مسلم: (يَرقي من الأرواح) أي الجن ، سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس ، فهم كالروح والريح.

فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغْنَ ناعوس البحر[1].

قال: فقال: هاتِ يدك أبايعك على الإسلام.[2]

***

فائدة:

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله:

مجرد نظر المنصف إلى ما جبل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه من الأخلاق، وإلى أحكام دينه وكماله، وإلى عظمة القرآن وما احتوى عليه من المعجزات؛ **يضطره إلى تصديقه وإلى الخضوع لدينه وشرعه.**[3]

---

[1] أي وسطه ولجته.

[2] رواه مسلم (٨٦٨).

[3] «أصول عظيمة من قواعد الإسلام»، القاعدة الثانية، وتقع في «مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي» (٣١٨/٦)، الناشر: وزارة الأوقاف القطرية.

النوع الرابع من دلائل نبوته انقطاع استراق الجن للسمع قبيل بعثته ، فقد كان الكهان من العرب تأتيهم الأخبار من السماء عن طريق الشياطين التي تسترق السمع ، فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ ودنا مبعثه حُجِبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع ، وصار من يقعد لاستراق السمع يرمى بشهاب ثاقب من النجوم كما أخبر الله في سورة الجن ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر هام من أمر العباد ، قال الله عنهم ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ ، وظنت قريش لما رأت الرمي بالنجوم أن ذلك علامة على قيام الساعة ، ثم لما بُعِث النبي ﷺ وأسلمت الجن ؛ عرفت سبب منعها من السمع وأنه لئلا يختلط الوحي بما يسترقونه ويلقونه إلى الكهان.[1]

وصدق الله ﴿وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون﴾.

[1] انظر «سيرة ابن هشام» ، باب إخبار الكهان من العرب ، والأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى. (١/١٦٥ – ١٦٦).

النوع الخامس من دلائل نبوته أنه كان لا يرى رؤيا في المنام إلا جاءت مطابقة للواقع مثل فلقِ الصبح[1] ، فقد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض فيها نخل ، فوقع الأمر كما رأى ، وهاجر إلى المدينة.[2]

***

ورأى أنه سيدخل المسجد الحرام بعدما هاجر من مكة ؛ فوقع ذلك ، ودخل المسجد الحرام فاتحا ، قال تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾.

***

ورأى في ليلة عشرين من رمضان أنه ساجد في ليلة القدر في ماء وطين ، فلما كانت ليلة إحدى وعشرين من رمضان أصابهم مطر ، فابتل المسجد ، فصلى بهم رسول الله ﷺ تلك الليلة ، فلما انقضت الصلاة رأوا أثر الماء والطين على جبهة النبي ﷺ وأنفه ، تصديقا لرؤياه التي رأى أنه يسجد في ماء وطين.[3]

***

ورؤاه الصادقة ﷺ كثيرة ، ومن أراد التوسع فعليه بكتاب التعبير من صحيح البخاري ، وكذا كتاب الرؤيا من صحيح مسلم ، باب رؤيا النبي ﷺ .

***

[1] هكذا قالت عائشة رضي الله عنها كما في البخاري (٣) ومسلم (١٦٠). وفلق الصبح أي ضوؤه وإنارته. انظر «النهاية».

[2] انظر صحيح البخاري (٣٦٢٢) ، ومسلم (٢٢٧٢) عن أبي موسى رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٨١٣) ومسلم (١١٦٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

النوع السادس من دلائل نبوته أن الله خرق العادة له مرارا ، ومن ذلك تكثير الطعام ببركة دعائه، وقد حصل هذا للنبي ﷺ مرارا ، فعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سُلَيم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء؟

قالت: نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها فلَفّت الخبز ببعضه ، ثم دسّته تحت يدي ولاثتني[1] ببعضه ، ثم أرسلَتني[2] إلى رسول الله ﷺ ، قال: فذهبت به ، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : آرسلك أبو طلحة؟

فقلت: نعم.

قال: بطعام؟

فقلت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا.

فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة: يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك.

فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ، فَفُتَّ ، وعصرت أم سليم عُكَّةً فأدَمَتْهُ[3] ، **ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول[4]** ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن

---

[1] لاثَ أي لفَّ ، والمقصود أنها لفت بعض الخبز على رأسه وبعضه على إبطه. انظر شرح الحديث في «فتح الباري».

[2] المتكلم هو أنس رضي الله عنه.

[3] العُكَّة وعاء من جلد مستدير ، يختص لحفظ السمن أو العسل ، وهو للسمن أخص ، وقوله (أدمته) من أدم الشيء أي جعل معه إداما من لحم ونحوه. انظر «النهاية».

[4] أي ما يقول من الدعاء.

لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا.[1]

***

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة[2] فيها ثريد ، فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون.
قال له رجل: هل كانت تُمدُّ[3]؟
قال: فمن أي شيء تَعجَبُ؟ ما كانت تُمدُّ إلا من هٰهنا ، وأشار إلى السماء.[4]

***

وقصص تكثير الطعام بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وقد جمعها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة» في نحو من عشر قصص.[5]

---

[1] رواه البخاري (٣٥٧٨) ومسلم (٢٠٤٠).

[2] القصعة وعاء يؤكل فيه ويُثرد ، أي يصنع الثريد.

[3] أي يُزاد ما فيها.

[4] رواه أحمد (١٨/٥) ، والترمذي (٣٦٢٥) ، وصححه الألباني ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[5] ومواطن تلك القصص كالتالي:

١) حديث جابر رضي الله عنه ، رواه البخاري (٢١٢٧).

٢) حديث عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه ، رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٢٦١٨) ومسلم (٢٠٥٦).

٣) حديث جابر رضي الله عنه ، رواه البخاري في المغازي (٤١٠١) ومسلم (٢٠٣٩).

٤) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، رواه البخاري في النكاح (٥١٦٣).

٥) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٢).

٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه مسلم (٢٧).

٧) حديث دكين بن سعيد الخثعمي رضي الله عنه ، رواه أحمد (١٧٤/٤) ، وصححه محققو «المسند».

٨) حديث قيس بن النعمان رضي الله عنه ، رواه الحاكم (٨/٣ – ٩) ، وصححه الذهبي ، وذكره الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

***

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ تكثير الماء القليل ببركة يده ، فعن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه ، أن الماء قل ذات يوم عند المسلمين فقال النبي ﷺ : اطلبوا فضلة[1] من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك ، **والبركة من الله**.

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ .[2]

وفي لفظ: فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه ، فعلمت أنه بركة.

قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟

قال: ألفا وأربع مائة.[3]

***

وانظر حديث المسور بن مخرمة ومروان الذي رواه البخاري في كتاب الشروط[٤] ، وحديث أنس الذي رواه البيهقي في «الدلائل»[٥].

***

---

٩) حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٧٩/١) ، وحسن إسناده محققو «المسند».

١٠) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٥٢/٢) ، والترمذي (٣٨٣٩) ، وحسن الألباني إسناده.

[1] أي بقية من ماء قليلة.

[2] رواه البخاري (٣٥٧٦) عن جابر رضي الله عنه ، ورواه النسائي (٧٧) والترمذي (٣٦٣٣) وأحمد (٤٦٠/١) والدارمي في المقدمة ، باب «ما أكرم الله النبي صلى الله عليه وسلم من تفجير الماء من بين أصابعه» ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٥٦٣٩).

[٤] (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢).

[٥] (١٣٦/٦).

وقصص تكثير الماء بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وهي مذكورة في «صحيح البخاري» ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وكذا في «صحيح مسلم»، في كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ ، وغيرها من كتب الحديث والدلائل.

***

ومن خوارق العادات التي جرت له ﷺ ما جعل الله من البركة والشفاء في ريقه وعرقه وما انفصل من جسده كشعره ، وهذا خاص بالنبي ﷺ دون غيره ، فعن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت: يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة؟

فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر.

فقال الناس: أُصيب سلمة.

فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة.[1]

***

ومما جاء في بركة يده الشريفة ما رواه قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر ، فسالت حدقتُهُ[2] على وجنته[3] ، فأرادوا أن يقطعوها ، فسأل النبي ﷺ فقال: لا ، فدعا به ، فغَمز حدقته براحتِه ، فكان لا يُدرَى أيُّ عينيه أُصيبت.[4]

***

وفي يوم خيبر اشتكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من عينه ، فبصق فيها ودعا له فعادت سليمة.[5]

---

[1] رواه البخاري (٤٢٠٦).

[2] الحدقة هي العين. انظر «النهاية».

[3] الوجنة هي الخد.

[4] رواه أبو يعلى (١٥٤٩) ، (الناشر: دار الثقافة العربية – لبنان) ، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله بمجموع طرقه في «بداية السول في تفضيل الرسول» ، ص ٤١ ، الناشر: المكتب الإسلامي ، ط ٤ .

[5] رواه البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

***

وقصص استشفاء الصحابة ببركة آثار رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وهي مبثوثة في كتب السنة.[1]

***

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ **حادثة انشقاق القمر** لما سأله أهل مكة أن يُريهم آية دالة على نبوته ، فانشق القمر فرقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما ، فقال النبي ﷺ : اشهَدوا.[2]
قال القاضي عياض[3] رحمه الله: آية انشقاق القمر من أمهات آيات نبينا ﷺ ومعجزاته.[4]

***

---

[1] انظر حديث سعد بن أبي وقاص الذي رواه مسلم (٢٤٠٤) ، وحديث السائب بن يزيد الذي رواه البخاري (٣٥٤٠) ، وانظر كذلك قصة حنظلة التي رواها الإمام أحمد (٦٨/٥) ، وصحح إسنادها محققو «المسند» ، وقصة أبي العلاء بن عمير التي رواها الإمام أحمد (٢٨/٥) ، وصحح إسنادها محققو «المسند».

[2] انظر صحيح البخاري (٣٦٣٦ ، ٣٨٧٠) ، ومسلم (٢٨٠٢).

تنبيه: قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث رقم (٣٨٧٠):

وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين ، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط ، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة ، وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها مرتين نظر ، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات. انتهى.

[3] هو الإمام العلامة الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي المالكي ، ولد سنة ٤٧٦ ، درس على ما يقارب من مائة شيخ ، واستبحر من العلوم ، وولي القضاء ، كان إماما في الحديث ، له كتاب «الإكمال في شرح صحيح مسلم» ، كمل به كتاب «المُعلَم» للمازَري ، وله كتاب «الإلماع في أصول الرواية والسماع» ، وله كتاب «جامع التاريخ» فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، وله كتاب «الشفا في شرف المصطفى» ، وله غيرها. توفي رحمه الله عام ٥٤٤ . انظر ترجمته في «السير» (٢١٢/٢٠).

[4] «إكمال المعلم» (٣٣٣/٨) ، تحقيق يحيى إسماعيل ، ط دار الوفاء (مصر) ، ودار الندوة العالمية (الرياض).

تنبيه: قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث رقم (٣٨٧٠):

وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين ، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط ، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة ، وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها مرتين نظر ، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات. انتهى.

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ أنه أخذ قبضة من تراب في غزوة حنين فرمى بها وجوه الكفار وقال: (شاهت الوجوه) ، أي قـبُحت ، فما بقي منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة ، فولَّوا مُدبرين ، فهزمهم الله عز وجل ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.[1]

***

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ ؛ **رفْعُ بيت المقدس له وهو في مكة** حتى رآه ووصفه للناس وهو ينظر إليه ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذَّبتني قريش قُمتُ في الحِجر[2] ، فجلاَّ[3] الله لي بيت المقدس ، فطفِقت أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.[4]

***

ومن خوارق العادات التي حصلت له ﷺ أنه **يرى من خلفه وهو يصلي بالناس إماما** ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُقيمت الصلاة ، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: أقيموا صفوفكم وتراصوا ، فإني أراكم من وراء ظهري.[5]

***

[1] انظر صحيح مسلم (١٧٧٧) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

[2] أي حِجر الكعبة الملاصق لها.

[3] جلاَّ أي كشف وأوضح.

[4] رواه البخاري (٣٨٨٦) ومسلم (١٧٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

[5] رواه البخاري (٧١٩) ومسلم (٤٢٥).

النوع السابع من دلائل نبوته ﷺ إخباره ببعض الأمور الغائبة عن عيون الناس في حينها ، فوقعت كما أخبر ، فمن ذلك أنه نعى[1] النجاشي في اليوم الذي مات فيه وهو بالحبشة ، والنبي ﷺ بالمدينة ، وصلى عليه صلاة الغائب.[2]

***

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث جيشا لغزوة مؤته ، فاستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وأوصاهم إن أصيب زيد فأميرهم جعفر ، وإن أصيب جعفر فأميرهم عبد الله بن رواحة ، وبينما الصحابة في المدينة مع رسول الله ﷺ إذ نعى زيدا ثم جعفرا ثم ابن رواحة وهو قاعد في المدينة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرةٍ ففُتح له.[3]

***

ولما نزل النبي ﷺ بدرا قبل المعركة حدَّد مواضع قتل بعض رؤوس المشركين ، فعن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول: هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله.

فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ؛ ما أخطئوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ .[4]

ومنها قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، وفيها أن رسول الله ﷺ أرسل عليا والمقداد والزبير رضـــي الله عنهم في إثر امرأة تحمل رسالة إلى المشركين ، فقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة «خاخ»، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب إلى المشركين.

وحصل الأمر ، وأدركوها في تلك الروضة ، ومعها كتاب إلى المشركين فيه إفشاءٌ لِسِرِّ المسلمين.[1]

---

[1] أي أخبر بموته.

[2] انظر صحيح البخاري (١٢٤٥) ومسلم (٩٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (١٢٤٦).

[4] رواه مسلم (٢٨٧٣).

***

والأمثلة على هذا النوع من الدلائل عديدة ، وقد جمع شيئا كثيرا منها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

***

[1] والقصة في صحيح البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

النوع الثامن من دلائل نبوته ﷺ شهادة بعض الحيوانات له بذلك ، وتوقير بعض الحيوانات والجمادات له ﷺ ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى بِالْحَرَّةِ إِذْ عَرَضَ ذِئْبٌ لِشَاةٍ مِنْ شَائِهِ ، فَجَاءَ الرَّاعِي يَسْعَى فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: أَلا تَتَّقِي اللَّهَ ، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقٍ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ؟ قَالَ الرَّاعِي: الْعَجَبُ لِلذِّئْبِ ، وَالذِّئْبُ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ ، يُكَلِّمُنِي بِكَلامِ الإِنْسِ. قَالَ الذِّئْبُ لِلرَّاعِي: أَلا أُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا؟ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ[1] ، يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، فَسَاقَ الرَّاعِي شَاءَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَزَوَاهَا[2] فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ الذِّئْبُ[3] ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لِلرَّاعِي: "قُمْ فَأَخْبِرْ" ، فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا قَالَ الذِّئْبُ ، وَقَالَ ﷺ : "صَدَقَ الرَّاعِي ، أَلا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلامُ السِّبَاعِ الإِنسَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنسَ ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلُ نَعْلَهُ وَعَذَبَةَ سَوْطِهِ ، وَيُخْبِرُهُ فَخِذُهُ بِحَدِيثِ أَهْلِهِ بَعْدَهُ".[4]

***

وعن أنس بن مالك قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنون[5] عليه ، وان الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وإن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسْني عليه ، وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره ، وقد عطش الزرع والنخل.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا) ، فقاموا ، فدخل الحائط[6] ، والجمل في ناحيته ، فمشى النبي ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار: يا نبي الله ، إنه قد صار مثل الكَلْبِ الكَلِب[7] ، وإنا نخاف عليك

---

[1] الحرتين مثنى حرة ، والحَرَّة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة ، والمدينة لها حرتان شرقية وغربية. انظر «النهاية».

[2] زواها أي جمعها وضمها.

[3] زاد أحمد هنا أن النبي ﷺ أمر فنودي في المسجد: (الصلاة جامعة) ، ليجتمع الناس ويسمعوا قول الراعي.

[4] رواه أحمد (٣/٨٣-٨٤) وابن حبان (٦٤٩٤) واللفظ له ، وقال الشيخ شعيب في حاشيته عليه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[5] أي يستقون عليه الماء من البئر.

[6] الحائط هو البستان.

[7] هو الكلب يشتد في أكل لحوم الناس ، فيصيبه داء شبيه بالجنون ، فإذا عض إنسانا أصابه – أي الإنسان – داء الكلب ، فيمزق ثيابه ، ويعوي عواء الكلب. انظر «لسان العرب».

صولته ، فقال: (ليس عليَّ منه بأس) ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله في العمل.[1]

***

وعن عبد الله بن قُرْط رضي الله عنه أنه قُرِّب إلى رسول الله ﷺ يوم النحر خمس بَـدَنات[2] أو ست ينحرهن ، فطفِقْن يزدلِفن[3] إليه ، أيَّـتُهُنَّ يبدأ بها.[4]

***

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجرا بمكة كان يُسَلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن.[5]

***

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صَعَدَ إلى أُحُدٍ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: أُثبت أُحُد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.[6]

***

[1] رواه أحمد (١٥٨/٣) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.
وفي الباب عن عبد الله بن جعفر ، رواه أحمد (٢٠٤/١) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[2] بدَنات جمع بَـدَنة ، وهي الناقة التي بلغت خمس سنين.

[3] طَـفِق أي أخذ في فعل شيء ما ، وهو هنا الازدِلاف إلى النبي ﷺ ، أي التقرب منه ، والمقصود: جعلن يتقربن إليه ، كل واحدة تريد أن يبدأ النبي ﷺ بنحرها قبل أختها.

[4] رواه أحمد (٣٥٠/٤) ، وأبو داود (١٧٦٥) ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله كما في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ، ص ١١٨ ، وكذا صححه محققو «المسند» والألباني رحمه الله.

[5] رواه مسلم برقم (٢٢٧٧).

[6] رواه البخاري برقم (٣٦٧٥ ، ٣٤٧٢).

ومن ذلك أيضا حنين جذع نخلة كانت في المسجد إليه ، فقد كان النبي ﷺ يخطُب يوما إلى جذع نخلة في المسجد ، فصنعوا له منبرا ، فلما كانت الجمعة قعد إليه النبي ﷺ ، فبكى الجذعُ حتى سمعوا له صوتا مثل صوت العِشار[1] ، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه وضمَّهُ فسكت.[2]

***

[1] العشار جمع عشراء ، وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر.

[2] انظر صحيح البخاري (٩١٨ ، ٢٠٩٥).

النوع التاسع من دلائل نبوته إخباره عن أمور مستقبلية تحصل تبعا مع مرور الزمن ، فحصلت كما أخبر ، فمن هذا إيماؤه إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه[١].

***

وإخباره عن مجيء أويس القرني من اليمن ، وأن له والدة هو بها بار ، وأن به بياض بقدر موضع درهم أو دينار ، لو أقسم على الله لأبره ، فأتى إلى المدينة كما أخبر ، ولقيه عمر رضي الله عنه.[٢]

***

وإخباره عن استقامة القرون الثلاثة ، فحصل الأمر كما أخبر ، فكانوا خير القرون التي مرت عليها الأمة الإسلامية ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.[٣]

***

ومنها إخباره بفتح اليمن والشام والعراق ، فوقع الأمر كما أخبر.[٤]

***

ومنها إخباره بفتح مصر.[٥]

***

---

[١] انظر حديث عائشة في صحيح البخاري (٥٦٦٦) ومسلم (٢٣٨٧).

[٢] رواه مسلم (٢٥٤٢).

[٣] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) ، واللفظ للبخاري.

[٤] انظر صحيح البخاري (١٧٧٦) ، ومسلم (١٣٨٨) ، وكذا أبو داود (٢٤٨٣).

[٥] انظر صحيح مسلم (٢٥٤٣).

ومنها إيماؤه إلى انتصار الروم على فارس ، فوقع الأمر كما أخبر ، وذلك قوله تعالى ﴿غلبت الروم * في أدنى الأرض * وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾ ، والبِضع هي ما دون العشر في العدد ، فغُلبوا قبل تمام المدة.[1]

***

ومنها إخباره بفتح خيبر على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[2]

***

ومنها إخباره بمقتل عثمان رضي الله عنه مظلوما.[3]

***

ومنها إخباره بمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مظلوما.[4]

***

ومنها إخباره بأن ابنته فاطمة أول الناس لحوقا به من أهل بيته بعد وفاته.[5]

***

ومنها إخباره بأن أول زوجاته لحوقا به بعد وفاته زينب رضي الله عنها.[6]

***

ومنها إخباره بإخراج اليهود من خيبر ، فوقع الأمر كما أخبر في خلافة عمر رضي الله عنه.[1]

---

[1] انظر «جامع الترمذي» (٣١٩٣) ، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٣٣٠) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[2] انظر صحيح البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦).

[3] انظر جامع الترمذي (٣٧٠٨) ، وصححه الألباني.

[4] انظر صحيح البخاري (٢٨١٢) ومسلم (٢٩١٥).

[5] انظر صحيح البخاري (٣٦٢٦) ومسلم (٢٤٥٠).

[6] انظر صحيح البخاري (١٤٢٠) ومسلم (٢٤٥٢).

***

ومنها إخباره أن بعض أمته سيركبون البحر غزاة ، وأن أم حرام منهم ، فكان الأمر كذلك في خلافة عثمان رضي الله عنه.[٢]

***

ومنها إخباره بفتح فارِس.[٣]

***

ومنها إخباره بهلاك كسرى وقيصر ، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله.[٤]

***

ومنها إشارته ﷺ لوقوع بعض الفتن بالمدينة[٥] ، فوقعت كما أخبر ، فأولها مقتل عمر ثم عثمان ثم وقعة الحرة في زمن يزيد بن معاوية.

***

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره بأن الطاعون لا يدخل المدينة ، فوقع الأمر كما أخبر ، فلم يدخلها قط.[٦]

***

ومنها إخباره عن تفرق الأمة من بعده على فرق كثيرة ، فوقع الأمر كما أخبر.[١]

---

[١] انظر صحيح البخاري (٢٧٣٠).

[٢] انظر صحيح البخاري (٢٧٨٩) ومسلم (١٩١٢).

[٣] انظر صحيح مسلم (٢٩٠٠).

[٤] انظر صحيح البخاري (٣٥٩٥) ومسلم (٢٩١٨) ، وكذا حديث جابر بن سمرة الذي رواه مسلم (٢٩١٩).

[٥] انظر صحيح البخاري (١٨٧٨) ومسلم (٢٨٨٥).

[٦] انظر صحيح البخاري (٥٧٣١) ومسلم (١٣٧٩).

***

ومنها إخباره بأن أناسا من أمته سيكذبون بالقدر ، فوقع الأمر كما أخبر ، فظهر أناس يدعون أن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه ، تعالى الله عن ذلك.[٢]

***

ومنها إخباره عن الفِرقة التي تسمي نفسها بالقرآنيين ، وهم الذين يدَّعون الإيمان بالقرآن ويكفرون بالسنة ولا يؤمنون بها ، فوقع الأمر كما أخبر ، وهم موجودون الآن ، أراح الله العباد والبلاد من شرهم.[٣]

***

ومنها إخباره ﷺ بأن بعض أمته سيتشبه باليهود والنصارى ، فوقع الأمر كما أخبر.[٤]

***

ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره أنه سيأتي على أمته زمان لا يبالي المرء فيه من أين أخذ ماله من حلال أو من حرام[٥] ، فوقع الأمر كما أخبر ، كما هو الحال في زماننا.

***

ومن دلائلها أيضا إخباره بظهور الخوارج ، وكان أول أمرهم لما أتى علي رضي الله عنه بمال من اليمن، فقسمه النبي ﷺ بين أربعة نفر ، فقام رجل غائر العينين ، مُشرِفُ الوجنتين ، ناتئُ الجبين ، كثُّ اللحية[١] ، محلوق الرأس ، مُشمِّر الإزار ، فقال: يا رسول الله ، اتَّقِ الله!

---

[١] انظر سنن أبي داود (٤٥٩٦) ، وقال الألباني في تعليقه عليه: حسن صحيح ، وفي الباب عند ابن ماجه (٣٩٩٢) عن عوف بن مالك رضي الله عنه ، وصححه الألباني أيضا.

[٢] انظر صحيح مسلم (٨).

[٣] انظر سنن أبي داود (٤٦٠٤) ، والترمذي (٢٦٦٤) وابن ماجه (١٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٤] انظر صحيح البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

[٥] انظر صحيح البخاري (٢٠٥٩).

فقال له رسول الله ﷺ : ويلك ، أولست أحق أهل الأرض أن يتق الله؟!

ثم لما ولى الرجل قال النبي ﷺ : إنه يخرج من ضِئضىء[٢] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

إلى أن قال: آيتهم رجل أسود إحدى عَضُديه[٣] مثل ثدي المرأة ، أو مثل البُضعة[٤] تدَردَر[٥] ، ويخرجون على حين فرقة من الناس.

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتُمِس فأُتي به ، حتى نظرت إليه على نعتِ النبي ﷺ الذي نَعَتَهُ.[٦]

وفي رواية مسلم في وصفهم: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.[٧]

***

ومن الأمور الغيبية التي أخبر النبي ﷺ بوقوعها في المستقبل أن أقواما من أمته سيستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف ، فوقع الأمر كما أخبر.[٨]

***

---

[١] الكثاثة في اللحية أن تكون غير رقيقة ولا طويلة لكن فيها كثافة. انظر «النهاية».

[٢] الضئضىء هو الأصل ، والمقصود هو النسل. انظر «النهاية».

[٣] العضد هو ما بين الكتف والمرفق. انظر «النهاية».

[٤] البُضعة هي القطعة من اللحم. انظر «النهاية».

[٥] تدردر أي ترتج ، وأصلها تتدردر ، ولكن حذفت إحدى التاءين تخفيفا. انظر «النهاية».

[٦] انظر صحيح البخاري (٣٦١٠ ، ٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤).

[٧] قال مقيده عفا الله عنه: والخوارج فرقة ظهرت في ذلك الزمان ، وهي موجودة إلى الآن ، وهناك من الطوائف الآن من يحمل فكرها الثوري ، كالجماعة المسلحة في مصر ، قال الشيخ مقبل في «دلائل النبوة» ، ص ٦٠٠ : هذا الحديث وأمثاله ينطبق على جماعة التكفير والهجرة التي ظهرت بمصر وامتدت إلى جميع الأقطار الإسلامية.

[٨] انظر صحيح البخاري (٥٥٩٠).

والحِرُ هو الفرج ، والمقصود انتشار الزنا كما لو أنه حلالا ، وقد انتشر الزنا في بعض البلاد الإسلامية انتشارا واسعا عياذا بالله.

ومن دلائل نبوته إخباره عن بعض أشراط الساعة الصغرى ، فظهر بعضها كما أخبر ، ومن ذلك قبض العلم[١] ، وكثرة الزلازل ، وتقارب الزمان ، وظهور الفتن ، وكثرة القتل ، وكثرة المال[٢] ، وفُشُو الجهل ، وشرب الخمر ، والزنا[٣] ، ويكثر النساء ، ويقِلُّ الرجال[٤] ، وإخباره ﷺ أن المسلمين سيقاتلون قوما ينتعلون نِعال الشَّعر[٥] ، قال الحافظ في «الفتح»: وَقَدْ وَقَعَ لِلْإِسْمَاعِيلِي مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَصْحَابَ «بَابَك» كَانَتْ نِعَالُهُمْ الشَّعْر.

قُلْت: «بَابَك» مِنْ طَائِفَةٍ مِنْ الزَّنَادِقَةِ ، اِسْتَبَاحُوا الْمُحَرَّمَات ، وَقَامَتْ لَهُمْ شَوْكَة كَبِيرَة فِي أَيَّام الْمَأْمُون ، وَغَلَبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ كَطَبَرِسْتَان وَالرَّيّ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ «بَابَك» الْمَذْكُورُ فِي أَيَّام الْمُعْتَصِم ، وَكَانَ خُرُوجُه فِي سَنَة إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ أَوْ قَبْلَهَا ، وَقَتْلُهُ فِي سَنَة اِثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ. انتهى كلامه.

***

ومما ذكره النبي ﷺ في أشراط الساعة الصغرى إخباره ﷺ أن المسلمين سيقاتلون الترك ، وقد جاء وصفهم بأن وجوههم كالمِجان المُطرقة[٦] ، صِغار الأعين ، حُمر الوجوه ، ذُلف[٧] الأنوف.[٨]

قال النووي رحمه الله: وهذه كلها معجزات لرسول الله ﷺ ، فقد وُجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ ، صغار الأعين ، حُمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، عِراض الوجوه ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، ينتعلون الشعر ، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا ، وقاتلهم المسلمون

---

[١] ويكون هذا بقبض العلماء.

[٢] انظر صحيح البخاري (١٠٣٦).

[٣] انظر صحيح البخاري (٨٠) ومسلم (٢٦٧١).

[٤] انظر صحيح البخاري (٨١) ومسلم (٢٦٧١).

[٥] انظر صحيح البخاري (٢٩٢٧) عن عمرو بن تغلب ، وكذا مسلم (٢٩١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ومعنى قوله (ينتعِلون نِعال الشعر) أي يلبسون النعال المصنوعة من شعر الإبل ونحوه.

[٦] المجان جمع مِجن وهو الترس ، والطُّرق هو إلباسها العَقَب وهو العَصَب ، ولعل العصب خُصَّ بذلك لبياضه ، والمقصود عراض الوجوه ، بِياضُها.

[٧] ذُلف الأنوف أي صغارها.

[٨] انظر صحيح البخاري (٢٩٢٧) عن عمرو بن تغلب ، وكذا مسلم (٢٩١٢) عن أبي هريرة.

مرات ، وقتالهم الآن ، ونسأل الله الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم ، وسائر أحوالهم ، وإدامة اللطف بهم والحماية ، وصلى الله على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى. انتهى.

***

ومما ذكره ﷺ في أشراط الساعة الصغرى ، فظهر كما أخبر ؛ ما جاء في حديث عمر بن الخطاب في «صحيح مسلم»[1] لما سأل جبريل النبي ﷺ عن علامات الساعة فقال: (أن يتطاول الرّعاة في البنيان) ، أي أن رُعاة الغنم والإبل يتركون الرعي ويشتغلون بالبناء حتى أنهم ليتطاول بعضهم على بنيان بعض ، وهذا مشاهد في هذا الزمان.

***

ومن ذلك أيضا ما حدّث به عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من أَدَم[2] ، فقال:

أُعدُد سِتًّا بين يدي الساعة: مَوتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم مُوتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدِرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا.[3]

قال ابن حجر في «الفتح»:

مُوْتَانِ ، قَالَ الْقَزَّاز: هُوَ الْمَوْت ، وَقَالَ غَيْره: الْمَوْت الْكَثِير الْوُقُوع.

قَوْله: (كَعُقَاصِ الْغَنَم) ؛ هُوَ دَاء يَأْخُذ الدَّوَابّ فَيَسِيل مِنْ أُنُوفهَا شَيْء ، فَتَمُوت فَجْأَة ، وَيُقَال إِنَّ هَذِهِ الْآيَة ظَهَرَتْ فِي طَاعُون عِمَوَاسٍ فِي خِلَافَة عُمَر ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْد فَتْح بَيْت الْمَقْدِس.

---

[1] رقم (٨).

[2] الأدَم هو الجلد.

[3] رواه البخاري (٣١٧٦).

قَوْله: (ثُمَّ اِسْتِفَاضَة الْمَال) أَيْ كَثْرَته ، وَظَهَرَتْ فِي خِلَافَة عُثْمَان عِنْد تِلْكَ الْفُتُوح الْعَظِيمَة ، وَالْفِتْنَة الْمُشَار إِلَيْهَا اُفْتُتِحَتْ بِقَتْلِ عُثْمَان ، وَاسْتَمَرَّتْ الْفِتَن بَعْده ، وَالسَّادِسَة لَمْ تَجِئْ بَعْدُ.

قَوْلُهُ: (بَنِي الأصفر) هُمْ الرُّوم.

قَوْله: (غَايَة) أَيْ رَايَة ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا غَايَة الْمُتَّبِع ، إِذَا وَقَفَتْ وَقَفَ. انتهى باختصار.

قال مقيده عفا الله عنه: وقد ظهرت كلها إلا الهدنة المشار إليها ، وهذا من دلائل نبوته ﷺ ، اللهم انصر المسلمين على من بغى عليهم.

***

ومن ذلك أيضا ما حدَّث به أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)[1] ، وقد وقع الأمر كما أخبر ، فصار الناس يتباهون بزخرفة المساجد ، وبعضهم ينفق الأموال الطائلة في سبيل التزيين ويعدها صدقة وقربة ، وهذا ليس بسبيل شرعي ، بل السبيل الشرعي هو ما كان في سبيل تقوية البناء أو توسعته.

***

ومنها إخباره بأن عبد الله بن بُسْر سيعيش مائة سنة ، فكان الأمر كذلك.[2]

***

ومنها إخباره عن خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى[3] ، وهي مدينة بالشام ، وقد خرجت هذه النار سنة خمس وستين وست مئة ، وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى[4].

***

[1] رواه أبو داود (٤٤٩) وابن ماجه (٧٣٩) ، وصححه الألباني.

[2] رواه أحمد (١٨٩/٤) ، وانظر ترجمة عبد الله بن بسر في «سير أعلام النبلاء».

[3] رواه البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] انظر «البداية والنهاية» ، أحداث سنة ٦٥٤ هـ.

ومن دلائل نبوته ﷺ ما أخبر به من أن الناس سيأتي عليهم زمان يتركون فيه ركوب الإبل ، وقد تحقق هذا في زماننا هذا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : والله لينزِلُنَّ ابن مريم حكما عادلا ، فليكسِرُنَّ الصليب ، وليقتِلُنَّ الخنزير ، وليضعُنَّ الجزية ، **ولتُترَكُنَّ القِلاص فلا يُسعى عليها** ... الحديث.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير قوله تعالى ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾[1]:

ومحل الشاهد من هذا الحديث الصحيح قوله ﷺ : (ولتتركُنَّ القِلاص[2] فلا يُسعى عليها) ، فإنه قَسَمٌ من النبي ﷺ أنه ستُترك الإبل فلا يُسعى عليها ، وهذا مُشاهدٌ الآن للاستغناء عن ركوبها بالمراكب المذكورة[3].

وفي هذا الحديث معجزة عظمى تدل على صحة نبوته ﷺ وإن كانت معجزاته صلوات الله عليه وسلامه أكثر من أن تُحصر. انتهى.

فصل

وهناك أمور مستقبلية لم تظهر بعد ، ولكنها ستظهر قطعا ، مصداقا لقول النبي ﷺ ، ومن ذلك ما حدَّث به عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقاتلكم اليهود ، فتُسَلَّطون عليهم ، حتى يقول الحَجر: يا مسلم ، هذا يهودي ورائي فاقتله.[4]

***

ومن ذلك أيضا ما أخبر به ﷺ من أن المدينة النبوية لا يدخلها الدجال.[5]

---

[1] سورة النحل: ٨ .

[2] القلاص جمع قلوص وهي الناقة الشابة. انظر «النهاية».

[3] يعني الطائرات والقطارات والسيارات ، وقد تقدم ذكرها في كلام الشيخ رحمه الله.

[4] رواه البخاري (٣٥٩٣) ومسلم (٢٩٢١) ، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري (٢٩٢٦) ، ومسلم (٢٩٢٢).

[5] انظر صحيح البخاري (٥٧٣١) ومسلم (١٣٧٩).

النوع العاشر من دلائل نبوته ﷺ هو القرآن الكريم ، وهو المعجزة الخالدة المستمرة من حين أنزِل إلى يوم القيامة ، فإن آيات الأنبياء قاطبة انقضت بموتهم ، ولم يبق لهم معجزة إلا ما حكاه أتباعهم عنهم مما شوهد في زمانهم ، أما القرآن فمعجزة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما مِن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيت وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة.[1]

***

قال شمس الدين الذهبي رحمه الله:

هذه هي المعجزة العظمى ، وهي القرآن ، فإن النبي من الأنبياء عليهم السلام كان يأتي بالآية وتنقضي بموته ، فقَلَّ لذلك من يتَّبِعه ، وكَثُرَ أتباع نبينا ﷺ لكون معجزته الكبرى باقية بعده ، فيؤمن بالله ورسوله كثيرٌ مِمَّن يسمع القرآن على مر الأزمان ، ولهذا قال: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة. انتهى.[2]

***

وقال ابن كثير رحمه الله:

والمعنى أن كل نبي قد أوتي من خوارق العادات ما يقتضي إيمان من رأى ذلك من أولي البصائر والنهى ، لا من أهل العناد والشقاء ، وإنما كان الذي أوتِيه – أي جُلُّهُ وأعظمُهُ وأبهرُه – القرآن الذي أوحاه الله إليه ، فإنه لا يبيد ولا يذهب كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم فلا تُشاهد ، بل يخبر عنها بالتواتر والآحاد ، بخلاف القرآن العظيم الذي أوحاه الله إليه فإنه معجزة متواترة عنه ، مستمرة دائمة البقاء بعده ، مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد.[3]

---

[1] رواه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (١٥٢) ، واللفظ لمسلم.

[2] «سير أعلام النبلاء» ، قسم السيرة النبوية ، (٣٥١/٢٧) ، باب جامع في دلائل النبوة ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

[3] «البداية والنهاية» (٣٨١/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، باب التنبيه على ذكر معجزات لرسول الله مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء.

***

قال مقيده عفا الله عنه: القرآن الكريم مُعجِزٌ في ذاته من تسعة وجوه[1]:

الأول: بيانه وفصاحته ، فالقرآن الكريم نزل على العرب بلغتهم ، وفي زمان بلغوا فيه الذَّرْوَةَ في الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن نظم الشعر ، فظنوا في أول الأمر أنهم يستطيعون الإتيان بمثله فقالوا ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾[2] ، فنزل القرآن بتحديهم على ثلاثة مراحل ؛ الأولى أن يأتوا بمثله[3] ، والثانية أن يأتوا بعشر سور مثله[4]، والثالثة أن يأتوا بسورة مثله[5] ، فعجِزوا مع شدة حرصهم على مغالبة القرآن وقوة فصاحتهم ، فقطع الله طمعهم إلى قيام الساعة في قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[6].[7]

وقال ابن تيمية رحمه الله:

والقرآن آيته باقية على طول الزمان من حين جاء به الرسول ، تُتلى آيات التحدي به ويتلى قوله ﴿فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين﴾ و ﴿فأتوا بعشر سورٍ مثله﴾ و ﴿بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ ، ويُتلى قوله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً﴾ ، فنفس إخبار الرسول بهذا في أول الأمر[8] وقطعِه

---

[1] قولي إنها تسعة ليس على سبيل التحديد ، ولكن بحسب ما يسر الله الوقوف عليه ، وربما كانت هناك وجوه أخرى ، فالله تعالى أعلم ، وانظر للاطلاع وجوه إعجاز القرآن الكريم العشرة كما ذكرها القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ، باب: ذكر نكت في إعجاز القرآن ، وشرائط المعجزة وحقيقتها.

[2] سورة الأنفال: ٣١ .

[3] سورة الطور: ٣٣ – ٣٤ .

[4] سورة هود: ١٣ .

[5] سورة البقرة: ٢٣ .

[6] سورة الإسراء: ٨٨ .

[7] وانظر أيضا ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (سورة يونس: ٣٧).

[8] أي في أول أمر نبوته.

بذلك مع علمه بكثرة الخلق دليل على أنه كان خارقاً يُعجز الثقلين عن معارضته ، وهذا لا يكون لغير الأنبياء.

ثم مع طول الزمان قد سمِعه الموافق والمخالِف ، والعرب والعجم ، وليس في الأمم من أظهرَ كتاباً يقرأه الناس وقال إنه مثله ، وهذا يعرفه كل أحد ، وما من كلام تكلم به الناس – وإن كان في أعلى طبقات الكلام لفظاً ومعنى – إلا وقد قال الناس نظيرَه وما يشبهه ويقاربه ، سواء كان شعراً أو خطابة أو كلاماً في العلوم والحكم والاستدلال والوعظ والرسائل وغير ذلك ، وما وُجِد من ذلك شيء إلا وَوُجِد ما يُشبهه ويُقاربه.

والقرآن مما يَعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب على معارضته ، فلفظُه آية ، ونظمُه آية ، وإخبارُه بالغيوب آية ، وأمرُه ونهيُه آية ، ووعدُه ووعيدُه آية ، وجلالتُه وعظمتُه وسلطانُه على القلوب آية ، وإذا تُرجم بغير العربي كانت معانيه آية ، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم.[1]

***

فائدة – التوراة والإنجيل لا يُجزم بأنها معجزة في لفظِها

لا يُجزم بأن التوراة والإنجيل مُعجزة من حيث اللفظ والنظم كالقرآن ، فهذا يرجع إلى اللغة التي أنزِل بها وهي العبرانية ، وإنما هي مُعجزة لما تضمنته من المعاني ، كالإخبار عن الغيوب ، وما فيها من الهدى والنور ، وما فيها من الإخبار بنبوة محمد ﷺ .[2]

***

ثانيا: أنه ليس فيه عوج لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني ، قال الشنقيطي رحمه الله في تعليق له على قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾:

---

[1] كتاب «النبوات» ، ص ٥١٥ – ٥١٧ .

[2] انظر كتاب «النبوات» (٥١٩).

أي: لم يجعل فيه اعوجاجاً كائناً ما كان ، لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني ، فألفاظه في غاية الإعجاز والسلامة من العيوب والوصمات ، ومعانيه كلها في غاية الكمال ، أخباره صدق ، وأحكامه عدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ أي: صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأحكام.[1]

***

ثالثا: حِفظه من التحريف على مر العصور والدهور ، ووجه الإعجاز أنه لم يُحفظ كتابٌ من الكتب السماوية كما حُفِظَ هذا الكتاب ، وصدق الله ﴿إنا نحن نزلنا الذِّكر وإنا له لحافظون﴾[2].

***

رابعا: حُسْنُ ما تضمنه القرآن من تشريعات وأحكام ، تصلح لجميع البشر ولجميع الأزمنة والأمكنة، وتشمل جميع ما يصلح العباد في دنياهم وآخرتهم ، في العقيدة والشريعة والآداب والاقتصاد والسياسة وغيرها ، وجعله مستغنٍ عن غيره من القوانين والدساتير.

***

خامسا: صِدقُ الأخبار التي تضمنها ، سواء التي مضت ، أو التي تحصل تَبَعًا مع مرور الزمن أثناء تَنَزُّل القرآن ، أو الآيات التي فيها ذكر بعض الأمور المستقبلية ، **فأما الأخبار التي مضت** فهي كالإخبار عن خلق السماوات والأرض ، وقصة آدم وإبليس ، ثم قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم ، وقصة صاحب الجنتين ، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين ، وغيرها ، جاءت كل هذه الأخبار على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وتَضَمَّن القرآن كذلك ذكر بعض الأحكام الواردة في التوراة ، وبيان كتمان أحبار اليهود لها ، حتى تحداهم القرآن بقوله ﴿قل فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين﴾[3].

---

[1] «الرحلة إلى أفريقيا» ، ص ١٨ .

[2] سورة الحجر: ٩ .

[3] سورة آل عمران: ٩٣ .

وأما الآيات التي نزلت تَبَعًا مع التنزيل فكالآيات التي نزلت لكشف أحوال المنافقين ، والآيات التي فيها إجابة على أسئلة ، كالآيات التي تَصَدَّرها قولُه ﴿ويسألونك﴾ ونحوها ، وكذا المواقف التي كشفت عن صدق الله وعدِه لنبيِّـه بالنصر في الحروب ، وغير ذلك.

وأما الآيات التي فيها أخبار ما سيأتي في المستقبل فوقعت مطابقة لما أخبر فكدخول المسجد الحرام ، وهي في آخر سورة الفتح.

وأيضا قوله تعالى ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾[1] ، فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم أن عمر لما نزلت هذه الآية قال: أيُّ جمعٍ يُهزم؟

فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يَثِبُ في الدِّرع ويقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

وفي رواية لابن أبي حاتم: فعرفتُ تأويلها يومئذ.

وكذلك الآيات التي فيها تقرير عجز الناس عن أن يأتوا بآية مثل آيات القرآن ، فعجز الناس فعلا ، وكالآيات التي تقرر حفظ الله لكتابه ، كقوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ، فوقع الأمر كما أخبر ، فكم من ملحدٍ حاول ثم نكص على عقبيه ، وكالآيات التي تقرر حصول العزة والكرامة والسيادة والظهور للأمة الإسلامية إن استقامت على أمر الله ، فوقع الأمر كما أخبر الله في القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولَيُمكِّـنَنَّ لهم دينهم الذين ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾[2] ، ثم لما فشا فيهم الشرك والبدع ، والبعد عن منهج السلف الصالح في العقيدة والشريعة والسلوك ؛ صاروا في ذيل الأمم ، وتسلطت عليهم الأمم الأخرى ، واحتلوا بلادهم قرونا من الزمن[3].

---

[1] سورة القمر: ٤٥ .

[2] سورة النور: ٥٥ .

[3] تعمدت هنا ذكر جملة (واحتلوا بلادهم قرونا) بدل (واستعمروا بلادهم قرونا) ، والفضل في هذا الاختيار يعود للعلامة السلفي محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله ، فقد انتقد كلمة (الاستعمار) ، فقال ما معناه إن مادة هذه الكلمة هي (العـمارة) ، ومن مشتقاتـها التعمير والعمران ، كما قال الله تعالى ﴿هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ ، والذي وقع من الإفرنج في تلك الحقبة الزمنية هو الخراب لا العمران ، فإنهم خرّبوا الأوطان والأديان والعقول والأفكار والمقومات ، وتركوا آثارا وبصمات سيئة بعد

ومن دلائل صدق القرآن ما جاء فيه من ذكر بعض الأمور العلمية ، ثم لما ظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر ، فمراحل تكوين الإنسان في بطن أمه – مثلا – قد تحدث عنه القرآن قبل أربعة عشر قرنا ، بينما لم يَهتدِ علماءُ الطب إلى مراحل ذلك التكوين إلا في العقود المتأخرة من هذا الزمان.

وبيان ذلك أن القرآن الكريم بين أن حياة الإنسان تمر **بأربعة** مراحل ، فقال تعالى في مطلع سورة المؤمنون:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾.

فالمرحلة الأولى هي أصل الخلقة ، لما خلق الله أبانا آدم عليه السلام من طين ، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

المرحلة الثانية هي مرحلة تكون الإنسان في بطن أمه ، وقد أشار القرآن الكريم إلى المراحل التدريجية لتكون الإنسان في بطن أمه ، وهي خمسة مراحل ؛ نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم فوق العظام.

فقوله: (خلقنا النطفة علقة) أي دمًا أحمر.

وبعد أربعين يومًا تتحول العلقة إلى مضغة ، أي قطعة لحم قَدْر المضغة التي يمضغها الإنسان في فمه.

ثم تتحول المضغة اللينة وتتحول خلقتها إلى عظام.

ثم تُكسى العظام لحمًا ، ثم ينشئه الله خلقًا آخر بنفخ الروح فيه.

فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

انسحابهم من البلاد التي احتلوا وهيمنوا عليها ، ومع الأسف فالمصطلح المستعمل بين المسلمين بعد انسحابهم وإلى الآن هو الاستعمار ، وهذا خطأ لفظي واضح.

انظر «آثار الإبراهيمي» (٣/٥٠٦ – ٥٠٧).

والشاهد من هذا السَّرد لمراحل خلق الإنسان أن علم الطب الجديد اكتشف هذه المراحل كلها ، ثم تفاجأ بأنه هذه المراحل مذكورة في القرآن منذ أربعة عشر قرنا ، فاستـدلوا من هذا على أن القرآن كلام الله ، لا يمكن أن يكون الذي أتى به بشر ، فسبحان من بهر بحكمته العقول.

وكذا الأمر بالنسبة لتكوين البحار والجبال وغيرها ، فقد جاء ذكر تكوينها الطبيعي في القرآن ، وبعد ظهور المكتشفات الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر به.

وقد أُلِّفَت في مطابقة الاكتشافات العلمية لما جاء به القرآن مؤلفات كثيرة ، وأسلم بسبب هذا التطابق عددٌ ليس بالقليل من علماء الطبيعة ، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

***

سادسا: ومن دلائل إعجاز القرآن تنوُّع العلوم التي احتواها ، فعلاوة على أن القرآن الكريم قد قرر العقيدة الصحيحة فيما يتعلق بصفات الله تعالى وأحقيته بالعبادة ، وهَدَمَ أساطير الخرافة والتعلق بالمخلوقات ؛ فإنه لم يقتصر على هذا ، فقد اغترف منه علماء النحو والبلاغة واللغة الشيء الكثير، بل هو المعيار الأساس لضبط علومِهم.

فتنوُّع العلوم هذه كلها تدل على أن النبي ﷺ صادق فيما يُبَلِّغُه عن ربه ، فإنه من المستقر المعلوم عند قومه أنه أُمِّيٌّ ، لا يقرأ ولا يكتب ، فمن أين سيأتي بكل هذه الأخبار القرآنية لولا أنه يُوحى إليه من ربه؟ قال تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بها إلا المبطلون﴾[1].

***

سابعا: ومن وجوه إعجاز القرآن تأثيره البليغ في النفوس ، سواء كانت نفوسا مؤمنة أو كافرة ، وصدق الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾[2] ، وقوله ﴿الله

[1] سورة العنكبوت: ٤٨ – ٤٩ .

[2] سورة الحشر: ٢١ .

نزل أحسن الحديث كتابا متشابها تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾[1].

***

وقد تأثر بالقرآن بعض صناديد الكفر من قريش ، ومن ذلك قصة الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن ، فقد روى ابن جرير في «تفسيره»[2] والحاكم في «مستدركه»[3] واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عمْ ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا.

قال: لِمَ؟

قال: لِيعطوكَهُ ، فإنك أتيت محمدا لتَعرِض لما قِبَلَه.[4]

قال: قد علِمَت قريش أني من أكثرها مالا.

قال: فقُل فيه قولا يبلُغ قومك أنك منكرٌ له ، أو أنك كارهٌ له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برَجزٍ ولا بقصيدةٍ مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يُشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لِقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطُلاوة[5] ، وأنه لمثمرٌ أعلاه ، مُغدِقٌ[6] أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلى ، وإنه لَيَحْطِمُ ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعْني حتى أفكر.

فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر ، يأثِره عن غيره[1] ، فنزلت ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾[2].

---

[1] سورة الزمر: ٢٣ .

[2] تفسير سورة المدثر ، الآيات ١٨ – ٢٥ .

[3] (٥٠٧/٢).

[4] أي لتعرض نفسك لما عنده من مال ، يريدون أنه طمِع بما عنده ، فلهذا ذهب إليه.

[5] أي رونقا وحسنا ، وقد تفتح الطاء. انظر «النهاية».

[6] الغدَق هو الماء الكثير ، وفي التنزيل ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ ، والمقصود بالمُغدق في الكلام هنا هو كثرة خيره. انظر «لسان العرب».

***

وأخرج ابن إسحاق في السيرة[٣] والبيهقي في «الدلائل»[٤] واللفظ له عن الزهري قال: حُدِّثتُ أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شُريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه ، وكُـلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتُوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرَّقوا ، فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: (لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا) ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مـجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا ، فجمعـتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقالوا: (لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود) ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد.

فقال: يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا ، والذي حلفتَ به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال: يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفَرَسَيْ رِهان ؛ قالوا: (منا نبي يأتيه الوحي من السماء!) ، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس بن شريق. انتهى.

***

---

[١] أي يرويه عن غيره.

[٢] سورة المدثر: ١١ .

[٣] كتاب «السيرة» ، ص (١٦٩) ، تحقيق محمد حميد الله.

[٤] باب جماع أبواب المبعث (٢٠٦/٢).

ولما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[1] ، وكان جبير يومئذ مشركًا ؛ قال : كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.[2]

***

ولما كان القرآن يتصف بهذا التأثير البليغ في النفوس ؛ تعاهد الكفار ألا يستمعوا للقرآن ، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[3] ، وما ذاك إلا لتأثيره في نفوسِهم ، وإحساسهم به في أعماقهم ، ولكنهم قوم يستكبرون عن سماع الحق.
وقد أثّر القرآن في بعض النصارى فآمنوا به ، قال تعالى عنهم ﴿وإذا سمعوا ما أُنــزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبا مع الشاهدين﴾[4].

***

أما المؤمنون فتأثير القرآن فيهم واضح ، قال تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾[5] ، والكلام في هذا يطول ، وهو موجود في مظانِّه ، ويكفي في هذا ما ذكره جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»[6] أن جماعةً ماتوا عند سماع آيات من كتاب الله ، وقد أفرَدَ أسمائهم في مصنف.

***

---

[1] سورة الطور: ٣٥ – ٣٧ .

[2] رواه البخاري مفرقا ، (٤٨٥٣ ، ٤٠٢٣).

[3] سورة فصلت: ٢٦ .

[4] سورة المائدة: ٨٣ .

[5] سورة الأنفال: ٢ .

[6] باب: النوع الرابع والستون في إعجاز القرآن.

ثامنا: ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم كونه شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية (أي النفسية) ، فأما الأمراض الحسية فقد حذر القرآن من جملة من المطعومات والمشروبات والسلوكيات على سبيل الوقاية من الأمراض ، ومن ذلك تحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، وارتكاب الزنا واللواط ، وكذا إتيان النساء في فترة المحيض.

وأما إذا أُصِيب الإنسان بمرض فقد أرشد النبي ﷺ إلى التداوي بقراءة سورة الفاتحة ، كما أرشد القرآن إلى التداوي بالعسل ، ﴿فيه شفاء للناس﴾[1].

وأما الأمراض النفسية فالقرآن هو أفضل الأدوية لها ، بل إن سبب هذه الأمراض هو البعد عن القرآن ، ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾[2] ، ومن تلك الأمراض القلق والاكتئاب والسحر والأخلاق الرديئة من طمع وكبر والانجراف وراء الشهوات وغير ذلك ، وذلك أن هذه الأمراض تحصل نتيجة الخواء الروحي ، وليس للخواء الروحي دواء إلا الرجوع إلى الله تعالى ، وصدق الله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[3] ، ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[4] ، ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[5] ، ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[6].

***

وقد شفى الله بقراءة القرآن الألوفَ المؤلفة ممن أصيبوا بالأمراض العضوية والنفسية على مرِّ العصور، ولا يزال هذا يُشاهدُ ويُمارسُ ، بل قد صار الاستشفاء بالقرآن مُقرَّرا في بعض العيادات النفسية.

---

[1] سورة النحل: ٦٩ .

[2] سورة طه: ١٢٤ .

[3] سورة الرعد: ٢٨ .

[4] سورة الإسراء: ٨٢ .

[5] سورة يونس: ٥٧ .

[6] سورة فصلت: ٤٤ .

***

تاسعا: ومن وجوه إعجاز القرآن يُسرُ حفظِه عن ظهر قلب لمن أراد ذلك ، خلافا لغيره من الكتب، فقد حُفِظ القرآن كاملا في صدور الملايين من الناس منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا ، ومِمَّن حفظه من هو من المكفوفين ، ومنهم من هو من الأعاجم الذين يتكلمون اللغة العربية إلا قليلا ، فسبحان من بهر بكتابه العقول ، وسيستمر حفظه في صدور الناس إلى نهاية الدنيا.

وهذا الوجه من وجوه الإعجاز لم – ولن – يحصل لغيره من الكتب إطلاقا.

***

فوائد منثورة في موضوع دلائل النبوة

هذه فوائد متنوعة في موضوع دلائل النبوة ، أضعها بين يدي القارئ الكريم ، نفع الله بها.

كلمة جامعة في دلائل نبوة محمد ﷺ

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا ونذيرا﴾[1]:

«ذَكَر تعالى بعضَ آية موجزة مختصرة جامعة للآيات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به، فقال ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا ونذيرا﴾، فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها، وهي ترجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: في نفس إرساله، **والثاني**: في سيرته وهديه ودَلِّـهِ[2]، **والثالث**: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة.

فالأول والثاني قد دخلا في قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاك﴾، والثالث دخل في قوله ﴿بِالْحَقِّ﴾ .

وبيان الأمر الأول وهو – نفس إرساله – أنه قد عُلِم حالة أهل الأرض قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وما كانوا عليه من عبادة الأوثان والنيران والصُّلبان، وتبديلهم للأديان، حتى كانوا في ظلمة من الكفر قد عمتهم وشملتهم، إلا بقايا من أهل الكتاب قد انقرضوا قُبَيل البعثة.

وقد عُلِم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدى، ولم يتركهم هملا، لأنه حكيم عليم، قدير رحيم، فمن حكمته ورحمته بعباده أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم، يأمرهم بعبادة الرحمٰن وحده لا شريك له، فبِمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه، وهو آية كبيرة على أنه رسول الله.

وأما **الثاني**؛ فمن عَرف النبي صلى الله عليه وسلم معرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة، ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين،

---

[1] سورة البقرة: ١١٩ .

[2] الدَّلُّ هو الهدي والسمت والسكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة. انظر «النهاية» مادة: دلل.

فمن عرفها وسبر أحواله؛ عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأنه تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم وكذبهم.

وأما **الثالث** فهو معرفة ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشرع العظيم، والقرآن الكريم، المشتمل على الإخبارات الصادقة، والأوامر الحسنة، والنهي عن كل قبيح، والمعجزات الباهرة.

فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة».

انتهى كلامه رحمه الله.

أنواع دلائل النبوة بحسب استمراريتها أو انقضائها

يمكن تقسيم دلائل النبوة التي أيد الله بها نبيه ﷺ بحسب استمراريتها أو انقضائها إلى ثلاثة أنواع:

الأول: آيات حصلت وانقضت في عهد النبي ﷺ إذ كان حيا ، كانبعاث الماء من بين أصابعه ، وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل ، وحادثة انشقاق القمر ، وتسليم الحجر عليه لما أشار إليه ، وحنين الجذع إليه.

الثاني: آية خالدة ، منذ بعث النبي ﷺ إلى قيام الساعة ، وهي القرآن الكريم وسنته المطهرة ، وهو أعظم الأدلة على نبوته ﷺ ، وسيأتي تفصيل الكلام في ذلك قريبا إن شاء الله.

الثالث: آيات تأتي تبعا مع مرور الزمن وتنقضي ، وهي ما أخبر به النبي ﷺ من الغيبيات ، كوقوع بعض الحروب ، وكعلامات الساعة الصغرى والكبرى ، وما يحدث بعد قيام الساعة إلى استقرار الناس في منازلهم ، في الجنة أو في النار.

قال ابن تيمية رحمه الله:

والآيات نوعان: منها ما مضى وصار معلوما بالخبر ، كمعجزات موسى وعيسى ، ومنها ما هو باق إلى اليوم ، كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ ، وكالعلم والإيمان الذي في أتباعه ، فإنه من أعلام نبوته ، وكشريعته التي أتى بها ، فإنها أيضا من أعلام نبوته ، ووقوع ما أخبر بوقوعه كقوله (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك)[1] ، وقوله (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى)[2] ، وقد خرجت هذه النار سنة خمس وستين وست مئة ، وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى[3] ، وظهر دينه وملته بالحجة والبرهان واليد والسنان ، ومثل المثلات والعقوبات التي تحيق بأعدائه ، وغير ذلك ، وكنعته الموجود في كتب الأنبياء قبله ، وغير ذلك.[4]

---

[1] رواه البخاري (٢٩٢٨) ومسلم (٢٩١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري.

[2] رواه البخاري (٧١١٨) ومسلم (٢٩٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] انظر «البداية والنهاية» ، أحداث سنة ٦٥٤ هـ .

[4] «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٥/٤٢٠-٤٢١).

تقسيم آخر لدلائل النبوة

يمكن تقسيم دلائل نبوة محمد ﷺ إلى نوعين ؛ قولية وفعلية ، فالقولية هي القرآن الكريم وما جاء في السنة الشريفة من تشريعات تبهر العقول ، تتضمن الاعتقادات الصحيحة والأحكام التشريعية والأخبار الصادقة والسلوكيات المستقيمة.

والآيات الفعلية هي ما حصل على يده من الأمور الخارقة للعادة ،كانشقاق القمر ، وتكثير الطعام بين يديه ، وبصقه في عين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما اشتكى منها فرجعت سليمة ونحو ذلك.

تنبيه إلى الفرق بين الآية والمعجزة

يحسن هنا التنبيه إلى أن «الآيات» هي التسمية الدقيقة للأمور الخارقة للعادة ، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن لفظ الآية والبَيِّنة والبُرهان هو الوارد في الكتاب والسنة ، وذكر جملة من الأمثلة على هذا[1] ، وأما لفظ «المعجزة» فلم يرد في القرآن ، ولا يدل على كون المقصود آية أو دليلا إلا إذا فُسِّر به ، وإن كان كونها معجزة وخرقا للعادة من لوازم وشروط وصفات كونها بينة وآية.[2]

كما يجدر التنبيه إلى أنه ليست كل الآيات التي أيَّد اللهُ بها أنبياءه من قبيل الإعجاز ، وإنما اختُصَّ بذلك الآيات التي وردت في سياق التحدي والإعجاز للخصم ، فالقرآن — مثلا – آية على نبوة محمد ﷺ وفيه تحدٍّ ، فيكون معجزة ، أما حنين الجذع إليه ، وتسليم الحَجَر عليه فإنه آية على نبوته ﷺ وليس فيه تحدٍّ ، فلا يوصف بأنه معجزة.[3]

وقد ذكر القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ، باب: (نكت في إعجاز القرآن ، وشرائط المعجزة وحقيقتها) خمسة شروط للمعجزة ، فليراجعها من أراد التوسع.

---

[1] انظر (القصص: ٣٢) ، و (النساء: ١٧٤) ، و (الإسراء: ١١١) ، و (الأنعام: ١٢٤) ، و (الشعراء: ١٤٥) ، و (الأعراف: ٧٣) ، و (آل عمران: ٤٩) ، (الأنعام: ٥ ، ٢٥) ، وغيرها.

[2] انظر كتاب «النبوات» (٨٢٨) ، و«الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» (٥/٤١٢-٤١٩).

[3] انظر «الجواب الصحيح» (٥/٤١٢-٤١٩).

في الآيات التي أوتيها النبي ﷺ ما هو أظهر في الدلالة على نبوته من آيات غيره من الأنبياء

في الآيات التي أوتيها النبي ﷺ ما هو أظهر في الدلالة على نبوته من آيات غيره ، فتفجير الماء بين أصابعه مثلا أبلغ في خرق العادة من تفجير الحجر لموسى عليه السلام ، لأن جنس الأحجار مما ينفجر منه الماء ، أما الأصابع فليست من جنس ما ينفجر منه الماء ، فصار انفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام.

كذلك فإن عيسى عليه السلام أبرأ الأكمه – وهو الذي وُلد أعمى – مع بقاء عينه في مقرها ، أما رسول الله ﷺ فردَّ العين بعد أن سالت على الخد ، وهذا أعظم من آية عيسى من وجهين: الأولى التئامها بعد سيلانها ، والأخرى رد البصر إليها بعد فقده منها.

قال الشافعي رحمه الله:

حنين الجذع إليه أبلغ[1] ، لأن إحياء الخشبة أبلغ من إحياء الميت.

ولو قيل: (كان لموسى فلْق البحر) عارضناه بفلق القمر ، وذلك أعجب منه ، لأنه آية سماوية.

وإن سُئلت عن انفجار الماء من الحجر عارضناه بانفجار الماء من بين أصابعه ، لأن خروج الماء من الحجر معتاد ، أما خروجه من اللحم والدم فأعجب.

ولو سُئلنا عن تسخير الرياح لسليمان عارضناه بالمعراج.[2] انتهى.

قلت: ومن لطيف دلائل نبوته ﷺ أنه **نُصِر بالصَّبا** ، وهي ريح تهب من جهة المشرق ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: نُصِرت بالصَّبا وأُهلكت عاد بالدَّبور[3].[4]

وفي تسخير هذه الريح نكتة ، وهي أنها كانت مُسخَّرة لسليمان عليه السلام **تجري بأمره** ، أما الصَّبا فإنها مُسخَّرة لنبينا **بدون أمره** ، بل تأتيه بدون أمر لنُصرته ، وهذا أبلغ في الدلالة على نبوته.[1]

---

[1] أي أبلغ من إحياء الميت ، كما سيأتي في كلامه.

[2] رواه الفخر الرازي في كتابه «مناقب الشافعي» من طريق البيهقي عن الشافعي.

نقلا من حاشية كتاب «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم الرازي ، ص ٦٢ ، تحقيق عبد الغني عبد الخالق ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[3] الدبور ريح تقابل الصِّبا ، أي تأتي من جهة المغرب ، انظر شرح الحديث في «فتح الباري».

[4] رواه البخاري (١٠٣٥) ومسلم (٩٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنه.

دواوين أهل السنة التي عُنيت بحفظ دلائل النبوة

ودلائل نبوة محمد ﷺ كثيرة ، كلها تدل على صدق نبوته وأنه رسول من عند الله حقا ، وقد حفظ علماء السنة رحمهم الله في القرون المتقدمة تلك الدلائل في كتب مفردة ، ورووها بالأسانيد ، وأشهر تلك الكتب أربعة:

١. «دلائل النبوة» ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر البيهقي.
٢. «دلائل النبوة» ، للحافظ أبي بكر الفريابي.
٣. «دلائل النبوة» ، لأبي القاسم الأصبهاني.
٤. «دلائل النبوة» ، لأبي نعيم الأصبهاني.

ثم جاء علماء متأخرون واختصروا تلك الكتب ، ومن أشهر كتبهم:

٥. «أعلام النبوة» ، لعلي بن محمد الماوردي (٤٥٠ هـ).
٦. «دلائل النبوة» ، لعماد الدين ابن كثير ، ويقع في كتاب «البداية والنهاية».
٧. «الصحيح المسند من دلائل النبوة» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله (١٤٢٢ هـ).
٨. «دلائل النبوة» ، لسعيد باشنفر (يحوي أكثر من ١٤٠٠ دليل).

من دلائل نبوة الأنبياء إنجاء أتباعهم وإهلاك مكذبيهم[٢]

من دلائل نبوة الأنبياء إنجاء أتباعهم وإهلاك مكذبيهم ، وذلك مثل إغراق الله لجميع هل الأرض إلا نوح ومن آمن معه ، فهذا ليس له في العالم نظير.

وكذلك إهلاك قوم عاد ، وبلدهم إرَم ، وهذه ليس لها نظير في ذلك الوقت ، كما قال تعالى ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ ، أهلكهم الله بالريح ، فصاروا كأعجاز نخل خاوية ، ونجا الله نبيه هود ومن آمن معه.

---

[١] انظر «فتح القدير» للمناوي (٦/٢٨٣) ، الناشر: دار الفكر ، ط ٢ ، سنة ١٣٩١ هجري.

[٢] تم نقل هذه الفائدة من كتاب «النبوات» (٤٩٨) لابن تيمية رحمه الله.

وكذلك إهلاك ثمود قوم صالح ، أهلكهم الله بالصيحة ، فصُعِقوا فماتوا كلهم ، ونجا الله صالح ومن آمن معه بعد أن أنذرهم ثلاثة أيام.

وكذلك قوم لوط ، أهلكهم الله بتكذيبهم بنبي الله لوط ، ولاستحلالهم للفاحشة ، فرفع الله مدائنهم إلى السماء ثم قلبت بهم ، ثم اتبِعوا بالحجارة من السماء.

وكذلك قوم فرعون ، أغرقهم الله بالماء عن آخرهم.

فالشاهد من هذا كله أن المكذبين بالرسل هؤلاء لم يكن بجنس ما يموت به بنو آدم ، فصار هذا من دلائل نبوتهم.

من دلائل النبوة ؛ الكعبة[1]

ومن دلائل نبوة الأنبياء – إبراهيم ومن جاء بعده – الكعبة ، فإنها بيت من حجارة بوادٍ غيرِ ذي زرع ، ليس عندها أحد يحفظها من عدو ، ولا عندها بساتين وأمور يرغب الناس فيها ، فليس عندها رغبة ولا رهبة ، ومع هذا فقد حفظها بالهيبة والعظمة ، فكل من يأتيها يأتيها خاضعا ذليلا متواضعا ، في غاية التواضع ، وجعل فيها من الرغبة ما يأتيها الناس من أقطار الأرض محبة وشوقا من غير باعث دنيوي ، وهي على هذه الحال من ألوف السنين ، وهذا مما لا يُعرف في العالم لِبُنيةٍ[2] غيرها ، والملوك يبنون القصور العظيمة فتبقى مدة ثم تُهدم ، لا يرغب أحد في بنائها ، ولا يرهبون من خرابها.

وكذلك ما بُنِي للعبادات قد يتغير حاله على طول الزمان ، وقد يستولي العدو عليه كما استولى على بيت المقدس ، والكعبة لها خاصة ليست لغيرها ...

وكذلك ما فعله الله بأصحاب الفيل لما قصدوا تخريبها ، قصَدها جيش عظيم ومعهم الفيل ، فهرب أهلها منهم ، فبرك الفيل ، وامتنع من المسير إلى جهتها ، وإذا وجَّهوه إلى غير جهتها توجه ، ثم

---

[1] تم نقل هذه الفائدة من كتاب «النبوات» (٥١٠ – ٥١٢) ، باختصار وتصرف يسير.

[2] يعني: بناء.

جاءهم من البحر طير أبابيل ، أي جماعات في تفرقة ، فوجا بعد فوج ، رمَوا عليهم حصى هلكوا به كلهم ، فهذا مما لم يوجد نظيره في العالم.

حكمة الله في اختيار الآيات

من حكمة الله تعالى أن جعل الله كبريات المعجزات من جنس ما برز فيه أهل العصر الذي بعث فيه ذلك الرسول , ففي عصر موسى عليه الصلاة والسلام اشتهر قومه بالسحر , فكانت آية موسى من جنس ما ترقَّوا فيه , لكنها زادت عليه , فكانت حقيقة لا خيالاً .

وفي عصر عيسى عليه الصلاة والسلام كان علم الطب مترقياً إلى حد كبير , فجاءت آيته من جنس ما برزوا فيه وزيادة , فإن الطب في وقته لا يستطيع مداواة العمى والبرص , فجعل الله على يد نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام الشفاء من هذين المرضين.

وكذلك الأمر بالنسبه لنبينا محمد ﷺ ، فقد ترقى الناس في عصره في جانب الفصاحة , فكتبت المعلقات الفصيحة ونظمت القوافي البليغة , فجاء القرآن معجزاً لهم على أن يأتوا بمثله , ثم أعجزهم أن يأتوا بسورة مثله , فلم يستطيعوا أن يأتوا ولا بآية واحدة , فالحمد لله على ظهور الحجة.

آيات الأنبياء لا تُنال باختيارهم أو باختيار أقوامهم

آيات الأنبياء لا تنزل باختيارهم أو باختيار أقوامهم ، بل تنزل بحسب اختيار الله تعالى وحكمته وعدله ومشيئته ورحمته ، وليست بحسب اقتراح الناس ، كما قال تعالى ﴿وقالوا لولا نزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾[1].

واقتراح الآيات على الأنبياء قد أنكره الله تعالى في القرآن العظيم في غير ما آية ، وقد بين الحق تبارك وتعالى سبب الإنكار في أمرين:

الأول: أنهم لو آمنوا بتلك الآية لكان إيمانهم اضطراريا ، في حين أن العبرة إنما هي بالإيمان الاختياري وليس بالإيمان الاضطراري.

---

[1] سورة العنكبوت: ٥٠ .

الثاني: أنهم مع هذا الإيمان الاضطراري إن لم يؤمنوا بعد نزول الآية فسيُنزِل الله عليهم العذاب بمقتضى سنته التشريعية.

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾:
ذَكَر في هذه الآية الكريمة أنه قادر على تنزيل الآية التي اقترحها الكفار على رسوله ، وبيَّن في موضع آخر أن حكمة عدم إنزالها أنها لو أُنزِلت ولم يؤمنوا بها لنزل بهم **العذاب العاجل** كما وقع بقوم صالح لما اقترحوا عليه إخراج ناقة عُشَراء[1] وبْراء[2] جوفاء[3] من صخرة صمّاء[4] ، فأخرجها الله لهم منها بقدرته ومشيئته ، فعقروها ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ ، فأهلكهم الله دفعة واحدة بعذاب استئصال وذلك في قوله ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾[5].[6] انتهى.

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» في تفسير قوله تعالى من سورة الشعراء ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾: أي لو نشاء لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرا ، ولكن لا نفعل ذلك ، **لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الإختياري**. انتهى.

وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية نفسها: لا حاجة إلى ذلك[7] ولا مصلحة فيه ، فإنه إذ ذاك الوقت يكون الإيمان غير نافع ، وإنما الإيمان النافع الإيمان بالغيب. انتهى.

---

[1] ناقة عُشَراء أي مضى من حملها عشرة أشهر. انظر «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني ، مادة: عشر.

[2] وبراء أي كثيرة الوبَر وهو الصوف. انظر «لسان العرب» ، مادة: وبر.

[3] جوفاء أي عظيمة الجوف ، يشير إلى عِظَم خِلقتها. انظر «لسان العرب» ، مادة: جوف.

[4] صمَّاء أي صلبة مُصمتة ، ومعنى مصمتة ليس فيها ثقوب. انظر «لسان العرب» ، مادة: صمم.

[5] سورة الإسراء: ٥٩ .

[6] «أضواء البيان» ، باختصار يسير.
وانظر ما قاله ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» في تفسير قوله تعالى من سورة الإسراء ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون﴾.

[7] أي إلى الإيمان الاضطراري.

قلت: وقد اقترح المشركون على النبي ﷺ آيات كثيرة فلم يجبهم الله لما اقترحوه ، لأنه ليس لأحد أن يملي على الله ما يريده من الآيات ، قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ ، قال إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري رحمه الله في «تفسيره»:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ، القائلين لك هذه الأقوال ، تنزيها لله عما يصفونه به ، وتعظيما له من أن يُؤتى به وملائكته ، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه ﴿هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ ، يقول: هل أنا إلا عبد من عبيده من بني آدم ، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور ، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له ؛ لايقدر على ذلك غيره. انتهى.

فالحاصل أن الشأن في باب الإيمان بدلائل النبوة ليس الإيمان بالآيات الاقتراحية أو الاضطرارية التي يقترحها الناس على أنبيائهم ، بل الشأن في الإيمان بما أنزل الله على رسوله من الآيات التي ساقها على يده بحسب اختيار الله وحكمته.

اشتراك بعض الأنبياء في بعض الآيات واختصاصهم ببعض

الأنبياء قد يختصون ببعض الآيات ، وقد يشتركون ببعض ، فمن الآيات الخاصة آية القرآن لمحمد ، والتوراة لموسى ، والإنجيل لعيسى ، عليهم الصلاة والسلام.

ومن الآيات ما يشترك فيه كلهم ، كالإخبار عن الله بما أخبرهم به من الغيبيات.

ومن الآيات ما يشترك فيه بعضهم دون بعض كإحياء الموتى ، والعلاج من الأمراض ، فيكون لنبي نظير آية نبي ، فإن إحياء الموتى مشترك بينه وبين وموسى ﷺ ، قال الله تعالى في سياق قصة بني إسرائيل لما قال لهم موسى ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾.

وإحياء الموتى مشترك بينه وبين نبي الله إلياس عليه السلام.[1]

ومع هذا فقد يجعل الله لنبي في آية معينة ما ليس عند غيره مع اشتراكهما في نفس الآية ، قال ابن تيمية رحمه الله:

وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غير المسيح أحيا الله على يديه الموتى ، وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعبانا مبينا حتى بلعت الحبال والعِصِي التي للسحرة ، وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعبانا ثم يمسكها فتعود عصا.

ومعلوم أن هذه آية لم تكن لغيره ، وهي أعظم من إحياء الموتى ، فإن الإنسان كانت فيه الحياة ، فإذا عاش فقد عاد إلى مثل حاله الأول ، والله تعالى يحيي الموتى بإقامتهم من قبورهم ، وقد أحيا غير واحد من الموتى في الدنيا ، وأما انقلاب خشبة تصير حيوانا ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصي فهذا أعجب من حياة الميت.

وأيضا فالله قد أخبر أنه أحيا من الموتى على يد موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل أعظم ممن أحياهم على يد المسيح ، قال تعالى ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾[2] ، وقال تعالى ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾[3] ، وقال تعالى ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾[4].

وأيضا فموسى عليه الصلاة والسلام كان يُخرج يده بيضاء من غير سوء ، وهذا أعظم من إبراء أثر البرص الذي فعله المسيح عليه السلام ، فإن البرص مرض معتاد ، وإنما العَجَب الإبراء منه ، وأما بياض اليد من غير برص ثم عودها إلى حالها الأول ، ففيه أمران عجيبان لا يُعرف لهما نظير.

وأيضا فموسى فلق الله له البحر حتى عبر فيه بنو إسرائيل وغرِق فيه فرعون وجنوده ، وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن إهلاك الله لعدو موسى ما لم يكن مثله للمسيح.

---

[1] انظر ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في «الجواب الصحيح» وكتاب «النبوات» (٨٢٣).

[2] سورة البقرة: ٥٥ – ٥٦ .

[3] سورة البقرة: ٧٣ .

[4] سورة البقرة: ٢٤٣ .

وأيضا فموسى كان الله يُطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني إسرائيل ، ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثني عشر عينا يكفيهم ، وهذا أعظم من إنزال المسيح عليه السلام للمائدة ، ومن قلب الماء خمرا ونحو ذلك مما يحكى عنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات ما لم يكن مثله للمسيح.

انتهى كلامه رحمه الله.[1]

قلت: وهذا من دلائل تفضيل بعض الأنبياء على بعض أنْ آتى بعضهم من دلائل النبوة ما لم يؤتِ غيره ، قال تعالى ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾.

الفرق بين النبي والساحر

كذَّب المكذبون بآيات الأنبياء ، وادعوا أنها من قبيل السحر ، ولو كان عندهم عقول يعقِلون بها وقلوب يفقهون بها لعلِموا أنها لا يمكن أن تكون من هذا القبيل ، لأن بين الآيات التي جاء بها الأنبياء وبين ما يأتي به السحرة فروقا كثيرة ، أولها أنه ﷺ أمر بقتل السحرة فكيف يُدْعى ساحرا؟!

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله في كتابه «النبوات»[2] فروقا بين آيات الأنبياء وبين السِّحر والكهانة ، ننقلها هنا باختصار وتصرف:

أولاً: أن النبي صادق فيما يخبر به , لا يكْذِب قط , وأما من خالفهم من السحرة والكهان فلا بُد أن يكذب.

ثانياً: أن الأنبياء لا تأمر إلا بالعدل وعبادة الله وحده ، ولا تفعل إلا ما يوافق ذلك , وهؤلاء المخالفون لا بُد لهم من ارتكاب الظلم ، والعدوان على الخلق ، بارتكاب الشرك وعبادة الشياطين وفعل الفواحش.

ثالثاً: أن العقول والفطر توافق ما أمرت به الأنبياء ، فإن الأنبياء كمَّلوا الفطرة وبصَّروا الخلق ، وتعاليمهم – أي الأنبياء – موافقة للعقول لا تُناقضها ، وأما السحرة والكهان وغيرهم من المخالفين

---

[1] انظر ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في «الجواب الصحيح» (٤/١٧ – ١٩).

[2] انظر ص ٥٥٨ ، ١٠٧٤ .

فتعاليمهم وأفعالهم مخالفة للفطرة والعقل والحس ، بل هي مُفسِدةٌ للفطرة والعقل والحس ، فأما إفسادهم للحس والعقل فذلك بتخييل أمور للشخص المسحور خلاف ما هي عليه في الواقع ، ورؤية الشيء خلاف ما هو ، كالذين يرون الجن فيظنون أنهم إنس ، أو يرون شيئا على مثالِ مَا هو عليه وهو في الحقيقة بخلافه.

وأما لإفسادهم للفِطَر فإن الفِطَر ناشئةٌ على التوحيد ، والسحرة أفسدوا الفِطَر بارتكاب الشرك وتذويقه للناس.

رابعاً: أن السحر والكهانة أمور معتادة معروفة لأصحابها ليست خارقة لعاداتهم , وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتبعهم.

خامسا: أن الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلمه وسعيه واكتسابه , بخلاف النبوة فإنه لا ينالها أحد باكتسابه.

سادسا: أن ما تأتي به السحرة والكهان لا يخرج عن كونه مقدوراً للإنس والجن , وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن , لأنها خارقة للعادة ، كما قال تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.

سابعا: أن ما تأتي به السحرة والكهان يمكن أن تُعارض بمثلها وأقوى منها , وآيات الأنبياء لا يمكن أحداً أن يعارضها بمثلها ولا بأقوى منها.

ثامنا: أن خوارق غير الأنبياء من السحرة والكهان تُنال بأفعالهم من شرك وفجور ، وكذلك خوارق غير الأنبياء من الأولياء ، فإنها تُنال بسعيه ، من دعاء ونحوه ، كأن يقع في مصيبة فيلجأ إلى الله تعالى ، فيخرق الله له العادة فينجيه منها بأسباب غير عادية.

أما آيات الأنبياء فلا تُنال إلا من الله بغير اختيار من الأنبياء ، بحسب علمه وحكمته وعدله ومشيئته ورحمته ، وليست تجيء بحسب اقتراح الناس ، كما قال تعالى ﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية﴾[1].[1]

---

[1] سورة الأنعام: ٣٧ .

كرامات الأولياء من جملة آيات الأنبياء

الكرامة عند علماء الشريعة أمر خارق للعادة ، يُظهره الله عز وجل على أيدي أوليائه ، وهم القائمون بما أوجب الله ، المنتهون عما حرم الله ، كما قال تعالى في وصفهم ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[٢].

والكرامات من جملة آيات الأنبياء ، لأنها لا تحصُل إلا لمن اتبعهم ، ولأنه لولا الأنبياء لما كان الأولياء أولياء ، لأنهم ما صاروا أولياء إلا باتباعهم للنبي ﷺ .

ولكن كرامات الأولياء تعتبر من الآيات الصغرى ، أما الآيات الكبرى فخاصة بالأنبياء ، لا يُشاركهم فيها أحد غيرهم ، لا الأولياء ولا غيرهم ، وهي كخلق الطين من الطير ، ونزول الكتب ، وفلق البحر ونحو ذلك.

وعلة عدم المشاركة أن الله فضَّل الأنبياء على غيرهم ، فلا بد أن يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول على مثله ، إذ لو أتى بمثل ما أتى به الفاضل لكان مثله ، لا دونه.[٣]

كرامات الأولياء لا يُقصد بها التحدي ، بخلاف آيات الأنبياء

كرامات الأولياء لا يُقصد بها التحدي إطلاقا ، وإنما يُقصد بها الإكرام وتلبية حاجة ذلك الولي ، بخلاف آيات الأنبياء فقد يُقصد بها التحدي وقد يقصد بها تلبية حاجات الناس ، وعلى كل حال ففيها تنويه بكرامة ذلك النبي.[٤]

تدوين كرامات الأولياء

---

[١] سورة الأنعام: ٣٧ .

[٢] سورة يونس: ٦٢ .

[٣] انظر كتاب «النبوات» (٥٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٢٣ ، ٨٦٦).

[٤] انظر كتاب «النبوات» (١٠٨٤ – ١٠٨٥).

لا شك أن الكرامات تحصل للأولياء الصادقين ، ولكن لما كان شأنهم إخفاؤها خشية العجب والاغترار بالنفس ؛ فإن الكرامات التي دُوِّنت في الكتب قليلة ، وغير معلوم أكثرها للناس.

وأكثر ما دُوِّن من الكرامات – بحسب علم كاتب هذه الأسطر – كان لأصحاب الصدر الأول ، وكثير منها في غزواتهم بحضرة الجمع الغفير من الناس ، الذين لا يسع إخفاء الكرامة عليهم ، وقد ذكر ابن تيمية جملة منها في كتابه «الفرقان بن أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»[1] جملة كثيرة من الكرامات التي حصلت لبعض الصحابة والتابعين ، كما ذكر جملة منها في كتابه «النبوات»[2] ، وأصولها مُخرَّجة في كتاب «صفة الصفوة» لابن الجوزي ، وكتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني ، وبعضها مخرج في كتب الدلائل والسير ، فليراجعها من أراد الاطلاع.

---

[1] انظر ص ٣٠٠ وما بعدها.

[2] انظر ص (١٣٨ – ١٤١).

المبحث السابع: الغاية من إرسال الرسل

الغاية من إرسال الرسل ثلاثة أمور:

١. بيان الغاية من الخلق وهي عبادة الله وحدة لا شريك له ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

٢. بيان الدين للناس ، ورأس ذلك التعريف بأصول الاعتقاد ، وهي أركان الإيمان الستة ، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

ثم بيان الشريعة للناس ، وهي تفاصيل العبادات وكيفياتها ، من مأمورات ومنهيات ، وبيان ما أحل الله لهم وما حرّم عليهم.

فمن فهِم عن الأنبياء ما جاؤوا به من الشرائع وعمل به فقد سلك طريق الجنة واجتنب طريق النار.

٣. الغاية الثالثة من إرسال الرسل هي قطع العذر وإقامة الحجة ، فلا يكون لأحد حجة يوم القيامة في عبادة غير الله أو ترك عبادة الله ، لأن الله أرسل أنبياء للناس كلهم ، ولم يتركهم في جهالة ، قال الله تعالى ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾[١].

وقال تعالى ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾[٢].

---

[١] سورة النساء: ١٦٥ .

[٢] سورة المائدة: ١٩ .

المبحث الثامن: بيان شروط شهادة أن محمدا رسول الله

لما كانت شهادة «لا إله إلا الله ، محمدا رسول الله» هي لُـبُّ الدين وأساس الملة ؛ وكان تحقيقها شرطا لدخول الجنة والنجاة من النار ؛ فإنه ينبغي لمن كان قصده الله والدار الآخرة أن يعلم شروط تلك الشهادة ، ومن ثم يعمل بها ويحققها.

وقد أشار الله تعالى إلى أن القيام بشروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله ، محمدا رسول الله» من أوصاف أهل الجنة ، وذلك في كتابه العزيز في قوله ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ في سورة المعارج ، وهذه الآية وإن كان المقصود بها عموم الشهادات ؛ فإن شهادة «لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله» هي أولى الشهادات بالتحقيق ، والذي يعنينا في هذا البحث هو الشطر الثاني من تلك الشهادة ، وهو شهادة «أن محمدا رسول الله».

وشهادة أن محمدا رسول الله لها **شروط** ، لا ينتفع قائلها إلا بتحقيقها[1] ، وهي:

الأول: العلم بمعناها ، وهو الإيمان بأنه رسول من عند الله حقا.

الثاني: استيقان القلب بها ، وضده الارتياب ، ودليله قوله تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله **ثم لم يرتابوا**﴾.[2]

الثالث: الانقياد لها ظاهرا وباطنا ، وذلك بطاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ودليل **الانقياد** قوله تعالى ﴿ومن **يُسلم** وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾.[3]

رابعا: القَبول لها ، فمن ردَّ شيئا من لوازم شهادة أن محمدا رسول الله فقد نقضها.

خامسا: الإخلاص فيها ، بأن يقصد قائل تلك الشهادة التقرب إلى الله وحده ، وضده الشرك فيها ، بأن يكون قصده من شهادة أن محمدا رسول الله شيئا من حظوظ الدنيا كما يفعل المنافقون.

---

[1] انظر «أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» ، تأليف الشيخ حافظ الحكمي ، ص ٣٩ ، الناشر: دار المؤيد – الرياض.

[2] سورة الحجرات: ١٥ .

[3] سورة لقمان: ٢٢ .

سادسا: الصدق فيها وضده الكذب، والدليل قوله تعالى ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين **صدقوا** وليعلمن الكاذبين﴾ ، وقال النبي ﷺ : ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، **صِدقا** من قلبه ؛ إلا حرمه الله على النار.[1]

سابعا: المحبة لها ولأهلها ، والمعاداة لمن أبغضها.

ثامنا: الكفر بما يناقضها ، ونواقض شهادة أن محمدا رسول الله خمسة، وسيأتي الكلام عليها في فصل مستقل بإذن الله.

[1] رواه البخاري (١٢٨) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

الفصل الثاني: مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ الخمسة عشرة

الإيمان الصادق بالنبي ﷺ يقتضي أمورا عدة ، فليس الإيمان بالنبي ﷺ هو مجرد التصديق بأنه نبي أو أنه رسول ، أو أنه قائد عظيم ، وأنه يتحلى بأخلاق عظيمة ، ويقف الأمر عند ذلك ، كما يظن بعض الناس ، كلا ، بل الإيمان الصحيح الكامل بالنبي ﷺ يقتضي خمسة عشر أمرا:

١. معرفة اسمه ونسبه ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعد بن عدنان ، وعدنان من ولد إسماعيل، وإسماعيل من ولد إبراهيم عليه السلام.

ويكفي من هذا معرفة اسمه ، محمد بن عبد الله، وأنه من قريش.

٢. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بما جاء من دلائل نبوته، وهي كثيرة ، وأعظمها إنزال القرآن العظيم عليه ، وانشقاق القمر له ، وحنين الجذع إليه ، وتسبيح الطعام بين يديه ، ونبع الماء وتكثيره بين أصابعه ، وتكثير الطعام القليل ، وإخباره عن كثير من الغيبيات المستقبلية ، وقد تقدم ذكر طائفة من دلائل نبوته في المبحث السادس من هذا الكتاب.

وقد ألف عماد الدين بن كثير رحمه الله كتابا أسماه «شمائل الرسول ﷺ ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه» جمع فيه أحاديثا تتعلق بالمواضيع الثلاث المتقدمة ، وأودعه في كتابه الكبير «البداية والنهاية».

٣. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بنبوته ورسالته ، وأنه نبيٌّ رسول من عند الله حقا وصدقا.

٤. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بأنه خاتم النبيين ، ورسالته خاتم الرسالات ، كما قال تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله **وخاتم النبيين**﴾[1].

والدليل من السنة على أن محمدا ﷺ هو خاتم النبيين حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا **خاتم النبيين** ، لا نبي بعدي ... الحديث.[2]

وعن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنَة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويَعجبون له ويقولون: هلاَّ وُضِعت هذه اللَّبِنة ؟

قال: فأنا اللَّبِنة ، وأنا **خاتم النبيين**.[3]

---

[1] سورة الأحزاب: ٤٠ .

[2] رواه أبو داود (٤٢٥٢) وأحمد (٢٧٨/٥) ، وصححه الألباني ، وكذا محققو «المسند» وقالوا: على شرط مسلم.

وقد جاءت هذه اللفظة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في المسند (١٠٣/٢) ولفظها: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليكونن قبل المسيح الدجال كذابون ثلاثون أو أكثر. وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

[3] رواه البخاري (٣٥٣٥) ومسلم (٢٢٨٦).

مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ

٥. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بأن شريعته ناسخة لما قبلها من الشرائع ، كشريعة عيسى وموسى عليهما السلام ، ومهيمنة عليها كلها ، قال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب **ومهيمنا** عليه﴾[١]، وبناء عليه فلا يجوز التعبد لله بغير شريعة الإسلام.

٦. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بأنه بعد بعثته لا دين مقبول عند الله إلا دين الإسلام ، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا **فلن يقبل منه** وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[٢].

ومن السنة قوله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم يموت **ولم يؤمن بالذي أرسلت به** ؛ إلا كان من أصحاب النار.[٣]

٧. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بأنه بلغ الرسالة وأكملها ، وترك أمته على البيضاء ، والدليل على هذا قوله تعالى ﴿اليوم **أكملت لكم دينكم** وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[٤].

ومن السنة ما روى الشيخان عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ، ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفِرْية – وذَكَرَت منها — : ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول ﴿يا أيها الرسول **بلغ ما أُنزِل إليك من ربك** وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾.[٥]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: لقد تركَنا محمد ﷺ وما يحرِّك طائر جناحيه في السماء إلا **أذْكرنا منه علما**.[٦]

وقد شهد الصحابة للنبي ﷺ في حجة الوداع بأنه بلَّغ الدين ، وكان عددهم نحوا من أربعين ألفا ، فإنه لما قال لهم النبي ﷺ : تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ؛ كتاب الله ، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟

قالوا: **نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت**.

فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكُتُها[٧] إلى الناس: اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات.[8]

٨. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بعموم رسالته إلى الإنس والجن ، قال تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم **جميعا**﴾[٩] ، وقوله ﴿وما أرسلناك إلا رحمة **للعالمين**﴾[١٠].

ومما ينبغي التنبيه إليه هو أن لفظة «الناس» تعم الإنس والجن ، كما دل على هذا قوله تعالى ﴿الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس﴾.

---

[١] سورة المائدة: ٤٨ .

[٢] سورة آل عمران: ٨٥ .

[٣] رواه مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد تقدم ذكره.

[٤] سورة المائدة: ٣ .

[٥] رواه البخاري (٤٨٥٥) ومسلم (٢٨٧ ، ١٧٧) ، واللفظ لمسلم.

[٦] رواه أحمد (١٥٣/٥) ، وحسنه محققو «المسند».

[٧] أي يقلِبها ويردِّدها إلى الناس مشيرا إليهم. قاله النووي في شرح الحديث.

[8] خرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر رضي الله عنهما.

[٩] سورة الأعراف: ١٥٨ .

[١٠] سورة الأنبياء: ١٠٧ .

مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ

وقد جاء ذكرُ دعوة النبي ﷺ للجن إلى الإسلام في سورة «الجن» ، فقد أتى بعض الجن فبايعوا النبي ﷺ على الإسلام ، فنزلت في هذا آيات من سورة الأحقاف وهي قوله تعالى ﴿**وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن** فلما حضروه قالوا أنصِتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا **أجيبوا داعي الله** وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾.

وقد قام النبي (صلى الله عليه وسلم) بدعوة الناس كافة كما أمره ربه، فدعا عشيرته الأقربين، ثم كاتَبَ ملوك العرب والفرس والروم، وكاتب النجاشيَّ ملك الحبشة، ودعا الجن إلى الإسلام، وغزا من أجل تسهيل الطريق أمام الدعوة، ثم سار صحابته على سيرته من بعده، فدعوا إلى الله تعالى، وحفظوا السنة والقرآن، وحاربوا المرتدين، وقاتلوا من ادّعى النبوة، وفتحوا الآفاق، ففتحوا الشام ومصر والمغرب، وفتحوا خُراسان، ونشروا التوحيد في كل مكان، وهدموا الأصنام، وفعلوا الكثير لنصرة الإسلام مما هو مُدوَّنٌ في بطون كتب التاريخ والحديث، فرحمهم الله وجزاهم خيرا، وجعل ما قدموا وما قدّمت الأجيال بعدهم في موازين حسناتهم يوم القيامة.

٩. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بأن هديه أكمل هدي، وطريقته أحسن طريقة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عله وسلم كان يقول في خطبته: أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هديُ محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة.[١]

١٠. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ القيام بحقوقه ، وعلى رأسها تصديقه ، والانقياد لشريعته ، بفعل ما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وكذا محبته ﷺ ، وسيأتي تفصيل الكلام في بيان حقوق النبي ﷺ في جزء الحقوق.

١١. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان ببشريته، وأنه عبد لله ، لا يُعبد ، وقد جاء التصريح بذلك في آيات كثيرة[٢] ، كقوله تعالى في أول سورة الإسراء ﴿سبحان الذي أسرى **بعبده** ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾.

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تُطروني[٣] كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما **أنا عبد** ، فقولوا: **عبد الله** ورسوله.[4]

وقال تعالى لنبيه ﴿قل إنما أنا **بشر** مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾[٥].

والإيمان ببشريته ﷺ يستلزم الإيمان بأنه لا يملك من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيئا، وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى آمرا نبيه أن يقول للناس ﴿**قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله** ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[٦].

---

[١] رواه مسلم (٨٦٧) عن جابر رضي الله عنهما.

[٢] يراجع «المعجم المفهرس لألفظ القرآن» ، مادة «عبد» و «عبدنا» و«عابد» ونحوها.

[٣] الإطراء هو الإفراط في المدح ، انظر شرح اللفظة في شرح الحديث في «فتح الباري».

[4] رواه البخاري (٣٤٤٥) واللفظ له ، وأحمد (٢٣/١) ، والدارمي (٢٧٨٧).

[٥] سورة الكهف: الآية ١١٠ .

[٦] سورة الأعراف: الآية ١٨٨ .

مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ

فهذه الآيات وأمثالها تفيد بشرية النبي ﷺ ، وأنه لا يملك من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيئا، فهو لا يعلم الغيب، ولا يتصرف في الكون، ولا يجيب الدعاء، بل هو عبد لله مثلنا، وإنما اختصه الله بالنبوة، وكذلك بقية الأنبياء عليهم السلام.

١٢. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بما صح في سيرته من الأخبار الدالة على سيرته المباركة ، وخصاله الحميدة ، وجهاده في سبيل الله، وصبره وتحمله لنشر الحق.

وسيرته ﷺ مبسوطة في كتب مطولة ، وقد أُلف فيها كتبا كثيرة ، أشهرها كتاب «سيرة ابن إسحاق» لمحمد بن إسحاق بن يسار، وكذا «الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية» لعبد الرحمٰن ابن عبد الله السهيلي ، و «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير» لابن سيد الناس ، وكتاب «الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير ، رحمهم الله جميعا ، ومن المعاصرين ألف د. أكرم ضياء العمري حفظه الله كتابا شاملا اشترط فيه صحة الأخبار ، وَوَسَمَه «السيرة النبوية الصحيحة» ، وقد أُلِّفت غيرها من الكتب.

١٣. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بما جاء من صفاته الخَلْقية والخُلُقية ، كصفة طوله وهيئته ومِشيته ، وصفة وجهه الشريف وجمال خِلقته ، وكذا ما حباه الله من أخلاق عظيمة لم تجتمع لأحد غيره ، كالصدق والأمانة والرحمة وصلة الرحم والعفو وغيرها ، وقد صَنف أهل العلم في صفاته الخَلْقية والخُلُقية مصنفات كثيرة، منها كتاب «الشمائل المحمدية» لأبي عيسى الترمذي ، وكتاب «الأنوار في شمائل النبي المختار» للحسين بن مسعود البغوي ، وكتاب «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» لأبي القاسم الأصبهاني ، وكتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » للقاضي عياض بن موسى اليحصُبي ، رحمهم الله جميعا.

وقد صنف بعض المتأخرين كتبا جامعة لأقوال المتقدمين في هذا الباب ، ككتاب «موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» ، وتقع في اثني عشر مجلدا ، وكتاب «الصحيح المسند من الشمائل المحمدية» لأم عبد الله الوادعية.

١٤. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بما ورد في حقه من خصائصه الذاتية والشرعية ، فمن **الذاتية** خاتم النبوة، وهو عبارة عن قطعة لحم ناتئة ، عليها شعر ، عند كتفه الأيسر ، حجمها قدر بيضة الحمامة.

ومن خصائصه الذاتية أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه.

ومنها ما جعل الله فيما انفصل من جسده من عَرَقِهِ وريقه من البركة.

وأما **خصائصه الشرعية** فمنها أنه لا يُـورَث، ومنها أن الصدقة محرمة عليه وعلى آل بيته، ومنها جواز الوِصال[1] في الصوم في حقه، ومنها أن الله أباح له الزواج من أكثر من أربع نسوة، ومنها اختصاصه بصحة نكاح من وهبت نفسها له، ومن خصائصه كذلك دفنه في المكان الذي قُبِض فيه، وغير ذلك من الخصائص، وسيأتي الكلام على هذا بتوسع في قسم (**الدلائل المِئة على عِظم قدر النبي محمد ﷺ**).

وقد صُنفت في هذا الباب عدة مصنفات ، منها كتاب «الخصائص الكبرى» لجلال الدين السيوطي ، وكتاب «خصائص النبي ﷺ » لسراج الدين ابن الملقن ، وكتاب «بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام ، وكذا كتاب «كشف الغمة

---

[1] الوِصال هو أن يَصِل الصائم صِيام اليوم باليوم الذي بعده بدون فطر ، فربما صام يومين أو ثلاثة.

مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ

ببيان خصائص رسول الأمة ﷺ » ، لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل المأربي ، وهو أجمع تلك الكتب ، وسوف نستعرض على سبيل التفصيل هذين النوعين من الخصائص في باب بيان عِظم قدره ﷺ إن شاء الله.

١٥. ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ ؛ الإيمان بعِصمته[١] ، وهو معصوم من خمسة أمور؛

١. معصوم في مجال التبليغ.

٢. معصوم من الوقوع في الشرك.

٣. معصوم من كبائر الذنوب.

٤. معصوم في نسبه الذي تناسل منه من السِّفاح.

٥. معصوم من رذائل الأخلاق.

الجانب الأول: عصمته في مجال التبليغ من الخطأ والنسيان والكتمان

عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال التبليغ والرسالة تعتبر من الضرورات ، إذ أن الرّسل هم الوسائط في التبليغ بين الله وبين عباده ، فبهم يهتدي البشر إلى عبادة الله سبحانه وتعالى التي يرتضيها ، فلهذا أوجب الله العصمة لكافة أنبيائه ورسله في هذا الجانب لتصل الرسالة كاملة إلى العباد غير منقوصة ولا محرفة ، فتقوم الحجة عليهم.

وقد جاءت الأدلة الخاصة على عصمة نبينا محمد ﷺ ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾[٢].

وقال تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إني لا أقول إلا حقا.

قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله.

قال: إني لا أقول إلا حقا.[3]

وقد أجمعت الأمة على عصمته في مجال التبليغ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه ، كما قال تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾[٤].

وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة.

---

[١] العِصمة في اللغة هي المنع والوقاية ، انظر «لسان العرب».

[٢] سورة النجم: ٣ – ٤ .

[3] أخرجه أحمد (٢/٣٤٠) ، والترمذي (١٩٩٠) ، وقال: حديث حسن صحيح.

[٤] سورة البقرة: ١٣٦ – ١٣٧ .

والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة ، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين.[1]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[2]:

ومِن عصمة الله لرسوله حِفظه له من أهل مكة وصناديدها وحُسَّادها ومعانديها ومترفيها ، مع شدة العداوة والبُغضَة ، ونصب المحاربة له ليلا ونهارا ، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة ، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب ، إذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش ، فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرا ، ثم قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة ، فلما صار إليها منعوه من الأحمر والأسود.

وكلما همّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه ، كما كاده اليهود بالسحر ، فحماه الله منهم وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواءً لذلك الداء ، ولما سَمّه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر أعلمه الله به وحماه منه ، ولهذا أشباه كثيرة جدا يطول ذكرها. انتهى باختصار.

وقد عقد القاضي عياض رحمه الله فصلا كاملا بعنوان «فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه» ، وذلك في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » ذكر فيه نحو عشرين قصة وقعت للنبي ﷺ ، تدل على وقاية الله لنبيه من أذى الكفار **حتى بلّغ رسالة ربه** ، منها قصته لما اجتمعت قريش على قتله ، فخرج عليهم من بيته ، وخلف مكانه علي بن أبي طالب ، فخرج ولم يروه ، وقصته وهو في طريق الهجرة لما خرج المشركون في طلبه فاختبأ في الغار مع أبي بكر ، ثم لما أدركه سراقة بن جعشم دعا عليه النبي ﷺ فساخت ركب فرسه فلم يستطع أن يدركه ، وغيرها من القصص ، فمن أراد التوسع فليراجع الفصل المذكور.

ومن كتب المتأخرين في هذا الباب كتاب «محاولات اغتيالات النبي ﷺ » لعبد المنعم الهاشمي.[3]

وقد قام النبي ﷺ بتبليغ دعوة ربه، فدعا الناس كافة كما أمره ربه ، فدعا عشيرته الأقربين ، ثم كاتَبَ ملوك العرب والفرس والروم ، وكاتب النجاشيَّ ملك الحبشة ، ودعا الجن إلى الإسلام ، وغزا من أجل تسهيل الطريق أمام الدعوة ، ثم سار صحابته على سيرته من بعده ، فدعوا إلى الله تعالى ، وحفظوا السنة والقرآن ، وحاربوا المرتدين ، وقاتلوا من ادّعى النبوة ، وفتحوا الآفاق ، ففتحوا الشام ومصر والمغرب ، وفتحوا خُراسان ، ونشروا التوحيد في كل مكان ، وهدموا الأصنام ، وفعلوا الكثير لنصرة الإسلام مما هو مُدوَّنٌ في بطون كتب التاريخ والحديث ، فرحمهم الله وجزاهم خيرا ، وجعل ما قدموا وما قدّمت الأجيال بعدهم في موازين حسناتهم يوم القيامة.

الجانب الثاني: عصمته من الوقوع في الشرك

عُصم النبي ﷺ من الوقوع في الشرك قبل البعثة، فقد دلت النصوص الثابتة على أنه لم يسجد لصنم قط أو استلمه أو غير ذلك من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه ، فقد كان يَعرف الله بفطرته ، وكان يتعبد الله في غار حراء سنين عديدة ويُفرِدُه بذلك ، ولا غرابة في ذلك التوحيد لله تعالى ، فقد استخرج الله حظ الشيطان منه مرتين ؛ لما كان صغيرا ، ولما كبر ، وذلك في حادثة

---

[1] «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٨٩-٢٩٠) ، باختصار ، وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ (سورة طه: ١٢١).

[2] المائدة: ٦٧ .

[3] الناشر: مكتبة البخاري ، الكويت.

شق صدره ﷺ ، فأما الأولى فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علَقة[1] ، فقال: (هذا حظ الشيطان منك) ، ثم غسله في طستٍ[2] من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَه[3] ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يَسعون إلى أمه — يعني ظِئره[4] – فقالوا: (إن محمدا قد قُـتِل) ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون[5].

قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخِيط في صدره.[6]

والثانية قُبيل العروج به إلى السماء ، أتاه ملَك ، فشقه من النحر إلى أسفل البطن ، ثم غسَل البطن بماء زمزم ، فاستخرج قلبه فغسله بماء زمزم ثم أعيد مكانه ، ثم أُتِي بطست ملآن إيمانا وحكمة فحُشِي قلبه إيمانا وحكمة ثم أطبقه ، ثم أُتي بدابَّةٍ «البُرَاق»، فعُرِج به إلى السماء.[7]

روى ابن أبي شيبة عن الحسن في قوله ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ ، أي: مُلئ حِكَمًا وعلمًا.[8]

قال الحافظ في «الفتح»: الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها (هذا حظ الشيطان منك) ، والشق الثاني كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة.[9]

وقال أيضا في الحكمة من شق صدره وهو صغير:

كان هذا في زمن الطفولية ، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة.[10]

ويكفيك في الدلالة على نفور النبي ﷺ من الشرك قبل البعثة ما جاء في قصة بُحَيرا الراهب أنه استحلف النبي ﷺ باللات والعُزّى حينما لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب ، فقال بحيرا للنبي ﷺ : يا غلام ، أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسالك عنه.

فقال النبي ﷺ : لا تسلني باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئا قط.[11]

---

[1] العَلقة هي قطعة دم متجمدة. انظر «النهاية».

[2] الطست آنية من نحاس. انظر «لسان العرب».

[3] أي ضمه وأعاده كما كان.

[4] أي مرضعته ، والمشهور أن اسمها حليمة السعدية.

[5] أي متغير اللون بسبب خوف أو ألم. انظر «النهاية».

[6] رواه مسلم (١٦٢).

[7] رواه البخاري (٣٤٩ ، ٣٢٠٧) عن مالك بن أبي صعصعة ، ومسلم (١٦٤) عن أبي ذر رضي الله عنه.

[8] برقم (٣١٦٨١) ، كتاب الفضائل ، باب ما أعطى الله تعالى محمدا ﷺ .

[9] شرح حديث رقم (٣٤٩).

[10] «فتح الباري» ، شرح الحديث رقم (٣٨٨٧).

[11] رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/٢٧).

وقد عقد بعض من صنف في دلائل النبوة فصلا خاصا بهذا الموضوع ، وذكر فيه العديد من الأحاديث والشواهد ، فليراجعها من أراد الاستزادة ، انظر مثلا كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي ، فصل «باب ما جاء في حفظ الله تعالى رسوله ﷺ في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها لما يريد به من كرامته برسالته حتى بعثه رسولا».

وكذا «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني ، فصل «ذكر ما خصه الله عز وجل به من العصمة ، وحماه من التدين بدين الجاهلية».

ومما يحسن ذكره في هذا المقام أن الله عصم نبيه ﷺ من نزغات الشيطان ، فقد أعانه الله عليه فأسلمَ فصار لا يأمره إلا بخير ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خـــــــرج من عندها ليلا ، قالت: فغِرتُ عليه[1] ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال: مالكِ يا عائشة ، أغِرتِ؟

فقلت: وما لي لا يَغارُ مثلي على مثلك؟

فقال رسول الله ﷺ : أقد جاءكِ شيطانُكِ؟

قالت: يا رسول الله ، أو معي شيطان؟

قال: نعم .

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: نعم .

قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم .[2]

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن.

قالوا: وإياك يا رسول الله؟

قال: وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ ، فلا يأمرني إلا بخير.[3]

الجانب الثالث: عصمته من كبائر الذنوب

أما عصمته ﷺ من الكبائر فسيرته شاهدة على هذا ، سواء قبل البعثة وبعدها ، فإنه لم يشرب الخمر قط ، ولم تمس يده يدَ امرأة قط ، ولم يكذب قط ، وكيف تقع منه الكبيرة وقد قال ﷺ لصحابته: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له.[4]

فائدة: قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى في سورة طه ﴿وعصى آدم ربه فهدى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾:

واعلم أن جميع العلماء أجمعوا على عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في كل ما يتعلق بالتبليغ ، واختلفوا في عصمتهم من الصغائر التي لا تَعَلُّق لها بالتبليغ اختلافا مشهورا معروفا في الأصول ، ولا شك أنهم صلوات الله عليهم وسلامه إن وقع منهم بعض الشيء فإنهم يتداركونه بصدق الإنابة إلى الله حتى يَبْلُغوا بذلك درجة أعلا من درجة من لم يقع منه ذلك ، كما قال هنا ﴿وعصى آدم ربه فهدى﴾ ثم أتبع ذلك بقوله ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾.[5]

وقال السمعاني رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾: واعلم أن الأنبياء معصومون من الكبائر ، فأما الخطايا والصغائر تجوز عليهم.

---

[1] أي غارت أن يكون ذهب إلى بعض نسائه.

[2] رواه مسلم (٢٨١٥).

[3] رواه مسلم (٢٨١٤).

[4] رواه البخاري (٥٠٦٣).

[5] «أضواء البيان».

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾: والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا.

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يُكَفر عنه إلا الصغائر من الذنوب ، لأنه لم يأت قط كبيرة ، لا هو ولا أحد من أنبياء الله ، لأنهم معصومون من الكبائر صلوات الله عليهم.[1]

وقال ابن تيمية رحمه الله: فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية ، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول.[2]

وقال أيضا: والأنبياء – صلوات الله عليهم وسلامه – كانوا لا يؤخرون التوبة ، بل يسارعون إليها ويسابقون إليها ، لا يؤخرون ولا يُصِرُّون على الذنب ، بل هم معصومون من ذلك ، ومن أخَّر ذلك زمنا قليلا كفَّر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذي النون ﷺ .[3]

الجانب الرابع: عصمة نسبه الذي تناسل منه من السِّفَاح[4]

لقد حمى الله تبارك وتعالى أصولَ نبينا من سِفاح الجاهلية ، أي الزنا، فلم يخالط نسَبَه شيء من ذلك ، لا من جهة آبائه ولا من جهة أمهاته ، ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام.[5]

والدليل على هذا قول النبي ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: لم يلتقِ أبواي على سِفاح، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة مصفّى مهذبا، لا تتشعَّب شُعبتان إلا كنتُ في خيرهما.[6]

وعن أبي جعفر الباقر في تفسير قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ ، قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية.

قال: وقال النبي ﷺ : إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح.[7]

وفي لفظ[8]: إنما خرجت من نكاح ، لم أخرج من سفاح من لدُن آدم ، لم يصبني سفاح الجاهلية.

الجانب الخامس: عصمته من رذائل الأخلاق

(مِن المعروف عن سيرته ﷺ قبل البعثة وبعدها أنه متصف بكل خلق فاضل من صدق وأمانة وبر وصلة رحم وإحسان وجود ، إلى غير ذلك من محاسن الأخلاق التي جبله الله عليها منذ نشأته ، ولذا فقد فطره الله على كل خلق فاضل كريم ، وجمع له

---

[1] «التمهيد» (165/2) ، باب الراء ، في أحاديث ربيعة بن عبد الرحمٰن ، الناشر: دار الكتب العلمية.

[2] «مجموع الفتاوى» (٣١٩/٤).

[3] «مجموع الفتاوى» (٣٠٩/١٠).

[4] السفاح أي الزنا.

[5] بتصرف يسير من «معارج القبول» للحكمي ، باب مولده ﷺ ، ص (١٠٥١) ، الناشر: دار ابن القيم – الدمام.

[6] أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة»، الفصل الثاني – ذكر فضيلته بطيب مولده وحسبه ونسبه.

[7] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسير الآية ، وكذا البيهقي في «السنن الكبرى» (١٩٠/٧).

[8] رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ، كتاب الفضائل (٣١٦٣٢) ، والطبراني في الأوسط (٤٧٢٨) ، وقال الألباني في «الإرواء» (٣٣١/٦): وهذا مرسل صحيح الإسناد.

خصال الخير كلها ، فلم يكن يُدعى إلا بالأمين)[1] ، ومن أدلة ذلك قول زوجته الأولى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حينما أتاها النبي ﷺ خائفا بعد أن لقيه جبريل في غار حراء قبل البعثة فقال لها: لقد خشيت على نفسي ؛ فقالت له: كلاّ أبشر ، فوالله لا يُخزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدُق الحديث ، وتحمل الكَل[2] ، وتَكسِب المعدوم[3] ، وتَقري الضيف[4] ، وتُعين على نوائب الحق.[5]

والكلام في باب خُلُق النبي ﷺ يطول جدا ، ويكفي القول بأنه ليس ثمة صفة حميدة إلا وقد تحلى بها، وما من خلق سيء إلا وقد نُزِّه عنه، وحسبنا في هذا الباب قوله تعالى لنبيه ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[6].

وقد أتى التنويه بخلقه الجميل في التوراة والإنجيل ، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

قال: أجل والله ، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾[7] ، وحِرزا[8] للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّابٍ[9] في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غُلفا.[10]

والكلام في باب خُلُق النبي (صلى الله عليه وسلم) يطُول جدا، ويكفي القول بأنه ليس ثمة صفة حميدة إلا وقد تحلى بها (صلى الله عليه وسلم)، وما من خلق سيء إلا وقد نُزِّه عنه (صلى الله عليه وسلم)، وحسبنا في هذا الباب قوله تعالى لنبيه ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

فالحاصل أن الله عصم الله نبيه ﷺ مما ينقصه في دينه أو خلقه أو نسبه ، حتى لا يبقى لمنتقص حجة يتعلق بها لتنفير الناس من رسول الله ﷺ .

تنبيه على إشكال

أما قوله تعالى ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾ فلا يشكل على ما تقدم من عصمة النبي ﷺ من الشرك ومن الكبائر ، فإن معنى الضلال هنا هو الغفلة كما في قوله تعالى ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾ ، أي وجدك غافلا عما يراد بك من أمر النبوة ، قاله الشوكاني والقرطبي في تفسير الآية.

---

[1] باختصار وتصرف يسير من «حقوق النبي ﷺ » ، ص ١٤٧ .

[2] تحمِل الكَلَّ أي تحمل عن الناس ما يثقلهم من أعباء الدنيا. انظر «النهاية».

[3] تكسب المعدوم أي تعطي المعدوم وهو الذي لا مال عنده. انظر «النهاية».

[4] تَقري الضيف أي تكرمه.

[5] رواه البخاري (٤٩٥٣) ، ومسلم (١٦٠).

[6] القلم: ٤ .

[7] الأحزاب: ٤٥ .

[8] تقدم بيان معناه.

[9] السّخَب هو الصياح ، انظر «النهاية».

[10] تقدم تخريجه.

وقيل أن معنى (ضالا) أي لم تكن تدري ما القرآن ولا الشرائع ، فهداك الله إليها ، وهو بمعنى قوله ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ ، قاله ابن كثير وغيره.

وقد أورد علماء التفسير غير ذلك من المعان في تفسير الآية.

فصل في بيان مسألة وقوع الخطأ منه ﷺ [1]

ينبغي لفهم مسألة وقوع الخطأ من النبي ﷺ معرفة عشرة ضوابط:

١. أن الخطأ الذي يجوز في حقه ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: خطأ في الجانب الديني أو السلوكي.

ثانيا: خطأ في الجانب الدنيوي البحت.

ثالثا: خطأ في المسائل القضائية التي لا علم له بحقيقة أمر المتخاصمين فيها إلا ما ظهر له منها.

٢. أن الأخطاء التي وقعت من النبي ﷺ في الجانب الديني أو السلوكي نادرة جدا ، ولو ذهبنا نستقرىء كتب السيرة والسنة لوجدناها معدودة على الأصابع ، وهذا من حكمة الله تعالى لإثبات

أن النبي ﷺ بشر كغيره ، يخطئ كما يخطئون ، وينسى كما ينسون.[2]

وهناك حكمة أخرى ، وهي أن النسيان والسهو في الصلاة لحكمة استنان المسلمين به ، والله أعلم.[3]

ولهذا كان القول الذي عليه أكثر علماء الإسلام والذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ؛ أن الخطأ يمكن وقوعه من النبي ﷺ ، ولكن في غير شرك ولا كبيرة ولا في مسألة تبليغ الوحي.[4]

٣. أن الله لا يقره على هذا الخطأ ، وإنما يوجهه وربما يعاتبه ، كما سيأتي بيانه.

٤. أن التوبة حاصلة من النبي ﷺ من الذنب بخصوصه ، ومن جميع الذنوب والخطايا عموما ، فقد كان النبي ﷺ يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة.[٥]

---

[1] انظر كتاب «حقوق النبي ﷺ على أمته» ، ص ١٥٥ – ١٦٠ .

[2] ومن ذلك ما جاء في قصة عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه لما أتى النبي ﷺ ليسأله فألح عليه ، وكان النبي ﷺ يخاطب بعض رؤوس قريش ممن يطمع في إسلامهم ، فعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر ، فأنزل الله عتابه عليه في قوله ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى﴾.

وكذلك لما أذن لطائفة من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك ، ولم يكن له أن يأذن لهم إلا بوحي من الله ، فعاتبه الله في ذلك بقوله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾. «التوبة:٤٣».

وكذلك لما أخذ من أسارى بدر الفدية ، وقد كان الأولى ألا يفعل ذلك حتى يؤمر به ، فأنزل الله تعالى ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾. «الأنفال: ٦٧ – ٦٨»

[3] انظر «منهاج السنة النبوية» (٤٧٢/١).

[4] وانظر «مجموع الفتاوى» (٣١٩/٤).

[٥] انظر صحيح البخاري (٦٣٠٧).

٥. أن الله وعده بالمغفرة ، كما في قوله ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[١].

٦. أن الخطأ يقع منه ﷺ على سبيل الاجتهاد وليس على سبيل الرغبة في المعصية أو الحط من أقدار الآخرين ، ولو تأملنا في الأخطاء التي وقعت منه ﷺ لرأينا صدق ذلك.

٧. أن تلك الأخطاء لا تحط من قدره كنبي ، ولا تُنقِص من منزلته وقدره.

٨. أن الأخطاء الدنيوية البحتة التي لا تمس الدين والسلوك لا تمس في قدره ولا عصمته كنبي ، فمن ذلك أنه لما قدم المدينة وجدهم يُلقِّحون النخل ، فقال: (لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا) ، فتركوا تلقيح النخل ، فنقص الثمر ، فذكروا ذلك له ، فقال: إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر.[٢]

٩. أما الخطأ في المسائل القضائية لمعرفة الظالم من المظلوم فممكن في حقه ﷺ ، لأن النبي ﷺ بشر ، لا يعلم الغيب ، وإنما يقضي بناء على ما سمعه من حجج المتخاصمين ، وشهادة الشهود ، ويمين الحالف ، وغير ذلك من الأمور القضائية ، وقد بين ذلك النبي ﷺ – أي في إمكانية وقوع الخطأ منه في القضاء – في قوله: إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحنَ[٣] بحجته من بعض ، فأقضي على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار.[٤]

١٠. أن هذا القول الذي ذكرناه في مسألة الخطأ منه عليه الصلاة والسلام هو قول أهل السنة ، وهو وسط بين قول أهل الإفراط وأهل التفريط ، أهل الإفراط –كالرافضة – الذين يقولون بعصمة النبي ﷺ عصمة مطلقة ، وهذا فيه نوع غلو به عليه الصلاة والسلام ، وأهل التفريط –كبعض فرق الخوارج – الذين يقولون بجواز إقدامه على الصغائر والكبائر ، عافانا الله من كلا القولين.[٥]

خلاصة

هذه خمسة عشر مقتضى من مقتضيات الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، أعاننا الله على الإيمان بها وتحقيقها، وجعلنا ممن آمنوا به ونصروه وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

---

[١] سورة الفتح: ٢ .

[٢] خرجه مسلم (٢٣٦٢) والطبراني في «الكبير» (٤/٢٨٠) عن رافع بن خديج ، ولفظ الطبراني: وإذا أمرتكم بشيء من دنياكم ... الحديث.

[٣] اللحن هو الميل عن جهة الاستقامة ، والمقصود أن بعض الناس يلحن بكلامه فلا يفطن له القاضي فيقضِي له ، وهو كاذب في نفس الأمر. انظر «النهاية».

[٤] خرجه البخاري (٧١٦٩) ، ومسلم (١٧١٣) عن أم سلمة رضي الله عنها.

[٥] بتصرف من «حقوق النبي ﷺ على أمته» ، ص ١٥٩ – ١٦٠ .

الفصل الثالث:

الدلائل المِئة على عظم قدر النبي ﷺ

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمين، أما بعد:

فقد أكرم الله هذه الأمة باختيار خير خلقه ليكون نبيا لها ورسولا ، وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فكان بحق خير الناس خُلُقا وعِلما وعملا ، ولهذا فإنه أثَّـر في الدنيا بأسرها ، في جنها وإنسها وحتى بهائمها ، فهو بحق رجل عظيم لم يأتِ الزمان بمثله مطلقا ولن يأتي، وليست جوانب عظمة النبي (صلى الله عليه وسلم) محصورة بجوانب معينة ، بل هي عامة لجميع الجوانب ، وفي هذا البحث المختصر سلطت الضوء على تلك الجوانب ، ووجدت أن الدلائل على عِظَم قدر النبي (صلى الله عليه وسلم) تزيد على المِئة دليل ، كل دليل مختلف عن الآخر ، هذا بحدود بحثي واستقرائي.

والذي دعاني للقيام بهذا البحث هو الرغبة في تجلية قدر المصطفى (صلى الله عليه وسلم) للناس ، وجمع ما هو مفرق في الكتب في هذا الموضوع ، ومما دعاني كذلك هو الرغبة بالمساهمة في الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في وقت تجرأ فيه بعض السفهاء للنيل من مقامه الجليل ، ولم يعلم هؤلاء أن النبي (صلى الله عليه وسلم) هو أحب خلق الله إلى الله ، وخير خلق الله مطلقا.

سدد الله الخطى وبارك في الجهود ، وصلى الله وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الدلائل المِئة على عِظَمِ قدرِ النبي ﷺ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمين، أما بعد:

فقد اختص الله نبينا محمدا ﷺ بخصائص عظيمة وكثيرة ، جـــعلته أفضل الأنبياء ، وشريعته أفضل الشرائع ، وأمته أفضل الأمم ، فصار النبي ﷺ بتلك الـخصائص والدلائل أعظم الأنبياء والناس قدرا ، وفي هذا الفصل سنتكلم على ما يسر الله الوقوف عليه منها ، هذا أوان الشروع في ذكرها:

١. أعظمُ دلائل عِظَمِ قدره ﷺ اصطفاء الله له واختياره له من بين سائر الناس ليقوم بأعباء الرسالة ، قال الله تعالى لنبيه محمدا ﷺ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾.

٢. ومن دلائل عِظَمِ قدره ﷺ أن الله تعالى جمع له بين النبوة والرسالة.[١]

٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه من أولي العزم من الرسل ، وأولوا العزم من الرسل خمسة؛ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، عليهم الصلاة والسلام ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن ؛ في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى ، في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ

---

[١] اختلف العلماء رحمهم الله في تعريف النبي على عدة أقوال ، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن النبي هو الذي أَوحى الله إليه بوحيٍ ، لينقله إلى المؤمنين الذين عنده ،كأنبياء بني إسرائيل ، يأمرون أقوامهم بما جاء في التوراة التي أُنزِلت على موسى ﷺ .

وكذا اختلف العلماء في تعريف الرسول على عدة أقوال ، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن الرسول هو الذي ينبئه الله ، ثم يأمره أن يبلغه رسالته إلى قوم كافرين كما حصل مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ويشهد لصحة هذا المعنى أن نوحا وُصف بالرسالة مع أنه قد تقدمه أنبياء على مدى عشرة قرون ، منهم شيث وإدريس عليهما السلام ، وما ذاك إلا لأنه بُعِث لقوم كافرين أول ما وقع الشرك في الأرض ، بخلاف من تقدمه من الأنبياء ، فإنهم بُعِثوا إلى قوم مؤمنين.

وعلى هذا فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا.

انظر كتاب «النبوات» ، (٢/٧١٤ ، ٧١٧) ، ابن تيمية ، تحقيق د. عبد العزيز بن صالح الطويان ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[1] ، وكذا في قوله ﴿شَرَعَ لَكُم من الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيه﴾[2].

٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختصه الله به من الآيات الكثيرة الدالة على نبوته، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في آخر كتابه «إغاثة اللهفان»[3] أنها تزيد على الألف ، وهذا من رحمة الله بعباده ، ليكون ذلك أدعى للاقتناع والإيمان بنبوته ﷺ ، وقاطعًا لحجة من خالفه.

٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله اختصه بآية خالدة مستمرة من حين بُعِث إلى يوم القيامة ، وهي القرآن الكريم ، فإن آيات الأنبياء قاطبة قد انقضت بموتهم ، أما القرآن فمعجزة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما مِن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيت وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة.[4]

٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى أنزل عليه أحسن كتبه وهو القرآن الكريم ، وهو أحسن من غيره من جهة أسلوبه وما تضمنه من شرائع حسنة ، كما أنه أحسن من غيره من جهة أنه محفوظ من التبديل والتحريف.

٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أنزل عليه أحسن شرائعه ، وجعلها مشتملة على ما اشتملت عليه جميع الكتب السماوية من الشرائع الحسنة وزيادة.

٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أوحى إليه بالسُّنة ، وهي المتضمنة لتفاصيل الشريعة.[5]

---

[1] سورة الأحزاب ، الآية: ٧ .

[2] سورة الشورى ، الآية: ١٣ ، وانظر تقرير ابن كثير لهذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾. (الأحقاف: ٣٥).

[3] ص ١١٠٧ . ، تحقيق علي حسن عبد الحميد، ط دار ابن الجوزي – الدمام.

[4] رواه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (١٥٢) ، واللفظ لمسلم.

[5] انظر لمعرفة ما تميزت به الشريعة الإسلامية من خصائص عظيمة كتاب: «خصائص الشريعة» للشيخ عمر بن سليمان الأشقر رحمه الله.

٩. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أرسله للناس كافة ، إنسُهم وجِنُّهم ، بينما أرسل غيره من إخوانه الأنبياء إلى أقوامهم خاصة ، قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ ، وقال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، وقال تعالى عن استجابة الجن لدعوة النبي ﷺ ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضِي ولوا إلى قومهم منذرين﴾ إلى قوله ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾.

وداع الله المذكور في الآية هو النبي محمد ﷺ ، فإنه هو الذي سمعوه يقرأ القرآن.

وقال ﷺ : كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل **أحمر وأسود**.[١]

أراد بالأسود والأحمر جميع الناس ، والأحمر هو الأبيض ، فإن العرب تُسمِّي الأبيض أحمرا.[٢]

وقال (صلى الله عليه وسلم): أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي؛ وذكر منها: وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّة.[٣]

١٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى ختم به النبوات والرسالات ، ولهذا سُمِّي بخاتم النبيين ، قال الله تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله **وخاتم النبيين**﴾[٤].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لَبِنَةٍ من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويَعجبون له ويقولون: هلا وُضِعت هذه اللبِنَة؟

قال: فأنا اللَّبِنة ، وأنا خاتم النبيين.[٥]

---

[١] رواه مسلم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

[٢] قاله ابن الأثير رحمه الله في «جامع الأصول» (٦/٢٣٢) ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ، ط ١ ، سنة ١٤٣٢ ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

[٣] رواه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) ، وفي الباب عن أبي هريرة ، رواه مسلم (٥٢٣).

[٤] سورة الأحزاب: الآية ٤٠ .

[٥] رواه البخاري (٣٥٣٥) ، ومسلم (٢٢٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى أخذ الميثاق على الرسل جميعا أنه إذا خرج فيهم النبي محمد ﷺ أن يؤمنون به وينصرونه ، والدليل على هذا قول الله تعالى ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمِنُنَّ به ولتنصُرُنَّهُ قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾[١].

وتفسير الآية: واذكر أيها الرسول إذ أخذ الله سبحانه العهد المؤكد على جميع الأنبياء لَئِنْ آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول من عندي مصدقٌ لما معكم من الكتب لتؤمنن به ولتنصرنَّه. فلما أقرُّوا بذلك قال: فليشهدْ بعضكم على بعض ، واشهدوا على أمَـمِكم بذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم.

وفي هذا أن الله أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ ، وأَخَذَ الميثاق على أمم الأنبياء بذلك.

قال ابن كثير رحمه الله:

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهي في الحقيقة معجزة لخاتمهم محمد ﷺ ، وذلك أن كلا منهم بَشَّر بمبعثه ، وأُمِر بمتابعته ، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَة ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذلكم إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[٢].[٣]

وقال أيضا في تفسير الآية المتقدمة:

فالرسول محمد خاتم الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، هو الإمام الأعظم الذي لو وُجِد في أي عصر لكان هو الواجب طاعته ، المُقدَّم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل

---

[١] سورة آل عمران: الآية ٨١ .

[٢] سورة آل عمران: ٨١ .

[٣] «البداية والنهاية» (٣٨٢/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، باب التنبيه على ذكر معجزات لرسول الله مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء.

القضاء بين عباده ، وهو المقام المحمود[1] الذي لا يليق إلا له ، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين ، حتى تنتهي النوبة إليه ، فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه.[2]

١٢. ومن دلائل عظم قدره أن التوراة والإنجيل قد بشَّرت به وذكرت صفته ، وهما أقرب الكتب إلى القرآن الكريم وإلى وقت خروج النبي ﷺ ، وهذا قدر زائد على مجرد أخذ الميثاق عليهم في حياتهم أن يؤمنوا به وينصروه إذا خرج وهو فيهم ، قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾[3].

أقول: والأناجيل المتوافرة بأيدي اليهود والنصارى اليوم، وكذلك التوراة المتوافرة بأيدي اليهود، كلها تتضمن ما يقرب من ثلاثين إشارة إلى النبي محمد ﷺ ، ولهذا قال ابن كثير في تفسير الآية المتقدمة: وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم. انتهى.

أقول: وقد صدرت بحوث معاصرة باللغتين العربية والإنجليزية في هذا الموضوع ، وهي منشورة بحمد الله.

١٣. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الله ذكره باسمه قبل أن يولد، قال المسيح عليه السلام ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾، وأحمد من أسماء النبي ﷺ .

وهو في هذا الفضل مشترك مع أربعة من الأنبياء وهم إسحاق ويعقوب ويحيى وعيسى، عليهم السلام،

قال تعالى عن سارة زوج إبراهيم لما بشرتها الملائكة بإسحاق ويعقوب بن إسحاق، عليهما السلام، ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾.

---

[1] أي كونه شفيع الناس في المحشر هو المقام المحمود المذكور في قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾.

[2] «تفسير القرآن العظيم» ، باختصار يسير.

[3] سورة الأعراف: الآية ١٥٧ .

وقال تعالى في البشارة بيحيى بن زكريا، عليهما السلام، ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾.

وقال تعالى في البشارة بالمسيح عيسى ابن مريم، عليه السلام ﴿يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾.

١٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى قد جمع فيه ما تفرق في غيره من الأنبياء مما اختصهم به ، وهو الخُلَّة والكلام والنبوة والرسالة ، والخلة هي أعظم المحبة ، فهو خليل الله ، والله خليله ، وهو يشترك فيها مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
وكذلك الكلام ؛ فقد كلمه الله يوم عُرِج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس.
كذلك فقد وصفه الله بالنبوة والرسالة في آيات كثيرة ، كقوله تعالى ﴿يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ، وقوله ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾.
وهذه الصفات الأربع لم تجتمع في نبي قط إلا في نبينا محمد ﷺ .

١٥. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أنه جمع كل كمال وخير في الأنبياء قبله، قال ابن سعدي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾:

أي: امشِ أيها الرسول الكريم خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم، وقد امتثل ﷺ ، فاهتدى بهدي الرسل قبله، **وجمع كل كمال فيهم، فاجتمعت لديه فضائل وخصائص** فاق بها جميع العالمين، وكان سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وبهذا الملحظ استدل بهذه من استدل من الصحابة أن رسول الله ﷺ أفضل الرسل كلهم. انتهى.

١٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى فضله على جميع الخلق أولهم وآخرهم ، الأنبياء وغيرهم ، في الدنيا والآخرة ، وفي الآخرة يتجلى هذا بكل وضوح ، فقد قال ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة.[١]
وقال ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر.[١]

---

[١] رواه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال ﷺ : إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ، غير فخر.[٢]

١٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى اتخذه خليلاً ، والـخُـلَّـة أعلى درجات المحبة ، كما قال ﷺ : وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا.[٣]

١٨. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه لم يتخذ أحدا خليلا إلا الله سبحانه وتعالى، فعن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذا من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ... الحديث.[٤]

١٩. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه أتقى الناس وأعلمهم بالله تعالى ، كما قال ﷺ لصحابته: أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له.[٥]

٢٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله جعله قدوة للناس ومثالا أعلى ، وأمر الناس كلهم بالاقتداء به مطلقا في ثلاث وثلاثين موضعا من القرآن[6] ، منها قوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن

---

[١] رواه الترمذي (٣٦١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وصححه الألباني.
وقوله (ولا فخر) أي: ولا أقوله تفاخرا ، بل اعتدادا بفضله (أي فضل الله علي) ، وتحدثا بنعمته ، وتبليغا لما أمرت به. انظر «تحفة الأحوذي» للمباركفوري.

[٢] رواه أحمد في «المسند» (١٣٧/٥) عن أُبَي بن كعب عن أبيه ، وقال محققو «المسند» (١٦٩/٣٥): صحيح لغيره.
وقوله (غير فخر) أي: ولا أقوله تفاخرا ، بل اعتدادا بفضله (أي فضل الله علي) ، وتحدثا بنعمته ، وتبليغا لما أمرت به. انظر «تحفة الأحوذي» للمباركفوري في شرح نظير هذا الحديث ، وهو الحديث الذي رواه الترمذي (٣٦١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[٣] رواه مسلم (٢٣٨٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وانظر الحديث بعده.

[٤] رواه مسلم (٥٣٢).

[٥] رواه البخاري (٥٠٦٣).

[6] قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد أمر الله بطاعته في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن ، وقرن طاعته بطاعته ، وقرن بين مخالفته ومخالفته ، كما قرن بين اسمه واسمه ، فلا يذكر الله إلا ذكر معه. «مجموع الفتاوى» (١٠٣/١٩).
وهكذا قال الآجري في «الشريعة» ، ص ٤٩ .

كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[1] ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: هذه الآية الكريمة أصلٌ كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله. انتهى.

ومن الأدلة على وجوب الاقتداء برسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2] ، وقوله تعالى ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[3] ، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾[4]، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

٢١. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن من اقتدى به صار عظيما ، فالصحابة رضوان الله عليهم اقتدوا به أكمل ما يكون الاقتداء فصاروا من أعظم الناس ، ثم التابعون ومن بعدهم من أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، ثم من بعدهم من العلماء ، على مر العصور والدهور ، كلهم اقتدوا برسول الله ﷺ ، فعلى شأنهم ، وارتفع قدرهم ، واهتدى الناس بعلمهم ، تحقيقا لقول الله تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ ، فلا زال الناس يذكرونهم بالجميل ، ويدعون لهم بالرحمة والمغفرة ، وعملهم المدون في الكتب يزداد مع الأيام ولا يتوقف لما استفاد الناس منه.

وكذلك من اتبع النبي ﷺ من القادة صار عظيما، فالخلفاء الراشدون اتبعوا النبي ﷺ فعلى شأنهم واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، حتى دخلت فارس ومصر والشام في دولة المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب، والتي امتدت اثني عشر عاما فقط.

ثم اتسعت الفتوحات بعد عصر الخلفاء وذلك في الدولة الأموية، والتي امتدت من سنة ٤١ هجري إلى ما بعد القرن الأول إلى سنة ١٣٢ هجري، وكانت دمشق عاصمة الدولة الأموية.

---

[1] سورة الأحزاب: ٢١ .

[2] سورة الحشر: ٧ ، وهذه الآية تفيد أن الله تعالى أوجب في القرآن أخذ كل ما أتى به الرسول ﷺ جملة وتفصيلاً.

[3] سورة آل عمران: ٣٢ .

[4] سورة الأنفال: ٢٠ .

وفي عهد الدولة الأموية دخلت أفريقيا ثم الأندلس (شمال المغرب) في الدولة الأموية، وامتدت الدولة الأندلسية إلى عام ٨٧٩ هجري، والتي وصل فيها المسلمون إلى أدنى مستوى من التمسك بدينهم، فأخذها منهم الإفرنج الصليبيون.

وقد امتدت حُدود الدولة الأموية على سبيل العموم من أطراف الصين شرقاً حتى جنوب فرنسا غرباً، وتمكنت من فتح إفريقية والمغرب والأندلُس وجنوب السند وما وراء النهر.[١]

وبالجملة فالدولة الأموية هي أكبر دولة وثاني خلافة في تاريخ الإسلام، وواحدةٌ من أكبر الدُّوَلِ الحاكِمة في التَّاريخ، كل ذلك بسبب تمسكها بالإسلام، ونصرتها له، وفي هذا تحقيق لقول الله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

ثم جاءت الدولة العباسية بعد الدولة الأموية، والتي يتصل نسب حكامها إلى العباس بن عبد المطلب، عم النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقد كان الدين الإسلامي أحد المقومات الرئيسية التي قامت عليها الدولة العباسية، وقد شهد هذا الدين في كنفها تطورًا كبيرًا؛ فمن أبرز تأثيرات العصر العباسي ظهور المذاهب والمدارس الفقهية، التي حُصرت بأربع مدارس كبرى؛ هي الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية، وغالبًا ما كان الخلفاء يحيطون أنفسهم بقضاة من المذاهب الأربعة.[٢]

كما أن أشهر جامعي الحديث قد برزوا خلال العصر العباسي؛ كالبخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم، ممن لا يزال فقهاء الإسلام يعتمدون عليهم إلى اليوم، ما يدلّ على التأثير العميق للعصر العباسي في العلوم الشرعية والفقهية.[٣]

---

[١] انظر wikepedia بدلالة الدولة الأموية.

[٢] انظر wikepedia بدلالة الدولة العباسية.

[٣] انظر wikepedia بدلالة الدولة العباسية.

فالحاصل أن من اتبع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) صار عظيما، ومن تنكب طريقته ذل وهان، وصار في ذيل الأمم، كما هو الحال الآن لما حكمت أعظم دول الأرض القوانين الوضعية، وأعرضوا عن هدي محمد (صلى الله عليه وسلم) في العقيدة والشريعة والسلوك.

٢٢. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ كثرة العلماء المجاهدين العُباد في صحابته، فإن كثرتهم تدل على عظيم قدر قائدهم الذي رباهم فصاروا علماء مجاهدين عُباد فتحوا الدنيا، وصاروا قدوة لمن بعدهم، وسيبقون كذلك إلى يوم القيامة.

وقد كان في صحابة النبي ﷺ جميع أنواع الشرائح المطلوبة في المجتمع لإقامة دين الإسلام، فمنهم من كان مستشارا خاصا للنبي ﷺ لإدارة شئون الدولة، كالخلفاء الأربعة.

ومنهم الفقهاء المحدِّثون كابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود وأبو هريرة وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري ومعاذ بن جبل، ومن النساء عائشة رضي الله عنهم أجمعين.

وممن اعتلى في الجهاد خالد بن الوليد وأبو عبيدة عامر بن الجراح وأسامة بن زيد، رضي الله عنهم.

والكلام في هذا يطول جدا، ومن رجع إلى كتاب «سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي رحمه الله وجد إرثا علميا ضخما يحكي أمجاد الصحابة رضي الله عنهم ومكانة كثير ممن تميز منهم بعلم أو عمل أو جهاد.

٢٣. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ كثرة العلماء في أمته منذ عهد النبوة وإلى زماننا هذا، الذين حفظوا الدين، وساهموا في التأليف في شتى الفنون العلمية، كالعقيدة والتفسير والحديث والفقه، وتجديد ما اندرس من معالم دين الإسلام، ولا زال العلماء في كل قرن يقومون بدين الله ويجاهدون لنشر العلم وبثه بين الناس مهما كانت الظروف السياسية والاجتماعية والبيئية التي تحيط بهم.

وهذا في الحقيقة امتداد لما كان النبي ﷺ يفعله، وهو بث العلم بين الناس ونشره في الآفاق بقدر الإمكان، فعاد الفضل بعد الله إلى النبي ﷺ ، وهذا من دلائل عظمته.

وقد دَوَّن علماء التاريخ الإسلامي تراجمهم في كتبهم، ومن أشهر تلك الكتب الكتاب السالف ذكره «سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي رحمه الله، وكذلك كتاب «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة رحمه الله.

٢٤. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ كثرة السابقين إلى الخيرات في أمته مقارنة بالأمم الأخرى، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿مِنهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾[١]:

وقوله ﴿منهم أمة **مقتصدة** وكثير منهم ساء ما يعملون﴾، كقوله تعالى ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾[٢]، وكقوله عن أتباع عيسى ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾[٣]، **فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد**، وهو أوسط مقامات هذه الأمة، وفوق ذلك رتبة السابقين، كما في قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها﴾[٤] الآية. انتهى.

وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُون﴾:

أي: من أهل الكتاب أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ، أي: عاملة بالتوراة والإنجيل، **عملا غير قوي ولا نشيط**، ﴿ وكثير مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُون، أي: **والمسيء منهم الكثير**، وأما السابقون منهم فقليلٌ ما هم. انتهى.

قلت: فإذا كان هذا هو حال أمة موسى التي هي أفضل الأمم بعد أمة محمد ﷺ ، فكيف بالأمم الأخرى؟

---

[١] سورة المائدة: ٦٦ .

[٢] سورة الأعراف: ١٥٩ .

[٣] سورة الحديد: ٢٧ .

[٤] سورة المائدة: ٦٦ .

٢٥. ومن دلائل عِظم قدره وجوب محبته على الناس أجمعين ، وأنه لا يتم إيمان المرء حتى يكون النبي ﷺ أحب إليه من نفسه وماله والناس أجمعين ، كما قال ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.[1]

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك.

فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي.

فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر.[٢]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار.[3]

٢٦. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ وجوب التأدب معه بقدرٍ زائدٍ عن القدر الواجب مع غيره ، فمن ذلك أن الشريعة جاءت بتحريم نداءه باسمه مجردا كقول (يا محمد) ، وقد جاء هذا النهي في قوله تعالى ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾[٤].

بل الواجب هو نداؤه بصيغة النبوة والرسالة ، كقول: يا نبي الله ، يا رسول الله.

كذلك فقد جاءت الشريعة بتحريم التنازع عنده ، توقيرا له ، فإنه لما اختلف عنده بعض الصحابة وكثر اللغط ؛ قال: قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع.[٥]

---

[1] رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[٢] رواه البخاري (٦٦٣٢).

[3] رواه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) ، واللفظ لمسلم.

[٤] النور: ٦٣ .

[٥] رواه البخاري (١١٤).

كذلك فقد جاءت الشريعة بتحريم رفع الصوت فوق صوته ، وبيان أن ذلك موجب لحبوط العمل ، كما قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾.

٢٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله قرن حقه بحقه في ثلاث مواطن: في الإيمان به ، وفي طاعته ، وفي محبته ، فأما الإيمان به فقد قال ﴿**آمنوا** بالله ورسوله﴾[١] ، وقوله ﴿**وأطيعوا** الله والرسول لعلكم ترحمون﴾[٢] ، وقوله ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها **أحب إليكم من الله ورسوله** وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتيكم الله بأمره﴾[٣].

كذلك فقد قرن الله النهي عن ارتكاب معصيته بالنهي عن ارتكاب معصية النبي ﷺ فقال ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾[٤].

٢٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنّ الله رفع ذِكره رَفعا عظيما، كما قال تعالى ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[٥] ، فجعل اسمه جزءا من شهادة التوحيد ، «أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله» ، ولا يُذكر الله تعالى إلا وذُكر معه النبي ﷺ ، في الأذان والإقامة والخطب وفي الصلاة – في التشهد والتحيات – وكثيرٍ من الأذكار والأدعية ، فذِكرُ النبي ﷺ يُدوّي في كل مكان من الأرض ، وليس بشر في الدنيا يُذكر ويُثنى عليه كما يُذكر النبي ﷺ ويُثنى عليه، كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ألم تر أن الله أخلد ذِكره إذا قال في الخمسِ المؤذن أشهدُ

---

[١] سورة الحديد: ٧ .

[٢] سورة آل عمران: ١٣٢ .

[٣] سورة النساء: ١٤ .

[٤] سورة النساء: ١٤ .

[٥] سورة الشرح: ٤ .

وَضَمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمه إذا قال في الخمسِ المؤذنُ أشهدُ

وشقَّ له من اسمه ليجله فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

٢٩. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن الله زكى عَقْلَهُ فقال ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾.

٣٠. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن الله زَكَّى لسانَه، فقال ﴿وما يَنْطِقُ عن الهوى﴾.

٣١. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن الله زَكَّى فُؤادَهُ فقال ﴿ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رأى﴾.

٣٢. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن الله زَكَّى بَصَرَهُ، فقال ﴿ما زاغَ البَصَرُ وما طَغَى﴾.

٣٣. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن الله زَكَّى أُمَّتَهُ، فقال ﴿كُنْتَم خَيْرَ أمةٍ أُخْرِجَت للنَّاس﴾.

٣٤. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن الله زَكَّى جَليسَهُ جبريل، فقال ﴿عَلَّمَهُ شَديدُ القُوى﴾، وقال ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المرسلين﴾.

٣٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى أَمَـرَ بالصلاة والسلام عليه ﷺ في عموم الأحوال ، وفي أحوال خاصة كالتشهد في الصلاة وفي يوم الجمعة وفي الخطبة وفي صلاة الجنازة وبعد الآذان وعند الدعاء ، وغيرها من المواطن ، وترتيب الأجر العظيم على ذلك ، وهذا تنبيه على شريف منزلته وعظم قدره ، إذْ أن الله صلى عليه ، وأمر الـملائكة بالصلاة والسلام عليه ، ثم أمر تعالى المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ، فاجتمع أهل العالم العلوي والسفلي بالصلاة والتسليم عليه.

ومعنى الصلاة على النبي هي الثناء عليه ، وعلى هذا فإذا قال الداعي: اللهم صَلِّ على محمد، أي اللهم اثنِ عليه وزده رفعة وقدرا.

قال أبو العالية: صلاة الله ؛ ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة ؛ الدعاء.[1]

٣٦. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الصلاة عليه من أسباب إجابة الدعاء ، والدليل على ذلك حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاةٍ لم يمجد الله تعالى، ولم

[1] رواه البخاري تعليقا في صحيحه في تفسير سورة الأحزاب.

يُصَلِّ على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : (عَجِل هذا) ، ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه جل عز، والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو بعد بما شاء.[1]

وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يصلي[2] ، فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ادعُ تُجب ، وسلْ تعطَ.[3]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ .[4]

٣٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أقسم بحياته ، فقال تعالى ﴿لعَمرُك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾[5] ، والإقسام بعُمرِ النبي ﷺ – أي حياته – يدل على شرفه عند المقسِم به ، ولم يثبت هذا لغيره ﷺ .

روى ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد ﷺ ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى ذكره ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. انتهى.

وقوله ﴿لفي سكرتهم﴾: أي في ضلالتهم ، ﴿يعمهون﴾: أي يلعبون.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أقسم تعالى بحياة نبيه ، صلوات الله وسلامه عليه ، وفي هذا تشريف عظيم ، ومقام رفيع ، وجاه عريض. انتهى.

---

[1] رواه أبو داود (١٤٨١) وغيره ، وصححه الألباني رحمه الله. والمعنى إذا قال أحدكم التحيات في الصلاة، فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، وهو قوله (التحيات لله والصلوات والطيبات)، إلى أن يأتي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قبل السلام يتخير من الدعاء ما شاء.

فالشاهد هو الاتيان بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء.

[2] أي يدعو ، لأن الصلاة تأتي بمعنى الدعاء.

[3] رواه النسائي (١٢٨٣) والترمذي (٣٤٧٦) وأبو داود (١٣٣١) ، عن فضالة بن عبيد ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن ، وصححه الألباني رحمه الله.

[4] رواه الترمذي (٤٨٦) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[5] سورة الحجر ، الآية ٧٢ .

٣٨. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الله أقسم بأن يرضيه كما في سورة الضحى ، حيث قال ﴿والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ ، أي: ولسوف يعطيك ربك مِن أنواع الإنعام في الآخرة، فترضى بذلك ، وهذا فيه دلالة واضحة على عظيم محبة الله لنبيه محمدا ﷺ .

٣٩. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الله وقّره في ندائه ، فلم يخاطبه باسمه قط ، بل ناداه **بأشرف أوصافه** ، وهو النبوة والرسالة ، فقال ﴿يا أيها النبي﴾ و ﴿يا أيها الرسول﴾ ، وهذه الخصِيصة لم تثبت لغيره من إخوانه الأنبياء ، بل ثبت أن الله ناداهم بأسمائهم مجردة ، كما في قوله تعالى ﴿يا آدم اسكن﴾ ، ﴿يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك﴾ ، ﴿يا موسى إني أنا الله﴾ ، ﴿يا نوح اهبط بسلام﴾ ، ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ، ﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ ، ﴿يا لوط إنا رسل ربك﴾ ، ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ ، ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾.

وهذه الخصيصة للنبي ﷺ في عدم خطاب الله تعالى له في كتابه الكريم باسمه دون إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تدل على عظيم قدره ، وتدل على شرفه عليهم.

وهنا لفتة لطيفة وهي أن الله تعالى لما أخبر عن النبي فقال ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾[١] ؛ قال بعدها ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾.

ويلاحظ هنا أيضا أن الآية ليس فيها نداء للنبي ﷺ ، وإنما هو خبرٌ مجرد من النداء.

٤٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تولى تبرئته بنفسه مما نسبه إليه المشركون من السَّفه والجنون والضلال والسحر والكهانة والجنون وصناعة الشعر ، في حين أن من سبقه من الأنبياء تولوا الدفاع عن أنفسهم فيما وُجِّهَ إليهم من تهم بأنفسهم ، قال الله تعالى عن نوح ﴿يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين﴾[٢].

---

[١] سورة الأحزاب: ٤٠ .

[٢] سورة الأعراف: ٦١ .

وقال عن هود عليه السلام ﴿يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين﴾[1].

ولما وصف فرعون وقومه النبي موسى عليه الصلاة والسلام بالسحر رد عليهم فقال ﴿أتقولون للحق لما جاءكم أسحرٌ هذا ولا يفلح الساحرون﴾[2].

أما النبي محمد ﷺ فتولى الله سبحانه وتعالى الدفاع عنه بنفسه ما نسبه إليه الكفار من التهم ، قال الله تعالى ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ ، أي بسبب نعمة ربك عليك فإنك لست بمجنون كما يزعم الكفار.

وقال تعالى ﴿وما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين﴾.

والآيات في دفاع الله عن نبيه كثيرة ومن ذلك قوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذلك ظَهِير﴾، ومعنى الآية الكريمة ما قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله:

أي: الجميع أعوان للرسول، مُظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره ممن يناوئه مخذول، وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه الكريمة وخواص خلقه أعوانًا لهذا الرسول الكريم. انتهى كلامه.

٤١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن السماء حُرِست من استراق الشياطين للسمع قُـبَيل بعثته ، لئلا يختلط الوحي بكذب الشياطين ، وهذا حدث عظيم ، وقد كانت الشياطين قبل البعثة يسترقون السمع من السماء ، يتسمعون ماذا قال ربنا ، ثم يزيدون عليها كذبات ويلقونها على الكهان ، ثم يلقيها الكهان على الناس بعدما يزيدون فيها كذِبات أيضا ، مُدَّعين بهذا معرفة المغيبات ، قال تعالى حكاية عن الجن ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾.

---

[1] سورة الأعراف: ٦٧ .

[2] سورة يونس: ٧٧ .

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: إن الملائكة تنزل في العنان ، وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه ، فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كِذبة من عند أنفسهم.[1]

٤٢. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ ما ذكره ابن كثير رحمه الله عن غير واحد من علماء السيرة أن الأصنام تساقطت لمولده الكريم ، وأن نار فارس التي كانوا يعبدونها خمدت في ليلة مولده ، ولم تَخمِد قبل ذلك بألف عام ، وأنه سقط من شُرُفات قصر كسرى أربع عشرة شُرفة ، مؤذِنة بزوال دولتهم بعد هلاك أربع عشر من ملوكهم في أقصر مدة ، وكان لهم في المُلك قريب من ثلاثة آلاف سنة.[2]

٤٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ حادثة شق صدره ، واستخراج حظ الشيطان منه ، وقد حصلت للنبي ﷺ مرتين ، الأولى وهو غـــلام قبل البعثة ، والثانية قبيل العروج إلى السماء.[3]

قال السُّهيلي رحمه الله:

والقول عندي في الرسول عليه الصلاة والسلام أنه متطهِّر ومُطهَّر، أما متطهِّر فلأنه بشر آدمي يغتسل من الجنابة ويتوضأ من الحدث.

وأما مُطهَّر فلأنه غُسِل بطنه وشُقَّ عن قلبه، ومُلِيء حكمة وإيمانا.

فهو مُطهَّر ومتطهِّر.[4] انتهى كلامه رحمه الله.

٤٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختصه الله به من حادثة الإسراء والمعراج ، وتكليمه فوق السماوات ، قال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله

---

[1] رواه البخاري (٣٢١٠).

[2] «البداية والنهاية» (٤٠٢/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أوتي إبراهيم عليه السلام.

[3] انظر «صحيح مسلم» (١٦٢) في ذكر الحادثة الأولى ، وانظر للحادثة الثانية ما رواه البخاري (٣٤٩ ، ٣٢٠٧) عن مالك بن أبي صعصعة ، ومسلم (١٦٤) عن أبي ذر رضي الله عنه.

[4] «الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام» (٣/ ٢٧٣-٢٧٦)، تحقيق وتعليق: عبد الرحمٰن الوكيل، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ ، وقد جاء ذكر حادثة الإسراء والمعراج في حديث طويل رواه البخاري[1] ومسلم[2].

٤٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أمَّ الأنبياء في الصلاة ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس قبل عروجه إلى السماء ، قال عليه الصلاة والسلام: فحانت الصلاة فأمَمتُهم.[3]

٤٦. ومن دلائل عظمة قدر النبي ﷺ أنه في حادثة الإسراء والمعراج **رحَّب** به من لقيه من الملائكة عند باب كل سماء وفتحوا له ليدخل منها، كما رحَّب به كل نبي لقاه في تلك السماء؛ آدم في السماء الأولى ثم يحيى وعيسى ثم يوسف ثم إدريس ثم هارون ثم موسى ثم إبراهيم في السماء السابعة، فقد جاء في الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في حديث الإسراء الطويل:

فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ **الدُّنْيَا**، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَال: جِبْرِيل.

قِيل: وَمَنْ مَعَك؟

قَالَ: مُحَمَّد.

قِيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَال: نَعَمْ.

قِيل: **مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.**

فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ[4] فَإِذَا فِيهَا **آدَمُ** فَقَال: (هَذَا أَبُوكَ آدَم فَسَلِّمْ عَلَيْهِ)، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَال: **مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِح.**

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ **الثَّانِيَةَ** فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيل: مَنْ هَذَا؟

---

[1] برقم (٣٢٠٧).

[2] برقم (١٦٣).

[3] رواه مسلم (١٧٢).

[4] خلصتُ أي دخلتُ من باب تلك السماء.

قَال: جِبْرِيل.

قِيل: وَمَنْ مَعَك؟

قَالَ: مُحَمَّد.

قِيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَال: نَعَمْ.

قِيل: **مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.**

فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا **يَحْيَى وَعِيسَى** وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَال: (هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا)، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا: **مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.**

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ **الثَّالِثَةِ** فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَال: جِبْرِيل.

قِيل: وَمَنْ مَعَك؟

قَالَ: مُحَمَّد.

قِيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَال: نَعَمْ.

قِيل: **مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.**

فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا **يُوسُف،** قَال: (هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْه)، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَال: **مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.**

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ **الرَّابِعَةَ** فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَال: جِبْرِيل.

قِيل: وَمَنْ مَعَك؟

قَالَ: مُحَمَّد.

قِيل: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَال: نَعَمْ.

قِيل: **مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.**

فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى **إِدْرِيسَ** قَال: (هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْه)، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَال: **مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.**

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ **الْخَامِسَةَ** فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَال: جِبْرِيل.

قِيل: وَمَنْ مَعَك؟

قَالَ: مُحَمَّد ﷺ .

قِيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَال: نَعَمْ.

قِيل: **مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.**

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا **هَارُون،** قَال: (هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْه)، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَال: **مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.**

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ **السَّادِسَةَ** فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَال: جِبْرِيل.

قِيل: وَمَنْ مَعَك؟

قَالَ: مُحَمَّد.

قِيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَال: نَعَمْ.

قِيل: **مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.**

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا **مُوسَى** قَال: (هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ)، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَال: **مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.**

...

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ **السَّابِعَةِ** فَاسْتَفْتَحَ جبريلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَال: جِبْرِيل.

قِيل: وَمَنْ مَعَك؟

قَالَ: مُحَمَّد.

قِيل: وَقَدْ بُعِث إِلَيْهِ؟

قَال: نَعَمْ.

قِيل: **مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ.**

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا **إِبْرَاهِيم**، قَال: (هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْه)، قَال: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَام، قَال: **مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيّ الصالح.**[1]

فتبين من هذا الحديث العظيم ترحيب من في السماوات السبع من الأنبياء وممَّن اختارهم الله من الملائكة بالنبي ﷺ عند قدومه عليهم، وهذه خاصية اختصه الله بها، تدل على عِظم قدره عليه الصلاة والسلام.

٤٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن حصلت له الرفعة الحسية على إخوانه الأنبياء ، وذلك لما عُرِج به إلى السماء ، وصار في مستوى فوق المستوى الذي هم فيه ، وعلا فوق السماوات التي فيها الأنبياء ، وهذا قدر زائد على ما حصل لهم من الرفعة ، قال ابن كثير رحمه الله: ولما كانت ليلة الاسراء رُفِع من سماء إلى سماء حتى سلَّم على إدريس عليه السلام ، وهو في السماء الرابعة ، ثم جاوزه إلى الخامسة ثم إلى السادسة فسلَّم على موسى بها ، ثم جاوزه إلى السابعة فسلَّم على إبراهيم الخليل عند البيت المعمور ، ثم جاوز ذلك المقام ، فرُفِع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام[2] ، وجاء سدرة المنتهى ، ورأى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات الكبرى ، وصلى بالأنبياء ، وشيَّعه من كُلِّ سماء مُقربوها ، وسلم عليه رضوان خازن الجنان ، ومالك خازن النار ، فهذا هو الشرف ، وهذه هي الرفعة، وهذا هو

---

[1] رواه البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤)، واللفظ للبخاري.

[2] صريف الأقلام أي صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله تعالى ووحيه ، وما يستنسخونه من اللوح المحفوظ. انظر «النهاية» لابن الأثير.

التكريم والتنويه والإشهار والتقديم والعلو والعظمة. صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين. انتهى كلامه رحمه الله.[1]

٤٨. ومن دلائل عظمة قدر النبي ﷺ أن الله أراه بيته في الجنة في المنام، ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء حق، ففي حديث سَمُرة بن جندب رضي الله عنه: قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟

قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ[2] ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ (أي مَلَكان)، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي[3]، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، إلى أن قال:

قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وهٰذاك مَنْزِلُكَ، قَالَ: فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا[4]، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ[5].

قَالَ: قَالَا لِي: هٰذاك مَنْزِلُك.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ.

قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِله.[6]

٤٩. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله خيَّره بين أن يكون مَلِكا نبيا أو يكون عبدا رسولا فاختار الثانية ، وهذا يتضمن مزيد رفعة وقدر للنبي ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا ملَكٌ ينزِل ، فقال له جبريل: إن هذا الملَك ما نزل منذ يوم خُلِق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد ، أرسلَني إليك ربك ، أفملِكًا نبيا يجعلُك أو عبدا رسولا؟

قال جبريل: تواضع لربك يا محمد.

---

[1] «البداية والنهاية» ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أُعطِي إدريس عليه السلام من الرفعة التي نوه الله بذكرها فقال ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ ، (٤١٩/٦)، ط دار ابن كثير ، دمشق.

[2] أي من شاء الله من الناس أن يقص.

[3] أي أنهضاني من مكاني.

[4] أي ارتفع بصري إلى جهة العلو.

[5] الربابة البيضاء أي السحابة البيضاء.

[6] رواه البخاري (٧٠٤٧).

فقال رسول الله ﷺ : بل عبدا رسولا.[1]

قلت: والعبد الرسول أفضل من المِلك النبي من وجهين:

الأول: أن الرسول يكون مبعوثا إلى قوم كافرين ، وأما النبي فيكون مبعوثا إلى قوم مؤمنين ، فمهمة الرسول أصعب فلهذا كان أفضل ، وقد تقدم معنا بيان الفرق بين النبي والرسول في هامش الدليل الثاني.

الوجه الثاني: أنَّ من كان عبدا فإنه لا يتصرف فيما تحت مُلكه إلا بإذن الله ، قال ﷺ : إنما أنا قاسم، والله يعطي.[2]

وأما من كان ملِكا فإنه يتصرف كما يشاء من غير إثم عليه.

فحال الأول أكمل من حال الثاني فيما يتعلق بالعبودية لله تعالى.[3]

فائدة

من المعلوم أن النبي ﷺ زهِد في الدنيا مع أنها عُرِضت له بين يديه ، كما قال ﷺ لعائشة : والله يا عائشة ، لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة.[4]

قال ابن كثير رحمه الله: وكم آثر بالألوف المؤلفة والإبل والشاه والهدايا على نفسه وأهله للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين.[5]

٥٠. ومن دلائل عِظمِ قدره ﷺ أن قرنه هو خير القرون قاطبة منذ خلق الله الخليقة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا ، حتى كنت من القرن الذي كنت منه.[1]

---

[1] رواه أحمد (٧٧/١٢) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[2] رواه البخاري (٧١).

[3] انظر ما قاله ابن تيمية رحمه الله في «النبوات» (١٦٣ ، ٨٤١) ، تحقيق د. عبد العزيز الطويان ، الناشر: دار أضواء السلف – الرياض ، وانظر أيضا «مجموع الفتاوى» (١٨٠/١١-١٨٢) ، (٨٩/١٣).

[4] انظر تخريجه موسعا في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٦٣٤/٥) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

[5] «البداية والنهاية» ، كتاب دلائل النبوة ، قصة الأعمى الذي رد الله إليه بصره وقصص أخرى ، (٤٣٧/٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟
قال: القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث.[٢]

٥١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أَطْلَعَهُ على أمور غيبية تتعلق بالآخرة لم يُطلِع عليها أحدا من الأنبياء قبله ، ورآها رأي عين ، فمن ذلك ما جاء في قوله ﷺ : اطَّلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطَّلعتُ في النار فرأيت أكثر أهلها النساء.[٣]
ومن ذلك ما جاء في حديث الإسراء والمعراج أنه ﷺ قال: ... ثم أُدِخلت الجنة فإذا فيها جَنابذ اللؤلؤ ، وإذا تُرابها المسك.[٤]
والجنابذ جمع جُنبُذة وهي القُبة.[٥]
قال ابن حبان رحمه الله: اطِّلاعه ﷺ إلى الجنة والنار معا كان بجسمه ونظره العِيان تفضلا من الله جل وعلا عليه ، وفرقا فرَّق به بينه وبين سائر الأنبياء.[٦]
وقال ابن سعدي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾[٧]:
عنده من العلم أعظم من غيره، وأنبأه الله من علم الغيب على ما لم يطَّلع عليه أحدا من الخلق.

٥٢. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أَطْلَعَهُ على أمور غيبية ستحدث بالدنيا لم يُطلِع عليها أحدا من الأنبياء قبله، منها ما قد حدث فعلا، ومنها ما سيحدث على مر الزمن إلى أن تقوم الساعة، ومن ذلك علامات الساعة الصغرى والكبرى وأخبار الدجال وغيره.

---

[١] رواه البخاري (٣٥٥٧).
[٢] رواه مسلم (٢٥٣٦).
[٣] رواه البخاري (٦٥٤٦) عن عمران بن حصين ، ورواه مسلم (٢٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
[٤] رواه البخاري (٣٣٤٢) ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر رضي الله عنه.
[٥] انظر «النهاية» لابن الأثير رحمه الله.
[٦] انظر «صحيح ابن حبان» (٤٩٥/١٦).
[٧] سورة الطور: ٤١ .

٥٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما ميزه الله تعالى به من شرف النسب ، وكريم الحسب ، وصفاء النشأة ، قال ﷺ : إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم.[١]

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: من أنا؟

قالوا: أنت رسول الله.

فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلَق الخلق فجعلني في خيرِ خلْقِهِ ، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا ، فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا.[٢]

٥٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ تشريف آل بيته من أجله تشريفا خاصا ، ووجوب توقيرهم بالقدر الزائد عن غيرهم ، وآل بيت النبي ﷺ هم بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف ، وزوجات النبي ﷺ داخلات في آل البيت بنص القرآن ، قال تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[٣] ، قال ابن كثير رحمه الله: وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هٰهنا ، لأنهن سبب نزول هذه الآية.

والدليل على الوصية بآل بيت النبي ﷺ قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: أُذكرِّكم الله في أهل بيتي ، أُذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي.[٤]

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (أرقُبوا محمداً ﷺ في أهل بيته)[٥].

٥٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن من اجتمع به ولو لحظة واحدة صار صحابيا ونال شرف الصحبة ، بشرط أن يكون مؤمنا ويموت على ذلك.

---

[١] رواه مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

[٢] رواه أحمد (٢١٠/١) والترمذي (٣٦٠٨) ، وحسنه الألباني ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

[٣] سورة الأحزاب: ٣٤ .

[٤] تقدم تخريجه.

[٥] رواه البخاري (٣٧١٣).

٥٦. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه أوتِي جوامع الكلم، أي أنه يقول الكلام القليل الذي يحمل معاني كثيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بُعثت **بجوامع الكلم** ، ونُصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضِعت في يدي.[١]

قال البخاري رحمه الله: وبلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين أو نحو ذلك.[٢]

وقال النووي رحمه الله في شرح الحديث: كلامه ﷺ كان بالجوامع ، قليل اللفظ ، كثير المعاني.

٥٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى أثنى على عِظم خُلُقه فقال ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[٣].

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية كما في تتمة «الأضواء» لتلميذه الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله:

وقد أرشدَت عائشة رضي الله عنها إلى ما يبيّن هذا الإجمال[٤] حينما سُئلت عن خلقه ﷺ الذي امتُدح به فقالت: (كان خلقه القرآن)[٥] ، تعني – والله تعالى أعلم – أنه ﷺ يأتمر بأمره وينتهي بنواهيه، كما في قوله تعالى ﴿وما آتاكم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

وكما في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى للتي هيَ أَقْوَمُ﴾.

وكما قال ﷺ : لن يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.[٦]

---

[١] رواه البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٥٢٣).

[٢] رواه البخاري (٧٠١٣) ومسلم (٥٢٣).

[٣] سورة القلم: ٤ .

[٤] يَقصد بالمجمل لفظ الخلق الوارد في قوله تعالى ﴿وإنك لعل خلق عظيم﴾.

[٥] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٨) وفي سنده يزيد بن بانوس وهو مجهول ، ولذا ضعفه الألباني في تحقيقه للكتاب ، ويغني عنه قول عائشة رضي الله عنها لما سألها جبير بن نفير عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: القرآن. رواه أحمد (١٨٨/٦) وصححه محققو «المسند».

[٦] رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥) بنحوه ، وضعفه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٩٣/٢) «الناشر: مؤسسة الرسالة» ، وكذا ضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (١٢/١).

فكان هو ﷺ ممتثلاً لتعاليم القرآن في سيرته كلها ، وقد أُمرنا بالتأسي به صلوات الله وسلامه عليه ، فكان من أهم ما يجب على الأمة معرفة تفصيل هذا الإجمال ليتم التأسي المطلوب.

وقد أَخذَت قضية الأخلاق عامةً وأخلاقُهُ ﷺ خاصةً محل الصدارة من مباحث الباحثِين وتقرير المرشِدين ، فهي بالنسبة للعموم أساسُ قِوام الأمم ، وعامل الحفاظ على بقائها ، كما قيل:

إنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت فإنْ هم ذهبتْ أخلاقهم ذَهبوا

وقد أجمل ﷺ بِعثته كلها في مكارم الأخلاق في قوله ﷺ : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.[1]

وقد عُنِي أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله تعالى عليهم بموضوع أخلاقه ﷺ بعد نزول هذه الآية ، فسألوا عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقالت: (كان خلقه القرآن) ، وعُنِي بها العلماء بالتأليف كـ «الشمائل» للترمذي.

أما أقوال المفسرين في الخلق العظيم المعني هنا فهي على قولين لا تعارض بينهما ، منها أنه **الدين** ، قاله ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم.

والآخر قول عائشة (كان خلقه **القرآن**) ، والقرآن والدين مرتبطان ، ولكن لم يزل الإجمال موجوداً ، وإذا رجعنا إلى بعض الآيات في القرآن نجد بعض البيان لما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق ، مثل قوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2] ، وقوله ﴿لَقَدْ جاءكم رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] ، وقوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾[4] ، وقوله ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

---

[1] رواه أحمد (٣٨١/٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣) والبزار (٨٩٩٤) واللفظ له ، وصححه محققو «المسند» ، والألباني في «الصحيحة» (٤٥).

[2] سورة الأعراف: ١٩٩ .

[3] سورة التوبة: ١٢٨ .

[4] سورة آل عمران: ١٥٩ .

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] ، ومثل ذلك من الآيات التي فيها التوجيه أو الوصف بما هو أعظم الأخلاق.

وإذا كان خلقه ﷺ هو القرآن ؛ فالقرآن يهدي للتي هي أقوم.

والمتأمل للقرآن في هديه يجد مبدأ الأخلاق في كل تشريع فيه ، حتى العبادات ، ففي الصلاة خشوع وخضوع وسكينة ووقار ، (فأتوها وعليكم السكينة والوقار)[2].

وفي الزكاة مروءة وكرم ، ﴿يا أيها الَّذِينَ آمنوا لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ والأذى﴾[3] ، وقوله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جزاء وَلاَ شُكُوراً﴾[4].

وفي الصيام: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.[5]

وقوله ﷺ : الصيام جنة.[6]

وفي الحج: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[7].

وفي الاجتماعيات خوطب ﷺ بأعلى درجات الأخلاق ، حتى ولو لم يكن داخلاً تحت الخطاب ، لأنه ليس خارجاً عن نطاق الطلب ، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ ، ثم يأتي بعدها ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لهما أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا ربياني صَغِيرًا﴾[8] ، مع أن والديه لم يكن أحدهما موجوداً عند نزولها ، إلى غير ذلك من التعاليم العامة والخاصة التي اشتمل عليها القرآن.

---

[1] سورة النحل: ١٢٥ .

[2] رواه البخاري (٩٠٨) ومسلم (٦٠٢) ولفظه عند مسلم: إذا ثُوِّب للصلاة فلا يسعَ إليها أحدكم ، ولكن ليمشِ وعليه السكينة والوقار.

[3] سورة البقرة: ٢٦٤ .

[4] سورة المرسلات: ٩ .

[5] رواه البخاري (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[6] رواه البخاري (١٩٠٤) ومسلم عقب حديث (١١٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[7] سورة البقرة: ١٩٧ .

[8] سورة الإسرء: ٢٣ – ٢٤ .

وقد عُنِي ﷺ بالأخلاق حتى كان يوصي بها المبعوثين في كل مكان ، كما أوصى معاذ بن جبل رضي الله عنه بقوله: اتق الله حيث ما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن.[1]

وقال ﷺ : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما تشاء.[2]

أي إن الحياء وهو من أخص الأخلاق سياج من الرذائل ، وهذا مما يؤكد أن الخلق الحسن يحمل على الفضائل ويمنع من الرذائل ، كما قيل في ذلك:

إن الكريم إذا تمكَّن من أذى ... جاءته أخلاق الكرام فأقلعا

وترى اللَّئيم إذا تمكَّن من أذى ... يَطغى فلا يُبقِي لصُلحٍ موضعا

وقد أشار القرآن إلى هذا الجانب في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السراء والضراء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين﴾[3].

تنبيه

إن من أهم قضايا الأخلاق بيانَهُ ﷺ لها بقوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، مع أن بِعثته بالتوحيد والعبادات والمعاملات وغير ذلك مما يجعل الأخلاق هي البعثة ، وبيان ذلك في قضية منطقية قطعية ، مقدمتها حديث صحيح وهو (الدين حسن الخلق) ، والكبرى آية كريمة ، قوله تعالى ﴿ليس الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ولكن الْبِرَّ مَنْ آمن بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخر وَالْمَلآئِكَة وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وآتى المالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ والسائلين وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصلاة وآتى الزكاة وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي البأساء والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أولئك الَّذِينَ صَدَقُوا وأولئك هُمُ الْمُتَّقُون﴾[4].

---

[1] رواه أحمد (١٥٣/٥) وغيره من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وحسنه محققو «المسند».

[2] رواه البخاري (٣٤٨٣) من حديث أبي مسعود عقبة بن عمر البدري رضي الله عنه.

[3] سورة آل عمران: ١٣٤ .

[4] سورة البقرة: ١٧٧ .

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الدين كله بأقسامه الثلاثة ، الإسلام من صلاة وزكاة إلخ ، والإيمان بالله وملائكته إلخ ، ومن إحسان في وفاء وصدق وصبر وتقوى الله تعالى ، إذ هي مراقبة الله سرّاً وعلناً ، وقد ظهرت نتيجة عِظم هذه الأخلاق في الرحمة العامة الشاملة في قوله تعالى ﴿وما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً للعَالَمِين﴾[1].

وكذلك للأمة يوم القيامة كما قال ﷺ : أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسِنكم أخلاقاً.[2]

فمكارم الأخلاق رحمة للعالمين في الدّنيا ، ومنزلة عُـلْـيا للمؤمنين في الآخرة.

انتهى كلام الشيخ رحمه الله باختصار يسير.

***

وقال ابن كثير رحمه الله في التعليق على قول عائشة المتقدم (كان خلقه القرآن):

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له ، وخلُقا تطبَّـعهُ ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل ، كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي "أُف" قط ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟[3]

وكان ﷺ أحسن الناس خلقا.[4] انتهى باختصار يسير.

ومن المعلوم أن الله تعالى قد آتى الله نبيه محمدا ﷺ من العلم والشجاعة والصبر والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الإلٰهية ما لم يؤتَـه نبي قبله ، وهذا معلوم باستقراء سيرته وسيرة من قبله من الأنبياء.

---

[1] سورة الأنبياء: ١٣٤ .

[2] رواه الترمذي (٢٠١٨) عن جابر رضي الله عنهما.

[3] انظر البخاري (٢٧٦٨ ، ٦٠٣٨) ومسلم (٢٣٠٩).

[4] رواه مسلم (٢٣١٠) عن أنس رضي الله عنه.

٥٨. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الله تعالى وصفه الله بأوصاف لم يصف بها أحد قبله ، فقد وصفه بالشاهد والمبشر والنذير والسراج المنير كما في سورة الأحزاب (الآيتين ٤٥ – ٤٦) ، ووصفه بأنه رحمة للعالمين ، وأنه ذو خلق عظيم.

٥٩. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ تعدد أسمائه ، فإن تعدد الأسماء تدل على عَظمة من تسمى بها ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً ، فقال: أنا محمد ، وأحمد ، والمُقَفِّي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة.[١]

وعن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لي خمسة أسماء: أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب.[٢]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد»[٣]:

فصل في أسمائه

وكلها نعوتٌ ، ليست أعلاما محضة ، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال.

فمنها **محمد** وهو أشهرها وبه سمي في التوراة صريحا.

ومنها **أحمد** وهو الاسم الذي سماه به المسيح لسرٍّ ذكرناه في ذلك الكتاب[٤].

ومنها **المتوكل** ، ومنها **الماحي والحاشر والعاقب والمُـقَـفِّي ونبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الملحمة والفاتح والأمين.**

---

[١] رواه مسلم (٢٣٥٥).

[٢] رواه البخاري (٣٥٣٢).

[٣] (٨٦/١) ، الناشر: مؤسسة الرسالة.

[٤] أي كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام».

ويُلحق بهذه الأسماء **الشاهد** ، **والمبشر** ، **والبشير** ، **والنذير** ، **والقاسم** ، **والضَّحوك** ، **والقَتّال** ، **وعبد الله** ، **والسراج المنير** ، **وسيد ولد آدم** ، **وصاحب لواء الحمد** ، **وصاحب المقام المحمود** ، وغير ذلك من الأسماء ، لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدحٍ فله من كل وصفٍ اسم.

وقال جبير بن مطعم: قال رسول الله ﷺ : لي خمسة أسماء: أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب.

وفي رواية لمسلم: وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد.[1]

وأسماؤه ﷺ نوعان: **أحدهما** خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل ، كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفي ونبي الملحمة.

والثاني ما يشاركه في معناه غيره من الرسل ، ولكن له منه كماله ، فهو مختص بكماله دون أصله ، كرسول الله ، ونبيه ، وعبده ، والشاهد ، والمبشر ، والنذير ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة.

وأما إن جُعل له من كل وصف من أوصافه اسم ؛ تجاوزت أسماؤه المائتين ، كالصادق والمصدوق والرؤوف والرحيم إلى أمثال ذلك.

فصل في شرح معاني أسمائه

أما **محمد** فهو اسم مفعول ، من حمِد فهو محمد ، إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها ، ولذلك كان أبلغ من محمود ، فإن محمودا من الثلاثي المجرد ، ومحمد من المضاعف للمبالغة ، فهو الذي يُحمد أكثر مما يُحمد غيره من البشر ، ولهذا والله أعلم سمي به[2] في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وُصف بها هو ودينه وأمته في التوراة ، حتى تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم.

وأما **أحمد** فهو اسمٌ على زنة أفعل التفضيل ، مشتق أيضا من الحمد.

وقد اختلف الناس فيه ؛ هل هو بمعنى فاعل أو مفعول.

فقالت طائفة هو بمعنى الفاعل ، أي حمده لله أكثر من حمد غيره له ، فمعناه أحمد الحامدين لربه.

---

[1] رواه البخاري (٣٥٣٢) ، ومسلم (٢٣٥٤).

[2] أي سُمِّي بـ «محمد».

وعلى قولٍ ؛ أحق الناس وأولاهم بأن يحمد ، فيكون كمحمد في المعنى ، إلا أن الفرق بينهما أن محمدا هو كثير الخصال التي يحمد عليها ، وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره ، فمحمد في الكثرة والكمية ، وأحمد في الصفة والكيفية ، فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره وأفضل مما يستحق غيره ، فيحمد أكثر حمدٍ وأفضل حمدٍ حمده البشر.[1]

وأما اسمه **المتوكل** ؛ ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ : محمد رسول الله ، عبدي ورسولي ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، بل يعفو ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا «لا إله إلا الله» ، وهو ﷺ أحق الناس بهذا الاسم لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلا لم يَشْرَكه فيه غيره.

وأما **الماحي والحاشر والمُقَفِّي والعاقب** فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم ، **فالماحي** هو الذي محا الله به الكفر ، ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ ، فإنه بُعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب ، وهم ما بين عباد أوثان ، ويهود مغضوب عليهم ، ونصارى ضالين،

---

[1] ومن اللطائف العلمية ما ذكره القاضي عياض رحمه الله ، قال:

«محمد» مُفَعَّل ، مبالغة من كثرة الحمد ، فهو ﷺ أجل من حَمِدَ ، وأفضل من حَمِدَ ، وأكثر الناس حمدا ، فهو أحمد المحمودين ، وأحمد الحامدين ، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ، ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ، ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده، يحمده فيه الأولون والآخِرون بشفاعته لهم ، ويُفتح عليه فيه من المحامد ما لم يُعط غيرُه ، وسُمِّي أمته في كتب أنبيائه بالحمادين ، فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد.

ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر ، وهو أن الله جل اسمه حمى أن يُسمى بهما أحد قبل زمانه ، أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يُسمى به أحد غيرَه ، ولا يُدعى به مدعو قبلَه ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك.

وكذلك محمد أيضا لم يُسمَّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قُبيل وجوده ﷺ وميلاده أن نبيا يُبعث اسمه محمدا ، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وهم محمد بن أُحيحة بن الجُلاح الأوسي ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ، ومحمد بن براء البكري ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حمران الجعفي ، ومحمد بن خزاعي السلمي ، ولا سابع لهم.

ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدَّعي النبوة أو يدعيها أحد له ، أو يظهر عليه سبب يُشكِّك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له ﷺ ، ولم ينازَع فيهما.

باختصار يسير من «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » ، فصل في أسمائه ﷺ ، وما تضمنته من فضيلته.

وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا ، وبين عباد الكواكب وعباد النار ، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها ، فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار ، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

وأما **الحاشر** ؛ فالحشر هو الضم والجمع ، فهو الذي يُحشر الناس على قدمه ، فكأنه بُعث ليحشر الناس.[1]

والعاقب الذي جاء عقب الأنبياء ، فليس بعده نبي ، فإن العاقب هو الآخر ، فهو بمنزلة الخاتم ، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق ، أي عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

وأما **المُقفِّي** فكذلك ، وهو الذي قَفَى[2] على آثار من تقدمه ، فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل ، فكان خاتمهم وآخرهم.

وأما **نبي التوبة** فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض ، فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله ، وكان ﷺ أكثر الناس استغفارا وتوبة ، حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور.

وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم ، وأسرع قبولا ، وأسهل تناولا ، وكانت توبة من قبلهم من أصعب الأشياء ، حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم ، وأما هذه الأمة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها الندم والإقلاع.

وأما **نبي الملحمة** فهو الذي بعث بجهاد أعداء الله ، فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته ، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله ، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار ، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم.

وأما **نبي الرحمة** فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم ، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة ، وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله

---

[1] معنى قفَّى في اللغة أي ذهب مُوَلِّيًا ، والمعنى هنا أنه آخر الأنبياء ، فإذا ذهب فلا نبي بعده. انظر «النهاية».

[2] أي يكون الحشر بعد بعثته في الترتيب الزمني ، مع وجود الفاصل الزمني الكبير بين بعثته ويوم الحشر.

وعهده ، وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

وأما **الفاتح** فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مُرتجًا[1] ، وفتح به الأعين العمي والآذان الصم والقلوب الغلف ، وفتح الله به أمصار الكفار ، وفتح به أبواب الجنة ، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح ، ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار.

وأما **الأمين** فهو أحق العالمين بهذا الاسم ، فهو أمين الله على وحيه ودينه ، وهو أمين من في السماء وأمين من في الأرض ، ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين.

وأما **الضحوك القتال** فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر ، فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين ، غير عابس ، ولا مقطِّب ، ولا غضوب ، ولا فظ ، قتال لأعداء الله ، لا تأخذه فيهم لومة لائم.

وأما **البشير** فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب ، والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب.

وقد سماه الله **عبده** في مواضع من كتابه منها قوله ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ ، وقوله ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ ، وقوله ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ ، وقوله ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾.[2]

وثبت عنه في الصحيح أنه قال: أنا **سيد ولد آدم** يوم القيامة ولا فخر.[3]

وسماه الله **سراجا منيرا** ، وسمى الشمس سراجا وهاجا ، والمنير هو الذي ينير من غير إحراق ، بخلاف الوهاج ؛ فإن فيه نوع إحراق وتوهج. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

---

[1] ارتجَ بفتح الجيم وتخفيفها من الارتاج وهو الإغلاق. انظر «لسان العرب».

[2] وصَف الله رسوله بالعبودية في تسع مواضع من القرآن ، كما وصف الله إخوانه الأنبياء بذلك ، عليهم الصلاة والسلام ، انظر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن».

وفي هذا رد على الذين يتوجهون للأنبياء وقبور الصالحين ببعض أنواع العبادات من دعاء وذبح ونذر وغير ذلك ، إذ أن الأنبياء عبيد مثلهم ، والذي يستحق العبادة هو الله وحده دون ما سواه.

[3] رواه الترمذي (٣٦١٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وصححه الألباني. وأما لفظ الصحيح فهو بدون لفظة (ولا فخر) ، رواها مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال مقيده عفا الله عنه: وانظر للاستزادة كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي ، باب ذكر أسماء رسول الله ﷺ ، (١/١٥١).

٦٠. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن أصحابه حفِظوا أوصافه الخَلقِيَّة ونقلوها للناس ، حتى صار القارئ لها كأنما يراه ﷺ رأي عين ، وقد أفردتُ تلك الخصائص في ملحق مستقل في آخر هذا الكتاب.

٦١. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه نُصِر بالرعب مسيرة شهر ، فمَن كان مِن أعدائه يبعد منه مسيرة شهر أو أقل فإنه يَفرَقُ منه ويخاف ، كما في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر ، الحديث.[١]

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث:

قَوله: (نُصِرْت بِالرُّعْبِ) ؛ زَادَ أَبُو أُمَامَةَ: (يُقْذَفُ فِي قُلُوب أَعْدَائِي). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ.[٢]

قَوله (مَسِيرَة شَهْر) مَفْهُومه أَنَّهُ لَمْ يُوجَد لِغَيْرِهِ النَّصْر بِالرُّعْبِ فِي هَذِهِ الْمُدَّة وَلَا فِي أَكْثَر مِنْهَا ، أَمَّا مَا دُونهَا فلا ، وَإِنَّمَا جَعَلَ الْغَايَة شَهْرًا لأنه لَمْ يَكُنْ بَيْن بَلَده وَبَيْن أَحَدٍ مِنْ أَعْدَائِهِ أَكْثَر مِنْهُ ، وَهَذِهِ الْخُصُوصِيَّة حَاصِلَةٌ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاق حَتَّى لَوْ كَانَ وَحْده بِغَيْرِ عَسْكَر ، وَهَلْ هِيَ حَاصِلَة لِأُمَّتِهِ مِنْ بَعْده؟ فِيهِ اِحْتِمَالٌ. انتهى باختصار.

٦٢. ومن دلائل عِظَمِ قدره ﷺ أن الله تعالى رزقه الشهادة ، فإنه ﷺ أفنى عمُره في سبيل الله ، في الدعوة ، وفي جهاد الكفر والكافرين ، ومنهم اليهود والمنافقين والمشركين ، حتى دسَّ اليهود له السُّم في طعامه ليقضوا على دعوته ، فأثَّر فيه السُّم ، فمات بسببه بعد أن بلَّغ رسالة ربه ، فنال بهذا شرف الموت شهيدا في سبيل الله. قال ابن القيم رحمه الله: فلما أراد الله **إكرامَه بالشهادة** ، ظهر تأثيرُ ذلك الأثر الكامِن من السُّم ليَقضيَ اللهُ أمرا كان مفعولا.[٣]

---

[١] تقدم تخريجه.

[٢] «المسند» (٥/٢٤٨) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

[٣] «زاد المعاد» (٤/١٢٣). وسيأتي مزيد بيان لهذا الموضوع عند الكلام على عصمته ﷺ من أذى الناس في الدليل الخامس والسبعين.

٦٣. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ ما اختصه الله به من خصائص ذاتية ، والمقصود بالذاتية أي الخصائص التي تتعلق بذاته الشريفة ، وخصائص النبي ﷺ الذاتية متعددة ، منها:

- خاتم النبوة ، وهو علامة من علامات نبوته ﷺ ، وهو مذكور في الكتب السابقة ، كما جاء في قصة بحيرا الراهب ، وقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وهذا الخاتم عبارة عن قطعة لحم ناتئة ، عليها شعر ، عند كتفه الأيسر ، حجمها قدر بيضة الحمامة ، فعن أبي نضرة العَوقي قال: سألت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه عن خاتم رسول الله ﷺ – يعني خاتم النبوة – فقال: كان في ظهره بَضعةٌ ناشِزة.[١]

البَضعة هي قطعة اللحم ، وناشزة أي مرتفعة عن الجسم.

وعن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: رأيت خاتما في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام.[٢]

- ومن خصائصه الذاتية أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه[٣] ، وهو في هذه الخصيصة مشترك مع إخوانه الأنبياء، فإن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، كما أخبر بذلك أنس رضي الله عنه[٤] لما حدَّث عن ليلة الإسراء بالنبي ﷺ .

قال ابن عبد البر رحمه الله معلقا على هذا الحديث: فتلك من علياء مراتب الأنبياء صلوات الله عليهم. ولهذا – والله أعلم – قال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحي لأن الأنبياء يُفارقون سائر البشر في نوم القلب ويساووهم في نوم العين ، ولو تسلط النوم على قلوبهم كما يُصنع بغيرهم لم تكن رؤياهم إلا كرؤيا من سواهم ، وقد خصهم الله من فضله بما شاء أن يخصهم به. انتهى.

---

[١] «الشمائل المحمدية» للترمذي (٢١) ، (باب ما جاء في خاتم النبوة) ، وحسنه الشيخ الألباني في «مختصر الشمائل» (١٩) ، وانظر «المسند» (٧٧/٥) عن أبي زيد الأنصاري رضي الله عنه ، فقد سُئِل أبو زيد عن خاتم النبوة لما أدخل يده في قميص النبي ﷺ ومسح على ظهره فقال: شعرات بين كتفيه. قال محققو «المسند» (٣٣٣/٣٤): إسناده قوي على شرط مسلم.

[٢] رواه «مسلم» (٢٣٤٥).

[٣] انظر صحيح البخاري (١١٤٧) ومسلم (٧٣٨).

[٤] انظر صحيح البخاري (٣٥٧٠).

ثم أتبع ابن عبد البر فقال: ومن هذا كان رسول الله ﷺ ينام حتى ينفخ ثم يصلي ولا يتوضأ ، لأن الوضوء من النوم إنما يجب لغلبة النوم على القلب لا على العين.

فكان رسول الله ﷺ يساوي أمته في الوضوء من الحدث ولا يساويهم في الوضوء من النوم. انتهى كلام ابن عبد البر رحمه الله.[١]

- ومن خصائصه الذاتية ما جعل الله فيما انفصل من جسده من البركة ، كعرقه ونخامته وشعره ، وكذا فيما اتصل بجسده ولامسه كماء الوضوء ، وقد كان الصحابة يبتدرون إلى ما انفصل من جسم النبي ﷺ ويباشرون به أجسامهم رجاء البركة ، وهذا خاص بالنبي ﷺ ، لم يفعله الصحابة مع غير النبي ﷺ في حياته ولا بعد مماته.[٢]

٦٤. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ ما اختصه الله به من خصائص شرعية[٣] ، وهي ما اختصه الله به من أحكام شرعية لا يشاركه فيها أحد من الأمة، أهمها:

- أنه لا يُورِّث ، ما تركه صدقة ، وهذه خَصِيصةٌ للأنبياء جميعا[٤] ، ودليل هذا قوله ﷺ : لا يقتسِم ورثتي دينارا ، ما تركتُ بعدَ نفقةَ نسائي ومئونة عاملي فهو صدقة.[٥]

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: وهذا من حكمة الله عز وجل ، لئلا يُقال إن هؤلاء الأنبياء جاءوا بالرسالة لأنهم يطلبون مُلكا يورث من بعدهم ، فمنع الله عز وجل ذلك ، فالأنبياء لا يورَثون ، بل ما يتركونه يكون صدقة يُصرف للمستحقين له.[٦]

---

[١] انظر «الاستذكار» (١٠١/٢) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

[٢] انظر للتوسع في مسألة التبرك كتاب «التبرك المشروع والتبرك الممنوع» ، للشيخ علي بن نفيع العلياني ، (الناشر: مدار الوطن – الرياض) ، وكذلك كتاب «التبرك ، أنواعه وأحكامه» ، للشيخ ناصر الجديع ، (الناشر: مكتبة الرشد – الرياض).

[٣] راجع للتوسع الأبيات التي تتكلم عن خصائصه في «ألفية السيرة النبوية» للعراقي.

[٤] دليل ذلك قوله ﷺ : لا نُورث ، ما تركناه صدقة. رواه البخاري (٣٠٩٢) ومسلم (١٧٥٧) عن عائشة رضي الله عنها.

وقوله: (لا نُورث) يعني بذلك معاشر الأنبياء بما فيهم نفسه ﷺ .

[٥] رواه البخاري (٢٧٧٦) ومسلم (١٧٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٦] بتصرف يسير من «شرح رياض الصالحين» ، (٢٠٥/١) ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

- ومن خصائصه ﷺ الشرعية أن الصدقة محرمة عليه وعلى آل بيته ، لأنها أوساخ الناس ، كما قال النبي ﷺ : إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس.[١]

قلت: ولما كانت الصدقة أوساخ الناس ؛ كان إخراجها طُهرة للمال.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال النبي ﷺ : (كخ كخ) ، ليطرحها ، ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة.[٢]

- ومن خصائصه ﷺ الشرعية جواز الوِصال[٣] في الصوم ، والدليل على هذا حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: لا تُواصلوا.

قالوا: إنك تُواصل؟

قال: لستُ كأحدٍ منكم ، إني أُطعم وأُسقى – أو: – إني أبيت أُطعم وأُسقى.[٤]

- وهناك أيضا أحكام شرعية خاصة به ﷺ متعلقة بالنكاح ، كما جاء ذلك في آيات من سورة الأحزاب من آية ٥٠ إلى آية ٥٣ ، ومن ذلك أن الله أباح له الزواج من أكثر من أربع نسوة.[٥]

ومنها اختصاصه بصحة نكاح من وهبت نفسها له ﷺ بدون صداق وبدون إذن ولي ولا شاهدين، قال تعالى ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾.

وقد استفاد أهل العلم من قصة نكاح النبي ﷺ من صفية سقوط شرط الولي والشاهدين في حقه ﷺ ، لأنه نكحها بدون هٰذين الشرطين.[٦]

---

[١] رواه مسلم (١٠٧٢) عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه.

[٢] رواه البخاري (١٤٩١) ومسلم (١٠٦٩).

[٣] الوِصال هو أن يَصِل صِيام اليوم باليوم الذي بعده بدون فطر ، فربما صام يومين أو ثلاثة.

[٤] رواه البخاري (١٩٦١).

[٥] من حِكم مشروعية الإكثار من النساء للنبي ﷺ هو بث العلم عن طريقهن للأمة ، حيث أن النساء يرين في بيوتهن ما لا يراه الرجال في الخارج ، ويسمعن ما لم يسمعه الرجال ، بحكم الالتصاق به ﷺ في بيته ، وكم حفظت دواوين السنة من أخلاق النبي ﷺ وفتاواه التي حفظها نساؤه رضي الله عنهن وأرضاهن.

[٦] انظر القصة في صحيح البخاري (٣٧١).

وأيضا لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

ومن أحكام النكاح المختصة به ﷺ أنه لا يجب عليه أن يقسم بين نسائه بالسَّوية في الليالي ، ومع هذا فقد كان النبي ﷺ يقسم بينهن تطييبا لخواطرهن ، قال تعالى ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: أي إذا علمن أن الله قد وضع عنكَ الحرج في القسْم ، فإن شئت قسمت وإن شئت لم تقسم ، ثم مع هذا تقسم لهن اختيارا منك ، فرِحن بذلك واستبشرن به ، وحملن جميلك في ذلك ، واعترفن بمنتك عليهن في قسمتك لهن وتسويتك بينهن وإنصافُك لهن وعدلُك فيهن.[1]

- ومن خصائصه ﷺ الشرعية – وهو في هذا مشترك مع إخوانه الأنبياء – دفنه في المكان الذي قُبِض فيه ، ودليل ذلك قوله ﷺ : ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يُحب أن يدفن فيه.[2]
- ومن خصائصه ﷺ الشرعية أن الله أعانه على قرينه من الجن فأسلمَ ، فصار لا يأمره إلا بخير ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خـــــــرج من عندها ليلا ، قالت: فغِرتُ عليه[3] ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال: مالكِ يا عائشة ، أغِرتِ؟

فقلت: وما لي لا يَغارُ مثلي على مثلك؟

فقال رسول الله ﷺ : أقد جاءكِ شيطانُكِ؟

قالت: يا رسول الله ، أو معي شيطان؟

قال: نعم .

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: نعم .

---

[1] «تفسير القرآن العظيم» ، باختصار.

[2] رواه الترمذي (١٠١٨) عن عائشة رضي الله عنها ، وصححه الألباني رحمه الله. ورواه غيره عن سلم بن عبيد الأشجعي موقوفا ، انظر تخريج شعيب الأرناؤوط للحديث في تحقيقه على الترمذي (١٠٣٩) ، ط الرسالة العالمية.

[3] أي غارت أن يكون ذهب إلى بعض نسائه.

قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم .[1]

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن.

قالوا: وإياك يا رسول الله؟

قال: وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ ، فلا يأمرني إلا بخير.[2]

- ومن خصائص النبي ﷺ الشرعية أنه يرى من خلفه في الصلاة وهو يؤمهم ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أتموا الركوع والسجود ، فوالله إني لأراكم مِن بعد ظهري إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم.[3]
- ومن خصائصه الشرعية اختصاصه بفرض قيام الليل عليه ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾[4] ، وقال أيضا في مطلع سورة المُزَّمِّل ﴿يا أيها المُزَّمِّل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زِد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾.[5]
- ومن خصائصه الشرعية أن ثواب صلاته في التطوع قاعدا كثوابها قائما ، كما قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه للنبي ﷺ : حُدِّثتُ يا رسول الله أنك قلت: صلاة الرجل قاعدا على نصف الصلاة[6] ، وأنت تصلي قاعدا.

قال ﷺ : أجل ولكني لست كأحدٍ منكم.[7]

---

[1] رواه مسلم (٢٨١٥).

[2] رواه مسلم (٢٨١٤).

[3] رواه البخاري (٧٤٢) ومسلم (٤٢٥) عن أنس رضي الله عنه.

[4] سورة الإسراء ، الآية ٧٩ .

[5] القول بوجوب قيام الليل على النبي ﷺ هو اختيار ابن جرير وجزم به ابن كثير ، انظر كلامهما في تفسير الآية الأولى ، وهو اختيار القرطبي ، انظر كلامه في تفسير الآية الثانية ، رحمهم الله.

[6] يعني على نصف الصلاة في الأجر لمن صلى قائما.

[7] رواه مسلم (٧٣٥) عن أنس رضي الله عنه ، وقال النووي رحمه الله في شرح الحديث: وأما قوله ﷺ (لست كأحد منكم) فهو عند أصحابنا من خصائص النبي ﷺ ، فجُعِلت نافلته قاعدا مع القدرة على القيام كنافلته قائما تشريفا له.

- ومن خصائصه الشرعية أن الله يُبلغه سلام من سلَّم عليه من أمته بعد وفاته ، يدل لذلك قول النبي ﷺ : إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام.[1]
- ومن خصائصه الشرعية جواز أن يفتي وهو في حالة الغضب لأنه مأمون عليه من الخطأ في الفُتيا لأن الفتيا وحي من الله ، بخلاف غيره من الناس ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكتُ عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فِيهِ ، فقال: اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق.[٢]
- ومن خصائص النبي ﷺ الشرعية تخصيصه بنصيب من الغنيمة ، قال الله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ **لِلَّهِ خُمُسَهُ** وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ، ومعنى الآية: واعلموا أيها المؤمنون أن ما ظَفِرتم به مِن عدوكم بالجهاد في سبيل الله فأربعة أخماسه للمقاتلين الذين حضروا المعركة ، والخمس الباقي يجزَّأُ خمسة أقسام: الأول لله **وللرسول** ، فيُجعل في مصالح المسلمين العامة ، والثاني لذوي قرابة رسول الله ﷺ ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب ، جُعِل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحلُّ لهم ، والثالث لليتامى ، والرابع للمساكين ، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة.
- ومن خصائص النبي ﷺ الشرعية تحريم نكاح زوجاته من بعده أبدا ، قال تعالى ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾[٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية مبينا علة هذا التحريم: لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين.

---

[1] رواه النسائي (١٢٨١) ، وأحمد (٤٥٢/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح النسائي» (١٢١٥).

[٢] رواه أحمد في «مسنده» (١٦٢/٢) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح.

[٣] سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

قلت: ومما قيل في تعليل ذلك: أنهن أمهات المؤمنين ، وأن في ذلك غضاضة يُنَزَّهُ عنها منصبه الشريف ﷺ .

- ومن خصائصه الشرعية أن الله خيَّره بين الموت والحياة عند موته ، وهو في هذا مشترك مع إخوانه الأنبياء ، والدليل على هذه الخصيصة حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما مِن نبي يَمرض إلا خُيِّر بين الدنيا والآخرة.[1]

والمقصود بالمرض أي مرض الموت.

وعنها رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يُخَيَّر بين الدنيا والآخرة ، فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بُحَّةٌ ، يقول: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾ الآية، فظننت أنه خُيِّر.[2]

- ومن خصائصه الشرعية أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولا يستحق أحد من البشر هذه الفضيلة إلا قسمها الأول، وهو مغفرة ما تقدم من ذنبه بسبب أعمال مخصوصة وهي كثيرة، مثل الحج المبرور، وأما ما ورد في بعض الأحاديث أن من فعل كذا وكذا فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فإنها أحاديث ضعيفة، لأن الجمع بين مغفرة ما تقدم وما تأخر من خصائص النبي ﷺ ، قال ذلك الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في كتابه «شرح رياض الصالحين»[3].

٦٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأول من يُفيق.[4]

٦٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه صاحب الشفاعة العظمى لبدء الحساب يوم القيامة ، وهو أمر خصَّه الله تعالى به وشرفه به ، إذ جعله الله شفيع الخلائق لبدء حسابهم كلهم ، مؤمنهم وكافرهم ، حيث أن الناس يطول بهم الموقف يوم القيامة ، فيذهبون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند الله لبدء الحساب ، ليرى

---

[1] رواه البخاري (٤٥٨٦).

[2] رواه البخاري (٤٤٣٥).

[3] انظر (٧٣/٢) الناشر: مدار الوطن – الرياض.

[4] انظر صحيح البخاري (٢٤١١ ، ٢٤١٢) ، ومسلم (٢٣٧٣).

كلٌّ سبيله ، إما إلى الجنة أو إلى النار ، فيعتذر عنها آدم عليه السلام ، ثم يذهبون إلى أولي العزم من الأنبياء ، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فيعتذروا عنها ، ثم يذهبون إلى خاتمهم محمد ﷺ فيقول: (أنا لها) ، فيسجد تحت العرش ما شاء الله أن يسجد ، ويفتح الله عليه من المحامد وحسن الثناء على الله ما لم يفتحه على أحد قبله ، ثم يقال له: (يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع) ، فيشفع لأهل الموقف عند الله في بدء الحساب ، فيقبل الله شفاعته ، فيبدأ الحساب وفصل القضاء.

وهذه الشفاعة هي المقام المحمود الوارد ذكره في قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾[1] ، وهو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخِرون يوم القيامة ، ويغبِطونه به ، إذ تكون له المنة على جميع الخلق ، وقد حث النبي ﷺ أمته على الدعاء له بأن يبعثه الله هذا المقام المحمود ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين يسمع النداء: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آتِ محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته) ؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة.[2]

ولعظم شأن هذه الشفاعة ؛ سماها أهل العلم بالشفاعة العظمى.[3]

ومما يدل أيضا على اختصاصه ﷺ بهذه الشفاعة حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ؛ نُصِرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعِلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيُّما رجل أدركته الصلاة فليُصل ، وأُحِلت لي الغنائم ولم تُحَل لأحد قبلي ، **وأُعطيت الشفاعة** ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.[4]

---

[1] سورة الإسراء: ٧٩ .

[2] رواه البخاري (٦١٤).

[3] انظر حديث الشفاعة في صحيح البخاري (٤٧١٢ ، ٧٤١٠ ، ٧٤٣٩ ، ٧٤٤٠ ، ٧٥١٠) ، وصحيح مسلم (١٩٣ ، ١٩٥).

[4] تقدم تخريجه.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: **وقد اتفق المسلمون** على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهاً عند الله ، ولا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه ، **ولا شفاعة أعظم من شفاعته.**[١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، **وأول شافع ، وأول مُشَفّع**[٢].[٣]

٦٧. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن له يوم القيامة ثلاث شفاعات خاصة غير العظمى ، وهما كالتالي ؛ **الأولى**: شفاعته لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر ممن استحقوا دخول النار ألاّ يدخلوها ، وهي التي عناها النبي ﷺ في قوله: لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة.[٤]

وفي رواية لمسلم: لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعَجَّل كلُّ نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، **فهي نائلة ، إن شاء الله** ، من مات من أمتي لم يشرك بالله شيئا.[٥]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.[٦]

الثانية شفاعته ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة ، فإن المؤمنين إذا أتوا الجنة وجدوا أبوابها مغلقة ، فعندئذ يطرق النبي ﷺ باب الجنة ، فيقول خازن الجنة[٧]: من أنت؟

فيقول: محمد.

فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك.[٨]

---

[١] «مجموع الفتاوى» (١/١٤٥).

[٢] مُشَفّع أي مقبولة شفاعته.

[٣] رواه مسلم (٢٢٧٨).

[٤] رواه البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري.

[٥] رقم (١٩٩).

[٦] رواه الترمذي (٢٤٣٥) ، وأبو داود (٤٧٣٩) ، وأحمد (٣/٢١٣) وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٥٩٨ – ٥٥٩٩) عن أنس رضي الله عنه.

[٧] الخازن هو الحافظ للشيء ، وقد اشتهر عند الناس تسميته بـ «رضوان» ، وهذا لا دليل صحيح عليه ، والصواب تسميته بخازن الجنة كما جاء في الحديث ، أفادني بها الشيخ محمد بن علي آدم الأثيوبي حفظه الله.

[٨] رواه مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **أنا أول الناس يشفع في الجنة** ، وأنا أكثر الأنبياء تبعا.[1]

وعنه أن النبي ﷺ قال: ... ، فآخذ بحلْقة باب الجنة فأُقَعْقِعُها[2] ، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد ، فيفتحون لي ويرحبون ، فيقولون: مرحبا.[3]

وفي هذا إظهار لشرفه وفضله ، لما كان صاحب الشفاعة العظمى ليريح الناس من كربات المحشر ، والشفاعة الثانية لنيل الفرح والسرور بدخول الجنة.

وثالثها شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب ، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك؟ فوالله كان يَحوطُك[4] ويغضب لك.

قال: هو في ضحضاحٍ[5] من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار.[6]

بل قد جاء النص صريحا في أن أبا طالب هو أهون أهل النار عذابا ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: أهون أهل النار عذابا أبو طالب ، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه.[7]

---

[1] رواه مسلم (١٩٦) واللفظ له ، وأحمد (١٤٠/٣) ، والدارمي في المقدمة ، باب ما أعطي النبي من الفضل.

[2] أي أُحرِّكها – أي الحلقة – لتصدر صوتا ، فيسمعه من في الداخل. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[3] رواه الترمذي (٣١٤٨) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[4] يحوطك أي يصونك ويذب عنك.

[5] الضحضاح في الأصل ما رق من الماء على وجه الأرض مما لم يبلغ الكعبين ، واستُعير هنا للنار. انظر «النهاية».

[6] رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) وأحمد (٢٠٦/١).

فإن قيل: كيف الجمع بين شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب وقد مات كافرا ، وقوله تعالى عن الكفار ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾؟

فالجواب أن شفاعته له ليست في إخراجه من النار كما هو الحال لعصاة المؤمنين ، وإنما لمجرد تخفيف العذاب فحسب ، وإلا فهو معذب عذابا سرمديا في ضحضاح من نار ، والنبي ﷺ شفع له لأنه كان يحوطه ويدافع عنه ، وفي هذا إظهار لفضل النبي ﷺ وإكرامه.

وانظر ما قاله الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٥).

[7] رواه مسلم (٢١٢).

وهذا النفع في تخفيف العذاب عنه حتى صار من أهون الناس عذابا في النار يعتبر دليلا على عِظم قدر الشفيع وهو النبي ﷺ ، فلولا شفاعته لكان حاله كحال غيره من الكفار ، فليس أحد من الكفار في منزلة أهون من النار إلا أبا طالب بنص الحديث.

فالحاصل أن هذه الشفاعات الأربع (العظمى والثلاث المتقدمة) هي الشفاعات التي ستحصل للنبي ﷺ يوم القيامة ، كلها خاصة به ﷺ ، وهناك شفاعة خامسة ، ولكنها مشتركة بينه وبين المؤمنين والملائكة ، وهي الشفاعة للمؤمنين الذي استحقوا دخول النار في الخروج منها.[1]

٦٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله جعل لواء الحمد بيده ﷺ يوم القيامة ، الذي ينضوي تحته جميع الأنبياء ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، **وبيدي لواء الحمد** ولا فخر ، وما من نبي يومئذ – آدم فمن سواه – إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.[2]

فهذه الخصيصة وما قبله من الخصائص تدل على علو مرتبته ﷺ وعلو منزلته في الآخرة.

٦٩. ومن دلائل عِظَم قدر النبي ﷺ أن له حوضا خاصا به يوم القيامة في أرض المحشر ، وهو غير نهر الكوثر الذي بالجنة ، وهو في هذا مشترك مع إخوانه الأنبياء ، فإن لكل نبي حوضا كما قال ﷺ : إن لكل نبي حوضا ، وإنهم يتباهون أيُّهم أكثر واردةً[3] ، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة.[4]

وحوض النبي ﷺ يَصُبُّ فيه مِيزابان[5] من نَهَر الكوثر الذي بالجنة ، وطول الحوض مسيرة شهر ، فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، ورائحته أطيب من المسك ، ومذاقه

---

[1] الحديث في صحيح البخاري (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[2] رواه الترمذي (٣١٤٨ ، ٣٦١٥) وابن ماجه (٤٣٠٨) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[3] الواردة هم القوم الذين يرِدون الماء ، مفردها: وارد.

[4] رواه الترمذي (٢٤٤٣) عن سمرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني كما في «الصحيحة» (١٥٨٩).

[5] الميزاب ويسمى أيضا بالمِرزاب ، وهو المجرى الذي يُعد ليسيل منه الماء من موضع عال ، كسطح البيت وميزاب الكعبة. انظر «تاج العروس».

أحلى من العسل ، من يشرب منه شربة فإنه لا يظمأ بعدها أبدا ، يصب فيه ميزابان من الجنة ، أحدهما من ذهب ، والآخر من فضة ، عرضه مثل طوله ، كما بين صنعاء والمدينة.[١]

قلت: وما أشد حاجة الناس للشرب منه في ذلك اليوم الشديد الحر ، الذي يقف فيه الناس طويلا ، فمن أراد أن يشرب من حوض النبي ﷺ يوم القيامة فليُكثر الشرب من شريعته في الدنيا.

٧٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أكثر الأنبياء تبعاً ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً.[٢]

وفي رواية: أنا أول شفيع في الجنة ، لم يُصدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت ، وإنَّ من الأنبياء نبيا ما يُصدِّقه من أمته إلا رجل واحد.[٣]

قال النووي رحمه الله في شرح حديث (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[٤]:

وَقَوْله ﷺ : (فَأَرْجُو أَنْ أَكُون أَكْثَرُهمْ تَابِعًا) عَلَم مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلام بِهَذَا فِي زَمَن قِلَّة الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ مَنَّ اللَّه تَعَالَى وَفَتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْبِلاد وَبَارَكَ فِيهِمْ ، حَتَّى انتهى الأَمْر وَاتَّسَعَ الْإِسْلام فِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَة الْمَعْرُوفَة ، وَلِلَّهِ الْحَمْد عَلَى هَذِهِ النِّعْمَة وَسَائِر نِعَمه الَّتِي لا تُحْصَى ، وَاَللَّه أَعْلَم. انتهى.[٥]

قال مقيده عفا الله عنه: وهذا أمر مشاهد ، فإن أتباع النبي ﷺ في ازدياد ، فلا يمر يوم إلا ودخل داخل في دين الإسلام ، والحمد لله على نعمة الهداية.

---

[١] انظر الأخبار الواردة في الحوض في «صحيح البخاري» ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، وكذلك «صحيح مسلم» ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

[٢] رواه مسلم (١٩٦).

[٣] رواه مسلم (١٩٦).

[٤] رواه مسلم (١٥٢).

[٥] وانظر ما قاله العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله (المتوفى عام ١٣٦٧ هـ) في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن» ، ص ٤٦٢ ، الناشر: دار الحديث – القاهرة.

٧١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أعظم الناس أجرا يوم القيامة ، لأن أتباعه في ازدياد ، ولأن له أجر عملهم إلى يوم القيامة ، وفي الحديث: من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن يُنقِص من أجورهم شيء.[١]

٧٢. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في حال حياته ، قال الله تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما * وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: ومنها[٢] أن الله تعالى أخبره بأنه غَفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم يُنقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك ، بل الظاهر أنه لم يُخبرهم ، لأن كل واحد منهم إذا طُلبت منهم الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصابها وقال: (نفسي نفسي) ، ولو عَلم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يَوْجل منها في ذلك المقام ، وإذا استشفعت الخلائق بالنبي ﷺ في ذلك المقام قال: أنا لها.[٣]

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيره.

٧٣. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الله يبعثه يوم القيامة وأمته على تل ، ويكسوه الله حُـلَّـةً خضراء ، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يبعث الناس يوم القيامة ، فأكون أنا وأمتي على تلٍّ ، ويكسوني ربي تبارك وتعالى حلة خضراء ، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذاك المقام المحمود.[٤]

---

[١] رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

[٢] أي ومن فضائله.

[٣] «بداية السول في تفضيل الرسول» ، ص ٣٥ ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

[٤] رواه أحمد (٤٥٦/٣) ، وقال محققو «المسند» (٦٠/٢٥): إسناده صحيح على شرط مسلم.

٧٤. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أول من يجوز[١] على الصراط ، وهذه الأمور مما خُصّ بها النبي ﷺ عن باقي الأنبياء السابقين ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل: فيُضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته.[٢]

٧٥. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أول من يدخل الجنة ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : آتـي باب الجنة يوم القيامة فأَستفتِح[٣] ، فيقول الخازن: من أنت؟

فأقول: محمد.

فيقول: بك أمرت ، لا أفتح لأحد قبلك.[٤]

٧٦. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه أول من يقرع باب الجنة ، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة.[٥]

٧٧. ومن دلائل عظم قدر النبي محمد ﷺ اختصاصه بنهـَر[٦] الكوثر الذي بالجنة ، ومعنى الكوثر: الخير الكثير ، وهو خاص به ، ولم يرد أن الله خص غيره من الأنبياء بأنهار بالجنة ، قال تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾. قال ابن حجر رحمه الله:

"فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يَصُب من مائه في حوضه ، فإنه لم يُنقل نظيره لغيره[٧] ، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة."[٨]

---

[١] أي يجتازه ويعبره.

[٢] رواه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣] أي أَطلب أن يُفتح لي.

[٤] رواه مسلم (١٩٧).

[٥] رواه مسلم (١٩٦) واللفظ له ، وأحمد (١٤٠/٣) ، والدارمي في المقدمة ، باب ما أعطي النبي من الفضل.

[٦] قال النووي رحمه الله في شرح حديث مسلم (١٨٣): أما النهر ففيه لغتان معروفتان ، فتح الهاء وإسكانها ، والفتح أجود ، وبه جاء القرآن العزيز.

[٧] أي لغير النبي ﷺ من الأنبياء.

[٨] قاله في «فتح الباري » ، كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، وقول الله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾.

٧٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ توقير بعض الحيوانات له ، ومن ذلك قصة الجمل الذي كان عند بعض الأنصار ، فاستصعب عليهم فمنَعهم ظهرهُ[١] ، فلما جاء النبي ﷺ نظر الجمل إليه ، فأقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله في العَمَل.[٢]

ومن ذلك أيضا أنه قُرِّب إلى رسول الله ﷺ يوم النحر خمسُ بَدَنات[٣] أو ستٌّ ينحرهن ، فأخذن يتقربن إليه ، كل واحدة ترجو أن يبدأ بها.[٤]

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل حائطا[٥] لرجل من الأنصار ، فإذا فيه ناضِح[٦] له ، فلما رأى النَّبيَّ ﷺ حنَّ وذرَفت عيناه[٧] ، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذِفراه[٨] وسَراتَهُ[٩] فسكن ، فقال: من ربُّ هذا الجمل[١٠]؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا.

فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ ، وزعم أنك تُجيعه وتُدئِبُهُ[١١].[١٢]

---

[١] أي منعهم الركوب على ظهره.

[٢] رواه أحمد (١٥٨/٣) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

وفي الباب عن عبد الله بن جعفر ، رواه أحمد (٢٠٤/١) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٣] بدَنات جمع بَـدَنة ، وهي الناقة التي بلغت خمس سنين.

[٤] رواه أحمد (٣٥٠/٤) ، وأبو داود (١٧٦٥) ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله كما في «الصحيح المسند من دلائل النبوة» ، ص ١١٨ ، وصححه محققو «المسند» والألباني رحمه الله.

[٥] الحائط هو البستان من النخيل إذا كان عليه جدار. انظر «النهاية».

[٦] النضح هو رش الماء ، والناضح هو الجمل الذي يُستقى عليه الماء. انظر «النهاية».

[٧] أي ذرفت دمعا.

[٨] ذِفرى البعير أصل أذنه. انظر «النهاية».

[٩] سراته **أي** سنامه. انظر «النهاية».

[١٠] ربُّ الجمل أي صاحبه.

[١١] تُدئبه أي تكده وتتعبه. انظر «النهاية».

[١٢] رواه أحمد (٢٠٥/١) ، وصححه محققو «المسند» (١٧٥٤).

ومن ذلك أيضا قصة الحُمَّرةِ – وهي طائر صغير كالعصفور – التي جاءت تشتكي إلى النبي ﷺ لما أخذ بعض الصحابة فَرخَيها ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمَّـرةً معها فَرْخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمَّرةُ[1] فجعلت تَـفْـرُش[2] ، فجاء النَّبي ﷺ فقال: من فَجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها.

ورأى قرية نمل قد حرقناها ، فقال: من حرَّق هذه؟ قلنا: نحن ، قال: إنَّه لا ينبغي أن يعذِّب بالنَّار إلَّا ربُّ النَّار.[3]

٧٩. ومن دلائل عظم قدره ﷺ تسليم بعض الجمادات عليه ، وتعظيمها ومحبتها له ، وانقيادها لأمره ، وتوقيرها له ، مع كونها مخلوقات جامدة ، لا تدب فيها الحياة ، كالحجر الذي بمكة ، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجرا بمكة كان يُسَلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن.[4]

ولما صعد النبي ﷺ جبل «أُحُـد» ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، رجف بهم ، فضربه برجله وقال: أُثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.[5]

كما جاء الخبر بمحبة جبل «أُحُـد» للنبي ﷺ ، فعن عباس عن أبيه رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «أحد» جبل يحبنا ونُحبه.[6]

---

[1] أي جاءت إلى النبي ﷺ وهذا هو الشاهد ، أنها جاءت إليه تشتكي.

[2] أي تفرش جناحيها وتقرُب من الأرض وترفرف. انظر «النهاية».

[3] رواه أبو داود (٢٦٧٥) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[4] رواه مسلم برقم (٢٢٧٧).

[5] رواه البخاري برقم (٣٦٧٥ ، ٣٤٧٢).

[6] رواه البخاري (١٤٨٢) ، وفي الباب عن أنس ، رواه مسلم (١٣٦٥) ، وعن أبي حميد ، رواه مسلم (١٣٩٢).

ومن ذلك قصة حنين جذع نخلة كانت في المسجد إليه ، فقد كان النبي ﷺ يخطُب يوما إلى جذع نخلة في المسجد ، فصنعوا له منبرا ، فلما كانت الجمعة قعد إليه النبي ﷺ ، فبكى الجذعُ حتى سمعوا له صوتا مثل صوت العِشار[1] ، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه وضمَّهُ فسكت.[2]

٨٠. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ انقياد بعض الأشجار له ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَتى النبي ﷺ رجل من بني عامر فقال: يا رسول الله ، أَرِني الخاتم الذي بين كتِفيك ، فإني من أطَبِّ الناس[3].

فقال له رسول الله ﷺ : ألا أُريك آية؟

قال: بلى.

قال: فنظر إلى نخلة فقال: أُدعُ ذلك العَذْق[4].

قال: فدعاه ، فجاء ينقُز حتى قام بين يديه.

فقال له رسول الله ﷺ : اِرجع. فرجع إلى مكانه ، فقال العامري: يا آل بني عامر ، ما رأيت كاليوم رجلا أسْحر.[5]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أين تريد؟

قال: إلى أهلي.

قال: هل لك إلى خير؟

قال: ما هو؟

قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله.

قال: هل من شاهد على ما تقول؟

---

[1] العِشار جمع عُشراء ، وهي الناقة التي فصل راعيها ولدها عنها بعد مضي عشرة أشهر.

[2] انظر صحيح البخاري (٩١٨ ، ٢٠٩٥).

[3] أي مِن أعرفهم بالطب ، يظن أن النبي ﷺ محتاج إلى علاج!

[4] العَذْق هو النخلة. انظر «النهاية».

[5] رواه أحمد (٢٣٣/١) وغيره ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣١٥) ومحققو «المسند» برقم (١٩٥٤).

قال: هذه السَّمُرة[1].

فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تَخُدُّ[2] الأرض خدًّا ، حتى كانت بين يديه فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت أنه كما قال[3] ، ثم رجعت إلى منبَتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن يتبعوني آتيك بهم ، وإلا رجعتُ إليكَ فكنت معك.[4]

ومن ذلك أيضا أنه دعا شجرتين ليستتر بهما ليقضي حاجته فانقادت الشجرتان له فلما قضى حاجته رجعتا ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ[5] ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ[6] مِنْ مَاءٍ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا ، فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ[7] الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لأَمَ بَيْنَهُمَا ، يَعْنِي جَمَعَهُمَا ، فَقَالَ: الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّه، فالتأمتا.[8]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وهو جالس حزينٌ قد خُضِبَ[9] بالدماء ، قد ضربه بعض أهل مكة ، فقال: مالَكَ؟

فقال: فعل بي هؤلاء وفعلوا.

---

[1] السَّمُرة نوع من أنواع الشجر.

[2] تـخُدُّ أي تشق ، ومن الأخدود وهو الشق في الأرض.

[3] أي شهِدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله.

[4] رواه ابن حبان (٦٥٠٥) وغيره ، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٤٧١).

[5] أفيح أي واسع. انظر «النهاية».

[6] الإداوة إناء صغير يحمل فيه الماء. انظر «المعجم الوسيط».

[7] البعير المخشوش أي الذي وضع في أنفه الخِشاش ، وهو عودٌ يُجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده. انظر «النهاية».

[8] رواه مسلم (٣٠١٢).

[9] خُضِبَ بالدماء أي ابتل بها. انظر «النهاية».

فقال له جبريل عليه السلام: أَتُحِبُّ أن أُريك آية؟

قال: نعم ، أرِني.

فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: أُدعُ تلك الشجرة. فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال: قل لها فلترجع ، فقال لها فرجعت حتى عادت إلى مكانها.

فقال رسول الله ﷺ : حسبي.[1]

وعن معن بن عبد الرحمٰن قال: سمعت أبي قال: سألتُ مسروقاً: من آذنَ[2] النبي ﷺ بالجنِّ ليلة استمعوا القرآن؟

فقال: حدثني أبوك — يعني ابن مسعود — أنه آذنت بهم شجرةٌ.[3]

٨١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ تعظيم مدينته ، وهي «المدينة» ، وتسمى «المدينة النبوية» ، والدليل على هذا التعظيم قوله عليه الصلاة والسلام: المدينة حَرَم من «عَير» إلى «ثَور».[4]

«عَيـر» و «ثَـور» جبلان بالمدينة ، يقعان في شمالها وجنوبها.

ومعنى كونها حَرَم أي يَحرُم فيها أمور ، قطع أشجارها ، وتنفير صيدها كالحمام ونحوه ، وقطع حشيشها ، والتقاط لُقطتِها وهو المال الساقط على الأرض لا يُعرف لِمن هو ، وارتكاب حَدَثٍ أي جنايةٍ ، بل مجرد حمل السلاح لارتكاب عدوان وجناية يعتبر حراما ، كل ذلك تعظيما للمدينة أن كانت هي بلد النبي ﷺ ، ولحفظ الطمأنينة فيها.

والدليل على تحريم فعل هذه الأمور حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : المدينة حَرَم من كذا إلى كذا[5] ، لا يُقطع شجرها ، ولا يُحدث فيها حدثٌ ، من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.[1]

---

[1] رواه أحمد (١١٣/٣) ، وقوى إسناده محققو «المسند» (١٢١١٢).

[2] آذنَ أي أخبر.

[3] رواه البخاري (٣٨٥٩).

[4] رواه البخاري (٦٧٠٥) ومسلم (١٣٧٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[5] أي من جبل عِير إلى جبل ثور.

وفي لفظ لمسلم: لا يُختلى خلاها.[٢] أي لا يُقطع حشيشها.

وفي لفظ لأحمد: لا يُختلى خلاها ، ولا يُنفَّرُ صيدها ، ولا تُلتقط لقطتها إلا لِمن أشار بها ، ولا تُقطع منها شجرة إلا أن يَعلِف رجل بعيره ، ولا يُحمل فيها السلاح لقتال.[٣]

- ويدخل في تعظيم المدينة تعظيم أماكن خاصة فيها ، أولها المسجد النبوي الذي بناه النبي ﷺ ، وقد جاء في فضله أن الصلاة فيه مضاعفة الثواب ، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.[٤]
- ويدخل في تعظيم المسجد النبوي تعظيم الروضة الشريفة التي بين بيته ومنبره الذي يخطب منه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي.[٥]
- وقد جاء التغليظ فيمن حلف عند منبره ﷺ كاذبا في قوله عليه الصلاة والسلام: لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ، ولو على سواك أخضر ، إلا تبوَّأ مقعده من النار ، أو: وجبت له النار.[٦]

وعلة التغليظ هي أن منبر النبي ﷺ هو منبر حقٍّ ، انتشر منه الحق والهدى إلى الأمة كلها ، فإذا استخدمه إنسان في غرض فاسد استحق هذه العقوبة الغليظة.

وهذا التغليظ داخل في التغليظ العام لمن ارتكب حدثا في حرم المدينة والذي ورد في قوله ﷺ : المدينة حَرَم من كذا إلى كذا ، لا يُقطع شجرها ، ولا يُحدَث فيها حدثٌ ، من أحدَث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.[٧]

---

[١] رواه البخاري (١٨٦٧) ومسلم (١٣٦٦) ، واللفظ للبخاري.

[٢] رقم (١٣٦٧).

[٣] (١/١١٩) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

[٤] رواه ابن ماجه (١٤٠٦) واللفظ له ، وأحمد (٣/٣٤٣) وصححه الألباني ومحققو «المسند».

[٥] رواه البخاري (١٨٨٨) ومسلم (١٣٩١).

[٦] رواه أبو داود (٣٢٤٦) عن جابر رضي الله عنهما ، ورواه ابن ماجه (٢٣٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٧] استفدت هذه الفائدة في علة التغليظ فيمن حلف عند المنبر النبوي كاذبا من الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله ونفع بعلومه.

ومنبر النبي ﷺ على تُرعة من تُرع الجنة ، فعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: منبري على تُرعة[1] من تُرع الجنة.

قلت له: ما الترعة يا أبا العباس؟ قال: الباب.[2]

- ويدخل في تعظيم المدينة تعظيم مسجد قباء ، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ كان يأتي مسجد قُباء كل سبت راكبا أو ماشيا ويصلي فيه ركعتين.[3]

وعن أُسيد بن ظهير الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الصلاة في مسجد قباء كعمرة.[4]

- وقد اختص الله المدينة النبوية بخصائص كثيرة منها أنه لا يدخلها الدجال في آخر الزمان ، ولا يدخلها الطاعون ، ومنها أنها الإيمان يأرِز إليها – أي يأوي إليها ويرجع – كما تأرِز الحية إلى جحرها ، واستحباب العيش فيها إلى الممات ، وبركة أرزاقها ، وجعْل تمرها شفاء ووقاية من السحر ، ومنع دخول الكفار إليها ، وغير ذلك من الخصائص العظيمة.[5]

٨٢. ومن دلائل عِظمِ قدره ﷺ أن ما بين بيته ومِنبره روضة من رياض الجنة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي.[6]

قال ابن حجر رحمه الله:

قَوْله: (رَوْضَة مِنْ رِيَاض الْجَنَّة) أَيْ كَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاض الْجَنَّة فِي نُزُول الرَّحْمَة وَحُصُول السَّعَادَة بِمَا يَحْصُل مِنْ مُلَازَمَة حِلَق الذِّكْر لَا سِيَّمَا فِي عَهْده ﷺ ، فَيَكُون تَشْبِيهًا بِغَيْرِ أَدَاة ، أَوْ الْمَعْنَى أَنَّ الْعِبَادَة فِيهَا تُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّة فَيَكُون مَجَازًا ، أَوْ هُوَ عَلَى ظَاهِره وَأَنَّ الْمُرَاد أَنَّهُ رَوْضَة حَقِيقَة بِأَنْ يَنْتَقِل ذَلِكَ الْمَوْضِع

---

[1] الترعة هي الروضة على المكان المرتفع. انظر «النهاية».

[2] رواه أحمد (٥/٣٣٥) ، والطبراني في «الكبير» (٦/١٤٢) ، والبيهقي (٥/٢٤٧) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[3] رواه البخاري (١١٩٣) ومسلم (١٣٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[4] رواه الترمذي (٣٢٤) وابن ماجه (١٤١١) وصححه الألباني.

[5] انظر للتوسع كتاب: فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها ، للشيخ عبد المحسن العباد ، الناشر: دار التوحيد – الرياض.

وكتاب: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة ، جمعاً ودراسة ، تأليف: صالح بن حامد الرفاعي ، الناشر: دار الخضيري – المدينة.

[6] تقدم تخريجه قريبا.

بِعَيْنِهِ فِي الْآخِرَة إِلَى الْجَنَّة ، هَذَا مُحَصَّل مَا أَوَّله الْعُلَمَاء فِي هَذَا الْحَدِيث ، وَهِيَ عَلَى تَرْتِيبهَا هَذَا فِي الْقُوَّة.

وَأَمَّا قَوْله (وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي) أَيْ يُنْقَل يَوْم الْقِيَامَة فَيُنْصَب عَلَى الْحَوْض ، وَيُؤَيِّدهُ حَدِيث أَبِي سَعِيد ، وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْكَبِير» مِنْ حَدِيث أَبِي وَاقِد اللَّيْثِيّ رَفَعَهُ: (إِنَّ قَوَائِم مِنْبَرِي رَوَاتِب[1] فِي الْجَنَّة)[2].

وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ قَصْد مِنْبَره وَالْحُضُور عِنْده لِمُلَازَمَةِ الْأَعْمَال الصَّالِحَة يُورِد صَاحِبه إِلَى الْحَوْض وَيَقْتَضِي شُرْبه مِنْهُ ، وَاللَّه أَعْلَم. انتهى باختصار.

٨٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الشيطان لا يتمثل به في المنام ، فمن رأى النبي ﷺ في المنام وكان الذي رآه كما جاء في صفته المذكورة في السنة ؛ فقد رأى شخصه ، فليس بأضغاث أحلام ، ولا تشبيهات الشيطان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي.[3]

قال القَاضِي عياض[4] رحمه الله في شرح الحديث: قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء:

---

[1] قال السندي في «شرح سنن النسائي» (٣٦/٢): الرواتب جمع راتبة مِن «رَتب» إذا انتصب قائما ، أي أن الأرض التي هو فيها من الجنة ، فصارت القوائم مقرها الجنة ، أو أنه (يعني المنبر) سينقل إلى الجنة. والله تعالى أعلم.

ورواه أحمد عن أم سلمة (٢٨٩/٦) ، والطبراني في الكبير (٢٥٤/٢٣) ، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير عمار الدهني فمن رجال مسلم.

[2] رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٣٢/٣) ، والنسائي (٦٩٥) ، والطبراني (٢٤٥/٣) ، وصححه الألباني.

ورواه أحمد عن أم سلمة (٢٨٩/٦) ، والطبراني في الكبير (٢٥٤/٢٣) ، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير عمار الدهني فمن رجال مسلم.

[3] رواه البخاري (١١٠) ومسلم (٢٢٦٦).

[4] هو الإمام العلامة الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي المالكي ، ولد سنة ٤٧٦ ، درس على ما يقارب من مائة شيخ ، واستبحر من العلوم ، وولي القضاء ، كان إماما في الحديث ، له كتاب «الإكمال في شرح صحيح مسلم» ، كمل به كتاب «المُعلَم» للمازَري ، وله كتاب «الإلماع في أصول الرواية والسماع» ، وله كتاب «جامع التاريخ» فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، وله كتاب «الشفا في شرف المصطفى» ، وله غيرها. توفي رحمه الله عام ٥٤٤ . انظر ترجمته في «السير» (٢١٢/٢٠).

خَصَّ اللَّه تَعَالَى النَّبِيّ ﷺ بِأَنَّ رُؤْيَة النَّاس إِيَّاهُ صَحِيحَة ، وَكُلّهَا صِدْق ، وَمَنَعَ الشَّيْطَان أَنْ يَتَصَوَّرَ فِي خِلْقَته لِئَلَّا يَكْذِبَ عَلَى لِسَانه فِي النَّوْم ، وَلَوْ وَقَعَ لَاشْتَبَهَ الْحَقّ بِالْبَاطِلِ ، وَلَمْ يُوثَقْ بِمَا جَاءَ بِهِ مَخَافَةً من هذا التصور ، فَحَمَاها[1] اللَّه تَعَالَى مِنْ الشَّيْطَان وَنَزْغِه وَوَسْوَسَته وَإِلْقَائِهِ وَكَيْده. انتهى باختصار.[2]

٨٤. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ ؛ عصمته من الوقوع في الشرك ، وعصمته من الخطأ في مجال التبليغ ، وعصمة نسبه من السفاح ، وعصمته من الوقوع في كبائر الذنوب ، وعصمته من رذائل الأخلاق.

٨٥. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن من سبه فإنه يكفر وعقوبته القتل ، بخلاف من دونهم من الناس ، وقد ورد في ذلك عدة أدلة منها قصة الأعمى الذي كانت له أمُّ ولدٍ[3]، وكانت تشتم النبي ﷺ ، فلما كان ذات ليلة جعلت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فأخذ مِغولا[4] فوضعه في بطنها فاتكأ عليه حتى ماتت ، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ دعا الأعمى فأخبره بأمرها ، فقال النبي ﷺ : ألا اشهدوا أن دمها هدر.[5]

وعن علي أن يهودية كانت تشتمُ النبيَّ ﷺ وتقع فيه ، فخنقها رجل حتى ماتت ، فأبطل رسول الله ﷺ دمها.[6]

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق ، فقلت: أقتله؟
فانتهرني وقال: ليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ .[7]

---

[1] أي رؤية النبي ﷺ في المنام.

[2] نقله النووي عنه في شرحه للحديث المتقدم.

[3] أمُّ ولدٍ أي أمة ، وطأها سيدها فولدت له ولدا.

[4] المِغول ، قال في «عون المعبود»: مِثْل سَيْف قَصِير يَشْتَمِل به الرَّجُل تَحْت ثِيَابه فَيُغَطِّيه ، وَقِيلَ حَدِيدَة دَقِيقَة لَهَا حَدّ مَاضٍ ، وَقِيلَ هُوَ سَوْط فِي جَوْفه سَيْف دَقِيق يَشُدّهُ الْفَاتِك عَلَى وَسَطه لِيَغْتَالَ به النَّاس.

[5] رواه أبو داود (٤٣٦١) والنسائي (٤٠٨١) عن ابن عباس رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله.

[6] رواه أبو داود (٤٣٦٢) ، وقال في «الإرواء» (٩١/٥): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[7] رواه النسائي (٤٠٨٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم «الصارم المسلول على شاتم الرسول» إجماع أهل العلم على قتل من وقع في سب النبي ﷺ ، سواء كان مسلما أو كافرا.

٨٦. ومن دلائل عِظم قدر نبينا ﷺ ، وهو في هذا مشترك مع إخوانه الأنبياء ؛ أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبي ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة رجـــل قتله نبي أو قتل نبيا ، وإمام ضلالة ، وممثل من الممثلين[١].[٢]

٨٧. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن الكذب عليه موجب للدخول في النار ، كما جاء ذلك في الحديث المتواتر الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.[٣]

٨٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الميت يُسأل عنه في قبره ، فإن الميت المؤمن إذا دُفِن في قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملكان فيسألانه: من ربك؟

فيقول: ربي الله.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: ديني الإسلام.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

فيقول: هو رسول الله ﷺ .

فيقولان له: وما عِلمُك؟

فيقول: قرأت كتاب الله ، فآمنت به وصدّقت.

---

[١] أي الذي يصنع التماثيل ، والعلة معروفة ، وهي أن صنع التماثيل يؤدي إلى عبادتها ، ولهذا تجد الذين يعبدون غير الله من النصارى والبوذيين والهنادكة ونحوهم ينصبون تماثيل أمامهم ويتقربون لها بأنواع العبادات من سجود ودعاء ونحو ذلك ، عياذا بالله.

[٢] رواه أحمد (٤٠٧/١) ، وقال محققو «المسند»: إسناده حسن.

[٣] رواه البخاري (١١٠) ومسلم (٣).

فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي ، فأفرِشوه من الجنة[1] ، وألبِسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة.

قال: فيأتيه من رَوْحِها[2] وطيبها ، ويُفسح له في قبره مدَّ بصره.

قال: ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسُرُّك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير.

فيقول: أنا عملك الصالح.

فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجِع إلى أهلي ومالي.

ثم قال في الكافر: ويأتيه ملكان فيُجلِسانه فيقولان له: من ربك؟

فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري.

فينادي منادٍ من السماء أن كذَبَ ، فأفرشوا له من النار ، وافتحوا له باب إلى النار ، فيأتيه من حرِّها وسَمومها ، ويُضيَّق عليه قبرُه حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، مُنتِنُ الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعد.

فيقول: من أنت ، فوجهُك الوجه يجيء بالشر؟

فيقول: أنا عملك الخبيث.

فيقول: ربِّ لا تُقِم الساعة.[3]

---

[1] أي اجعلوا له فراشا من الجنة.

[2] قال الملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح»: (من رَوحها) ؛ أي بعض رَوحها ، والروح بفتح الراء ؛ الراحة ونسيم الريح.

[3] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/٢٨٧) في حديث طويل ، وأبو داود (٤٧٥٣) ، وصحح إسناده محققو «المسند» وقالوا: رجاله رجال الصحيح ، وكذا صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (١٦٧٦) و «مشكاة المصابيح» (١٦٣٠).

٨٩. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله عصمه من أذى الناس ، فلم يستطيعوا أن يحولوا بينه وبين تبليغ رسالة ربه بالرغم من كثرة ما أصابه من أنواع البلاء منهم ، وبالرغم من المحاولات المتكررة لقتله أو إتلافه في الحروب وغيرها ، فقد عصمه الله منهم فلم يستطيعوا قتله ولا منعه من تبليغ الرسالة ، فأدى الرسالة وأدى الأمانة كما أراد الله وقدَّره له ، وصدق الله ﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته **والله يعصمك من الناس**﴾[١].[٢]

نذكر هنا على سبيل المثال ما رواه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر ، فقال له أبو بكر: لو تنحَّيت لا تؤذيك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : إنه سيُحال بيني وبينها ، فأقبلَت حتى وقفَت على أبي بكر فقالت : يا أبا بكر ، هجانا صاحبك.

فقال أبو بكر: لا ورب هذه البِنية[٣] ، ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به.

فقالت[٤]: إنك لَمُصدَّق ، فلما ولَّت قال أبو بكر رحمة الله عليه: ما رأتك؟

قال: لا ، ما زال مَلَكٌ يسترني حتى ولَّت.[٥]

ولما خرج رسول الله ﷺ ليلة الهجرة أرسل المشركون رجالا يراقبون بيته حتى إذا خرج قتلوه ، فأمر عليا فنام على فراشه ، ثم خرج ولم يروه وسلك طريقه المؤدي إلى المدينة حتى وصل إليها سالما.[٦]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن يهودية من أهل خيبر سمَّت شاة مصلِيَّةً[١] ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها ، وأكل رهطٌ من أصحابه معه ، ثم قال لهم

---

[١] سورة المائدة ، الآية ٦٧ .

[٢] يراجع للفائدة ما قاله ابن كثير في تفسير هذه الآية ، وكذلك ما ذكره ابن الجوزي في تفسيره الموسوم «زاد المسير في التفسير» ، وكذلك ما قاله الشيخ ابن باز رحمه الله فيها في «مجموع فتاواه» (٨/١٥٠).

[٣] لعله يقصد بالبنية بناء الكعبة.

[٤] في المطبوع (قال) ، وأظنه تصحيف ، لأن القائل امرأة.

[٥] رواه أبو بكر البزار في مسنده (١٥) ، وغيره ، وفي سنده عطاء بن السائب ، وهو ثقة اختلط.

[٦] انظر قصة الهجرة في كتب السيرة.

رسول الله ﷺ : (ارفعوا أيديكم) ، وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها: أسَمَمْتِ هذه الشاة؟

قالت اليهودية: من أخبرك؟

قال: أخبرتني هذه في يدي – للذراع.

قالت: نعم.

قال: فما أردتِ إلى ذلك؟

قالت: قلت إن كان نبيا فلن يضره ، وإن لم يكن استرحنا منه.

فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها ، وتُوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة.[٢]

والشاهد أن النبي ﷺ لم يمُت مباشرة من السُّم الذي حشته اليهودية في ذلك الذراع كما حصل لبعض أصحابه الذين أكلوا معه ، بل مدَّ الله في عمُره حتى بلَّغ رسالة ربه ، مع أن اليهودية أودعت في ذراع الشاة سُمًّا كثيرا ، لأنهم كانوا يعلمون أنه يحب الذراع ، فاحتجم على كاهِله[٣] من أجل السم الذي أكله ولم يضرَّه كما أضر غيره من الصحابة ممن أكل معه ، وكان يجد ألم السم في ظهره في عرق الأَبهر ، فكان كلما وجد ألما احتجم[٤] ، فلما مرت ثلاث سنوات وتم للنبي ﷺ تبليغ رسالة ربه وأنزل الله عليه في حجته في يوم عرفة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ، ثم أنزل الله عليه في أيام التشريق قوله تبارك وتعالى ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ ؛ فعند ذلك علِم النبي ﷺ بدنو أجله ، فلما كان وجعه الذي توفي منه

---

[١] مصلية أي مشوية.

[٢] رواه أبو داود (٤٥٠٩) ، وصححه الألباني ، ورواه أحمد (٣٠٥/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه محققو «المسند» ، وأصل القصة في البخاري (٥٧٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ، إذ لو كان يعلم الغيب لما أكل من الشاة وفيها سم ، فليت غلاة الصوفية يعقلون!

[٣] الكاهل هو مقدم أعلى الظهر ، قاله ابن الأثير في «النهاية» ، وسيأتي في كلام ابن القيم أنه أقربُ المواضع التي يمكن فيها الحجامة إلى القلب.

[٤] انظر «المسند» حديث رقم (٢٧٨٤).

قال لعائشة رضي الله عنها: يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجَدْتُ انقطاع أَبهري من ذلك السم.[1]

والأبهر: عرق مستبطن في الصُّلب ، والقلب متصل به ، فإذا انقطع لم تكن معه حياة. قاله ابن منظور في «لسان العرب».

قال ابن القيم رحمه الله:

ولما احتجم النبي ﷺ في الكاهل ، وهو أقربُ المواضع التي يمكن فيها الحجامة إلى القلب ، فخرجت المادةُ السُّمِيَّة مع الدم لا خُروجا كُليّا ، بل بَقِيَ أثرُها مع ضعفه ، لِما يُريد الله سبحانه من تكميلِ مراتبِ الفضل كُلِّها له ، فلما أراد الله إكرامَه بالشهادة ، ظهر تأثيرُ ذلك الأثر الكامِن من السُّم ليَقضيَ اللهُ أمرا كان مفعولا ، وظهر سِرُّ قوله تعالى لأعدائه من اليهود ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقا تَقْتُلُون﴾ ، فجاء بلفظ «كَذَّبتم» بالماضي الذي قد وقع منه وتحقق ، وجاء بلفظ: ﴿تَقتلُون﴾ بالمستقبل الذي يتوقَّعونه ويَنتظرونه. والله أعلم.[2]

قلت: ومحاولات قتل النبي ﷺ كثيرة في الحروب وغيرها ، وكلها بائت بالفشل بحمد الله ، لأن الله تكفل بحفظ دينه وإتمامه ، فلم يمت رسول الله ﷺ حتى بلَّغ رسالة ربه ، فلما بلغها اختاره الله لجواره ، وقد ألف الباحث عبد المنعم الهاشمي كتابا جمع فيه محاولات اغتيال النبي ﷺ ، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.[3]

ومن اللطيف ذكره أن إخبار الله نبيه بعصمته له في الآية المذكورة آنفا جاءت مقرونة بالأمر بتبليغ الرسالة ، فدل على أن العصمة مرتبطة بالتبليغ ، فإذا تم التبليغ ارتفعت العصمة ، وهذا هو الواقع ،

---

[1] رواه البخاري (٤٤٢٨) عن عائشة رضي الله عنها ، وأبو داود (٤٥١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر للفائدة كلام ابن القيم في «زاد المعاد» ، فصل في هديه ﷺ في علاج السم الذي أصابه بخيبر من اليهود ، (٤(١٢١).

[2] «زاد المعاد» (١٢٣/٤).

[3] الناشر: شركة مكتبة البخاري – الكويت.

والله له العزة والغلبة ، قال الله تعالى ﴿يا أيها الرسول **بلّغ ما أنزل إليك من ربك** وإن لم تفعل فما بلغت رسالته **والله يعصمك من الناس**﴾.

٩٠. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أعزَّ به الحق وأهله عِـزًّا لم يُـعِـزَّه بأحد قبله ، وأذل به الباطل وحزبه ذُلا لم يحصل بأحد قبله ، وهذا معلوم باستقراء سيرته وسيرة من قبله من الأنبياء. ومن ذلك أنه رأى في المنام أنه أوتي مفاتيح خزائن الأرض فوُضِعت في يده ، فوقع الأمر كما رأى ، لأن رؤيا الأنبياء حق، فأُمَّته وَرِثت كنوز كسرى وقيصر وغيرهما ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ... بينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض ، فوُضِعت في يدي.

قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثِـلونها.[1]

قال ابن حجر في «فتح الباري»: ومفاتيح خزائن الأرض المراد منها ما يفتح لأمته من بعده من الفتوح، وقيل المعادن.

وقول أبي هريرة (وأنتم تنـتـثِلونها) أي تستخرِجونها.[2]

٩١. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أنه رأى انتصار دينه واعتزاز أمته واندحار عدوه ودخول الناس في دين الإسلام أفواجا ، كل هذا حصل قبل وفاته ، فلم يمُت إلا وقد قرَّت عينه بهذا كله ، ثم جاء الخلفاء الراشدون من بعده ، وساروا على خُطاه ، فانتشر دين الله في الأرض ، وصارت الغلبة للإسلام والمسلمين قرونا متطاولة.

٩٢. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مستعدون للتضحية بأنفسهم وأموالهم عن أن تقال كلمة تمس مكانة النبي ﷺ أو مكانة زوجاته أو أصحابه أو أن يُنتقص من أقدراهم.

يدل لهذا أنه كلما تعرضت وسيلة إعلامية للنيل من قدر النبي محمد ﷺ أو قدر أحد من زوجاته ، قامت في المقابل احتجاجات في بلاد المسلمين على المستويين السياسي والشعبي ضد تلك الهجمات،

---

[1] رواه البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٥٢٣).

[2] انتهى باختصار.

سواء كانت تلك الهجمات على شكل مقالات أو رسومات كاريكاتيرية أو غيرها ، بل وتصدر من المجامع العلمية الإسلامية بحوث وكتب ، وتُقام مؤتمرات وندوات ومحاضرات ، في الدفاع عن النبي محمد ﷺ والتعريف به وبدينه.

ومن العجائب أنه كلما حصل هجوم على مكانة النبي ﷺ في وسائل الإعلام الغربية حصل في المقابل شغف عند عدد كبير من الناس عندهم للتعرف على شخصية النبي ﷺ ، وقد ترتب على هذا دخول عدد ليس بالقليل إلى دين الإسلام لما تبينت لهم الحقيقة ، فسبحان الله القدير ، كيف قلب كيد أعداء الإسلام عليهم ، ومكر بهم كما مكروا بنبيه ، حيث جعل هجومهم على نبيه الكريم سببا لدخول من حاولوا إغوائهم إلى دينه ، فسبحان من حارت بحكمته وتدبيره العقول.

٩٣. ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن الله أَغلق أبواب الجنة عمَّن أعرض عن دينه وسلك غير طريقه ولم يقتدِ به ، كما قال تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى.

قالوا: يا رسول الله ، ومن يأبى؟

قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى.[1]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

والذي نفسي بيده ، لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرَد على الله كشِراد[2] البعير.

قال: يا رسول الله ، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟

قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى.[3]

---

[1] رواه البخاري (٧٢٨٠).

[2] أي كما يشرد البعير إذا نفر وذهب عن صاحبه ، والمقصود بالشرود هنا الخروج عن طاعة الله.

[3] رواه ابن حبان (١٩٦/١ – ١٩٧) ، ورجاله رجال مسلم ، والحديث له شواهد تقويه كحديث أبي هريرة المتقدم ، وحديث أبي هريرة الذي رواه أحمد (٣٦١/٢) وغيره ، وسنده على شرط الشيخين كما قال الحافظ في «الفتح» ، شرح حديث (٧٢٨٠).

باختصار من حاشية الشيخ شعيب على الحديث أعلاه.

٩٤. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ كونه رحمة للعالمين ، كما جاء التعبير بذلك بدلالة الحصر في موضع من الكتاب ، وموضعين من السنة ، فأما الكتاب فقال الله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ، وأما السنة فقال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس ، **إنما أنا رحمة مهداة**.[١]

ولما قيل للنبي ﷺ : أُدع على المشركين ، قال: إني لم أبعث لعَّانا ، **وإنما بُعثت رحمة**.[٢]

فتأمل التعبير بأداة الحصر «إنما».

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً ، فقال: أنا محمد ، وأحمد ، والمُقَفِّي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، **ونبي الرحمة**.[٣]

قلت: وكونه ﷺ رحمة للعالمين يتضح من عشرة وجوه ، أفردتُها في ملحق مستقل في آخر هذا الكتاب.

٩٥. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن المهدي من ذريته، والمهدي "رجل صالح من ذرية محمد ﷺ ، يكون في آخر الزمان ، يُصلح الله به أمر الناس ، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، واسمه على اسم النبي ﷺ ، واسم أبيه على اسم أبي النبي ﷺ ، فهو محمد بن عبد الله المهدي ، أو أحمد بن عبد الله المهدي ، وينتهي نسبه إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وهو من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهم ، وعلامة ظهوره فساد الزمان ، وامتلاء الأرض بالظلم والعدوان ...

ويكون ظهوره قبل خروج الدجال وقبل نزول عيسى ابن مريم ﷺ ، يجمع المسلمين ويقودهم ، ويكون مقدمةً لنزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويدل لذلك حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ينزل عيسى ابن مريم ، فيقول أميرهم **المهدي**: تعالَ صلِّ بنا ، فيقول : لا ، إن بعضهم أمير بعض ، تكرمة الله لهذه الأمة.

---

[١] رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/١٥٧) ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٩٠).

[٢] رواه مسلم (٢٥٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣] رواه مسلم (٢٣٥٥).

أخرجه الحارث بن أبي أُسامة في «مسنده».

وقال ابن القيم في «المنار المنيف» (١٤٧/١): إسناده جيّد.

والحديث أصله في صحيح مسلم بدون تسميه الأمير ...

فيأتم عيسى عليه السلام بالمهدي مما يدل على أنه قَبْـل عيسى ، وعيسى يقتل الدجال ، مما يدل على أن الدجال يخرج في زمن المهدي ، ثم بعد مقتل الدجال يكون المسيح هو إمام الناس"[1].

٩٦. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن المسيح إذا نزل في آخر الزمان سيُصَلّي خلف المَهدي أمير المسلمين، وهذا من كرامة الله للنبي محمد ﷺ ، أن واحدا من ذريته سيصلي خلفه نبي عظيم وهو المسيح ابن مريم، بينما المهدي ليس بنبي والمسيح نبي.

٩٧. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن المسيح – وهو من أولي العزم من الرسل – سيعبد الله على شريعة محمد ﷺ – شريعة الإسلام –، وسيكون واليا على المسلمين كلهم ، مطبقا للشريعة الإسلامية ، وسيكون هذا إذا نزل المسيح في آخر الزمان ، فيقتل الدجال ومن معه من اليهود ، ويُهلِك الله قوم يأجوج ومأجوج بسبب دعائه عليهم ، ثم يكون واليا على المسلمين بعد المهدي ، وتكون مدة لبثه في الأرض أربعون سنة.

وهذا ليس بغريب، فقد بعث الله نبيه محمدا ﷺ للناس كافة، بما فيهم المسيح، فإذا نزل المسيح وجب عليه الدخول في الإسلام.[2]

---

[1] قاله الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله، نقلا من موقعه : (https://islamqa.info/ar/170174 ، وانظر سؤال رقم ٤٣٨٤٠ ، ١٧٠١٧٤).

[2] انظر قصة نزول المسيح وقتله للدجال في «صحيح مسلم» (٢٨٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا (١٥٦) عن جابر رضي الله عنهما، وكذا (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه.

وانظر «مسند أحمد» (٤٠٦/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد صححه محققوه (٩٢٧٠).

٩٨. ومن دلائل عظم قدره ﷺ ما اختص الله به أمته من خصائص ، ورؤوسها عشرون ، وقد أفردت تلك الخصائص في ملحق مستقل في آخر هذا الكتاب.

٩٩. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن سيرته محفوظة بتفاصيلها الدقيقة ، بخلاف غيره من الأنبياء أو العظماء ، وبهذا يكون النبي ﷺ كتابا مفتوحا لكل مُسترشدٍ وطالب للهداية الربانية إلى نهاية الدنيا، قال أبو الحسن علي الحسني الندَوي[1] رحمه الله في كتابه «النبي الخاتَم»:

«ولما كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القدوة الصالحة والأسوة الحسنة لطبقات الناس جميعاً، وللأجيال البشرية على اختلاف الزمان والمكان؛ اتجهت عناية الله إلى حفظ أخباره وآثاره وصفاته وأخلاقه وعاداته وتصرفاته، وصرف الله قلوب المسلمين إلى تتبع كل ما يصدر عنه من حركة وسكون، وأخذٍ ورد، وعادة وعبادة، وألهمهم الاعتناء به اعتناءً لا مزيد عليه، كأن سائقاً يسوقُهم إلى ذلك.

وقد تجلت هذه العناية الإلٰهية بكل وضوح في الحديث والسيرة وفي كتب الشمائل، وفيما أُثِر عن الوصّافين الحاذقين من أصحابه وأهل بيته في صفته التي لم تَحفظ كتب الآداب والتاريخ والأنساب صفة أكثر منها دقة، وأعظم منها استيعاباً للملامح البشرية والدقائق الخَلقية، ونظرة عابرة في شمائل الإمام أبي عيسى الترمذي (٢٠٩- ٢٧٩ هـ) – على سبيل المثال – تكفي للإيمان بأن هذا الاهتمام البليغ الخارق للعادة بتسجيل دقائق الخَلْق والخُلُق، والعادات والعبادات، والأقوال والأفعال، وكل ما يتصل بهذه الشخصية الكريمة اتصالا يتصوره الذهن الإنساني، وفي بسط وتفصيل، لا نظير لهما في سير الأنبياء ولا في تاريخ العظماء لم يكن مجرد مصادفة، ولا وليد الاتجاه الشخصي، والعمل الفردي.

وكذلك من تصفح كتاب «الأدب المفرد» للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤- ٢٥٦ هـ) الذي خَصه مؤلِّفه العظيم بما ورد في الآداب الإسلامية، ومكارم الأخلاق، وحسن العشرة والاجتماع، وحقوق الصحبة، وتهذيب النفس، وأدب الحياة، معتمداً في كل ذلك على ما صح عن

[1] أبو الحسن الندوي مفكر إسلامي وداعية هندي ولد عام ١٣٣٣ هـ وتوفي في رمضان ١٤٢٠ هـ.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ونُقِل عنه؛ عَلِم عِلْم اليقين أنها لم تكن فَلتة من فلتات الدهر، إنما هو تقدير العزيز العليم ليتحقق العمل في كل عصر وجيل بقوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[1]، وقوله ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[2]، ولئلا يكون لمتعلل بانقراض الآثار وانقطاع الأخبار عذر في ترك الائتساء والاقتداء، كما هو الشأن في قضية الأنبياء الذين لم يبق لبعضهم إلا الاسم أو أخبار مبتورة لا تكفي للاقتداء والاقتفاء.

أما الحديث النبوي فيصح أن يسمى «سجل الوقائع اليومية»، وشِبه مذكرات – إذا صح هذا التعبير– لمدة ثلاث وعشرين سنة قضاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما أكرمه الله بالنبوة على ظهر الأرض، تُرِينا كيف كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعيش في هذه الحياة، كيف كان يقضي نهاره وليله، ونعرف عنه من دقائق الأخلاق والعادات، والميول والرغبات، والقول والعمل، مالا نعرفه عن كثير من الشخصيات التي عاشت قريباً، بل عن الشخصيات المعاصِرة أحياناً، وهو مجموع صور ناطقة يتعرف بها الإنسان بنبيه، ويسعد بصحبته ، وكأنه حضر مجلسه، واستمع لحديثه، وعاش معه، وكان ذلك أبعثُ على الإقتداء، وأبعد عن مضار الوثنية، وعبادة التماثيل مما جرت عليه الأمم القديمة، من تصوير أنبيائها ونحت تماثيلهم.

وحسبُ القارئ أن يقرأ قصة حجة الوداع في كتب الحديث، فقد سجل الرواة فيها كل دقيقة من دقائق هذه الرحلة، وكل حادثة من حوادثها التي لا تسترعي الانتباه، وليست لها قيمة تاريخية كبيرة، ولا يُحتفل بأمثالها في رحلات العظماء والرؤساء والملوك والأمراء والعلماء والنُّبغاء.

وبفضل هذه الثروة الحديثية استطاع المؤلفون الحاذقون في مختلف العصور والبقاع أن يؤلفوا للمسلمين كتباً تكون دستوراً كاملاً لحياتهم، حتى إذا أراد المسلم – مهما كانت مهنته وطبقته– ألا يخطو خطوة ولا يبِت في أمر ولا يمارس نشاطه إلا في ضوء الهدى النبوي؛ أمكنه ذلك.

---

[1] سورة الأحزاب: ٢١ .

[2] سورة آل عمران: ٣١ .

والكتب التي ألفت في هذا الموضوع كثيرة، وفي أكثر لغات العالم الإسلامي، وهي بين بسيط ووسيط ووجيز، أحسنها «زاد المعاد في هدى خير العباد» للعلامة ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١ هـ) أنبغ تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وأحد أعلام الأمة.

ويتجلى هذا السر الإلهي في وضوح هذه السيرة وخلودها وكونها بمتناول المؤتسين والمقتدين إذا قارن الإنسان بين هذه السيرة وبين سير الأنبياء السابقين وحياتهم، فأكثرها توارت في ظلمات الجهل والإهمال، والحوادث التاريخية الدامية، وقد أدَّت رسالتها في فترة زمنية خاصة، ثم لم تبق حاجة إلى الاحتفاظ بها، وإلى أن تتوارثها الأجيال، ويكفينا أن نستعرض حياة سيدنا المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فكان آخر الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتنتسب إليه أمة عُرِف شغفها بالعلم والتأليف، وإفراطها في حب نبيها، وإطراؤها له إطراءً بلغ حد التأليه والتقديس، ولكنها لم تستطع أن تعرض على العالم إلا نُتَفاً من أخباره وأقواله التي لا تُكَوِّن هيكلاً من حياة بشرية كاملة، يقلده الإنسان في حياته الفردية، أو يسير في ضوئه مجتمع فاضل، وقد كان الاعتقاد السائد في العالم المسيحي قبل أيام أن «العهد الجديد» يتضمن أخبار السنوات الثلاث الأخيرة من سيرة المسيح وأخباره، فانتهى تحقيق الباحثين وأصحاب الاختصاص في الموضوع في الزمن الأخير إلى أنها لا تتجاوز أخبار خمسين يوماً من حياته لا أكثر ولا أقل.

أما الأنبياء الآخرون، وعظماء الملل والديانات السابقة، فيصح القول بأن أخبارهم وصور حياتهم مطمورة في ركام الماضي، وهنالِك حلقات رئيسية لا يكمُل بغيرها التاريخ، ولا يتسنى بدونها الاقتداء والتقليد، مفقودة لا يمكن البحث عنها والاهتداء إليها في هذا العصر المتأخر، وهذا عين ما تقتضيه الحكمة الإلهية ومنطق الأشياء، فالمُثُل الإنسانية لم تكن لها أعمار طبيعية وحيوية محدودة، فإذا انتهت لم تكن مصلحة في تناقلها، أما ما كانت الحاجة إليه قائمة دائمة فبَقَى على اختلاف الزمان والمكان، واستمر وانتشر، وأورق وأثمر.

ومن قرأ ما ورد من الآداب والأحكام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سورة الأحزاب، وفي سورة الحجرات، وفي سورة التحريم، وفي سورة المجادلة، وما ورد من تكريم الله تعالى له ونِعمه عليه في

سورة الفتح، وسورة الضحى، والانشراح؛ عَرَف بدلالة العقل وسلامة الذوق أنها نعوت نبي قد بعث للأجيال كلها، وللعصور كلها، وأن شمس رسالته لا تقبل الكسوف، وأن نجمه لا يقبل الأفول».

انتهى كلام أبي الحسن علي الحسني الندَوي رحمه الله في كتابه «النبي الخاتَم»[1].

والكلام في هذا يطول، ولِذا أفردته في ملحق مستقل.

١٠٠. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ كثرة ما أُلِّفَ في سيرته ، مما أثار انبهار بعض المستشرقين ، قال الشيخ سيد سليمان الندَوي[2] رحمه الله في كتابه «الرسالة المحمدية»[3]، ص ٨٧ ، مشيرا إلى الجهود التي بذلها العلماء على مر القرون في الكلام على سيرة النبي محمد ﷺ :

كُـتُـب السيرة النّبوية تعدُّ بالألوف

الذي ألفه الناس في سيرة النبي ﷺ من عهد الرسالة إلى يومنا هذا في مختلف الأوطان الإسلامية والأجنبية في معظم لغات العالم يعدّ بالألوف، واعتبِر ذلك بما صُـنِّـف باللغة الأوردية[4] الحديثة وحْدها في موضوع السيرة النبوية، مع أن الأوردية لم تَـصِـر لغة تأليف إلا منذ قرنين على الأكثر، وفي تقديري أَنّ ما صُـنِّف بها وحدها في السيرة النبوية يبلغ ألفا إن لم يزد عليه.

مرجليوث[5] أشدّ المستشرقين تحاملا على الإسلام، ومع هذا أنصف النبي محمدا ﷺ لما بيَّن أن مؤلفاتٍ كثيرة أُلِّفت فيه.

---

[1] ص ١٢ – ١٧ ، باختصار وتصرف يسير، الناشر: دار الكلمة – مصر.

[2] سيد سليمان الندوي رئيس علماء الهند، ورئيس المجمع الإسلامي العريق (دار المصنفين) لكهنؤ، توفي عام ١٣٧٣ هـ .

[3] عناية: سيد عبد الماجد الغوري، الناشر: دار ابن كثير – دمشق.

[4] الأوردية لغة الباكستان.

[5] ديڤيد صمويل ماركليوث، إنجليزي يهودي، (١٨٥٨ – ١٩٤٠م)، كان من كبار المستشرقين، متعصب ضد الإسلام، ولفترة قصيرة عمل قساً في كنيسة إنجلترا. هو أحد الذين كتبوا دائرة المعارف الإسلامية، متهم بالتهويل وعدم التوثيق فيما يخص التاريخ الإسلامي، ومع هذا فقد كتب في النبي محمد ﷺ ما هو مذكور أعلاه.

ودَع عنك المسلمين وما صنفوا في سيرة نبيّهم، فإنّهم يحبّونه حبّا عظيما، ويُقدمون ذلك بين يدي الله فَـرَطا وذُخرا لهم يوم القيامة، وتعال ننظر إلى من ألَّف في سيرته ممّن لا يؤمنون بنبوته، ولا يُوقنون برسالته، فإننا نجد في الهند نفسها على اختلاف مللها من «الهنادك»، و «السِّـيخ»، و «البرهمو سماج» كثيرا من علمائهم قد ألفوا في سيرة محمد، أما الأوربيون الذين لا يدينون بالإسلام، ولا يؤمنون بالرسالة المحمدية؛ فقد صَـنّف منهم في سيرة محمد حتى المُـبَـشِّرون من دعاة النصرانية والمستشرقون، عناية منهم بالتاريخ، وإرواء لظمئِهم العلمي، **ويُـعَـدُّ ما ألَّـفوه في ذلك بالمئات.**[1]

وكنت قرأتُ[2] في مجلة «المقتبَـس» التي كانت تصدر في دمشق قبل نحو أربعين سنة إحصاءً لما صُـنِّـف في السيرة النبوية بمختلف اللغات الأوربية، فبلغ نحو ثلاثمائة كتاب وألْف كتاب، ولو أضفنا إلى هذا العدد ما صدر من المطابع الأوربية في السيرة النبوية خلال الأربعين سنة بعد ذلك الإحصاء الذي نشرته مجلة «المقتبس» لَأربى[3] على ذلك كثيرا.

وإنّ مرجوليوث David Samuel Margoliouth الذي كان أستاذا للغة العربية في جامعة أوكسفورد أصدر في سنة ١٩٠٥م كتابه «محمد» وجعله حلقة في سلسلة «عظماء الأمم»، وهو لم يكتب كتابه هذا لِـيُـثني فيه على رسول الله محمد ﷺ ، بل لعلّه لم يؤلفَ كاتبٌ بالإنجليزية كتابا أشدّ تحاملا على النبي ﷺ مما جاء في هذا الكتاب، وقد حاول مرجليوث أن يشوّه كلّ ما يتعلق بالسيرة الشريفة، وأن يشكّك في أسانيدها، ولم يألُ جهدا في نقضِ ما أبرمَـه التاريخ، ومعارضة ما حقّقه المحقّقون من المُنصفين، **لكنه مع كل هذا لم يتمالك عن الاعتراف في مقدمة كتابه بأنّ**

عُـيِّـن أستاذ للغة العربية في جامعة أكسفورد، وله كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن مخلصاً فيها، مات سنة ١٩٤٠م، من مؤلفاته : «التطورات المبكرة في الإسلام»، و «محمد ومطلع الإسلام»، له ترجمة في كتاب «الأعلام» للزركلي، و «المستشرقون»، و «الاستشراق»، و «آراء المستشرقين حول القرآن». نقلا من wikipedia.org .

[1] هذا الاعتراف بكثرة ما أُلِّف في سيرة النبي ﷺ يدل على عِظَم قدره ﷺ .

[2] لا زال الكلام للشيخ سيد سليمان الندَوي رحمه الله.

[3] أربى أي زاد.

الذين كتبوا في سيرة محمد ﷺ لا ينتهي ذكر أسمائهم، وأنهم يرون أن من الشرف للكاتب أن ينال المجد بتبوّئه مجلسا بين الذين كتبوا في السيرة المحمدية.

انتهى كلام الشيخ سيد سليمان الندَوي رحمه الله من كتابه «الرسالة المحمدية».

١٠١. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ شهادات بعض المُستشرقين – من العلماء والمُفكرين غير المسلمين – على عِظَم قدره ، ومن ذلك ما قاله «مايكل هارت[١]» في مقدمة كتابه «المِئة الأوائل»، والذي اختار فيه النبي محمد ﷺ على رأس مئة عظيم ذَكَرَ أسماءهم في كتابه المشار إليه ، وهؤلاء المئة كان لهم عظيم التأثير في البشرية على مدى عصورها ، قال:

"إن اختياري محمداً ليكون على رأس قائمة أكثر الأشخاص تأثيراً قد يُدهِش بعض القراء وقد يثير التساؤل عند آخرين، ولكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي تحقق له النجاح الكامل – كل الكمال – على الصعيدين الديني والدنيوي.

لقد وضع محمد وأَسَّسَ أحد أعظم الأديان في العالم اعتمادا على وسائل جدَّ ضئيلة ، وأصبح قائداً سياسياً مؤثر للغاية. واليوم وبعد ثلاثة عشر قرناً بعد وفاته فلا يزال تأثيره قوياً ومنتشرا".

ثم قال:

"إذن كيف يمكننا أن نُقَيِّم أثر محمد الكُلّي على التاريخ البشري؟

إن الإسلام له نفوذ هائل على حياة أتباعه، كما هو الحال في جميع الأديان. ولهذا السبب فإن القارئ سيجد أسماء مؤسسي معظم الأديان في هذا الكتاب.

---

[١] مايكل هارت ، فيزيائي فلكي أمريكي ، ولد سنة ١٩٣٢ ، وهو صاحب كتاب «**الخالدون المئة**» ، والاسم الأصلي للكتاب بالإنجليزية:

The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History

وفيه ترتيب أكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ ، ضمت القائمة على رأسها اسم النبي محمد ﷺ ، وأسماء الأنبياء عيسى وموسى عليهما السلام ، كما ضمت أسماء مؤسسي الديانات الوضعية ومبتكري أبرز الاختراعات والاكتشافات التي غيرت مسار التاريخ، مثل مكتشف الكهرباء ومخترع الطائرة وآلة الطباعة ، وأيضا قادة الفكر وغيرهم. انظر ترجمته في Wikipedia .

وبما أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين في العالم فقد يبدو غريباً تصنيف محمد في مرتبة أعلى من يسوع المسيح. ولكن هنالك سببين رئيسيين لذلك القرار:

أولهما: أن محمداً ﷺ لعب دوراً أكثر أهمية في تطوير الإسلام من الدور الذي لعبه المسيح في تطوير المسيحية، مع أن المسيح كان مسئولا عن المبادئ الأخلاقية للديانة المسيحية (في النواحي التي تختلف بها هذه المبادئ عن الديانة اليهودية)، إلا أن **القديس بولس كان المطوَّر الرئيسي للاهوت المسيحي[1]، وكان الداعي الرئيسي للمعتقدات المسيحية، والمؤلف[2] لجزء كبير من العهد الجديد.**

أما محمداً فكان مسئولا عن العقيدة الإسلامية ومبادئها الرئيسية الأخلاقية[3]. بالإضافة إلى ذلك فقد لعب دوراً قيادياً في دعوة الناس للدين الجديد وتأسيس الشرائع الدينية في الإسلام ...

وبما أن القرآن له تأثير على المسلمين يشبه تأثير «الكتاب المقدس»[4] على المسيحيين، فإن نفوذ محمد من خلال القرآن كان هائلاً.

ومن المحتمل أن تأثير محمد على الإسلام أكبر بكثير من التأثير المزدوج للمسيح والقديس بولس على المسيحية؛ ولهذا فإنه من وجهة النظر الدينية الصِّرفة فيبدو أن محمداً كان له تأثير على البشرية عبر التاريخ كتأثير المسيح.

يضاف إلى ذلك فإن محمداً يختلف عن المسيح بأنه كان زعيماً دنيوياً كما أنه كان زعيما دينيا، وفي الحقيقة **فإنا إذا أخذنا بعين الاعتبار القوى الدافعة وراء الفتوحات الإسلامية، فإن محمداً يصبح أعظم قائد سياسي مؤثر عبر الزمن.**"

---

[1] من المعلوم أثر بولس التدميري لديانة المسيح، فقد غَيَّرَ دين المسيح إلى دين مختلف تماما، لا يشترك مع دين المسيح الأصلي إلا بالاسم فقط.

[2] انظر إلى اعترافه بأن بولس ألف كتبا وأدخلها في الإنجيل الذي عبر عنه بالعهد الجديد، فأي تحريف بشري أعظم من هذا؟ والغريب أن المسيحيين لا زالوا يعتبرون الإنجيل كلام الله!

[3] يقصد أنه لم يتدخل أحد في دين الإسلام، فلم يتعرض الإسلام لزيادة بشرية كما فعل بولس في دين المسيح، بل بقي الدين الإسلامي كما أنزله الله عليه إلى الآن غضا طريا.

[4] النصارى يقدسون الأناجيل التي بين أيديهم ويعتبرونها كلام الله، مع أنها منسوبة لبشر مثل يوحنا ولوقا ومرقص ومتى والخبيث بولس!

ثم قال في خاتمة مقاله:

"ومن هذا نرى أن الفتوحات الإسلامية التي تمت في القرن السابع استمرت لعبت دوراً هاماً في تاريخ البشرية حتى يومنا هذا، وأن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معاً هو الذي يجعلني **أُرشِّح محمداً ليكون أعظم شخصية مؤثرة في تاريخ البشرية**".

***

شهادة الشاعر الفرنسي «لامرتين» على عظمة محمد (صلى الله عليه وسلم)

قال «لامرتين»[1]:

((لو كانت **عظمة الهدف أو الغاية** ، وكانت **بساطة وضآلة تكاليف الوسيلة** ، بالإضافة إلى **تحقيق النتائج الباهرة بنجاحٍ وسلاسةٍ** هي المعايير الثلاثة للعبقرية البشرية ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيَّ رجل من عظماء التاريخ الحديث بنبي الإسلام محمد ﷺ ؟

وقال: لو كان مقياس العظمة هو إصلاح شعب متدهور ، فمن ذا يتطاول إلى مكان محمد ﷺ ؟

لقد سما بأمة متدهورة ، ورفعها إلى قمة المجد ، وجعلها مِشعلاً للمدنية ، ومورداً للعلم والعرفان.

ولو كان مقياس العظمة هو توحيد البشرية المفككة الأوصال ، فمن أجدر بهذه العظمة من محمد ﷺ ، الذي جمع شمل العرب ، وجعلهم أمة واحدة ، وإمبراطورية شاسعة؟

ولو كان مقياس العظمة هو إقامة حكم السماء في الأرض ، فمن ذا الذي ينافس محمدا ﷺ ، وقد محا مظاهر الوثنية ، لتصبح عبادة الخالق وحده[2].

ولو كان مقياس العظمة هو الأثر الذي يخلّده في النفوس على مرَّ الأجيال ، فها هو محمد ﷺ يتبعه مئات الملايين من الناس من مختلف البقاع مع تباين أوطانهم وألوانهم وطبقاتهم)).

---

[1] الفونس دي لامارتين ،كاتب وشاعر وسياسي فرنسي (١٧٩٠م – ١٨٦٩م). المرجع: wikepedia.org

[2] أي: لتصبح عبادة الله وحده هي المهيمنة والظاهرة على الأرض.

ويُـنهِي «لامرتين» مقالَهُ محدِّدًا صفات النبي ﷺ وإنجازاته قائلاً:

((حكيمٌ ، خطيبٌ ، رسولٌ من رسل الله ، مُـشرّعٌ ، محاربٌ ، منتصر الفكر ، مساند للعقائد المعقولة، هادم للأصنام بمختلف صورها ، **مؤسس عشرين إمبراطورية دنيوية أرضية ، وإمبراطورية روحية واحدة** ، ذلك هو محمد ﷺ .

وبكل المقاييس والمعايير التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر ، يجوز لنا أن نسأل سؤالاً له كلّ الوجاهة:

هل يوجد أي رجلٍ أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم؟!))[1]

***

شهادة فيلسوف إنجليزي نصراني على عظمة النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم[2]

مِن أشهر من كَـتب عن النبي ﷺ على وجه الإنصاف «توماس كارليل»[3] ، الفيلسوف الإنجليزي المشهور ، والحائز على جائزة نوبل ، فقد تكلم عن النبي محمد ﷺ في كتابه «الأبطال» كلامًا طويلاً ، خاطب به قومه من النصارى ، وقد أشار بوضوح إلى صدق النبي ﷺ في نبوته ، وإلى عظمة النبي ﷺ في جميع جوانب حياته وشخصيته ، فكان من قوله:

((لقد أصبح من أكبر العار على أي فردٍ متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يُقال من أن دين الإسلام كَـذِب ، وأن محمدًا خدَّاعٌ مزوّر.

---

[1] قاله لامرتين في كتابه «تاريخ الأتراك» ، باريس ، ١٨٥٤م ، نقلا عن «محمد صلى الله عليه وسلم أعظم عظماء العالم» ، أحمد ديدات ، ص ٦٧ – ٦٨ .

[2] انتقيت هذه الفائدة من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٣٢-٣٣ ، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض.

[3] **توماس كارليل** Thomas Carlyle، ١٧٩٥ – ١٨٨١م، كاتب اسكتلندي، له كتاب «الأبطال وعبادتهم»، اعترف بنبوة محمد ﷺ وعظمته. انظر ترجمته في wikepedia.org .

وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير لنحو مائتي مليون من الناس.[1]

أيظن أحدكم أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!

أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا ، فلو أن الكذب والغشَّ يَرُوجان عند خلق الله هذا الرواج ، ويصادفان منهم مثل هذا القبول ، فما الناس إلا بُلْـهٌ مجانين.

فواأسفاه ما أسوأ هذا الزعم ، وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة.

هل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذبا يستطيع أن يوجد ديناً وينشره علناً؟!

والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجصَّ والتراب وما شاكل ذلك فما الذي يبنيه ببيتٍ ، وإنما هو تلّ من الأنفاق ، وكثيب من أخلاط المواد ، **وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا ، يسكنه مائتا مليون من الأنفس**[2] ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم ، فكأنه لم يكن)).

ثم قال: ((وعلى ذلك فلسنا نـعُـدُّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعًا ، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته ، ويطمح إلى درجة ملكٍ أو سلطان ، أو إلى غير ذلك من الحقائر.

وما الرسالة التي أدَّاها إلا حقٌّ صراح ، وما كلمته إلا قولُ صادقٍ.

كلا ، ما محمد بالكاذب ، ولا الملفِّق ، وهذه حقيقة تدفع كلَّ باطل ، وتدحض حجةَ القوم الكافرين.

---

[1] قال كاتب المقالة الأستاذ خالد أبو صالح: أصبح عدد المسلمين اليوم نحو مليار وثلاثمئة مليون إنسان.

[2] هذا في وقت كتابة الكلام ، أما في وقتنا الحاضر فالعدد مختلف ، انظر الحاشية السابقة.

ثم لا ننسَ شيئًا آخر ، **وهو أنه لم يتلق دروسًا على أستاذٍ أبدًا ، ولم يقتبس محمد من نور أي إنسانٍ آخر ، ولم يغترف من مناهل غيره ، ولم يكن إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء ، أولئك الذي أُشبّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور))**[1].

وكم من كتابات كتبها كفار معاصرون في عظماء البشرية ، ويجعلون النبي محمدا ﷺ هو أول العظماء أو من العظماء[2] ، وأما من القديم فقد ذكر السهيلي رحمه الله في كتابه «الروض الأنف» عن هرقل – ملك الروم – قال:

وقد روي أن هرقل وضع كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب إليه في قَصَبةٍ من ذهب[3] تعظيما له ، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابرا عن كابر في أرفع صِوان[4] وأعز مكان ، حتى كان عند «إذفونش» الذي تغلب على طليطلة وما أخذ أخْذها من الأندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف بالسُّليطين ، حدثني بعض أصحابنا أنه حدثه من سأله رؤيته[5] من قواد أجناد المسلمين كان يُعرف بعبد الملك بن سعيد قال: فأخرجه إلي فاستعبرتُه[6] وأردت تقبيله وأخْذَه بيدي فمنعني من ذلك ، صيانة له وضنًّا[7] به علي. انتهى.[8]

---

[1] نقلا من كتاب «الطريق إلى الإسلام» ، لمحمد بن إبراهيم الحمد ، ص ٢٦ وما بعدها.

[2] انظر «الموسوعة العلمية البريطانية» ، وانظر كتاب «الخالدون مائة» والذي جعل فيه مؤلفه «مايكل هارت» محمدا أعظم الناس.
وانظر مقال «الانتصار لرسول الله محمد ﷺ أزكى البشرية» للشيخ خالد الشايع ، وهو منشور على شبكة المعلومات.

[3] أي ذهبةٍ مجوفة. انظر «النهاية».

[4] الصِّوان وعاء يصان فيه الشيء. انظر «لسان العرب».

[5] أي الكتاب.

[6] أي أخرجت العبرة وهي الدمعة ، لعله يرِقُّ لي.

[7] الضن هو البخل بالشيء لمكانته عند صاحبه. انظر «لسان العرب».

[8] (٣٦٥/٧) ، الناشر: مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، ط ١٤١٤ .

١٠٢. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ مواساة الله له، وتثبيته له، وذلك في عدة مواضع من القرآن العظيم، وقد أنزل الله في ذلك سورتين كاملتين تتناولان هذا الموضوع فحسب، وهما سورتي الضحى والشرح ، قال الله تعالى:

﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وقال الله تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

فخطاب التسلية في هاتين السورتين موجه إلى النبي ﷺ .

قال ابن القيم رحمه الله في تعليقه على سورة الضحى:

«نفى سبحانه أن يكون ودَّع نبيه أو قَلاه، فالتوديع الترك، والقِلَى البُغض، فما تركه منذ اعتنى به وأكرمه، ولا أبغضه منذ أحبه، وأطلق سبحانه أن الآخرة خيرٌ له من الأولى، وهذا يعم كل أحواله، وأن كل حالة يرقيه إليها هي خير له مما قبلها، كما أن الدار الآخرة خيرٌ له مما قبلها، ثم وعده بما تَـقرُّ به عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره، وهو أن يعطيه فيرضيه، وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى والنصر، وكثرة الأتباع، ورفع ذكرِه، وإعلاء كلمته، وما يعطيه بعد مماته، وما يعطيه في موقف القيامة، وما يعطيه في الجنة».

ثم قال رحمه الله:

«ثم ذكَّرَه سبحانه بنعمه عليه من إيوائه بعد يتمه، وهدايته بعد الضلالة، وإغنائه بعد الفقر، فكان محتاجا إلى من يؤويه ويهديه ويُغنيه، فآواه ربه وهداه وأغناه، فأمره سبحانه أن يقابل هذه النعم الثلاثة بما يليق بها من الشكر، فنهاه أن يقهر اليتيم وأن ينهر السائل وأن يكتم النعمة، بل يُحدِّث بها، فأوصاه سبحانه باليتامى والفقراء والمتعلمين.

قال مجاهد ومقاتل : لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما.

وقال الفرَّاء : لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه.

وكذلك كانت العرب تفعل في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم، فغلَّظ الخطاب في أمر اليتيم، وكذلك من لا ناصر له، يُغلظ في أمره، وهو نهي لجميع المكلفين».[1]

وقال ابن القيم رحمه الله في تعليقه على سورة الشرح:

«**شَرَحَ الله صدر رسوله أتم الشَّرح، ووضع عنه وِزرهُ كل الوضع، ورفع ذِكرهُ كل الرفع**، وجعل لأتباعه حظا من ذلك، إذ كل متبوع فلأتباعه حظ ونصيب من حظ متبوعهم في الخير والشر على حسب اتِّباعهم له، فأتْبعُ الناس لرسوله ﷺ أشرحهم صدرا وأوْضعهم وِزرا وأرفعهم ذِكرا، وكلما قوِيت متابعته علما وعملا وحالا وجهادا قوِيت هذه الثلاثة حتى يصير صاحبها أشرح الناس صدرا وأرفعهم في العالمين ذكرا.

وأما وَضعُ وِزره فكيف لا يوضع عنه، ومن في السماوات والأرض ودواب البر والبحر يستغفرون له».[2]

---

[1] «التبيان في أيمان القرآن»، ص ١١١ – ١١٤ ، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[2] ثم قال رحمه الله كلاما مفيدا أنقله هنا للفائدة:

«وهذه الأمور الثلاثة متلازمة، كما أضدادها متلازمة، فالأوزار والخطايا تقبض الصدر وتضيقه، وتُخمِل الذِّكر وتضعه، وكذلك ضيق الصدر يضع الذِّكر ويجلب الوزر، فما وقع أحد في الذنوب والأوزار إلا من ضيق صدره وعدم انشراحه، وكلما ازداد الصدر ضيقا كان أدعى إلى الذنوب والأوزار، لأن مرتكبَها إنما يقصد بها شرح صدره، ودفع ما هو فيه من الضيق والحرج، وإلا فلو اتَّسع بالتوحيد والإيمان ومحبة الله ومعرفته وانشرح بذلك لاستغنى عن شرحه بالأوزار، ولهذا أكثرُ من يواقع المحظور إنما يدفع به عن نفسه ما فيها من الهم والغم والضيق، وكثيرا ما تبرد شهوته وإرادته، ومع هذا يحرص على المعاودة تداويا منه بزعمه، كما أفصح عن هذا شيخ الفسوق أبو نُوَاس بقوله:

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها**

فإذا حمَل العبد الأوزار أوجب له ذلك ضيق الصدر وخمول الذِّكر، ثم خمول الذِّكر يوجب له ضيق الصدر، فلا يزال المعرض عن طاعة الله ورسوله مترددا بين هذه المنازل الثلاث، كما لا يزال المطيع لله ورسوله الذي باشر قلبُه روح التوحيد وتجريده ومحبة الله ورسوله وامتثال أمره دائرا بين تلك المنازل الثلاث.

وإذا ثَـقُـل الظهر بالأوزار مَـنَع القلب من السير إلى الله، والجوارح من النهوض في طاعته، وكيف يقطع مسافة السفر مثقلٌ بالحمل على ظهره؟ وكيف ينهض إلى الله قلبٌ قد ثقلته الأوزار؟

فلو وضعت عنه أوزاره لنهض وطار شوقا إلى ربه، ولانقلب عسره يسرا، فإن ضيق الصدر وحمل الوزر وخمول الذِّكر من أعظم العسر.

ثم قال رحمه الله في التعليق على قوله تعالى :﴿**فَإِذا فَرَغْتَ فانْصَبْ * وإلى رَبِّكَ فارْغَبْ**﴾:

- وقد واسى الله نبيه وثبته في غير هاتين السورتين (سورة الضحى والشرح)، وذلك في آيات متفرقات من القرآن، منها قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُون * فسبّح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾[1].

ومعنى الآية: ولقد نعلم بانقباض صدرك بسبب ما يقوله المشركون فيك وفي دعوتك، فافزع إلى ربك عند ضيق صدرك، وسَبّح بحمده شاكرًا له مثنيا عليه، وكن من المصلّين لله العابدين له، فإن ذلك يكفيك ما أهمَّك.

كما واساه الله في قوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[2].

وكذلك في قوله تعالى ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِين﴾[3].

ومعنى الآيتين: لعلك – أيها الرسول – من شدة حرصك على هدايتهم مُهْلِك نفسك، لأنهم لم يصدِّقوا بك ولم يعملوا بهديك، فلا تفعل ذلك.

وواساه كذلك في قوله تعالى ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل﴾، وتفسير الآية:

لعلك –أيها الرسول لعظم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تارك بعض ما يوحى إليك مما أنزله الله عليك وأمرك بتبليغه، وضائق به صدرك، خشية أن يطلبوا منك بعض المطالب على وجه التعنت، كأن يقولوا: لولا أُنزل عليه مال كثير، أو جاء معه ملك يصدقه في رسالته، فبلِّغهم ما أوحيتُه إليك، فإنه ليس عليك إلا الإنذار بما أُوحي إليك، والله على كل شيء حفيظ يدَبّر جميع شؤون خلقه.

فالحاصل مما تقدم أن مواساة الله لنبيه وتثبيته له من دلائل عِظَم قدره ﷺ .

فالنَّصْب: التفرغُ للعبادة والطاعة، والرغبة إلى الله وحده: تجريدُ توحيده، فمتى قام بهذين الأصلين حصل له من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذِّكر بحسب ما قام به، وبُدِّل عُسره يسرا».

«الكلام في مسألة السماع» (٢٧٧ – ٢٧٩)، تحقيق: محمد عزير شمس، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[1] سورة الحجر: ٩٧ .

[2] سورة الكهف: ٦ .

[3] سورة الشعراء: ٣ .

١٠٣. ومن دلائل عظم قدر النبي ﷺ أن الله بشره بالنصر التام على أعداءه، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وذلك في سورة الفتح في قوله تعالى ﴿لقد صدق الله رسولَه الرؤيا بالحق لتدخُلُنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾، وتفسير الآية:

لقد صدق الله رسوله محمدًا رؤياه التي أراها إياه بالحق أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا تخافون أهل الشرك، محلِّقين رؤوسكم ومقصِّرين، فعلم الله من الخير والمصلحة في صرفكم عن "مكة" عامكم ذلك ودخولكم إليها فيما بعد ما لم تعلموا أنتم، فجعل مِن دون دخولكم "مكة" الذي وعدتم به، فتحًا قريبًا، وهو هدنة "الحديبية" وفتح "خيبر."

ففي هذه الآية بشر الله نبيه محمدا ﷺ بنصر الله له، وفتحِه لمكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المُبشَّر به.

١٠٤. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن الله أخبره بأن أجله قد قَرُب ودنا، وذلك في سورة النصر في قوله تعالى﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي في تفسير هذه الآية:

فأمرُ الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه.

فكان ﷺ يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي.[1]

١٠٥. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن الله خصه بالخطاب في أربع سور من القرآن، ولم يوجه الخطاب فيهِنَّ لغيره، وهُنَّ الضحى والشرح والنصر والكوثر.

---

[1] رواه البخاري (٧٩٤) ومسلم (٤٨٤) عن عائشة رضي الله عنها.

١٠٦. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أن الله أقسم بأنه من المرسلين، كما في مطلع سورة «يٰس»، قال تعالى ﴿ يٰس * والقرآن الحكيم * إنك لَمِن المرسلين * على صراط مستقيم﴾. ففي هذه الآيات أقسم الله بأعظم كتاب على رسالة أعظم رسول وهو النبي محمد ﷺ .ومن دلائل عظم قدره ﷺ أن في الآيات التي أوتيها ما هو أظهر في الدلالة على نبوته من آيات غيره من الأنبياء ، فتفجير الماء من بين أصابعه[١] مثلا أبلغ في خرق العادة من تفجير الحجر لموسى عليه السلام ، لأن جنس الأحجار مما ينفجر منه الماء ، أما الأصابع فليست من جنس ما ينفجر منه الماء ، فصار انفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه السلام.

وعيسى عليه السلام أبرأ الأكمه – وهو الذي وُلد أعمى – مع بقاء عينه في مقرها ، أما رسول الله ﷺ فرد العين بعد أن سالت على الخد ، وهذا أعظم من آية عيسى من وجهين: الأولى التئامها بعد سيلانها على الخد ، والأخرى رد البصر إليها بعد فقده منها.

١٠٧. ومن دلائل عِظَم قدر النبي ﷺ أنه حصل له من الآيات والفضائل نظير ما حصل لجمعٍ من إخوانه الأنبياء وزيادة. وهذا أوان التفصيل.[٢]

آدم عليه السلام

---

[١] روى قصة تفجير الماء من بين أصابع النبي ﷺ البخاري (٣٥٧٦) عن جابر رضي الله عنهما ، ورواه النسائي (٧٧) والترمذي (٣٦٣٣) وأحمد (٤٦٠/١) والدارمي في المقدمة ، باب «ما أكرم الله النبي صلى الله عليه وسلم من تفجير الماء من بين أصابعه» ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

[٢] استفدت جملة كبيرة من هذه الفضائل من كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير رحمه الله ، كتاب: دلائل النبوة ، باب التنبيه على ذكر معجزات لرسول الله ﷺ مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله ، وأعلى منها ، خارجة عما اختص به من المعجزات العظيمة التي لم يكن لأحد قبله منهم عليهم السلام.

ولمزيد فائدة يراجع أيضا الفصل الثالث والثلاثون من كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني رحمه الله ، في ذكر موازنة الأنبياء في فضائلهم بفضائل نبينا ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي عليه السلام. وهذا الكتاب مطبوع بتحقيق د. محمد رواس قلعه جي ، د. عبد البر عباس ، الناشر: دار النفائس – بيروت.

أسجد الله لآدم عليه السلام ملائكته تحيةً له ، وهذا فيه ثناء وتشريف عظيم له عليه السلام ، وقد حصل هذا وانتهى في حينه.

أما محمد ﷺ فقد حصل له نظير ذلك وزيادة ، فإن الملائكة تُثني عليه على الدوام إلى يوم القيامة ، قال الله تعالى ﴿إن الله وملائكته يُصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليما﴾.

وصلاة الملائكة تعني الدعاء له بالثناء والرفعة ، وقد حصل هذا التشريف والرفعة كما هو معلوم مشاهد.

هود عليه السلام

من الآيات الدالة على نبوة هود عليه السلام أن الله أهلك قومه بالريح ، وقد حصل نظير ذلك للنبي محمد ﷺ وزيادة ، فإنه لما اجتمع الأحزاب عليه وحاصروا المدينة ، كسرهم الله عنه ونصره عليهم بالريح ، وبيان ذلك أن قوم هود – وهم عاد – قال تعالى عنهم ﴿وأما عاد فأُهلِكوا بريحٍ صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيامٍ حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية﴾.

ولما حاصر مشركو مكة النبي ﷺ وهو بالمدينة ، وناصرهم في هذا المنافقون واليهود ، وصاروا أحزابا ثلاثة ؛ أرسل الله عليهم ريحًا شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم ، ففكوا الحصار رغما عنهم ، عقوبة لهم ونصرة لنبيه ﷺ ، قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾.

وفي هذا قال ﷺ : نُصِرت بالصَّبا ، وأُهلِكت عاد بالدَّبور.[1]

والدَّبور ريح تهب من جهة المغرب ، وتقابلها الصَّبا ، والتي تهب من جهة المشرق.

صالح عليه السلام

[1] رواه البخاري (١٠٣٥) ومسلم (٩٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أخرج الله لصالح ناقة من صخرة ، فجعلها له آية دالة على نبوته وحُجة على قومه ، وقد حصل نظير هذا لنبينا محمد ﷺ بل أبلغ من ذلك ، فإن ناقة صالح لم تكلمه ولم تستكين له ، في حين أن نبينا ﷺ شهِدت له بعض الحيوانات ، وشكت له بعضها بعض ما تجد من أربابها ، ومن ذلك شهادة الذئب له بالنبوة ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَى بِالْحَرَّةِ إِذْ عَرَضَ ذِئْبٌ لِشَاةٍ مِنْ شَائِهِ ، فَجَاءَ الرَّاعِي يَسْعَى فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: أَلا تَتَّقِي اللَّهَ ، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقٍ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ؟ قَالَ الرَّاعِي: الْعَجَبُ لِلذِّئْبِ ، وَالذِّئْبُ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ ، يُكَلِّمُنِي بِكَلامِ الإِنْسِ. قَالَ الذِّئْبُ لِلرَّاعِي: أَلا أُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا؟ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ[1] ، يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، فَسَاقَ الرَّاعِي شَاءَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَزَوَاهَا[2] فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ الذِّئْبُ[3] ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ لِلرَّاعِي: "قُمْ فَأَخْبِرْ" ، فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا قَالَ الذِّئْبُ ، وَقَالَ ﷺ : "صَدَقَ الرَّاعِي ، أَلا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلامُ السِّبَاعِ الإِنسَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنسَ ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلُ نَعْلَهُ وَعَذَبَةَ سَوْطِهِ ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِحَدِيثِ أَهْلِهِ بَعْدَهُ".[4]

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل حائطا[5] لرجل من الأنصار ، فإذا فيه ناضِح[6] له ، فلما رأى النَّبيَّ ﷺ حنَّ وذرَفت عيناه[7] ، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذِفراه[8] وسَراتَهُ[9] فسكن ، فقال: من ربُّ هذا الجمل[1]؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا.

---

[1] الحرتين مثنى حرة ، والحَرَّة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة ، والمدينة لها حرتان شرقية وغربية. انظر «النهاية».

[2] زواها أي جمعها وضمها.

[3] زاد أحمد هنا أن النبي ﷺ أمر فنودي في المسجد: (الصلاة جامعة) ، ليجتمع الناس ويسمعوا قول الراعي.

[4] رواه أحمد (٣/٨٣-٨٤) وابن حبان (٦٤٩٤) واللفظ له ، وقال الشيخ شعيب في حاشيته عليه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[5] الحائط هو البستان من النخيل إذا كان عليه جدار. انظر «النهاية».

[6] النضح هو رش الماء ، والناضح هو الجمل الذي يُستقى عليه الماء. انظر «النهاية».

[7] أي ذرفت دمعا.

[8] ذِفرى البعير أصل أذنه. انظر «النهاية».

[9] سراته أي سنامه. انظر «النهاية».

فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ ، وزعم أنك تُجيعه وتُدئِبُهُ[٢].[٣]

وقد تقدم ذكر قصة الحُمَّرةِ التي جاءت تشتكي إلى النبي ﷺ لما أخذ بعض الصحابة فَرْخيها ، فقال النَّبي ﷺ فقال: من فَجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها.

داود عليه السلام

ومن فضائل داود عليه السلام أنه أوتي تسبيح الجبال ، فكان إذا سبَّح الله سبَّحت الجبال والطير معه، فاجتمع له تسبيح الجمادات والبهائم ، وقد وقع نظير ذلك للنبي محمد ﷺ ، فقد سبَّح الطعام في يده وهو يؤكل ، وسمعه الصحابة.

قال الله في حق داود عليه السلام ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال **سبحي** معه والطير﴾ ، وقال ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود إنه أواب * إنا سخرنا الجبال معه **يسبحن** بالعشي والإشراق * والطير محشورة كل له أواب﴾.

وقد حصل نظير ذلك وزيادة للنبي محمد ﷺ ، فقد سمع الصحابة تسبيح الطعام مرة وهو موضوع بين يدي النبي ﷺ يأكلون منه ، فعن جابر رضي الله عنه ، أن الماء قل ذات يوم عند المسلمين فقال النبي ﷺ : اطلبوا فضلة[4] من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله.

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا **نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل**.[5]

---

[١] ربُّ الجمل أي صاحبه.

[٢] تُدئبه أي تكده وتتعبه. انظر «النهاية».

[٣] تقدم تخريجه.

[4] أي بقية من ماء قليلة.

[5] رواه البخاري (٥٦٣٩).

سليمان عليه السلام

من فضائل النبي سليمان عليه السلام أن سخَّر الله له الجن ، يطيعونه طاعة ملَكِيةً ، طاعة العبيد لملوكهم ، وقد سخر الله لنبينا الجن نظير ذلك وزيادة ، فطاعة الجن لنبينا ﷺ طاعة نبوية.[1]

قال الله عن جِن سليمان ﴿وحُشِر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزَعون﴾[2] ، ومعنى يوزعون أي يُكَفُّ أولهم على آخرهم ، فلا يتقدم أحد عن منزلته ، فيَسيرون منتظمين.[3]

وقال الله عنهم أيضا ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾[4]. أي: فمن يعدل منهم عن طاعة النبي سليمان فستكون عقوبته النار المستعرة.

فطاعة الجن لسليمان هي طاعة العبيد لملوكهم ، طاعة قسرية ، وليست اختيارية ، وقد حصل نظير ذلك وزيادة للنبي محمد ﷺ ، فطاعة الجن لمحمد طاعة نبوية اختيارية ، قال الله عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن ﴿يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾.[5]

وقال تعالى عنهم في سورة الجن ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ ... الآيات.

كذلك فإن الله سبحانه وتعالى سخَّر الجن بين يديه ، تعمل له ما يشاء من محاريب (أي مساجد) وتماثيل (أي صور من نحاس وزجاج) وجِفانٍ كالجواب (أي قِصاع كالأحواض يجتمع فيها الماء) وقدور راسيات (أي ثابتة لا تتحرك من مكانها).

---

[1] انظر كتاب «النبوات» ، ص ٨٤١ .

[2] سورة النمل: ١٧ .

[3] انظر تفسير الآية عند ابن كثير رحمه الله.

[4] سورة سبأ: ١١ .

[5] سورة الأحقاف: ٣٠ – ٣١ .

أما النبي محمد ﷺ فقد سخَّر الله له الملائكة في بعض غزواته ، في بدر وأحد وحنين والأحزاب ، تنصره وتثبته ، وهذا أجل وأعظم من تسخير الجن لأن عمل الملائكة هو نصرة النبي ومن معه من الصحابة المؤمنين والقتال معه ، بينما عمل الجن هو ما تقدم من صنع المحاريب والتماثيل والجِفان والقدور.

كذلك فإن مردة الشياطين تُصفَّد في رمضان ببركة الشريعة التي جاء بها النبي محمد ﷺ ، وهذا نظير ما حصل لسليمان من إذلال الشياطين بين يديه ، كما جاء في الحديث: إذا دخل شهر رمضان فُتِّحت أبواب الجنة ، وغُلِّقت أبواب النار ، وصُفِّدت الشياطين.[1]

كذلك فقد جمع الله لسليمان عليه السلام النبوة والمُلك كما كان أبوه من قبله ، داود عليه السلام، وأما محمد ﷺ فقد خيَّره الله بين المُلك والنبوة وبين أن يكون عبدا رسولا فاختار الأخرى ، وهذا يتضمن مزيد رفعة وقدر للنبي ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا ملَكٌ ينزِل ، فقال له جبريل: إن هذا الملَك ما نزل منذ يوم خُلِق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد ، أرسلَني إليك ربك ، أفملِكًا نبيا يجعلُك أو عبدا رسولا؟
قال جبريل: تواضعْ لربك يا محمد.
فقال رسول الله ﷺ : بل عبدا رسولا.[2]

قلت: وقد تقدم بيان أن العبد الرسول أفضل من الملِك النبي من وجهين:

الأول: أن الرسول يكون مبعوثا إلى قوم كافرين ، وأما النبي فيكون مبعوثا إلى قوم مـؤمنين ، فمهمة الرسول أصعب فلهذا كان أفضل ، وقد تقدم معنا بيان الفرق بين النبي والرسول في هامش الدليل الثاني.

---

[1] رواه البخاري (١٨٩٩) ، ومسلم (١٠٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
[2] تقدم تخريجه.

الوجه الثاني: أنَّ من كان عبدا فإنه لا يتصرف فيما تحت مُلكه إلا بإذن الله ، قال ﷺ : إنما أنا قاسم ، والله يعطي.[1]

وأما من كان ملِكا فإنه يتصرف كما يشاء من غير إثم عليه.

فحال الأول أكمل من حال الثاني فيما يتعلق بالعبودية لله تعالى.[2]

ومن الآيات الدالة على نبوة سليمان عليه السلام فهم منطق البهائم والطير ، كالنمل والهدهد ، كما هو معلوم ومذكور في سورة النمل ، كما قال الله تعالى عنه ﴿وورِث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾، وقال الهدهد مخاطبا سليمان ﴿أحطتُ بما لم تحط به وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾ ، ولما قالت النملة ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطِمنَّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعـرون﴾ ، تبسم سليمان من قولها ، فالحاصل أن الله قد آتى سليمان فهم منطق الطير والبهائم.

وقد حصل ذلك نظير هذا للنبي محمد ﷺ ، كما في قصة الجمل المتقدمة قريبا ، والذي رأى النَّبيَّ ﷺ، فحنَّ وذرفت عيناه ، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذِفراه[3] وسَراتَهُ[4] فسكن ، فقال: من ربُّ هذا الجمل[5]؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا.

فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ ، وزعم أنك تُجيعه وتُدئِـبُـهُ[6].[7]

---

[1] رواه البخاري (٧١).

[2] انظر ما قاله ابن تيمية رحمه الله في «النبوات» (١٦٣ ، ٨٤١) ، تحقيق د. عبد العزيز الطويان ، الناشر: دار أضواء السلف – الرياض ، وانظر أيضا «مجموع الفتاوى» (١١/١٨٠-١٨٢) ، (١٣/٨٩).

[3] ذِفرى البعير أصل أذنه. انظر «النهاية».

[4] سراته **أي** سنامه. انظر «النهاية».

[5] ربُّ الجمل أي صاحبه.

[6] تُدئبه أي تكده وتتعبه. انظر «النهاية».

[7] تقدم تخريجه.

بل قد أوتي نبينا محمد ﷺ مزيدا على فهم خطاب البهائم ، فقد أوتي خطاب الحجر له وفهمها لخطابه ، وهذا قدر زائد على ما آتاه الله سليمان عليه السلام ، لأن البهائم لها صوت بخلاف الجمادات ، ومن ذلك قوله ﷺ : إني لأعرف حجرا بمكة كان يُسَلم علي قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن.[1]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صَعَدَ إلى أُحُدٍ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: أُثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.[2]

ومن الجمادات التي كلمت النبي ﷺ ذراع الشاة المسمومة التي أكل منها النبي ﷺ ولم يعلم بها أنها مسمومة ، فأخبرته بأنها مسمومة ، وقد تقدمت القصة بطولها قريبا.

بل قد سخر الله الشجر لنبينا ﷺ ، ففهموا خطابه ، وهذا شيء لم يؤتَـهُ سليمان عليه السلام ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَتى النبي ﷺ رجل من بني عامر فقال: يا رسول الله ، أَرِني الخاتم الذي بين كتِفيك ، فإني من أطَبِّ الناس[3].

فقال له رسول الله ﷺ : ألا أُريك آية؟

قال: بلى.

قال: فنظر إلى نخلة فقال: أُدعُ ذلك العَذْق[4].

قال: فدعاه ، فجاء ينقُـزُ حتى قام بين يديه.

فقال له رسول الله ﷺ : اِرجع. فرجع إلى مكانه ، فقال العامري: يا آل بني عامر ، ما رأيت كاليوم رجلا أسْحر.[5]

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] تقدم تخريجه.

[3] أي أعرفهم بالطب ، يظن أن النبي ﷺ يحتاج إلى علاج!

[4] العَذْق هو النخلة. انظر «النهاية».

[5] تقدم تخريجه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أين تريد؟

قال: إلى أهلي.

قال: هل لك إلى خير؟

قال: ما هو؟

قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله.

قال: هل من شاهد على ما تقول؟

قال: هذه السَّمُرة[1].

فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تَخُدُّ[2] الأرض خدا ، حتى كانت بين يديه فاستشهدها ثلاثا ، فشهدت أنه كما قال[3] ، ثم رجعت إلى منبَتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن يتبعوني آتيك بهم ، وإلا رجعت إليك فكنت معك.[4]

ومن ذلك أيضا أنه دعا شجرتين ليستتر بهما ليقضي حاجته فانقادت الشجرتان له فلما قضى حاجته رجعتا ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ[5] ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ[6] مِنْ مَاءٍ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا ، فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ[7] الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ

---

[1] السَّمُرة نوع من أنواع الشجر.

[2] تـخُدُّ أي تشق ، ومن الأخدود وهو الشق في الأرض.

[3] أي شهِدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله.

[4] تقدم تخريجه.

[5] أفيح أي واسع. انظر «النهاية».

[6] الإداوة إناء صغير يحمل فيه الماء. انظر «المعجم الوسيط».

[7] البعير المخشوش أي الذي وضع في أنفه الخِشاش ، وهو عودٌ يُجعل في أنف البعير يشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده. انظر «النهاية».

حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لأَمَ بَيْنَهُمَا ، يَعْنِي جَمَعَهُمَا ، فَقَالَ: الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ، فالتأمتا.[1]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وهو جالس حزينٌ قد خُضِبَ[2] بالدماء ، قد ضربه بعض أهل مكة ، فقال: ما لَكَ؟

فقال: فعل بي هؤلاء وفعلوا.

فقال له جبريل عليه السلام: أَتُحِبُّ أن أُريك آية؟

قال: نعم ، أرِني.

فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: أُدعُ تلك الشجرة. فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال: قل لها فلترجع ، فقال لها فرجعت حتى عادت إلى مكانها.

فقال رسول الله ﷺ : حسبي.[3]

وعن معن بن عبد الرحمٰن قال: سمعت أبي قال: سألتُ مسروقاً: من آذنَ[4] النبي ﷺ بالجنِّ ليلة استمعوا القرآن؟

فقال: حدثني أبوك – يعني ابن مسعود – أنه آذنت بهم شجرةٌ.[5]

فالحاصل أن الله سبحانه وتعالى قد آتى محمدا ﷺ من الفضائل والدلائل على نبوته نظير ما آتى سليمان عليه السلام وزيادة.

موسى عليه السلام

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] خُضِبَ بالدماء أي ابتل بها. انظر «النهاية».

[3] تقدم تخريجه.

[4] آذنَ أي أخبر.

[5] تقدم تخريجه.

ومن فضائل موسى عليه السلام أنه كان يسارع في طاعة الله يريد رضا ربه ، ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ ، وأما النبي محمد ﷺ فقد وعده الله بأن يرضيه ، وهذا قدر زائد عن طلب الرضى من الله ، قال الله عنه ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ ، وقال ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾.

كذلك فقد أوتي موسى عليه السلام من الآيات الدالة على نبوته نبع الماء من الحجر إذا ضربه بعصاه، ﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم﴾.

وقد حصل نظير ذلك للنبي ﷺ وزيادة ، فقد أنبع الله الماء من بين يديه ، ومن المعلوم أن نبع الماء من الحجر أمر معروف ، أما نبع الماء من بين اللحم والدم فغير معروف وغير معتاد.

فعن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه ، أن الماء قلَّ ذات يوم عند المسلمين فقال النبي ﷺ : اطلبوا فضلة[1] من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله.

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ .

وفي لفظ: فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه ، فعلمت أنه بركة.

قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟

قال: ألفا وأربع مائة.[2]

وقصص تكثير الماء بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، وهي مذكورة في «صحيح البخاري» ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، وكذا في «صحيح مسلم» ، في كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ ، وغيرها من كتب الحديث والدلائل.

---

[1] أي بقية من ماء قليلة.

[2] رواه البخاري (٥٦٣٩).

كذلك ، (فإن فلق البحر لموسى عليه السلام حين أمره الله أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم يعتبر معجزة عظيمة باهرة ، وحجة قاطعة قاهرة.

وفي إشارته ﷺ بيده الكريمة إلى قمر السماء فانشق فِلقتين وَفقَ ما سأله قريش وهم معه جلوس ليلة البدر لهو أعظم آية وأوضح حجة وأبهر برهان على نبوته وجاهه عند الله تعالى ، ولم ينقل معجزة عن نبي من الأنبياء من الآيات الحسيات أعظم من هذا. وهذا أعظم من حبس الشمس قليلا ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت).[1]

قال القاضي عياض رحمه الله: آية انشقاق القمر من أمهات آيات نبينا ﷺ ومعجزاته.[2]

ومن الآيات التي أيَّد الله بها نبيه موسى عليه السلام ما أنزله الله على بني إسرائيل لما تاهوا في صحراء سيناء من المَنِّ والسلوى ، نعمة من الله عليهم ، وقد حصل نظير هذا للنبي ﷺ مع أصحابه ، فعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سُلَيم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء؟

قالت: نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها فلَفّت الخبز ببعضه ، ثم دسّته تحت يدي ولاثتني[3] ببعضه ، ثم أرسلَتني[4] إلى رسول الله ﷺ ، قال: فذهبت به ، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : آرسلك أبو طلحة؟

فقلت: نعم.

---

[1] بتصرف من «البداية والنهاية» (٦/٤١٠) ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أوتي موسى عليه السلام.

[2] «إكمال المعلم» (٨/٣٣٣) ، تحقيق يحيى إسماعيل ، ط دار الوفاء (مصر) ، ودار الندوة العالمية (الرياض).

تنبيه: قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث رقم (٣٨٧٠):

وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين ، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط ، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة ، وقد قال العماد بن كثير: في الرواية التي فيها مرتين نظر ، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات. انتهى.

[3] لاثَ أي لفَّ ، والمقصود أنها لفت بعض الخمار على الخبز وبعضه على إبطه. انظر شرح الحديث في «فتح الباري».

[4] المتكلم هو أنس رضي الله عنه.

قال: بطعام؟

فقلت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا.

فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة: يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : هلمي يا أم سليم ما عندك.

فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ، فَفُتَّ ، وعصرت أم سليم عُكَّةً فأدَمَتْهُ[1] ، **ثم قال رسول الله فيه ما شاء الله أن يقول**[2] ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال: ائذن لعشرة ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا.[3]

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة[4] فيها ثريد ، فتعاقبوها إلى الظهر من غدوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون.

قال له رجل: هل كانت تُمدُّ[5]؟

قال: فمن أي شيء تَعجَبُ؟ ما كانت تُمدُّ إلا من هٰهنا ، وأشار إلى السماء.[1]

---

[1] العُكَّة وعاء من جلد مستدير ، يختص لحفظ السمن أو العسل ، وهو للسمن أخص ، وقوله (أدمته) من أدم الشيء أي جعل معه إداما من لحم ونحوه. انظر «النهاية».

[2] أي ما يقول من الدعاء.

[3] رواه البخاري (٣٥٧٨) ومسلم (٢٠٤٠).

[4] القصعة وعاء يؤكل فيه ويُثرد ، أي يصنع الثريد.

[5] أي يُزاد ما فيها.

وقصص تكثير الطعام بين يدي رسول الله ﷺ كثيرة ، ليس المقام مقام استقصائها ، وقد جمعها الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في كتابه «الصحيح المسند من دلائل النبوة» في نحو من عشر قصص.[٢]

فالشاهد هو أن الله سبحانه وتعالى قد آتى محمدا ﷺ من الفضائل والدلائل على نبوته نظير ما آتى موسى عليه السلام وزيادة.

وأما تحول العصا حية بيد موسى فيقابلها تسبيح الطعام وحنين الجذع وتسليم الحجر وانقياد الشجرة إليه[٣] ، ولهذا نقل ابن كثير رحمه الله عن شيخه ابن الزملكاني رحمه الله قوله: فهذه جمادات ونباتات ، وقد حَيِيَت وتكلمت ، وفي ذلك ما يقابل انقلاب العصا حية.[٤]

عيسى عليه السلام

---

[١] رواه الترمذي (٣٦٢٥) ، وأحمد (١٨/٥) ، وصححه الألباني ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[٢] ومواطن تلك القصص كالتالي:

١) حديث جابر رضي الله عنهما ، رواه البخاري (٢١٢٧).

٢) حديث عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنه ، رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٢٦١٨) ومسلم (٢٠٥٦).

٣) حديث جابر رضي الله عنهما ، رواه البخاري في المغازي (٤١٠١) ومسلم (٢٠٣٩).

٤) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، رواه البخاري في النكاح (٥١٦٣).

٥) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٢).

٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه مسلم (٢٧).

٧) حديث دكين بن سعيد الخثعمي رضي الله عنه ، رواه أحمد (١٧٤/٤) ، وصححه محققو «المسند».

٨) حديث قيس بن النعمان رضي الله عنه ، رواه الحاكم (٨/٣ – ٩) ، وصححه الذهبي ، وذكره الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند من دلائل النبوة».

٩) حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٧٩/١) ، وحسن إسناده محققو «المسند».

١٠) حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه أحمد (٣٥٢/٢) ، والترمذي (٣٨٣٩) ، وحسن الألباني إسناده.

[٣] تقدم ذكر هذه القصص.

[٤] «البداية والنهاية» (٤٠٦/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أوتي موسى عليه السلام.

وكذلك الأمر بالنسبة لعيسى عليه السلام ، فقد أوتي من الآيات الدالة على نبوته أنه كان يبرئ الأكمه ، وهو الذي وُلِد أعمى ، وقد وقع نظير ذلك للنبي ﷺ ، فإن عليا رضي الله عنه اشتكى من عينيه ، فبصق فيها النبي ﷺ ودعا له فشُفِي ، وذلك أن ريق النبي ﷺ مبارك ، وهذا خاص به ﷺ ، لا يُشاركه فيه أحد.[1]

ومن الأدلة كذلك حديث عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ، ادع الله أن يعافيني.

فقال: إن شئت أخَّرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وإن شئت دعوت لك. قال: لا ، بل ادع الله لي. فأمره أن يتوضأ ، وأن يصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتُقضى ، وتُشفِّعُني فيه[2] وتُشفِّعُه فيَّ[3]. قال: فكان يقول هذا مرارا. ثم قال بعد: أحسب أن فيها: أن تُشفِّعني فيه. قال: ففعل الرجل فبرِأ.[4]

ومسح النبي ﷺ رِجل عبد الله بن عتيك وقد انكسرت ، فبرِأت من ساعتها.[5]

وعن محمد بن حاطب رضي الله عنه قال: وقعت القدر على يدي ، فاحترقت يدي ، فانطُلِق بي إلى رسول الله ﷺ وكان يَتفُلُ فيها ويقول: (أذهب البأس[6] ، رب الناس) ، وأحسِبه قال: (واشفِهِ إنك أنت الشافي).[7]

---

[1] انظر صحيح البخاري (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

[2] أي تقبل شفاعتي له بقبول دعاءه لي.

[3] تُشفعه فِيَّ أي تقبل شفاعته لي وهي دعاؤه لي.

[4] رواه الترمذي (٣٥٧٨) وابن ماجه (١٣٨٥) وأحمد (١٣٨/٤) ، وصححه الألباني ، وكذا محققو «المسند».

[5] رواه البخاري (٤٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

[6] البأس أي المرض.

[7] رواه أحمد (٢٥٩/٤) ، وقال محققو «المسند»: صحيح ، وهذا إسناد حسن.

وفي رواية أن أمَّـهُ قالت له: فما قمت بك من عنده حتى برأت يدك.[١]

وعن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيتُ أثر ضربة في ساق سلمة[٢] فقلت: يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة؟

قال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر ، فقال الناس: (أُصيب سلمة) ، فأتيت النبي ﷺ فنفث[٣] فيه ثلاث نفثات فنا اشتكيتها حتى الساعة.[٤]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجعٍ أشفيت منه على الموت ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشفِ سعدا ، اللهم اشفِ سعدا ، ثلاث مرار. فشُفي.[٥]

ومن نظائر ما حصل لنبينا عليه السلام مِما آتاه الله المسيح ما نقله ابن كثير رحمه الله عن شيخه العلامة ابن الزملكاني ، رحمه الله تعالى ، في موضوع إحياء الموتى ، حيث قال:

وأما معجزات عيسى ، عليه السلام ، فمنها إحياء الموتى ، وللنبي ﷺ من ذلك كثير ، وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت ، وقد كلم النبي ﷺ الذراع المسمومة ، وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الإنسان الميت من وجوه:

أحدها ، أنه إحياءُ جزءٍ من الحيوان دون بقية بدنه ، وهذا معجز لو كان متصلا بالبدن.

الثاني: أنه أَحياه وحده منفصلا عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية.

الثالث: أنه أعاد عليه الحياة مع الإدراك والعقل ، ولم يكن هذا الحيوان يعقل في حياته ، فصار جزؤه حيا يَعقل[٦].

---

[١] رواه أحمد (٤/٢٥٩) ، وقال محققو «المسند»: صحيح ، وهذا إسناد حسن.

[٢] أي: ابن الأكوع.

[٣] رواه أحمد (٣/٤١٨).

[٤] رواه البخاري (٤٢٠٦).

[٥] رواه مسلم (١٦٢٨).

[٦] قوله أنه يَعقل لأنه أخبره بأن فيه سما ، وهذا لا يفعله إلا العقلاء.

الرابع: أنه أقدره الله على النطق والكلام ولم يكن الحيوان الذي هو جزؤه مما يتكلم ، وفي هذا ما هو أبلغ من حياة الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ﷺ .

قلت[1]: وفي حلول الحياة والإدراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطب النبي ﷺ بالسلام عليه ، كما روي في «صحيح مسلم» ، من المُعجز ما هو أبلغ من إحياء الحيوان في الجملة ، لأنه كان محلا للحياة في وقت ، بخلاف هذا حيث لا حياة له بالكلية قبل ذلك ، وكذلك تسليم الأحجار والمَدَر[2] عليه ، وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها بالرسالة ، وحنين الجذع إليه ، صلوات الله وسلامه عليه. انتهى كلام ابن كثير رحمه الله.[3]

وقال عمرو بن سوَّاد: قال الشافعي:

ما أعطى الله عز وجل نبيا ما أعطى محمدا ﷺ .

فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى.

فقال: أعطى محمدا الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حين بُنِي له المنبر ، حَنَّ الجذع حتى سُمِع صوته، فهذا أكبر من ذلك.[4]

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا إسناد صحيح إلى الشافعي رحمه الله ، وهو مما كنت أسمع شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي رحمه الله يذكره عن الشافعي رحمه الله وأكرم مثواه ، وإنما قال: فهذا أكبر من ذلك لأن الجِذْع ليس محلا للحياة ، ومع هذا حصل له شعورٌ وَوَجْـدٌ[5] لما تحول عنه إلى المنبر فأَنَّ[6] وحَنَّ حنين العِشار[7] حتى نزل إليه رسول الله ﷺ فاحتضنه وسكَّنه حتى سكن.

---

[1] القائل هو ابن كثير رحمه الله.

[2] المَدر هو الطين المتماسك. انظر «النهاية».

[3] «البداية والنهاية» ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أُعطِي عيسى ابن مريم عليه السلام ، (٤٢٨/٦).

[4] رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦٨/٦) ، وهناك سقط بمقدار سطر في المطبوع ، وقد استدركته من المرجع القادم في «البداية والنهاية».

[5] الوَجد هو المحبة. انظر «النهاية».

[6] أنَّ من الأنين ، وهو صوت البكاء.

[7] العِشار جمع عُشراء ، وهي الناقة التي فصل راعيها ولدها عنها بعد مضي عشرة أشهر.

قال الحسن البصري: فهذا الجذع حَنَّ إليه ، فأنتم أحق أن تَحِنوا إليه.[1]

وأما عود الحياة إلى جسدٍ كانت فيهِ بإذن الله فعظيم ، وهذا أعجب وأعظم من إيجاد حياة وشعور في محل ليس مألوفا لذلك ، ولم تكن فيه قبل بالكُلّية فسبحان الله رب العالمين.[2]

ومن آيات عيسى عليه السلام أنه كان يخبر ببعض المغيبات ، كما قال تعالى عنه إذ قال لقومه ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدَّخرون في بيوتكم﴾ ، أي أخبركم بما أكل أحدكم الآن ، وأخبركم بما هو مُدَّخرٌ في بيته من الطعام للغد ، وهذا العلم حصل باطلاع الله له عليه عن طريق الوحي ، وليس علما استقل المسيح بعلمه.[3]

وقد حصل نظير هذا للنبي ﷺ ، فقد أخبر عن جملة من الأمور المستقبلية ، فدل هذا على نبوته ، لأن هذا لا يكون إلا عن طريق الوحي من الله إليه ، فمن ذلك أنه نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وهو بالحبشة ، والنبي ﷺ بالمدينة ، وصلى عليه صلاة الغائب.[4]

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث جيشا لغزوة مؤته ، فاستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وأوصاهم إن أصيب زيد فأميرهم جعفر ، وإن أصيب جعفر فأميرهم عبد الله بن رواحة ، فبينما الصحابة في المدينة مع رسول الله ﷺ إذ نَعى زيدا[5] ثم جعفرا ثم ابن رواحة وهو قاعد في المدينة ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرةٍ ففُتح له.[6]

---

[1] روى ابن حبان (٦٥٠٧) كلام الحسن.

[2] «البداية والنهاية» (٤٠٧/٦) ، كتاب دلائل النبوة ، باب التنبيه على ذكر معجزات لرسول الله مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء.

[3] انظر تفسير ابن كثير ، سورة آل عمران ، الآية: ٤٩ .

[4] انظر صحيح البخاري (١٢٤٥) ومسلم (٩٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] أي أخبر بموته.

[6] رواه البخاري (١٢٤٦).

ولما نزل النبي ﷺ بدرا قبل المعركة حدَّد مواضع قتل بعض رؤوس المشركين ، فعن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس ، يقول: هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله.

فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ؛ ما أخطئوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ .[1]

وقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه مشهورة ، وفيها أن رسول الله ﷺ أرسل عليا والمقداد والزبير رضـــي الله عنهم في إثر امرأة تحمل رسالة إلى المشركين ، فقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة «خاخ»، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب إلى المشركين.

وحصل الأمر ، وأدركوها في تلك الروضة ، ومعها كتاب إلى المشركين فيه إفشاء لِسِر المسلمين.[2]

فالشاهد أن النبي ﷺ أخبر ببعض المغيبات كما أخبر بها أخوه المسيح عيسى ابن مريم ، صلى الله عليهم وسلَّم.

جميع الأنبياء

ورفعة المكانة حصلت في الدنيا لجميع الأنبياء عليهم السلام ، وقد حصل نظير ذلك وزيادة للنبي ﷺ من بين سائر الأنبياء ، فما من خطيب ولا مؤذن ولا مصلي يناجي ربه في صلاته في طول العالم وعرضه إلا ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد **أن محمدا رسول الله** ، وصدق الله إذ يقول ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾.

ليس هذا فحسب ، بل قد حصلت للنبي محمد ﷺ الرفعة الحسية على إخوانه الأنبياء ، وذلك لما عُرِج به إلى السماء ، وصار في مستوى فوق المستوى الذي هم فيه ، وعلا فوق السماوات التي فيها الأنبياء ، وهذا قدر زائد على ما حصل لهم من الرفعة ، قال ابن كثير رحمه الله:

---

[1] رواه مسلم (٢٨٧٣).

[2] والقصة في صحيح البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولما كانت ليلة الإسراء رُفِع من سماء إلى سماء حتى سلَّم على إدريس عليه السلام ، وهو في السماء الرابعة ، ثم جاوزه إلى الخامسة ثم إلى السادسة فسلَّم على موسى بها ، ثم جاوزه إلى السابعة فسلَّم على إبراهيم الخليل عند البيت المعمور ، ثم جاوز ذلك المقام ، فرُفِع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام[1] ، وجاء سدرة المنتهى ، ورأى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات الكبرى ، وصلى بالأنبياء ، وشيَّعه من كُلِّ سماء مُقربوها ، وسلم عليه رضوان خازن الجنان ، ومالِك خازن النار ، فهذا هو الشرف ، وهذه هي الرفعة ، وهذا هو التكريم والتنويه والإشهار والتقديم والعلو والعظمة. صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين. انتهى كلامه رحمه الله.[2]

[1] صريف الأقلام أي صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله تعالى ووحيه ، وما يستنسخونه من اللوح المحفوظ. انظر «النهاية» لابن الأثير.

[2] «البداية والنهاية» ، كتاب دلائل النبوة ، القول فيما أُعطِي إدريس عليه السلام من الرفعة التي نوه الله بذكرها فقال ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ ، (٤١٩/٦).

قصيدة للشيخ جمال الدين الصرصري[1] في مدح النبي ﷺ ، وفيها مقارنة بين ما أوتي من معجزات بما أوتي من سبقه من الأنبياء من معجزات

محمد المبعوث للناس رحمةً *** يُشيِّد ما أوهى الضلال ويصلِح
لئن سبَّحت صُمُّ الجبال مُجيبةً *** لداود أو لانَ الحديدُ المُصفح
فإن الصخور الصمَّ لانت بِكَفِّه *** وإن الحصا في كفه ليُسَبِّح
وإن كان موسى أنبعَ الماء بالعصا *** فمن كفِّه قد أصبح الماء يَطفح
وإن كانت الريح الرُّخاءُ مطيعةً *** سليمان لا تألو تروح وتسرح
فإن الصِّبا[2] كانت لنصر نبينا *** ورعبٌ على شهرٍ به الخصم يُكلح
وإن أوتي المُلكَ العظيم وسُخِّرت *** له الجن تسعى في رضاه وتكدح
فإن مفاتيح الكنوز بأسرها *** أتته فرَدَّ الزاهد المترجحُ
وإن كـــــــــــان إبراهيم أُعطي خِلةً *** وموسى بتكليمٍ على الطور يُمنح
فهذا حبيبٌ بل خليلٌ مكلَّم *** وخُصِّص بالرؤيا وبالحق أشرح
وخُصِّص بالحوض العظيم وباللِّوا[3] *** ويشفع للعاصين والنار تَلْفح
وبالمقعد الأعلى المقرَّبِ ناله *** عطاءً لعينيه أَقرُّ وأفرح
وبالرتبة العليا الوسيلة دونها *** مراتب أرباب المواهب تَلمح
ولَهْوَ إلى الجنات أولُ داخلٍ *** له بابها قبل الخلائق يُفْتَح[4]

---

[1] هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري ، أبو زكريا جمال الدين الصرصري ، شاعر من أهل صرصر – على مقربة من بغداد – سكن بغداد ، وكان ضريرا ، له ديوان شعر صغير ومنظومات في الفقه وغيره ، منها «الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة» ، قصيدة دالية في الفقه الحنبلي ، و «المنتقى من مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم» ، وغير ذلك ، توفي سنة ٦٥٦ ، انظر ترجمته في «الأعلام» (١٧٧/٨).

[2] يقصد بقوله «اللوا» أي اللواء ، وهو لواء الحمد الذي يكون بيده يوم القيامة.

[3] أي لواء الحمد الذي يكون بيده يوم القيامة.

[4] نقل ابن كثير رحمه الله هذه الأبيات في خاتمة كتاب دلائل النبوة الواقع ضمن كتابه «البداية والنهاية».

١٠٨. ومن دلائل عِظم قدر النبي ﷺ أنه رأى بعض الملائكة على هيئتهم التي خلقهم الله عليها رأي عين، وكان أول ذلك في غار حِراء[١]، لما نزل عليه أعظم الملائكة وهو جبريل، **نزل على هيئته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، قد سدَّ الأفق**، فقال له: اقرأ. فقال: لستُ بقارئ[٢].

وكرر ذلك ثلاثا، ثم قال المَلَـك: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من عَـلَق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علَّم الإنسان ما لم يعلم﴾.[٣]

الشاهد من هذه القصة هو أن النبي ﷺ رأى أعظم الملائكة جبريل على هيئة التي خلقه الله عليها، وهذا من دلائل عظمة النبي ﷺ ، إذ خَـصَّه الله بشيء لم يخص به غيره.

ثم رآه مرة أخرى لما عُرِج به إلى السماء ليلة أسري به؛ رآه عند سدرة المنتهى، وقد أشار القرآن إلى تلك الرؤية في سورة النجم في قوله تعالى ﴿ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى﴾، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هاتين الآيتين: «هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها ، وكانت ليلة الإسراء».

وقد رأى النبي ﷺ غير جبريل من الملائكة، فعن رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ قال: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِي ﷺ ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَه.

فقَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيه.

فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: مَنِ الْمُتَكَلِّم؟

قَالَ: أَنَا.

قَالَ: **رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا** ، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّل.[٤]

---

[١] «حِراء» جبل في ناحية من نواحي مكة، كان النبي ﷺ يتعبد فيه قبل أن يبعثه الله نبيا.

[٢] أي: لست أعرف القراءة.

[٣] رواه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

[٤] رواه البخاري (٧٩٩).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ[1] النَّفَسُ ، فَقَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ)، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ: أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ؟

فَأَرَمَّ الْقَوْمُ.[2]

فَقَالَ: أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا؟

فَقَالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا.

فَقَالَ: **لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا**، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا.[3]

فالحاصل من هذه الأحاديث أن رؤية النبي ﷺ للملائكة على هيئتهم التي خلقهم الله عليها من دلائل عظمته، إذ جعل الله له شيئا من الغيبِ شهادةً.

١٠٩. ومن دلائل عِظَم قدر النبي ﷺ أنه رأى بعض الشياطين رأي عين، فدل هذا على عِظم قدره، لِكون الله جعل له الغيب شهادة، ومِن ذلك قوله ﷺ : راصُّوا صفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفس محمد بيده، إني **لأرى الشياطين** تدخل من خَلَلِ الصف، كأنها الحَذَف.[4]

١١٠. ومن دلائل عِظَم قدر النبي ﷺ أن الله مكَّنه من بعض المُفسدين من الجِن، فدل هذا على عِظم قدره، لِكون الله جعل له الغيب شهادة، ولكون الله مكَّنهُ منه، وهذا ليس بمقدور الإنس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن عفريتا من الجن جعل يفتِكُ[5] عليَّ البارحة ليقطَع عليَّ الصلاة، وإن الله أمكنني منه فذَعَتُّه[6] ، فلقد هممتُ أن أربطهُ إلى جنبِ سارية[7] من سواري

---

[1] حفزه النفس أي ضغطه لسرعته، قاله النووي في شرح الحديث.

[2] أرَمَّ القومُ أي سكتوا ولم يجيبوا. انظر «النهاية»، مادة: رمم.

[3] رواه مسلم (٦٠٠).

[4] رواه أبو داود (٦٦٧)، وأحمد (٢٦٠/٣) واللفظ له عن أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني ومحققو «المسند». والحَذَفُ؛ غنم صغار، واحدتها حَذَفَـة، قاله ابن الأثير في «النهاية».

[5] يفتِكُ عليَّ أي يُغيرُ عليَّ وأنا غافل. انظر «النهاية».

[6] أي خنقته.

[7] سارية أي عمود.

المسجد حتى تُصبحوا تنظرون إليه أجمعون – أو كلكم – ، ثم ذكرت قول أخي سليمان ﴿رب اغفر لـي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ ، فرده الله تعالى خاسئا».[1]

١١١. ومِن دلائل عِظم قدره ﷺ أن دعاءه وصلاته لأهل القبور من المسلمين تنفعهم، فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: مررت بقبرين يعذبان، فأحببتُ بشفاعتي أن يُرَفَّهَ[2] عنهما مادام الغصنان رطبين.[3]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تَقُمُّ المسجد، أو شابا، ففقدها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات.

فقال: أفلا كنتم آذنتموني؟

فكأنهم صغَّروا أمرها، أو أمرَهُ.

فقال: (دُلُّوني على قبره)، فدلوه فصلى عليها، فقال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله يُنورها لهم بصلاتي عليهم.[4]

١١٢. ومِن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه يبتلى بالمرض، فيتألم كما يتألم الرجلان، فيؤتِيَهُ الله أجر الصبر على مصيبة المرض مرتين، ودليل ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعَك[5]، فقلت: يا رسول الله، إنك تُوعَك وعْكاً شديداً.

قال: أجل، إني أُوعَك كما يُوعك رجلان منكم.

قلت: ذلك أن لك أجرين؟

قال: أجل، ذلك كذلك ... الحديث.[6]

---

[1] رواه البخاري (٤٦١) (١٢١٠) ، ومسلم (٥٤١) واللفظ له ، وغيرهما.

[2] يُرَفَّهَ عنهما أي يُنفسَ عنهما من عذابهما ويخفف. انظر «النهاية»، مادة رفه.

[3] رواه مسلم برقم (٣٠١٢) ضمن حديث طويل.

[4] رواه مسلم (٩٥٦)، وأصله في البخاري (٤٦٠).

[5] الوَعَكُ هو الحُمَّى، وقيل: ألمُها. انظر «النهاية».

[6] رواه البخاري (٥٦٤٣) ومسلم برقم (٢٥٧١).

١١٣. ومِن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه لم يبتلَ أحد بقدر ما ابتُلِي به، فقد مات أبوه وهو حَمْلٌ في بطن أمه، وماتت أمه وهو ابن ست سنين، ومات جده وهو ابن ثمان، وعُودي في دعوته، وطُرد من بلده، واتُّهم بالجنون والسحر، ومُكر به، بل تآمر أعداؤه على قتله، وأُهديت له شاة مسمومة فمات بسبب السم الذي بها، وسحره لبيد اليهودي، ومات جُـلُّ أولاده في حياته، وتُكُلِّم في عرضِهِ، وخَرج من بيته لم يخرجه إلا الجوع، وسكن في بيت لا يتسع لنائم ومصلٍّ من صغره، ويجمع ذلك كلَّه قوله ﷺ : "لقد أُخِفتُ في الله وما يَخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولِبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إِبطُ بلال"[١].

قوله (لقد أوذيت في الله)؛ أي لأجل إظهار دينه وإعلاء كلمته.

وقوله (وما يؤذى أحد)؛ أي لم يؤذى أحدٌ غيره في بداية الإسلام لأنه لم يكن أسلم أحد حتى يؤذى.

وقوله (وأُخِفْتُ في الله وما يُخاف أحد)؛ أي هُدِّدتُ بالتعذيب والقتل في سبيل الله، ولم يُخف أحدٌ غيره لأنه لم يكن أسلم أحدٌ حتى يُخاف ويُهدد.

وقوله (ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولِبلال طعام يأكله ذو كَبِدً إلا شيء يواريه إِبطُ بلال)؛ قال الصنعاني رحمه الله: يَحتمل أن هذا أيام حَصْرِهم في الشِّعب.[٢]

١١٤. ومِن دلائل عِظم قدره ﷺ أنه لا أحد أشجع منه، فقد جمَع الله عز وجل له إلى جانب رقته ورحمته شجاعة عظيمة، فكان أشجعَ خلْق الله تعالى، والدليل على ذلك وقوفه في وجْه الشِّرك والمشركين يدعو إلى الحق، لا يَحيد عنه ولا يتراجع، على الرغم من شِدة العدو، وكثرة عدده وعَتاده، وشِدة عناده، وقلة النصير، حتى غلَب باطلهم، ودانَت رِقاب العرب كلها للدين الذي جاء به.

ولما اختبأ في غار ثور وكان المشركون في طلبه لم يرتجف ولم يتزلزل، بل ثبت وسكن اعتمادا على حفظ الله له.

---

[١] رواه أحمد (٣/١٢٠)، والترمذي (٢٤٧٢) وابن ماجه (١٥١)، وصححه الألباني، ومحققو «المسند» برقم (١٢٢١٢).

[٢] انظر شرح الحديث للعلامة الصنعاني رحمه الله في كتابه (التنوير شرح الجامع الصغير) (٩/٦٨-٦٩).

ومن أعظم مواقف شجاعته صلى الله عليه وسلم ما ذكره خادمه أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، **وأشجع الناس**، ولقد فزِع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلَق الناس قِبَل الصوت، فاستقبَلهم النبيُّ ﷺ قد سبق الناسَ إلى الصوت وهو يقول: (لن تُراعوا، لن تُراعوا)، لقد وجَدناه بحرًا[1]، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ ما عليه سَرْجٌ، في عُنقه سيف.[2]

والشاهد من هذا على شجاعته شِدة عجَلته في الخروج إلى العدو قبل الناس جميعًا، فخرَج على هذا الفرس الذي انقلَب بفضل الله – عز وجل – إلى أسرع ما يكون بعد أن كان معروفًا بالبُطء، فشبهه بالبحر إذا ماج.

كما تجلت شجاعته هنا في كونه خرج مستعجلا لم يُسرِج الفرس.

كما تجلت شجاعته هنا في كونه لم يَخش من الخروج وحْده لكشْف الحال، كل هذا لكي يُطَمئِن أصحابَه – صلى الله عليه وسلم.

ومن أمثلة شجاعته أيضًا ما سطرته كتب السيرة من صُور شجاعته في أثناء الحروب، فقد كان يتقدَّم الجنود، ويَثبُت إذا اشتدَّ الموقف وفرَّ مَن حوله، مثلما حدث يوم حُنين، إذ وقَف على بَغلته والناس يَفرُّون عنه، وأبو سفيان بن الحارث آخِذٌ بزِمامها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنا النبي لا كَذِب، أنا ابن عبد المطلب.[3]

وقال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به – يعني النبي ﷺ .[4]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: رأيتنا يوم بدر ونحن نَلوذ بالنبي وهو أقربنا إلى العدو، وكان ﷺ من أشد الناس يومئذٍ بأسًا.[5]

---

[1] بحرا أي واسع الجري، وفيه عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد أن كان يُبطأ. قاله النووي في شرح الحديث.

[2] رواه البخاري (٢٩٠٨) ومسلم (٢٣٠٧).

[3] رواه البخاري (٤٣١٧) ومسلم (١٧٧٦)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

[4] رواه مسلم (١٧٧٦).

[5] رواه مسلم (١٧٧٦).

فلنتأمل شجاعة النبي الكريم ﷺ ، الذي يَملِك أن يَأمر فيُطاع بلا تردُّد، إلا أنه يأبى إلا أن يكون أوَّل المسارعين لمواجهة الشدائد والصِّعاب التي تحتمل الموت.

١١٥. ومِن دلائل عِظم قدره ﷺ ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ تَلا قَوْلَ اللهِ عزَّ وجلَّ في إبْراهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فمَن تَبِعَنِي فإنَّه مِنِّي﴾ الآيَةَ، وقالَ عِيسَى عليه السَّلامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ وإنْ تَغْفِرْ لهمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وقالَ: (اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي)، **وبَكَى**، فقالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: (يا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، ورَبُّكَ أعْلَمُ، فَسَلْهُ ما يُبْكِيكَ؟)، فأتاهُ جِبْرِيلُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فَسَألَهُ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بما قالَ، وهو أعْلَمُ، فقالَ اللَّهُ: يا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إنَّا **سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ، ولا نَسُوءُكَ**.[1]

ففي هذا الحديث بيان عظم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى، وعظيم لطفه سبحانه به صلى الله عليه وسلم، حيث أرسل إليه جبريل عليه السلام – والله تعالى أعلم – لينظر ما الذي يُبكي محمد صلى الله عليه وسلم، والحكمة من ذلك هو إظهار شرف محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه بالمحل الأعلى فيُسترضى ويكرم بما يرضى.

(ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة بما وعدها الله بقوله (سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة، أو أرجاها.

وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾).[2]

١١٦. ومن دلائل عِظم قدره ﷺ أن دعاءه قريب للإجابة، وهذا معلوم بالاستقراء.

١١٧. ومن دلائل عِظم قدر نبينا ﷺ أن من استخف به واستهزأ بشخصه فإن عقوبته معجلة في الدنيا ، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه رجلا ، وأمَرَه أن يدفعه إلى

---

[1] رواه مسلم (٢٠٢).

[2] قاله النووي في شرحه للحديث.

عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزَّقوا كل ممزق.[1]

فاستجاب الله دعاء نبيه ﷺ ، فلم تدُم دولة كسرى طويلا، حتى سقطت في يد عمر رضي الله عنه.

ومِن دلائل عِظم قدره ﷺ ما دل عليه قول الله لنبيه ﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾، أي فآواك ورعاك.

﴿ووجدك ضالا فهدى﴾، أي وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلَّمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال وأزكاها، وجعل ثواب الأمة في ميزانك.

﴿ووجدك عائلا فأغنى﴾، أي أن كفَّله جده ثم عمه ثم سخر له مال خديجة، ثم أمره بالهجرة فآواه للأنصار، ثم فتح الله عليه من البلدان، التي جُبي له أموالها وخراجها، وجُعِل رزقه تحت ظل سيفه.

- ومن دلائل عِظم قدر نبينا ﷺ

أنه جاء إجابة لدعوة أبيه إبراهيم عليه السلام، كما قال ﷺ : أنا **دعوة أبي إبراهيم** ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ...[2]

---

[1] رواه البخاري (٦٤).

[2] رواه أحمد (١٢٨/٤) وابن حبان (٣١٣/١٤) عن العرباض بن سارية الفزاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين ، وإن آدم لمُنجدَلٌ في طينته ، وسأخبركم بأول ذلك: **دعوة أبي إبراهيم** ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني ؛ أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام.

واللفظ لابن حبان، ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٣٤٠/٢).

وقوله (مُنجدل) أي ملقى على الجَدالة وهي الأرض. انظر «النهاية».

فائدة: قال ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة البقرة ، آية ١٢٩: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للإسلام وأهله ، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ، ولهذا جاء في الصحيحين: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

وفي صحيح البخاري: وهم بالشام. انتهى.

خلاصة

خاتمة القول أن الله سبحانه وتعالى قد اصطفى نبيه محمدا ﷺ على الأنبياء والناس أجمعين بخصائص عظيمة وكثيرة ، جعلته أفضل الأنبياء ، وشريعته أفضل الشرائع ، وأمته أفضل الأمم ، وقد لخص العلامة ابن القيم رحمه الله تلك الخصائص فقال:

فمن ذلك أنه بُعِث إلى الخلق عامة ، وخُتِم به ديوان الأنبياء ، وأُنزِل عليه القرآن الذي لم يُنزَل من السماء كتاب يشبُهه ولا يقاربه ، وأُنزِل على قلبه محفوظا مَتْلُوًّا ، وضَمن له حفظه إلى أن يأتي الله بأمره ، وأوتي جوامعُ الكلم ، ونُصِر بالرعب في قلوب أعدائه وبينهما مسيرة شهر ، وجُعِلت صفوف أمته في الصلاة على مِثالِ صفوف الملائكة في السماء ، وجُعِلت الأرض له ولأمته مسجدا وطهورا ، وأُسرِي به الى أن جاوز السماوات السبع ، ورأى ما لم يره بشرٌ قبله ، ورُفِع على سائر النبيين ، وجُعِل سيدَ ولد آدم ، وانتشرت دعوته في مشارق الأرض ومغاربها ، واتَّبعه على دينه أتباعٌ أكثر من أتباع سائر النبيين من عهد نوح إلى المسيح ، فأُمَّته ثُلُثا أهل الجنة ، وخَصَّه بالوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة ، وبالمقام المحمود الذي يَغبطه به الأوَّلون والآخِرون ، وبالشفاعة العظمى التي يتأخر عنها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ، وأعزَّ الله به الحق وأهله عِزًّا لم يُعِزَّه بأحد قبله ، وأذل به الباطل وحزبه ذُلا لم يحصل بأحد قبله ، وآتاه من العلم والشجاعة والصبر والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الإلٰهية ما لم يؤتَه نبي قبله ، وجُعِلت الحسنة منه ومن أمته بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعاف كثيرة ، وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه ، وصلى عليه هو[1] وجميعُ ملائكتِه ، عليهم صلوات الله وسلامه ، وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما ، وقَرن اسمه باسمه ، فاذا ذُكِر الله ذُكِر معه ، كما في الخطبة والتشهد والأذان ، فلا يصح لأحدٍ أذان ولا خطبة ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله ، ولم يجعل لأحدٍ معه أمرا يُطاع ، لا مِمن قبله ولا ممن هو كائن بعده ، إلى أن تُطوى الدنيا ومن عليها ، وأَغلق[2] أبواب الجنة إلا عمَّن سلك خلفه واقتدى به ، وجعل لِواء الحمد بيده ، فآدم وجميع الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة ، وجعَله أولَ من تنشق عنه

---

[1] أي الله سبحانه وتعالى.

[2] أي الله سبحانه وتعالى.

الارض وأولَ شافع وأولَ مشفع ، وأولَ من يَقرع باب الجنة وأولَ من يدخلها ، فلا يدخلها أحد من الأولين والآخِرين إلا بشفاعته ، وأُعطِي من اليقين والإيمان والصبر والثبات والقوة في أمر الله والعزيمة على تنفيذ أوامره والرضا عنه والشكرِ له والقنوع في مرضاته وطاعته ظاهرا وباطنا سرا وعلانية في نفسه وفي الخلقِ ما لم يُعطه نبي قبله ، ومن عرف أحوال العالم وسِيَر الأنبياء وأُمَمَهم تبين له أن الأمر فوق ذلك ، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أنه يكون أبدا.[1]

[1] «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» ، ص ١٧٧ – ١٧٨ ، تحقيق: عثمان جمعة ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

الفصل الرابع: حقوق النبي ﷺ السبعة عشر على الأمة

الإيمان بالنبي ﷺ يقتضي القيام بحقوقه ، وهي سبعة عشر حقا ، وهي كالتالي على سبيل الإجمال:

١. تصديقه فيما أخبر

٢. طاعته فيما أمر

٣. اجتناب ما نهى عنه وزجر

٤. أن لا يعبد الله إلا بما شرع

٥. التحاكم لشريعته

٦. تعظيم سنته

٧. مجانبة أهل البدع ، الراغبين عن سنته

٨. الدعوة إلى دينه

٩. الذب عن دينه

١٠. محبته

١١. توقيره

١٢. الذب عن ذاته

١٣. الأدب معه حيا وميتا

١٤. الدعاء له ، ويتضمن الصلاة والسلام عليه

١٥. توقير صحابته

١٦. توقير زوجاته

١٧. توقير آل بيته

والقيام بحقوق النبي ﷺ هو المعبر عنه في الحديث النبوي بالنصيحة للنبي ﷺ ، والذي جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الدين النصيحة.

قلنا: لمن؟

قال: لله ولكتابه **ولرسوله** ولأئمة المسلمين وعامتهم.[1]

قال النووي رحمه الله ملخصا كلام بعض العلماء في معنى النصيحة للنبي ﷺ :

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ ؛ فتصديقه على الرسالة ، والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ، ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، وإعظام حقه وتوقيره ، وإحياء طريقته وسنته ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ، ونفي التهمة عنها ، واستثارة علومها ، والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها ، وإعظامها وإجلالها ، والتأدب عند قراءاتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك.[2]

وقال القاضي عياض في شرح حديث تميم الداري مبينا معنى النصيحة للنبي ﷺ :

النصيحة لرسوله ؛ التصديق بنبوته ، وطاعته فيما أمر به ونها عنه ، ونصرته حيا وميتا ، ومعاداة من عاداه ، ومحاربة من حاربه ، وبذل النفوس والأموال دونه في حياته ، وإحياء سنته بعد موته ، بالبحث عنها ، والتفقه فيها ، والذب عنها ، ونشرها ، والدعاء إليها ، والتخلق بأخلاقه الكريمة ، والتأدب بآدابه الجميلة ، وتوقيره ، وتعظيمه ، ومحبة آل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته.[3]

---

[1] رواه مسلم عن تميم الداري (٥٥).

[2] شرح النووي على صحيح مسلم.

[3] «إكمال المعلم» (٣٠٧/١) للقاضي عياض ، تحقيق يحيى إسماعيل ، الناشر: دار الوفاء – مصر.

الحق الأول: تصديقه فيما أخبر

تصديق النبي ﷺ هو الباب الذي يدخل منه الداخل إلى دين الإسلام ، وهو شطر معنى الإيمان ، فإن الإيمان هو التصديق والانقياد.

وتصديقه ﷺ يتضمن ما جاء به من العقائد والشرائع والأخبار والآداب ، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه ، كما قال تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾.

وانظر إلى المنزلة العالية الرفيعة التي حازها أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي آمن بالنبي ﷺ حق الإيمان ، وصدقه حق التصديق ، ثم اتبعه على دينه ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ؛ أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه – ، فقالوا: هل لك إلى صاحبك ، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟

قال: أو قال ذلك؟

قال: نعم.

قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق.

قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟!

قال: نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة.

فلذلك سمي أبو بكر الصديق.[1]

وتصديق النبي ﷺ له فضل كبير ، قال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله شهيدا﴾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن أهل الجنة يتراءيون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُّري[2] الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم.

---

[1] رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٢/٣) ، وصححه الذهبي.

[2] الدُّري هو النجم الشديد الإضاءة. انظر «فتح الباري».

قالوا: يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم.

قال: بلى والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله **وصدقوا المرسلين**.[1]

وضد التصديق التكذيب والشك ، وكلاهما ناقض للتصديق ، عافانا الله من ذلك.

والنبي ﷺ معروف بالصدق حتى قبل بعثته ، وقد كان يسمى بالأمين ، فما علينا ألا نصدقه؟ والله أعلم.

[1] رواه البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١).

الحق الثاني: طاعته فيما أمر ، وفيه أحد عشر مبحثا

١. قَرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله ﷺ ، وأعلمَ خلقَه بأن من أطاع الرسول فقد أطاعه ، فقال تعالى ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله** ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾[١] ، ووجه ذلك أن الرسول ﷺ إنما جاء بهذا الدين من عند الله عز وجل ، فهو مبلّغ عن الله، ولم يأت بشيء من عند نفسه ، قال تعالى لنبيه ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ الآية ، وقال ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير﴾ ، فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ تبرأ من أن يقول بتحريم شيء لم يحرمه الله عز وجل أصلا ، فقال الله له ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي﴾.

٢. وقد أمر الله تعالى بطاعة الرسول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا من القرآن[2] ، منها قوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله **أسوة حسنة** لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ ، وقوله تعالى ﴿وما آتاكم **الرسول فخذوه** وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٣] ، وقوله تعالى ﴿قل أطيعوا الله **وأطيعوا الرسول** فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[٤] ، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا **أطيعوا** الله **ورسوله** ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾[٥]، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله **وأطيعوا الرسول** وأولي الأمر منكم﴾.

قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآية:

أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرضِ ما أَمر به على الكتاب ، بل إذا أَمر وجبت طاعته مطلقاً ، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه ، فإنه أوتي الكتاب ومثله ومعه.

---

[١] سورة النساء: ٨٠ .

[2] قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد أمر الله بطاعته في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن ، وقرن طاعته بطاعته ، وقرن بين مخالفته ومخالفته ، كما قرن بين اسمه واسمه ، فلا يذكر الله إلا ذكر معه. «مجموع الفتاوى» (١٩/١٠٣).

وهكذا قال الآجري في «الشريعة» ، ص ٤٩ .

[٣] سورة الحشر: ٧ ، وهذه الآية تفيد أن الله تعالى أوجب في القرآن أخذ كل ما أتى به الرسول ﷺ جملة وتفصيلاً.

[٤] سورة آل عمران: ٣٢ .

[٥] سورة الأنفال: ٢٠ .

ولم يأمر[1] بطاعة أولي الأمر استقلالا ، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ، إيذاناً بأنهم إنما يُطاعُون تبعاً لطاعة الرسول ، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة ، كما صح عنه ﷺ أنه قال: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.[2]

وقال: إنما الطاعة في المعروف.[3] انتهى.[4]

٣. وأمر عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ، أي الكتاب والسنة ، فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[5].

قال ابن القيم رحمه الله: إن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته.[6]

٤. وتواترت النصوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته ، والاهتداء بهديه، والاستنان بسنته ، وتعظيم أمره ونهيه ، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى.

قالوا: يا رسول الله ، ومن يأبى؟

قال: من **أطاعني** دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى.[7]

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: من **أطاعني** فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله.[8]

---

[1] أي الله تعالى.

[2] رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/١٧٠) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٧٢٥٧) ، ومسلم (١٨٤٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن الأدلة أيضا حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكرِه إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. رواه البخاري (٧١٤٤) ، ومسلم (١٨٣٩) ، واللفظ لمسلم.

[4] «إعلام الموقعين» ، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص.

[5] سورة النساء: ٥٩ .

[6] «إعلام الموقعين» ، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص.

[7] رواه البخاري (٧٢٨٠).

[8] رواه البخاري (٧١٣٧) ، ومسلم (١٨٣٥).

وعنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، **وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**.[1]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

والذي نفسي بيده ، لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرَد على الله كشِرادِ[2] البعير.

قال: يا رسول الله ، ومن يأبى أن يدخل الجنة؟

قال: من **أطاعني** دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى.[3]

قال ابن حبان بعده: طاعة رسول الله ﷺ هي الانقياد لسنته ، مع رفض قولِ كل من قال شيئاً في دين الله جل وعلا بخلاف سنته ، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة.[4]

وقال ﷺ : فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ... الحديث.[5]

ففي هذا الحديث نرى أن النبي ﷺ أمر بالجِد في لزوم السنة ، فِعلَ من أمسك الشيء بين أضراسه ، التي هي في مؤخر الفم ، وعض عليه منعاً من أن يُنتزع ، وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشيء ، إذ كان ما يُمسكه بأسنانه التي بمقاديم فمه أقرب تناولاً وأسهل انتزاعا.

وقد علَّم النبي ﷺ أصحابه أن يجيبوه إذا ناداهم ولو كان أحدهم في صلاة ، مما يدل على عِظم أمر إجابة أمر النبي ﷺ ، فعن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد ، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، فقلت: يا رسول الله ، إني كنت أصلي.

فقال ألم يقل الله ﴿استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم﴾.[6]

---

[1] رواه البخاري (٧٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٧).

[2] أي كما يشرد البعير إذا نفر وذهب عن صاحبه ، والمقصود بالشرود هنا الخروج عن طاعة الله.

[3] رواه ابن حبان (١٩٦/١ – ١٩٧) ، ورجاله رجال مسلم ، والحديث له شواهد تقويه كحديث أبي هريرة المتقدم ، وحديث أبي هريرة الذي رواه أحمد (٣٦١/٢) وغيره ، وسنده على شرط الشيخين كما قال الحافظ في «الفتح» ، شرح حديث (٧٢٨٠). باختصار من حاشية الشيخ شعيب على الحديث أعلاه.

[4] المرجع السابق.

[5] رواه ابن حبان (١٧٩/١) واللفظ له ، وأبو داود (٤٦٠٧) ، وابن ماجه (٤٢) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وأحمد (١٢٦/٤) ، وغيرهم كثير ، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

[6] رواه البخاري (٤٤٧٤).

٥. وطاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) هي معنى **النصيحة** له، الواردة في حديث تميم الداري رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: الدين **النصيحة**.

قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه **ولرسوله** ولأئمة المسلمين وعامتهم.[١]

قال النووي رحمه الله ملخصا كلام بعض العلماء في معنى النصيحة للنبي (صلى الله عليه وسلم):

وأما النصيحة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، **وطاعته في أمره ونهيه**، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته، ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءاتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك.[٢] انتهى كلامه رحمه الله.

٦. وقد أخبر الله تعالى أن جميع الرسل أمروا أقوامهم بطاعتهم ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾[٣] ، ومن هذا قول نوح لقومه ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾[٤]، وهكذا قال غيره من الرسل.

٧. وطاعة الرسول سيسأل عنها الإنسان يوم القيامة ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾[٥].

فإن كان مطيعا للرسول فهذا ثوابه: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى

---

[١] رواه مسلم برقم (٥٥).

[٢] شرح النووي على صحيح مسلم.

[٣] سورة النساء: ٦٤ .

[٤] سورة نوح: الآية ٣ .

[٥] سورة القصص: ٦٥ .

بالله عليما﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾[2].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: (يا قوم ، إني رأيت الجيش بعينيَّ ، وإني أنا النذير العُريان[3] ، فالنجاء[4]) ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا[5] فانطلقوا على مهلهم فنَجَوا ، وكذَبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مَثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومَثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق.[6]

وإن كان عاصيا لرسوله ندم وعض على يديه ، ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتىٰ ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾[7] ، وعندئذ فهذا جزاؤه ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾[8].

٨. وطاعة الرسول ﷺ تكون باتباع ما جاء في سنته ، بالتأسي به في أقواله وأفعاله وأحواله ، فإن الأصل في أفعال النبي ﷺ وأقواله أنها للاتباع والتأسي ، قال الله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[9].

قال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل.[1]

---

[1] سورة النساء: ٦٩ – ٧٠ .

[2] سورة النساء: ١٣ .

[3] قال ابن كثير رحمه الله: أي الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبِس عليه شيئا ، بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عُريانا مسرعا. «تفسير القرآن العظيم» ، سورة النجم ، آية ٥٧ .

[4] أي: النجاة ، يحثهم عليها.

[5] الدلجة هي السير بالليل.

[6] رواه البخاري (٦٤٨٢) ومسلم (٢٢٨٣).

[7] سورة الفرقان ٢٧ – ٢٩ .

[8] سورة النساء: ١٤ .

[9] سورة الأحزاب: ٢١ .

ومن هذا قوله ﷺ : صلوا كما رأيتموني أصلي.[٢]

وقوله ﷺ : لتأخذوا عني مناسككم.[٣]

وقال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتمني والتحلي ، ولكنه ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال.[٤]

٩. واتباع النبي ﷺ وطاعته دليل على محبة الله تعالى ، يدل ذلك قول الله تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[٥] ، قال ابن تيمية رحمه الله:

ومما ينبغي التفطن له أن الله سبحانه قال في كتابه ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله﴾ ، قال طائفة من السلف: ادعى قوم على عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ الآية ، فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ﷺ ، وأن اتباع الرسول ﷺ يوجب محبة الله للعبد ، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله ، فإن هذا الباب تكثر فيه الدعاوى والاشتباه.[٦]

وقال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[٧] ، ولهذا قال ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ، أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض العلماء الحكماء: (ليس الشأن أن تُحِب ، إنما الشأن أن تُحَب).

---

[١] «تفسير القرآن العظيم» ، تفسير الآية السابقة.

[٢] رواه البخاري (٦٣١) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

[٣] رواه مسلم (١٢٩٧) بلفظ: (لتأخذوا مناسككم) ، ورواه البيهقي في «الكبرى» (١٢٥/٥) بلفظ: خذوا عني مناسككم.

[٤] رواه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل» ، ص ٤٢ – ٤٣ .

[٥] سورة آل عمران: ٣١ ، وقال ابن القيم إن هذه الآية تسمى آية المحبة. «مدارج السالكين» ، منزلة المحبة ، (٤٥٥/٣).

[٦] «مجموع الفتاوى» (٨١/١٠).

[٧] رواه مسلم (١٧١٨) ، ونظيره الحديث الآخر: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها ، والمقصود بقوله (أمرنا هذا) يعني الدين.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله ، فابتلاهم الله بهذه الآية[1].[2] انتهى كلامه.

ثم زاد الأمر تأكيدا وبيانا بأن أعقب آية اختبار المحبة بآية الأمر بطاعته وطاعة نبيه ﷺ ، فقال ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾.

وقال ابن القيم رحمه الله: ﴿يحببكم الله﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها ، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ، وفائدتها وثمرتها محبة المرسِل لكم ، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ، ومحبته لكم منتفية.[3]

وقال أيضا: ثباتها[4] إنما يكون بمتابعة الرسول في أعماله وأقواله وأخلاقه ، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها ، وبحسب نقصانها يكون نقصانها ، كما تقدم أن هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معا[5] ولا يتم الأمر إلا بهما ، فليس الشأن في أن تحب الله ، بل الشأن في أن يحبك الله ، ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا ، وصدَّقته خبرا ، وأطعته أمرا ، وأجبته دعوة ، وآثرته طوعا ، وفَنِيْتَ عن حُكمِ غيره بحكمه ، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته ، وعن طاعة غيره بطاعته ، وإن لم يكن ذلك فلا تَتَعَنَّ ، وارجع من حيث شئت فالتمس نورا ، فلست على شيء.[6]

(وهذه المنزلة والمكانة لأتباع الرسول ﷺ نابعة من كون هذا الاتباع إنما هو في الحقيقة إتباع لله ، إذ الرسول إنما جاء بهذا الدين من عند الله عز وجل ، فهو شرع الله ودينه الذي أوحاه لرسوله ﷺ ليبلغه للعباد ، فالرسول إنما هو مبلغ عن الله ، ولم يأت بشيء من عند نفسه ، قال تعالى ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ الآية[7]).[8]

---

[1] أخرجه ابن جرير في تفسير الآية ، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٠٧٣).

[2] «تفسير القرآن العظيم» ، سورة آل عمران ، آية ٣١ .

[3] «مدارج السالكين» ، منزلة المحبة ، (٣/٤٥٥).

[4] أي محبة الله.

[5] أي أن تُحِب وأن تُحَب.

[6] «مدارج السالكين» ، منزلة المحبة ، (٣/٤٨٤ – ٤٨٥).

[7] الآية الأخيرة من سورة الكهف.

[8] «حقوق النبي ﷺ » ، ص ١٧٩ .

١٠. وطاعة الرسول ﷺ فيها حياة الأرواح ، قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما **يحييكم** واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾[١].

قال ابن القيم رحمه الله: الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له ، وإن كانت حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات.

فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله وللرسول ظاهرا وباطنا ، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا ، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان ، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة ، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة ، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول ﷺ .[٢]

ثم أعقب الله تعالى أمره بالاستجابة للرسول بالتحذير من عدم الاستجابة أو التثاقل عنها ، فقال ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ ، قال ابن القيم رحمه الله:

إنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن يحول الله بينكم وبين قلوبكم ، فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة ، عقوبة لكم بعد وضوح الحق واستبانته ، فيكون كقوله ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ ، وقوله ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ، وقوله ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ ، ففي الآية تحذير عن ترك الاستجابة بالقلب وإن استجاب بالجوارح.[٣]

١١. وقد بلغ السلف رحمهم الله – وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم – الغاية في طاعة النبي ﷺ ، فقد كانوا يدورون مع النصوص حيث دارت ، ويحكمون على الرجل بأنه على الطريق ما كان على الأثر ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه قال: لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ.[٤]

---

[١] سورة الأنفال: ٢٤ .

[٢] «الفوائد» لابن القيم ، ص ١٤٠ .

[٣] «الفوائد» لابن القيم ، ص ١٤٤ ، بتصرف يسير جدا.

[٤] رواه البخاري (٣٠٩٣) ، ومسلم (١٧٥٩).

ولله دَرُّ الفاروق عمر رضي الله عنه حين قال: ... لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ .[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ ﴿للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ به اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، قال: فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكَب فقالوا: أي رسول الله ، كلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.

قال رسول الله ﷺ : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟

بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا إليك المصير.

قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتُهُم ، فأنزل الله في إثرها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المصِيْرُ﴾.

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى ، فأنزل الله عز وجل ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ * رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

قال[3]: نعم.

﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾.

قال: نعم.

﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

قال: نعم.

﴿وَاعفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾.

---

[1] رواه أبو داود (١٨٨٧) وابن ماجه (٢٩٥٢) وأحمد (١/٤٥) ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره. وقال الألباني: حسن صحيح.

[2] سورة البقرة: ٢٨٤ .

[3] أي الله تعالى ، أي قد فعلت وأجبت دعائكم هذا ، تخفيفا من الله على عباده ، وهذا من بركة استسلامهم للأمر الإلهي أن نَسَخَ الآية الأولى بهذه الآية.

قال: نعم.[1]

قال ابن أبي العز الحنفي[2] رحمه الله: فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ ، والانقياد لأمره ، وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولاً ، أو يحمله شبهة أو شكاً ، أو يقدم عليه آراء الرجال ، وزبالة أذهانهم ، فيوحده ﷺ بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما نُوَحِّد المرْسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.[3]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النَّبِي ﷺ: إن الله تعالى حـــرم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبع.

قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة ، فسفكوها.[4]

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر مناديا فنادى في الناس: (إن الله ورسوله ينهيانِكم عن لحوم الحمر الأهلية) ؛ فأُكفئت القدورُ وإنها لتفور باللحم.[5]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل ، لما أنزل الله ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ شققن مُروطِهن[6] فاختمرن بها.[7]

وفي رواية: أخذن أُزُرَهن فشققنها من قِبَل الحواشي[8] فاختمرن بها.[9]

---

[1] رواه مسلم (١٢٥).

[2] هو الإمام العلامة صدر الدين ، أبو الحسن ، علي بن علي بن محمد ، الدمشقي ، من علماء المائة الثامنة ، تأثر بشيخ الإسلام وانتصاره على خصومه من أهل البدع ، كان يرى التقيد بالكتاب والسنة وعدم التعصب لمذهب ما ، له الكتاب المعروف «شرح العقيدة الطحاوية» وهو عمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة ، وله أيضا رسالة طيبة في الاتباع.

تعرض رحمه الله لمحنة في دينه بسبب تعليقة على أبيات فيها شرك ، فصبر على تلك المحنة وسجن وعُزر بسببها ، توفي رحمه الله سنة ٧٩٢ .

انظر ترجمته للمشايخ د. عبد الله التركي وشعيب الأرناؤوط ، وتقع في مقدمة تحقيق كتابه «شرح العقيدة الطحاوية».

[3] «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (٢٢٨/١).

[4] رواه مسلم (١٥٧٨).

[5] رواه البخاري (٤١٩٩).

[6] المرط هو الكساء. انظر «النهاية».

[7] رواه البخاري (٤٧٥٨).

[8] الحواشي هي الأطراف.

[9] رواه البخاري (٤٧٥٨).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أرسل إلى رجل من الأنصار ، فجاء ورأسه يقطر ، فقال النبي ﷺ : لعلنا أعجلناك؟

قال: نعم.[1]

فهذا كان في حال جماعه مع أهله ، فلما دعاه ﷺ استجاب له ولم ينتظر الإنزال ، فذهب واغتسل وسارع لنداء النبي ﷺ له.

وفي قصة الإفك ، لما قال مسطح ما قاله في عائشة ؛ حلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعةٍ أبداً ، فأنزل الله عز وجل ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين﴾ ، يعني مِسطحاً ، إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم﴾.

فلما نزلت قال أبو بكر: بلى والله يا ربنا ، إنا لنحب أن تغفرَ لنا ، وعاد له بما كان يصنع.[2]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: استأذن الحُر لعيينة بن حصن ليدخل على عمر ، فأذِنَ له عمر ، فلما دخل قال: هَيْ يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزْل[3] ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى همَّ به.

فقال له الحُر: يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ ، وإن هذا من الجاهلين.

والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقَّافاً عند كتاب الله.[4]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: شهِدت من المقداد بن الأسود مشهدا لَأن أكون صاحبه أحب إلي مما عُدِل به ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا﴾ ، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ، يعني قوله.[5]

وعن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ : لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنَّكم إليها.

---

[1] رواه البخاري (١٨٠) مسلم (٣٤٥).

[2] رواه البخاري (٤٧٥٧).

[3] الجزْل أي الكثير. انظر «المعجم الوسيط».

[4] رواه البخاري (٤٦٤٢).

[5] رواه البخاري (٣٩٥٢).

قال: فقال بلال بن عبد الله بن عمر: والله لنمنعُهن.

قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه سباً سيئاً ، ما سمعته سبه مثله قط ، وقال: أُخبرك عن رسول الله ﷺ ، وتقول: والله لنمنعهن؟![1]

وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يخذِف[2] ، فقال له: لا تخذِف ، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذْف ، أو كان يكره الخذف ، وقال: (إنه لا يُصاد به صيد ، ولا يُنكأ به عدو ، ولكنها قد تكسرُ السِّن ، وتَفْقأُ العين).

ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف؟! لا أكلمك كذا وكذا.[3]

وعن عطاء بن يسار أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه باع سِقاية[4] من ذهب أو ورِق[5] بأكثر من وزنـها ، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا ، إلا مثلاً بمثل.

فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً.

فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية ، أنا أخبره عن رسول الله ﷺ ، ويخبرني عن **رأيه** ، لا أساكنك بأرض أنت بها.

ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر ذلك له ، فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أن لا تبيع ذلك إلا مثلا بمثل ، وزنا وزن.[6]

وقد بلغ عمر رضي الله عنه أن رجلاً يصوم الدهر ، فأتاه فَعَلاه بالدِّرَّة[7] وجعل يقول: كُلْ يا دْهري.[8]

---

[1] رواه مسلم (٤٤٢).

[2] الخذف هو رمي الحصا ، بأن تُجعل الحصاة بين سبابتين ويُرمى بها. انظر «النهاية».

[3] رواه البخاري (٥٤٧٩) ومسلم (١٩٥٤).

[4] السقاية إناء يشرب فيه. انظر «النهاية».

[5] الورِق هو الفضة.

[6] رواه مالك في «الموطأ» ، كتاب البيوع ، باب بيع الذهب بالفضة.

[7] «الدرة» اسم عصا لعمر رضي الله عنه ، علا بها الرجل فضربه بها.

[8] رواه ابن أبي شيبة (٩٥٥٦) ، كتاب الصيام ، باب من كره صوم الدهر ، وصححه ابن حجر كما في «فتح الباري» ، شرح حديث (١٩٧٧).

وقد سار التابعون على طريقة الصحابة في اتباعهم لأمر النبي ﷺ ، فقد قال الزهري: مِن الله الرسالة ، وعلى الرسول ﷺ البلاغ ، وعلينا التسليم.

وقال سهل بن عبد الله التستري: أصولنا ستة أشياء: التمسك بكتاب الله تعالى ، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق.

وقال: من كان اقتداؤه بالنبي ﷺ لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء ، ولا يجول قلبه[1] سوى ما أحب الله ورسوله ﷺ.[2]

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي[3] رحمه الله في «العقيدة الطحاوية»: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام) ، أي لا يثبت العبد على دين الإسلام إلا بالتسليم لنصوص الوحيين والانقياد إليها وعدم الاعتراض عليها بالرأي أو العقل أو القياس.[4]

١٢. والأسباب المعينة على الطاعة كثيرة ، وأهمها ثلاثة:

الأول: اللجوء والتضرع إلى الله عز وجل بأن يعينه على طاعة النبي ﷺ ، وإظهار الافتقار له في ذلك.

من أعظم الأسباب المعينة للعبد على اتباع ما جاء به نبينا محمد ﷺ ؛ لجوء العبد إلى ربه وتضرعه بين يديه وإظهار الافتقار والحاجة إليه ، بأن يهديه إلى الصراط المستقيم ، ويعينه على العمل ، وهذا هو دعاء المسلم في صلاته دائما ، ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ ، ومن اشتبه عليه الحق أو أشكل عليه فهمه ، فلا يتفرد بفَهمٍ خاص ، بل عليه أن يدعُ ربه أن يهديه للحق، كما كان يفعل النبي ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان[5] إذا قام من الليل

---

[1] أي لا يتجول في قلبه ويدر فيه.

[2] انظر «حلية الأولياء» (١٠/١٩٨).

وسهل التستري هذا قال فيه أبو نعيم قبل نقل كلامه أعلاه: عامة كلامه في تصفية الأعمال ، وتنقية الأحوال عن المعايب والأعلال.

[3] هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي ، مات سنة ٣٢١ . انظر «السير» (١٥/٢٧).

[4] وانظر شرح ابن أبي العز لعبارة الطحاوي رحمهما الله.

[5] أي النبي ﷺ .

افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، **اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك** ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.[1]

وكان من دعائه أيضاً: اللهم **انفعني** بما علمتني ، **وعلِّمني** ما ينفعني ، **وزدني** علماً.[2]

الثاني: تدبر آيات القرآن الكريم

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي[3] في تفسيره لقوله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[4] أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله ، ويتأملونه حق التأمل ، فإنهم لو تدبروه لدلهم على كل خير ، ولحذرهم من كل شر ، ولملأ قلوبهم من الإيمان وأفئدتهم من الإيقان ، ولأوصلهم إلى المطالب العالية والمواهب الغالية ، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها ، والطريق الموصلة إلى العذاب ، وبأي شيء يُحذر ، ولعرّفهم بربهم وأسمائه وصفاته وإحسانه ، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل ، ورهبهم من العقاب الوبيل.

﴿أم على قلوب أقفالها﴾ أي: قد أغلق ما فيها من الإعراض والغفلة والإعتراض ، وأقفلت فلا يدخلها خير أبداً ، هذا هو الواقع.

الثالث: صحبة طلبة العلم والعلماء وحضور مجالسهم والاستفادة من دروسهم العلمية

صحبة أهل السنة والجماعة المتمسكين بما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من أعظم الأسباب التي تعين على الاتباع والاستمساك بالحق ، وذلك لأن الصاحب ساحب للمرء وقائد ، فالخليل يحمل صاحبه على ما هو عليه ، فإن كان صاحب سنة واتّباع ؛ حَمَله على

---

[1] رواه مسلم (٧٧٠).

[2] رواه الترمذي (٣٥٩٩) وابن ماجه (٣٨٣٣) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[3] هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ، من فحول علماء نجد ، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم ، ولد عام ١٣٠٧ وتوفي عام ١٣٧٦ هجري ، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين ، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهم ، رحمهم الله.
انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام رحمه الله.

[4] سورة محمد: ٢٤ .

ذلك ، وإن كان صاحب بدعة وفسوق حمله على ذلك ، قال رسول الله ﷺ : الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل.[١]

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير[٢] ، فحامل المسك إما أن يُحذِيك[٣] ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة.[٤]

ولذا استفاضت أقوال السلف في الحث على صحبة أهل الاتباع والسنة وترك صحبة سواهم ، ومما يدل على تأثير الصحبة ما قاله يوسف بن أسباط: كان أبي قدرياً ، وأخْوالي روافض ، فأنقذني الله بسفيان.[٥]

وعن أيوب قال: إن من سعادة الحدث[٦] والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة.[٧]

وعن ابن شوذب قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك[٨] أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها.[٩]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا.[١٠]

ومن أقوال السلف في ذلك:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ، ولا تكن الرابع فتهلك.[١]

---

[١] رواه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٢] نافخ الكير هو الحدَّاد.

[٣] يُحذيك أي يعطيك. انظر «النهاية».

[٤] رواه البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨).

[٥] رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٧/١).

[٦] الحدث هو الشاب في أول عمره. انظر «النهاية».

[٧] رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٦/١).

[٨] أي إذا أقبل على العبادات وصار متمسكا بها.

[٩] رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦٧/١).

[١٠] رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: لا يزال الناس بخير ما بـقي الأول حتى **يتعلم** الآخر، فإذا هلك الأول قبل أن **يتعلم** الآخر هلك الناس.[٢]

فائدة: قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور ؛ وهي الإخلاص في العـمل ، والنصيحة لله فيه ، ومتابعة الرسول فيه ، وشهود مشهد الإحسان فيه ، وشهود منة الله عليه ، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله.[٣]

وانظر للفائدة أيضا ما قاله الشنقيطي رحمه الله في هذا الباب في كتابه «أضواء البيان» ، تفسير سورة محمد ، تفسير قوله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ، من عند قوله: (والحاصل أن نصوص الكتاب والسنة التي لا تُحصى واردة بإلزام جميع المكلفين بالعمل بالكتاب وسنة رسوله ﷺ) إلى قوله: (بل أدلة الكتاب والسنة دالة على وجوب تدبر الوحي وتفهمه وتعلمه والعمل به بكل ما عُلِمَ منه علما صحيحا ، قليلا كان أو كثيرا).

---

[١] رواه الدارمي في «سننه» ، باب في ذهاب العلم ، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٣٨٠).

[٢] رواه الدارمي في «سننه» ، باب في ذهاب العلم.

[٣] «إغاثة اللهفان» (٨٢/١) ، تحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله.

الحق الثالث: اجتناب ما نهى عنه وزجر

ضد طاعة النبي ﷺ معصيته ، وقد جاء التحذير من الله عز وجل من معصية النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ومن **يعص** الله **ورسوله** ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾[1]، وقال ﴿ومن يعص الله **ورسوله** فقد ضل ضلالا مبينا﴾[2] ، وقال ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع **الرسول** سبيلا * يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾[3]، وقال ﴿ومن يشاقق **الرسول** من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾، وقال ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله **ورسوله** وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم**﴾[4].

جاء في «الكشاف» عند تفسير هذه الآيات: أراد عز وجل أن يريهم عِظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع[5] ، فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله ، مع تصدير الجملة بـ «إنما» ، وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول[6] أحاطت صلته بذِكر الإيمانَين[7] ، ثم عقّبه بما يزيده توكيداً وتشديداً ، حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ ، وضمّنه شيئاً

---

[1] سورة النساء: ١٤

[2] سورة الأحزاب: ٣٦ .

[3] سورة الفرقان: ٢٧ – ٢٩ .

[4] سورة النور: ٦٢ – ٦٣ .

[5] سيأتي بيان المقصود من الأمر الجامع في كلام ابن كثير التالي إن شاء الله.

[6] وهو قوله ﴿الذين﴾.

[7] أي قوله ﴿أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾.

آخر ، وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين ، وعرَّض بالمنافقين وتسللهم لواذاً[1].
انتهى باختصار يسير.

وقال ابن كثير رحمه الله: وهذا أيضا أدبٌ أرشد الله عباده المؤمنين إليه ، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول ؛ كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف ، لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، من صلاة جمعة أو جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك ، أمرهم الله تعالى أن لا يتفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته ، وإنَّ من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين.

ثم قال عند قوله ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾: أي عن أمرِ رسول الله ﷺ ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قُبِل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله ، كائناً من كان ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ، أي فليحذر وليخشَ من خالف شريعة الرسول ظاهرا وباطنا أن تصيبهم فتنة ، أي في قلوبهم ، من كفر أو نفاق أو بدعة ، أو يصيبهم عذاب أليم ، أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. انتهى بتصرف يسير.

وقال أيضا رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ [2]:

وقوله ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ ؛ أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ ، فصار في شقٍّ والشرع في شق ، وذلك عن عمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له.

وقوله ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ ؛ هذا ملازم للصفة الأولى ، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع ، وقد تكون لما أجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما عُلِم اتفاقهم عليه تحقيقاً ، فإنه قد ضُمِنت

---

[1] أي يستر بعضهم بعضا ويروغ في خِيفة فيذهب ، قاله البغوي في «تفسيره».

[2] سورة النساء: ١١٥ .

لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم ، وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك.

ثم قال: ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله ﴿نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ ، أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نُحسِّنها في صدره ونزينها له استدراجاً له ، كما قال تعالى ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ ، وقال تعالى ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ ، وقوله ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾.

وجعل النار مصيره في الآخرة ، لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلاَّ إلى النار يوم القيامة. انتهى كلامه رحمه الله.

- وقد جاءت السنة كذلك بالتحذير من معصية النبي ﷺ في قوله: إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم.[1]

ومعصية النبي ﷺ سبب للعقوبة في الدنيا قبل الآخرة ، فقد ثبت من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله ، فقال له: كل بيمينك ، قال: لا أستطيع ، فقال له ﷺ: لا استطعت ، ما منعه إلا الكِبر ، قال: فما رفعها إلى فيه.[2]

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فلما أتينا تبوك قال: أمَا إنها ستهبُّ ريحٌ شديدة ، فلا يقومَنَّ أحدٌ ، ومن كان معه بعير فليعقِلْه.

فعقلناها ، وهبَّت ريح شديدةٌ فقام رجل فألقته بجبل طَيْء.[3]

وعن سعيد بن المسيَّب بن حَـزْن[4] عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟

قال: حَـزْن.

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] رواه مسلم (٢٠٢١).

[3] رواه البخاري (١٤٨٢) ومسلم (١٣٩٢).

[4] (حَزْن) بسكون النون هو الصعب الغليظ، وضده (سهل)، وفي الحديث: اللهم لاَ سَهْلَ إلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْن إِنْ شِئْتَ سَهْلاً.

قال: أنت سهل.

قال: ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبي.

قال ابن المسيَّب: فما زالت فينا الحُزونة بعد.[1]

يعني أنه وقعت فيهم صُعوبةَ الأمورِ وامتِناع التَّسهيلِ فيما يُريدون بسبب الاعتراض على مشورة النبي صلى الله عليه وسلم.

- **فصل في أنواع المعصية**

ومعصية النبي ﷺ أربعة أنواع ، صغائر وكبائر وبدع وكفر.

فأما الكبيرة فهي كل ذنب ورد في حق فاعله لعنة أو غضب أو وعيد بالنار أو حدٌّ ، قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: وهذا أمثل الأقوال.[2]

وصاحب الكبيرة تحت المشيئة في الآخرة ، إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له ، فعلى هذا فينبغي الحذر من الوقوع في الكبائر ، قال تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما﴾.

ومن أنواع الكبائر السرقة وشرب الخمر وأكل الربا والزنا وقطيعة الرحم وتبرج النساء ونحو ذلك ، فكل هذه ورد فيها إما حدٌّ في الدنيا أو نص على عقوبة في الآخرة أو كلاهما.

وأما الصغيرة فهي الذنب الذي لم يرد فيه حَـدٌّ في الدنيا ولا وعيد خاص في الآخرة.[3]

غير أنه ينبغي التنبه إلى أن الصغيرة إذا استمر عليها الإنسان ولم يتب منها صارت كبيرة ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم ومحقَّرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه) ، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع

---

[1] رواه البخاري (٦١٩٠).

[2] انظر «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي ، (٥٢٥/٢) ، و «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٦٥٠/١١) ، والجرجاني في كتابه «التعريفات».

[3] انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٦٥٠/١١ – ٦٥١) ، وعزا هذا القول لابن عباس وأبو عبيد القاسم بن سلام والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم ، وقال: هو أمثل الأقوال.

القوم ، (أي حضر وقت صنع طعامهم)، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا فأجَّجوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها.[1]

ولهذا صح عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار. رواه ابن جرير.

وقالت العلماء: الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة.[2]

وأما الكفر فهو ارتكاب شيء من نواقض الإسلام ، كعبادة غير الله من الأنبياء أو الصالحين أو قبورهم ، أو سب الله أو رسوله أو الدين ، أو الاستهزاء بشيء منها ، أو رد شيء معلوم من الدين بالضرورة؛ كالإيمان بالله أو إنكار تحريم شرب الخمر حرام – مثلا ، أو اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ أفضل من هديه، أو ارتكاب السحر ، أو مظاهرة الكافرين على المؤمنين رغبة في دينهم.

وموجِبات الوقوع في الكفر كثيرة ، ذكرها الفقهاء في كتب الفقه في باب المرتد، إلا أن هذه بعض أمثلتها.

- **فصل في البدعة**

وأما البدعة ؛ فالابتداع لغة هو الاختراع والإحداث ، وشرعا هو إحداث عبادات أو اعتقادات في الدين لم تأت بها الشريعة.

والبدع تكون في الاعتقادات وتكون في الأعمال ، أي العبادات.

ومن بدع العبادات التسبيح الجماعي بعد الصلوات، وصلاة الظهر بعد صلاة الجمعة، والاحتفال بالمولد النبوي، والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، وغير ذلك من الأفعال التي يرتكبها بعض الناس

---

[1] رواه أحمد (١/٤٠٢ – ٤٠٣) ، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره.

[2] قاله النووي في شرحه على صحيح مسلم ، شرح حديث رقم (٨٧).

يتقربون بها إلى الله بزعمهم، وهي لا تزيدهم إلا بعدا، لأن الله لم يشرَعها، وقد سماها النبي (صلى الله عليه وسلم) ضلالة، كما في الحديث: كل بدعة ضلالة.[1]

والواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة، وألا يُعبد الله إلا بما شرع، والحذر من معصية النبي (صلى الله عليه وسلم) أيا كان نوعها وأيا كانت دوافعها، فإن من اعتصم بالكتاب والسنة نجا، ومن حاد عنهما هلك، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): خلَّفتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ **كتابَ الله وسنتي**.[٢]

وسيأتي مزيد كلام في البدعة في الحق الرابع إن شاء الله.

ودوافع معصية النبي ﷺ – بأنواعها الأربعة المذكورة – لا تخرج عن ثلاثة: اتباع هوى النفس ، القول بالرأي ، التقليد الأعمى.

- **فصل في اتباع الهوى**

اتباع الهوى — أي هوى النفس – يقود إلى أنواع المعاصي الأربع كلها ، فإنه يقود إلى ارتكاب الصغائر ، كالنظرة الحرام مثلا ، ثم إذا أصر المرء على تلك الصغيرة ؛ اجتمعت تلك الصغائر فصارت كبيرة ، كما تقدم.

واتباع هوى النفس يقود أيضا إلى ارتكاب كبائر الذنوب كالزنا وآفات اللسان كالكذب والغيبة وأكل الربا وشرب الخمر والصلاة عند القبور وغير ذلك من الذنوب التي ورد في حقها الوعيد الشديد لمن ارتكبها.

واتباع الهوى يقود أيضا إلى الوقوع في البدع ، والابتداع هو فعل عبادات لم ترد في الكتاب ولا في السنة ، كالتسبيح الجماعي بعد الصلوات ، وصلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، والاحتفال بالمولد

---

[1] رواه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنهما، ورواه أحمد (١٢٦/٤ – ١٢٧) وغيره عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

[٢] رواه الخطيب في «كتاب الفقيه والمتفقه» (٢٧٤/١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٣٢).

النبوي وليلة الإسراء والمعراج ، وغير ذلك من الأفعال التي يرتكبها بعض الناس لتقربه إلى الله ، وهي لا تزيده إلا بعدا ، لأنها لم يشرعها الله ، وقد سماها النبي ﷺ ضلالة ، كما في الحديث: كل بدعة ضلالة.[1]

كما أن هوى النفس يقود أيضا إلى الكفر ، فكم من إنسان يعرف أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يقبل الله دينا سواه ، ومع هذا يعرض عنه تقليدا لما كان عليه آباؤه وأجداده ، وهذا هو عين الانقياد لهوى النفس ، كما فعل أبو طالب عم النبي ﷺ لما رفض الدخول في دين الإسلام ، ليس بدافع كراهية الحق ، وإنما بدافع الخوف من ملامة قومه أو سبهم له ، فقال في «لاميته»:

ولقد علمتُ بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

وقال فيه أيضًا:

لقد علِموا أن ابننا لا مُكذَّب لدَينا ولا يُعنى بقول الأباطل

ومن مظاهر الهوى ؛ الحسد ، وقد ردت اليهود دعوة النبي ﷺ حسدا للعرب لكون النبي ﷺ منهم ، وإلا فإنهم يعرفون أنه نبي من عند الله ، وصفته مذكورة في كتبهم ، ولكنهم كانوا يترقبون خروجه منهم – أي من اليهود – ، فلما خرج من العرب ردوا دعوته وكفروا بها حسدا من عند أنفسهم ، قال الله تعالى عنهم ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾.

ومن مظاهر الهوى ؛ الكبر ، ومن هذا إباء الشيطان أن يسجد لآدم لما أمره الله بذلك ، لكونه قد خُلِق من نار وخلق آدم من طين.

وربما كان هناك صور أخرى لاتباع الهوى توجد في مظانها.[2]

---

[1] سيأتي تخريجه ، وراجع للاستزادة كتاب «معجم البدع» لرائد صبري ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

[2] يراجع للاستزادة كتاب «اتباع الهوى ، خطره ، مظاهره ، علاجه» ، للدكتور سليمان الغصن ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

وقد جاء تحذير السلف رحمهم الله – من الصحابة والتابعين – من اتباع الهوى ، ومن ذلك ما قاله الشعبي: إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار.[1]

قال أبو العالية: ما أدري أي النعمتين علي أعظم ؛ إذ أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام ، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوى.[2]

- **فصل في القول بالرأي**

المقصود بالرأي هو الرأي الباطل الغير مستند إلى دليل أو قياس صحيح ، وإنما مستنده ثلاثة أمور ؛ إما الإعجاب بالعقل ، ومن ثم تقديم ما يمليه عليه عقله على الدليل النقلي ، أو القياس الخاطئ ، أو الاستحسان والذوق.

فأما الإعجاب بالعقل فمن أمثلته أن رد بعض المعجبين بعقولهم حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء.[3]

وآخر من علماء الجيولوجيا سألته شخصيا عن حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم.[4]

فقال إن سبب سواده هو وجود مادة النيكل فيه ورد الحديث !!!

وآخر من علماء الجيوفيزياء أخبرني شخصيا بالوقت الذي تقوم فيه الساعة — بزعمه – بناء على حسابات رياضية!

وأما القياس الخاطئ فغالب من يقع فيه من لا يعرف ضوابط القياس الشرعي الصحيح فيخطئ الإجابة.

---

[1] رواه اللالكائي (٢٢٩).

[2] رواه اللالكائي (٢٣٠).

[3] رواه البخاري (٥٧٨٢).

[4] رواه الترمذي (٨٧٧) وقال: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح.

وأما مسألة الاستحسان والذوق فغالبه استحسان عبادات لم تأت في الشريعة ، وهي التي تعرف بالبدع ، ومن الأمثلة على ذلك أن ما رواه أنس بن مالك أن ثلاثة رهط[1] أتوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا **كأنهم تقالُّوها**[2] ، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني.[3]

وفي رواية مسلم: (لا آكل اللحم) بدلا من (أصوم ولا أفطر).

ولسان حال المبتدع أن الله لم يتم الدين ، أو أن النبي ﷺ لم يبلغه ، وأنه أعلم بدين الله من النبي ﷺ وصحابته ، وكل هذه الدعاوى الثلاث باطلة ، وسيأتي – قريبا إن شاء الله – ذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية في الحث على الاعتصام بالقرآن والسنة والحذر من البدع التي ابتدعها من جاء بعد القرون الثلاثة المفضلة الأولى.

وقد جاء تحذير السلف رحمهم الله – من الصحابة والتابعين – من القول بالرأي ، فقد قال علي رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه.[4]

---

[1] الرهط هم العدد من الرجال.

[2] وهذا موضع الشاهد.

[3] رواه البخاري (٥٠٦٣) ، ورواه مسلم (١٤٠١) بنحوه.

[4] رواه أبو داود رقم (١٦٢) وغيره ، وصححه الألباني رحمه الله ، وهو مروي عن عمر ، رواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٤٧٩).

وروى الدارمي عن ابن عباس قال: من أحدث **رأيا** ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ ؛ لم يُدر ما هو عليه إذا لقي الله عز وجل. [1]

وكتب عمر بن عبد العزيز: إنه لا رأي لأحد في كتاب الله ، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ ، ولا **رأي** لأحد في سنةٍ سنها رسول الله ﷺ .[2]

وعن عمر بن عبد العزيز قال: سن رسول الله وولاة الأمر بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعته ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في **رأي** من خالفها ، فمن اقتدى بما سنّوا اهتدى ، ومن استبصر بها تبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.[3]

وروى الدارمي عن أبي نضرة قال: لما قدم أبو سلمة البصرة أتيته أنا والحسن ، فقال للحسن: أنت الحسن؟ ما كان أحد بالبصرة أحب إلي لقاء منك ، وذلك أنه بلغني أنك تفتي **برأيك** ، **فلا تفت برأيك** إلا أن تكون سنة عن رسول الله ﷺ أو كتاب مُنَزل.[4]

ولقي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جابر بن زيد في الطواف فقال: يا جابر ، إنك من فقهاء أهل البصرة ، وإنك سَتُستَفتى ، فلا تُفتِيَنَّ إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فإنك إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت.[5]

وروى ابن عساكر عن أبي بصرة أن أبا سلمة – وهو قاضي المدينة وفقيهها – قدم البصرة ، فلما رأى الحسن قال له: من أنت؟ فقال: أنا الحسن بن أبي الحسن ، قال: ما كان بهذا المصر أحد أحب

---

[1] رواه الدارمي في المقدمة ، باب الفتيا وما فيها من الشدة ، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» ، باب تغيير البدع.

[2] رواه الدارمي في المقدمة ، باب ما يتقا من تفسير حديث النبي ﷺ ، وذكره المروزي مختصرا عن بعض السلف عن عمر بن عبد العزيز في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٤٥).

[3] رواه الخطيب البغدادي في كتاب «الفقيه والمتفقه» ، باب القول في انه يجب اتباع ما سنّه أئمة السلف (٤٥٥) ، و «الشريعة» للآجري (١٠٦/١) ، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٣٢٠/٢).

[4] رواه الدارمي في المقدمة ، باب الفتيا وما فيها من الشدة.

[5] رواه أبو نعيم في «الحلية» ، (١٠٢/٣) ، والدارمي في سننه ، باب الفتيا وما فيها من الشدة ، والخطيب في كتاب «الفقيه والمتفقه» (٤٩٠).

إلي أن ألقاه منك ، وذلك أنه بلغني أنك تفتي الناس ، فاتق الله يا حسن ، وافت الناس بما أقول لك ، وافتِهم بشيء من القرآن قد علِمته ، أو سنة ماضية قد بيَّنتها الصالحون والخلفاء ، وانظر **رأيك الذي هو رأيك فألقه.**[1]

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله لا ينزِع العلم بعد إن أعطاكموه انتزاعاً ، ولكن ينتزِعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال يُستفتون فيُفتون **برأيهم** ، فيَضلون ويُضلون.[2]

وروى سعيد بن منصور في «سننه» عن ابن أبي مليكة قال: سُئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن آية من كتاب الله عز وجل ، قال: أيةُ أرض تقلني ، أو أيةُ سماء تظلني ، أو أين أذهب وكيف أصنع إذا أنا قلت في آية من كتاب الله بغير ما أراد الله بها؟[3]

وروى البيهقي عن عبيد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **اتقوا الرأي** في دينكم.[4]

وروى ابن عبد البر عن عمرو بن حريث قال: قال عمر رضي الله عنه: إياكم وأصحاب الرأي ، فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ، فقالوا **بالرأي** ، فضلوا وأضلوا.[5]

وبإسناده عن عبد الله قال: لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر من الذي قبله ، أما إني لا أقول أمير خير من أمير ، ولا عام أخصب من عام ، ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفا ، ويجيء قوم يقيسون الأمور **برأيهم.**[6]

---

[1] «تاريخ دمشق» (٣٠٦/٢٩) ، الناشر: دار الفكر – بيروت.

[2] رواه البخاري (٧٣٠٧) ، ومسلم (٢٦٧٣) ، واللفظ للبخاري.

[3] ص ١٦٨ .

[4] «المدخل إلى السنن الكبرى» (٢١٠) ، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢١٠/٢).

[5] «جامع بيان العلم وفضله» (٢١١/٢) ، وقد روي هذه الأثر بعدة أسانيد عن عمر ، قال عنها ابن القيم رحمه الله: وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة. «إعلام الموقعين» ، فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي ، (٦٣/١).

[6] «جامع بيان العلم وفضله» (٢١١/٢).

وبإسناده عن ابن عباس قال: إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ، فمن قال بعد ذلك **برأيه** فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته.[1]

وروى الدارمي في «سننه» بسنده عن الشعبي قال: ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله ﷺ فخذوا به ، وما كان من **رأيهم** فاطرحوه في الحُش[2].[3]

- **فصل في التقليد[4]**

التقليد هو الدافع الثالث من دوافع مخالفة النبي ﷺ ، والتقليد هو هو اتباع قول من ليس بحجة بدون حجة من كتاب الله أو سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

والواجب هو اتباع النبي ﷺ بالدليل الشرعي من الكتاب أو السنة أو كلاهما ، والتقليد الأعمى خلاف الاتباع.

والاتباع بالدليل وسط بين طرفين ، هما التقليد واتباع الرأي ، وبيان ذلك أن التقليد فيه تعطيل للعقل ، واتباع الرأي فيه تقديم العقل على النقل ، وأما الاتباع فهو تسليم العقل لما يمليه النقل المنزل من لدن الحكيم الخبير.

وخطورة التقليد تكمُن في اتباع قول باطل ، لعالم أو غير عالم ، وسواء في العقيدة أو الشريعة أو السلوك ، فيحصل بهذا الإثم ، وقد بلي بهذا كثير من المسلمين.

والتقليد لا يجوز إلا لواحد وهو النبي ﷺ ، وما سواه فلا يجوز تقليدهم إلا إذا كانوا مستندين على الدليل ، والله المستعان.

قال ابن تيمية رحمه الله:

---

[1] «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢١٤).

[2] الحش هو مكان قضاء الحاجة. انظر «النهاية».

[3] المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي.

[4] عقد الشيخ الشنقيطي رحمه الله في كتابه «أضواء البيان» فصلا أصوليا مطولا في مسألة التقليد ، وذلك في تفسير سورة محمد عند تفسير قوله تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ، من عند قوله: المسألة الثالثة في التقليد.

والواجب على كل مسلم يشهد أن (لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) ؛ أن يكون أصل قصده توحيد الله ، بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله ، يدور على ذلك ويتّبعه أين وجده ، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة ، فلا ينتصر لشخص انتصارا مطلقا عاما إلا لرسول الله ﷺ ، ولا لطائفة انتصارا مطلقا عاما إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار ، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا ، فإذا أجمعوا لم يُجمعوا على خطأ قط ، بخلاف أصحاب عالم من العلماء ، فإنهم قد يُجمعون على خطأ ، بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ ، فإن الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلّما إلى عالم واحد وأصحابه ، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرا لرسول الله ﷺ ، وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع ، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول ، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل ، ويمتنع أن يكون أحدهم علِم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة ، فلابد أن يكون قوله إن كان حقا مأخوذا عما جاء به الرسول ، موجودا فيمن قبله ، وكل قول قيل في دين الإسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون – لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه – فإنه قول باطل. انتهى.[1]

وقال أحمد بن حنبل: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.[2]

قال ابن الجوزي رحمه الله:

(وفي التقليد إبطال منفعة العقل ، لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر ، وقبيح بمن أُعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة.

---

[1] «منهاج السنة النبوية» (٥/٢٦١ – ٢٦٣).

[2] رواه ابن الجوزي عنه في كتابه «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» ، ص ٢٤٩ .

واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظُم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر لما قال ، وهذا عين الضلال ، لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل ، كما قال علي عليه السلام[1] للحارث بن حوط وقد قال له: أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل؟

فقال له: يا حارث ، إنه ملبوس عليك ، إن الحق لا يعرف بالرجال ، إعرف الحق تعرف أهله.

وكان أحمد بن حنبل يقول: من ضِيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلا.

ولهذا أخذ أحمد بن حنبل بقول زيد في الجد[2] وترك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه).[3]

فإن قال قائل: فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون؟

فالجواب: ينبغي للعامي أن يجتهد في اختيار العالم الذي يقلده ، فيختار شديد التمسك بالسنة ، الشديد الخوف من الله.

قال ابن عبد البر رحمه الله: إن العامة لابد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها ، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل لعدم الفهم إلى علم ذلك ، لأن العلم درجات ، لا سبيل إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها ، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة ، والله أعلم.

ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها ، وأنهم المرادون بقول الله عز وجل ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ، وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة[4] إذا أشكلت عليه ، فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به ؛ لا بد له من تقليد عالمه.

---

[1] الأولى أن يقال في حقه: رضي الله عنه ، أسوة بغيره من الصحابة ، أما تخصيصه بالتسليم فليس من هدي القرون الثلاثة المفضلة ، ولا يفعل هذا إلا الرافضة لأنهم يغلون فيه ويعظمونه بل يعبدونه ، ثم إن في هذا تشبيه له بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأما دعوى بعضهم أنه اختُصَّ بذلك لأنه لم يسجد لصنم قط فهذا لا يوجب تخصيصه بالسلام ، ثم إنه لم ينفرد بهذا عن باقي الصحابة ، ولهذا لم يخصه أصحاب السنن والمسانيد بالسلام بل ترضوا عنه كباقي الصحابة رضوان الله عليهم.

[2] أي في إسقاط الجد للورثة من إخوة وأخوات أو عدم إسقاطه.

[3] «تلبيس إبليس» ، ذكر تلبيس إبليس على أمتنا في العقائد والديانات ، ص ٤٨٢ ، (الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض) ، باختصار يسير.

[4] أي تمييزه ومعرفته للقبلة.

وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا ، وذلك والله أعلم لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم والقول في العلم.[1]

قال ابن تيمية رحمه الله: والذي عليه جماهير الأمة أن الاجتهاد جائز في الجملة ، والتقليد جائز في الجملة ، لا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويحرمون التقليد ، ولا يوجبون التقليد على كل أحد ويُحرِّمون الاجتهاد ، وأن الاجتهاد جائز للقادر على الاجتهاد ، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد ، فأما القادر على الاجتهاد فهل يجوز له التقليد ؛ هذا فيه خلاف ، والصحيح أنه يجوز حيث عجز عن الاجتهاد ، إما لتكافؤ الأدلة ، وإما لضيق الوقت عن الاجتهاد ، وإما لعدم ظهور دليل له.[2]

قلت: ومن أمثلة التقليد الباطل في مسائل العقيدة مما هو كفر ؛ تقليد المجتمع في فعل عبادات شركية ، كدعاء أصحاب القبور والذبح لها.

ومن أمثلة التقليد الباطل في مسائل العقيدة – مما هو من البدع الغير مكفرة – تقليد المجتمع في بدعة المولد النبوي والصلاة عند القبور ، اعتقادا أن للصلاة عندها مزية وفضيلة فحسب ، وأما من قصد بصلاته التقرب لذلك الميت فهو مشرك قطعا.

ومن أمثلة التقليد الباطل في مسائل الشريعة تقليد المجتمع في صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، وابتداع أذكار وأدعية نبوية تقال بعد الصلوات لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن صحابته.

وأكثر الذين يفعلون ذلك يفعلونه بدافع التقليد الأعمى لمجتمعاتهم ، بدون بينة ولا برهان ، وربما لو بين لهم الحق لتركوا ما هم عليه.

والتقليد يجوز عند الضرورة ، في حق الرجل العامي الذي ليس عنده مقدرة على البحث عن الحق ، فمثل هذا يجوز في حقه أن يقلد أحد من أهل العلم الموثوق بعلمهم ودينهم في البلد ، المعروفين بالتمسك بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فمثل هؤلاء إذا وُجدوا فلا يجوز العدول عنهم إلى غيرهم.

---

[1] «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٨٩).

[2] «مجموع الفتاوى» (٢٠/٢٠٣-٢٠٤).

وقال ابن القيم رحمه الله:

والمصنفون في السنة جمعوا بين فساد التقليد وإبطاله وبيان زلة العالم ليبينوا بذلك فساد التقليد ، وأن العالِم قد يزِل ولا بُد ، **إذ ليس بمعصوم ، فلا يجوز قبول كل ما يقوله** ويُنَزَّل قوله منزلة قول المعصوم ، فهذا الذي ذمّه كل عالم على وجه الأرض ، وحرّموه ، وذموا أهله ، وهو أصل بلاء المقلدين وفتنتهم ، فإنهم يقلدون العالم فيما زلّ فيه وفيما لم يزل فيه ، وليس لهم تمييز بين ذلك ، فيأخذون الدين بالخطأ ولابد ، فيُحِلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، ويُشرِّعون ما لم يشرع ، ولا بدّ لهم من ذلك ، إذ كانت العصمة منتفية عمن قلدوه ، فالخطأ واقع منه ولابد.[1]

وقال أيضا رحمه الله:

لا يستقر للعبد قدمٌ في الإسلام حتى يعقِد قلبه وسِره على أن الدين كله لله ، لا رب سواه ، ولا متبوع غيره ، وأن كلام غيره يُعرض على كلامه ، فإن وافقه قبلناه ، لا لأنه قاله ، بل لأنه أخبر به عن الله ورسوله ، وإن خالفه رددناه واطّرحناه ، ولا يعرض كلامه صلوات الله وسلامه عليه على آراء القياسيين ، ولا عقول الفلاسفة والمتكلمين ، ولا على سياسة الولاة الحاكمين والسلاطين ، ولا أذواق المتزهدين والمتعبدين ، بل تُعرض هذه كلها على ما جاء به عرض الدراهم المجهول حاملها على أخبر الناقدين ، فما حُكم بصحته منها فهو المقبول ، وما حُكم بِرَده فهو المردود ، والله الموفق للصواب.[2]

وقد جاء التحذير القرآني من التقليد الأعمى في قوله تعالى ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾.

كما جاء التحذير النبوي من التقليد الأعمى ، لكون ذلك سببا للزلل ، فإن خطورة التقليد كما تقدم تكمن في زلة العالم ، ثم قلده من قلده ، وفي التمسك بالأثر عصمة من الزلل بإذن الله ، فعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟

قال: قلت: لا.

---

[1] «إعلام الموقعين» (١٦٩/٢) ، ذكر تفصيل القول في التقليد وانقسامه.

[2] «الصواعق المرسلة» ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

قال: **يهدمه زلة العالم** ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين.[1]

ومن المعلوم أن المخُوف من زلة العالم **تقليده فيها** ، إذ لولا التقليد لما خيف من زلة العالم على غيره.

وأما آثار السلف في التحذير من التقليد فكثيرة جدا ، ومن ذلك ما قاله ابن عباس: ويل للأتباع من عثرات العالم.

قيل: كيف ذلك؟

قال: يقول العالم شيئا برأيه ، ثم يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه ، فيترك قوله ذلك ثم يمضي الأتباع.[2]

وفيما يلي طائفة من كلام الأئمة الأربعة في التحذير من التقليد ، نقلت عامتها من مقدمة كتاب «صفة صلاة النبي ﷺ » للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

أبو حنيفة النعمان رحمه الله

فأما أولهم وهو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله ؛ فقد روى عنه أصحابه أقولاً شتى وعبارات متنوعة ، كلها تؤدي إلى شيء واحد وهو: وجوب الأخذ بالحديث ، وترك تقليد آراء الأئمة المخالفة له ، فمن هذا قوله رحمه الله: إذا صح الحديث فهو مذهبي.[3]

وقال: لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه.[4]

وفي رواية: حرام على من لم يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي.

وزاد في رواية: فإننا بشر ، نقول القول اليوم ، ونرجع عنه غداً.

وفي رواية أخرى: ويحك يا يعقوب[5] ، لا تكتب كل ما تسمع مني ، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً ، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد.

---

[1] رواه الدارمي في المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي.

[2] «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١٦٥ – ١٦٦).

[3] «حاشية ابن عابدين» (١/٦٣) ، كما في «صفة الصلاة».

[4] «حاشية ابن عابدين» على البحر الرائق (٦/٢٩٣) ، كما في «صفة الصلاة».

[5] هو أبو يوسف ، من أجل أصحاب أبي حنيفة.

علق الألباني رحمه الله بقوله: وذلك لأن الإمام كثيراً ما يبني قوله على القياس ، فيبدو له قياس أقوى ، أو يبلغه حديث عن النبي ﷺ فيأخذ به ويترك قوله السابق.

وقال: إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ﷺ ؛ فاتركوا قولي.[1]

مالك بن أنس رحمه الله

وأما الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقال:

إنما أنا بشر ، أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.[2]

وقال: ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك ، إلا النبي ﷺ .[3]

محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله

قال رحمه الله: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزُبُ[4] عنه ، فمهما قلت من قول أو أصَّلتُ من أصلٍ فيه عن رسول الله ﷺ خلافَ ما قلتُ ؛ فالقول ما قال رسول الله ﷺ ، وهو قولي.[5]

وقال: أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ ؛ لم يحل له أن يدعها لقول أحد.[6]

---

[1] ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص ٥٠) ، المطبعة المنيرية كما في «صفة الصلاة».

[2] رواه عنه ابن عبد البر في «الجامع» (٦٢٢/١).

[3] قال الألباني في حاشيته على الأثر المذكور في مقدمة «صفة الصلاة»: نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين ، وصححه عنه ابن عبد الهادي في «إرشاد السالك» (٢٢٧/١). اهـ.

قلت: وقد نقله الذهبي عنه في السير وهو مشهور عنه ، ولفظه: كل أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ .

كما رواه ابن عبد البر في «جامعه» من عدة طرق عن مجاهد (١١٨/٢-١١٩) ، ورواه أيضا عن الحكم بن عتيبة (١١٨/٢).

[4] أي تغِيبُ عنه.

[5] رواه البيهقي بسنده إلى الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: فذكره. انظر «مناقب الشافعي» (٤٧٤/١ – ٤٧٥) (الناشر: مكتبة التراث – القاهرة).

[6] ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص ٦٨) كما في «صفة الصلاة».

وقال: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ؛ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت.[1]

وفي رواية: فاتبعوها ، ولا تلتفتوا إلى قول أحد.[2]

وقال: إذا صح الحديث فهو مذهبي.[3]

وقال: كل مسألة تكلمت فيها ، صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت ؛ فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي.[4]

وقال: اشهدوا أني إذا صح عندي الحديث عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به فإن عقلي قد ذهب.[5]

وقال: كلما قلت ، وكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح ؛ فحديث النبي ﷺ أولى ، ولا تقلدوني.[6]

وقال: كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي ، وإن لم تسمعوه مني.[7]

وقال أيضا: إذا صح عن رسول الله ﷺ حديث ، وقلت قولا ؛ فأنا راجع عن قولي ، قائل بذلك.[8]

أحمد بن حنبل رحمه الله

قال رحمه الله: لا تقلدني ، ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا.[1]

---

[1] رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٢٢٤/١) ، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٣٨٩/١).

[2] رواه أبو نعيم في «الحلية» (١١٤/٩).

[3] ذكره الفلاني في «الإيقاظ» (ص ١٠٧) كما في «صفة الصلاة».

[4] رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٣٨٩) ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

[5] رواه أبو نعيم في «الحلية» (١١٣/٩) ، وبنحوه رواه البيهقي في «المدخل» (٢٢٥/١) ، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٣٨٨/١-٣٨٩).

[6] رواه أبو نعيم في «الحلية» (١١٣/٩).

[7] رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» ، ص ٩٣ – ٩٤ ، كما في «صفة الصلاة».

[8] رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» رقم (٣٩١) ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

وفي رواية: لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به ، ثم التابعين بعدُ الرجل فيه مُخَيَّر[٢].

وقال مرَّةً: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء به النبي ﷺ وعن الصحابة ، ثم هو مِن بعد التابعين مخير.[٣]

وقال: رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي سفيان كله رأي ، وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار.[٤]

وقال: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.[٥]

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:

فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ أن يبينه للأمة ، وينصح لهم ، ويأمرهم باتباع أمره ، وإن خالف ذلك رأي عظيمٍ من الأمة ، فإن أمْر رسول الله ﷺ أحقُّ أن يعظم ويقتدى به مِن رأي معظَّمٍ قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأً ، ومن هنا ردّ الصحابة ومن بعدهم على كل من خالف سنة صحيحة ، وربما أغلظوا في الرد ، لا بغضاً له ، بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم ، لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم ، وأمره فوق أمر كل مخلوق ، فإذا تعارض أمر الرسول ﷺ وأمر غيره ؛

---

[١] ذكره الفلاني في كتابه «الإيقاظ» (ص ١١٣) نقلا من «صفة الصلاة».

[٢] أي في المسائل الاجتهادية التي لم يرد فيها نص في الكتاب والسنة ، ولم يفتِ فيها الصحابة رضي الله عنهم ، فعندئذ يصح الرجوع إلى فتاوى التابعين.

[٣] ذكرهما أبو داود في «مسائل الإمام أحمد» ، باب في الرأي ، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

[٤] رواه ابن عبد البر في «الجامع» (٢/٢٤٢).

[٥] روى ذلك ابن الجوزي عنه في كتابه «مناقب أحمد» ، الباب الثاني والعشرون في ذكر تعظيمه لأهل السنة والنقل ، ص ٢٤٩ ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: دار هجر للنشر والتوزيع.

كما عقد ابن الجوزي في الكتاب المذكور بابا ذكر فيه أقوالا للإمام أحمد في الحث على التمسك بالسنة والأثر ، فليراجعه من أراد الاستزادة.

فأمر الرسول ﷺ أولى أن يقدم ويتبع ، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفوراً له[1]، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يُخالَف أمره إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه. انتهى.[2]

وقد كان السلف يعظمون أمر النبي ﷺ ويقدمونه ولو خالف أمر آبائهم وعلمائهم ، كما روى أبو يعلى في «مسنده»[3] بإسناد جيد رجاله ثقات[4] عن سالم بن عبد الله بن عمر قال:

جلس رجل من أهل الشام إلى عبد الله بن عمر وأنا معه ، فقال له: يا أبا عبد الرحمٰن ، ما ترى في التمتع بالعمرة إلى الحج؟

فقال له عبد الله: حسن جميل لمن صنع ذلك.

فقال له الرجل: فإن أباك قد كان ينهى عنها.

فغضب عبد الله ثم قال: ويلك أرأيت إن كان أبي نهى عنها وكان رسول الله ﷺ عمل بها ، أمر رسول الله ﷺ تأخذ أم بأمر أبي؟

قال: لا ، بل بأمر رسول الله.

قال: فإن رسول الله ﷺ قد فعل ذلك ، فقم لشأنك.

قال الألباني رحمه الله: إسناد جيد ، رجاله ثقات.[5]

قال مقيده عفا الله عنه: وقد كان عمر ينهى عن المتعة ويأمر بالإفراد لئلا يهجر البيت خلال بقية العام ، لأن الناس إذا جمعوا بين الحج والعمرة في الحج هجروا العمرة خلال العام ، فنهى عمر عن التمتع وأمر بالإفراد حتى يضطر الناس للاعتمار خلال العام لمن أراد ذلك ، هذا رأيه رضي الله

---

[1] علق الألباني هنا فقال: بل هو مأجور ، لقوله ﷺ : إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد. رواه الشيخان وغيرهما. انظر «صفة الصلاة» ، ص ٤٩ .

[2] نقله ابن رجب في تعليقه على «إيقاظ الهمم» ، ص ٩٣ ، كما في «صفة الصلاة».

[3] برقم (٥٤٥١).

[4] قال هذا الشيخ الألباني رحمه الله.

[5] «صفة صلاة النبي ﷺ » ، ص ٤٨ .

عنه[1] ، وخالفه ابنه عبد الله ، لأن هذا مخالف لسنة رسول الله ﷺ الفعلية ، فقد حج النبي ﷺ واعتمر لما حج حجة الوداع.

خلاصة

وخلاصة القول هو أن الواجب هو الاعتصام بالكتاب والسنة ، والحذر من معصية النبي ﷺ أيا كانت دوافعها ودواعيها ، فإن من اعتصم بالكتاب والسنة نجا ، ومن حاد عنهما هلك ، كما قال النبي ﷺ في مرض وفاته: خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ؛ كتاب الله وسنتي.[2]

وسيأتي إن شاء الله ذكر بعض الآيات والأحاديث والآثار الواردة في باب «الاعتصام بالسنة والحذر من البدع في الحق الرابع» ؛ {وأن لا يعبد الله إلا بما شرع}.

---

[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فالصحابة الذين استحبوا الإفراد – كعمر رضي الله عنه وغيره – إنما استحبوا أن يسافر سفرا آخر للعمرة ليكون للحج سفرا على حِدة وللعمرة سفرا على حِدة. «مجموع الفتاوى» (٢٦/٤٥-٤٦).

[2] رواه الخطيب في «كتاب الفقيه والمتفقه» (١/٢٧٤).

الحق الرابع: أن لا يُعبد الله تعالى إلا بما شرع ، وليس بالأهواء والبدع

من الأمور التي سار عليها السلف في طاعتهم واتباعهم للنبي ﷺ ؛ اتباع ما جاء في الكتاب والسنة والاعتصام بهما.

ومن الأمور التي سار عليها السلف كذلك محاربتهم للأهواء المتمثلة في **المعصية والتقليد والرأي والبدعة** ، فالسلف يعدون ذلك المربع مرضا خطيرا ، متى استشرى وانتشر في الأمة فإنه يفتك بعقيدتها وما هي عليه من الاتِّباع للسنة النبوية ، وقد تقدم الكلام في التحذير من الثلاثة الأول ، وفيما يلي جملة من الآيات والأحاديث والآثار الواردة عن السلف – من الصحابة والتابعين – في الحذر من البدع ، ولزوم الكتاب والسنة ، وقبل الشروع في ذلك فإنه يحسن الكلام على تعريف البدعة وحدِّها فأقول: البدعة لغة هي الاختراع ، يقال ابتدع فلان شيئا أي اخترعه ، وفي التنزيل ﴿بديع السماوات والأرض﴾[1] ، أي مخترعها وخالقها على غير مثال سابق.

وفي الشرع فإن الابتداع هو الإتيان بعبادة لم يأت نص من الكتاب والسنة بشرعيتها ، ومحلها الأمور الدينية ، فمن جاء بعبادة لم يتعبد بها النبي ﷺ ولا أصحابه فقد أتى ببدعة ، وأما الأمور الدنيوية من المخترعات والاكتشافات الحسية فليست داخلة في البدع.[2]

فصل في الأمر بالاعتصام بالسنة والحذر من البدعة

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل: يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟

---

[1] سورة البقرة: ١١٧ .

[2] انظر «الاعتصام» للشاطبي رحمه الله ، الباب الأول في تعريف البدع وبيان معناها.

قال: أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا مُجدَّعا[1] ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فتمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ[2] ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.**[3]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.[4]

وفي رواية لمسلم: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[5]

قال ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام ، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها ، كما أن حديث (إنما الأعمال بالنيات)[6] ميزان للأعمال في باطنها ، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب ؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله ، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء. انتهى.

وعن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت: يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: نعم.

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: نعم ، وفيه دَخَن[7].

---

[1] أي مقطع الأطراف.

[2] النواجذ آخر الاضراس ، ولكل إنسان أربع نواجذ.

[3] رواه ابن حبان (١/١٧٩) واللفظ له ، وأبو داود (٤٦٠٧) ، وابن ماجه (٤٢) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وأحمد (٤/١٢٦ – ١٢٧) ، وغيرهم ، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

[4] رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

[5] رواه مسلم (١٧١٨) وأحمد (٦/١٤٦).

[6] رواه البخاري (١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[7] دخن أي فساد واختلاف. انظر «النهاية».

قلت: وما دخنه؟

قال: **قوم يهدون بغير هديي** ، تعرف منهم وتنكر.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم ، دعاة إلى أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

قلت: يا رسول الله ، صِفهم لنا.

فقال: هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تَعَض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.[١]

فصل في بيان حرص السلف على الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة

وأما آثار السلف في باب الاعتصام بالسنة والحذر من البدع فكثيرة جدا ، ومن ذلك قول ابن سيرين: كانوا يرون أنه[٢] على الطريق مادام على الأثر[٣].[٤]

وقال سفيان قال: إنما الدين بالآثار.[٥]

وعن أبي الدرداء قال: إقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة ، إنك إن تتبع خير من أن تبتدع ، ولن تُخطئ الطريق ما اتبعت الأثر.[٦]

---

[١] رواه البخاري (٣٦٠٦) ، ومسلم (١٨٤٧).

[٢] أي المرء.

[٣] المقصود بالأثر طريق النبي ﷺ وصحابته من بعده.

[٤] أخرجه ابن عبد البر في «جامعه» ، باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي ، (٢/٢١٦).

[٥] أخرجه ابن عبد البر في «جامعه» ، باب ما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي ، (٢/٢١٧).

[٦] رواه المروزي في «السنة» ، برقم (٨٩).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم.[١]

وعن إسماعيل بن عبيد الله يقول: ينبغي لنا أن نحفظ ما جاءنا عن رسول الله ﷺ ، فإن الله يقول ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ، فهو عندنا بمنزلة القرآن.[٢]

قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»:

أهل البدع أجمع[3] **أضربوا عن السنن** ، وتأوَّلوا الكتاب على غير ما بينت السنة ، فضلوا وأضلوا ، نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله التوفيق والعصمة برحمته ، وقد روي عن النبي ﷺ التحذير عن ذلك في غير ما أثر.[٤]

قال الأوزاعي: **ندور مع السنة** حيث دارت.[5]

قال أبو مسعود الأنصاري: إن دين الله واحد ، وإياكم والتلون في دين الله.[٦]

وروى الخطيب البـغدادي عن عثمان بن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس فقلت: أوصني، فقال: عليك بالإستقامة ، **اتبع ولا تبتدع**.[٧]

وروى الـهروي في «ذم الكلام وأهله» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيها الناس ، إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه القرآن ، وفرض عليه الفرائض ، وأمره أن يعلم أمته ، فبلّغ رسالته ،

---

[١] رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٦) ، باب ما يكون بدعة ، والدارمي في باب كراهة أخذ الرأي (٢٠٩) ، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٢٠٤) ، والطبراني في الكبير (١٥٤/٩) ، وزاد: كل بدعة ضلالة.

[٢] رواه المروزي في «السنة» ، برقم (٩٠).

[3] أي كلهم ، بتسكين الجيم.

[٤] باب من تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة.

[5] رواه اللالكائي برقم (٤٨).

[٦] رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٠٧/٤).

[٧] انظر كتاب «الفقيه والمتفقه» ، باب القول في انه يجب اتباع ما سنّه أئمة السلف (٤٥٦) ، والدارمي في باب من هاب الفتيا ، ولفظه: نعم ، عليك بتقوى الله والاستقامة ، اتبع ولا تبتدع.

ونصح لأمته ، وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون ، وبين لهم ما يجهلون ، فاتبِعوه **ولا تبتدعوا فقد كفِيتم**، كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.[١]

ورواه الطبراني مختصرا بلفظ: (**اتبعوا ولا تبتدعوا** فقد كفيتم ، كل بدعة ضلالة)[٢] ، وكذا الدارمي[٣].

وروى الهروي في «ذم الكلام وأهله» عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: **إنا نتبع ولا نبتدع** ، ونقتدي ولا نبتدي ، ولن نضل ما تمسكنا بالآثار.[٤]

وهو مروي عن ابن مسعود أيضا بلفظ: إنا نقتدي ولا نبتدي ، **ونتبع ولا نبتدع** ، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر.[٥]

وعنه قال: الاقتصاد في **السنة** خير من الاجتهاد في **البدعة**.[٦]

وعن ابن عباس رضي الله عنه: **عليكم بالاستقامة** واتباع الأمراء والأثر ، وإياكم **والتبدع**.[٧]

وعنه قال: إن أبغض الأمور إلى الله **البدع**.[٨]

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: **إياكم وما ابتُدع** ، فإن ما ابتُدع ضلالة.[٩]

روى المروزي في «السنة» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: خير الدين دين محمد ﷺ ، شر الأمور محدثاتها ، **اتبعوا ولا تبتدعوا** ، فإنكم لن تضلوا ما اتبعتم الأثر ، إن تتبعونا فقد سبقناكم سبقا بعيدا ، وإن تخالفونا فقد ضللتم ضلالا كبيرا ، ما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع

---

[١] (١٦٥/٢) ، رقم (٢٤٧).

[٢] انظر «المعجم الكبير» ، برقم (١٥٤/٩).

[٣] انظر «السنن» ، كتاب المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي ، ولفظه: اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم.

[٤] (٢٦٥/٢) ، رقم (٣٣٧).

[٥] أخرجه اللالكائي برقم (١٠٦).

[٦] أخرجه اللالكائي برقم (١١٤) ، والدارمي في المقدمة ، باب في كراهية أخذ الرأي ، والحاكم في «المستدك» (١٠٣/١) ، والبيهقي (١٩/٣) ، والمروزي في «السنة» (٧٧).

[٧] رواه المروزي في «السنة» (٧١) ، وأخرجه ابن وضاح في «البدع» في باب كل محدثة بدعة ولفظه: عليكم بالاستقامة واتباع والأثر ، وإياكم والتبدع.

[٨] رواه البيهقي (٣١٦/٤) ، والمروزي في «السنة» (٧٢).

[٩] رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٦٠/٤).

الله عنهم سنة هدى ثم لا تعود فيهم أبدا ، ولإن أرى في ناحية المسجد نارا تشتعل فيه احتراقا أحب إلي من أن أرى بدعة ليس فيه لها مُغَيِّر.[1]

وقال الإمام أحمد بن حنبل: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات ، والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ ، والسنة تفسر القرآن ، وهي دلائل القرآن ، وليس في السنة قياس ، ولا تضرب لها الأمثال ، **ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء ، إنما هي الإتباع وترك الهوى.**[2]

وروى محمد بن نصر المروزي في كتابه «تعظيم قدر الصلاة» عن حسان بن عطية قال: خمس كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون[3] بإحسان: اتباع السنة ، ولزوم الجماعة ، وتلاوة القرآن ، والجهاد في سبيل الله.

قال أبو عبد الله[4]: وأظن قال: وعمارة المساجد.[5]

وروى أبو داود عن أبي رجاء عن أبي الصلت قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدَر فكتب:

أما بعد ؛ أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد في أمره ، **واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المُحدِثون** بعد ما جرت به سنته وكُفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة ، فإنها لك بإذن الله عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها ، فإن السنة إنما سنَّها من قد عَلِم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحُمق والتعمق ، فارضَ لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم ، فإنهم على علم وقفوا ، وببصر نافذٍ كُفوا ، ولَهُم على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل

---

[1] برقم (٦٩).

[2] «السنة» للالكائي (١/١٧٦).

[3] في المطبوع (والتابعين) ، وأظنه تصحيف من الناسخ.

[4] هو المروزي نفسه.

[5] باب أدلة الكتاب والسنة على أن الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام إنما هو بتصديقه واتباع ما جاء به ، (٧٤٥).

ما كانوا فيه أولى ، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ؛ ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، فإنهم هم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم من مُقْصر وما فوقهم من محْسر ، وقد قصَّر قوم دونهم فجفوا ، وطمح عنهم أقوام فغَلَوا ، وإنهم بين ذلك لعلي هدى مستقيم.[1]

قال في «عون المعبود» ما محصَّله أن السلف الصالحين قد حبسوا أنفسهم عن كشف ما لم يُحتج إلى كشفه من أمر الدين ، وكذلك كشَفوا ما احتيج إلى كشفه من أمر الدين كشفا لا مزيد عليه ، (وطمح عنهم أقوام فغلَوا) أي في الكشف ، أي شدَّدوا حتى جاوزوا فيه الحد ، فهؤلاء قد أفرطوا وأسرفوا في الكشف ، كما أن أولئك قد فرطوا وقتروا فيه.

(وإنهم) أي السلف (بين ذلك) أي بين القصر والطمح ، أي بين الإفراط والتفريط ، بل كانوا على طريق مستقيم ، وهو الاقتصاد والتوسط بين الإفراط والتفريط ، ليسوا بمفرطين كالقوم القاصرين دونهم، ولا بمفرطين كالأقوام الطامحين عنهم. انتهى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من عام إلا والناس يحيون فيه بدعة ويميتون فيه سنة ، حتى تحيا البدع وتموت السنن.[2]

ولما ذُكر لابن مسعود رضي الله عنه أن أناسا يُسبحون بالحصا في المسجد أتاهم ، وقد كَوَّم كل رجل منهم بين يديه كومة حصا ، فلم يزل يحصبهم بالحصا حتى أخرجهم من المسجد ثم قال: لقد أحدَثتم بدعة ظلما أو قد فَضُلتم أصحاب محمد ﷺ علما.[3]

---

[1] رواه أبو داود (٤٦١٢) ، و «البدع والنهي عنها» ، باب كل محدثة بدعة ، (٧٧) ، ورواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» بنحوه عن عبد العزيز بن الماجشون ، باب ذكر ما تعلق به من أنكر المجادلة وإبطاله ، (٢/٥٥٥) ، والفظ لأبي داود.

[2] رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٩٩) ، والمروزي في «السنة» (٨٧).

[3] رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٢٢) ، باب ما يكون بدعة.

فصل في معالم الاعتصام بالسنة والحذر من البدع

معالم الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة تتجلى بمعرفة عشرين مقدمة[1]:

١. **المقدمة الأولى**: أن دين الإسلام مبني على أصلين عظيمين ؛ **الأول**: أن لا يُعبد إلا الله وحده، وهو معنى شهادة ألا إله إلا الله ، **والثاني**: أن لا يُعبد إلا بما شرع ، وهو مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله.

وارتكاب الشرك ضد الأصل الأول ، وارتكاب البدع ضد الأصل الثاني ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

٢. **المقدمة الثانية**: أن العمل لا يكون مقبولا إلا إذا توافر فيه شرطان ؛ الأول أن يكون المقصود به وجه الله تعالى ، وضده الشرك بنوعيه ؛ الأكبر وهو التقرب للمخلوقين ، والأصغر وهو الرياء.

والشرط الثاني هو متابعة النبي ﷺ .

ودليل هذين الشرطين قوله تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.[2]

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في معنى قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[3] ؛ قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه؟

---

[1] للأمانة العلمية ونسبة الفضل لأهله ؛ فقد استفدت بعض هذه المقدمات من كتاب «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

[2] وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير قوله تعالى من سورة النحل ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

وانظر كذلك ما قاله في كتاب «الرحلة إلى أفريقيا» ، ص ٣٨ ، ٩٨ ، وهو كتاب يتضمن عدة محاضرات لفضيلته كانت مدونة في أشرطة ثم فرغت في الكتاب المذكور ، وهو من مطبوعات دار عالم الفوائد – مكة.

[3] سورة الملك: ٢ .

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصًا لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة.[1]

٣. **المقدمة الثالثة**: لكي يكون الإنسان متأسيا بالنبي ﷺ في عبادته ، فعليه أن يلاحظ أمورا ستة:

أولا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في سببها ، فأي إنسان يتعبد لله بعبادة مبنية على سببٍ لم يثبت بالشرع فهي عبادة مردودة ، فلو أضاف إنسان صلاة سادسة غير الصلوات الخمس لكانت عبادته هذه مردودة لأن ليس لها سبب شرعي في الكتاب والسنة.

ودليل هذه الأصل قول الله تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ ، وقول النبي ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا[2] ما ليس منه فهو رد)[3].

وفي رواية: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.[4]

قال الألباني رحمه الله: (أي من أحدث في الإسلام ما ليس في الإسلام في شيء ، ولم يشهد له أصل من أصوله ؛ فهو مردود ولا يلتفت إليه ، وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين الجليلة ، فينبغي حفظه وإشهاره في إبطال المحدثات والبدع).[5]

---

[1] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩٨/٨) ، قال: حدثنا أبي ، ثنا محمد بن أحمد بن يزيد ومحمد بن جعفر قالا: ثنا إسماعيل ابن يزيد ، ثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول:

الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق ، والمؤمن يغبط ولا يحسد ، والمنافق يحسد ولا يغبط ، والمؤمن يستر ويعظ وينصح ، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.

وسمعته يقول: قيل لسفيان بن عيينة: ويل لك إن لم يُعف عنك ، إذا كنت تزعم أنك تعرفه وأنت تعمل لغيره.

وسمعته يقول: كان يقال: لا يزال العبد بخير ما إذا قال قال لله ، وإذا عمل عمل لله.

سمعته يقول في قوله ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ ، قال: أخلصه وأصوبه ، فإنه إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا ، والخالص إذا كان لله ، والصواب إذا كان على السنة.

وسمعته يقول: ترك العمل من أجل الناس هو الرياء ، والعمل من أجل الناس هو الشرك. انتهى مختصرا.

[2] المقصود بالأمر هو الدين.

[3] تقدم تخريجه.

[4] تقدم تخريجه.

[5] حاشيته على «رياض الصالحين» ، حديث رقم (١٧٣).

ثانيا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **جنسها** ، فلو ضحى إنسانٌ بفرسٍ لم تقبل أضـحيته ، لأنه مخالف للشريعة في جنسها ، لأن الأضحية لا تكون إلا من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم.

ثالثا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **قدرها** ، فلو أن إنسانا صلى الظهر ستا ، لكانت عبادته غير مقبولة ، لأنها مخالفة للشريعة في قدرها ، ولو طاف بالبيت ثمانية أشواط لكانت الشوط الإضافي مردود عليه غير مقبول.

رابعا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **كيفيتها** (أي صفتها) ، فلو أن إنسانا توضأ ، لكنه غسل رجليه ثم مسح رأسه ، ثم غسل يديه ، ثم غسل وجهه ؛ فهذا وضوءه غير مقبول ، وبالتالي صلاته غير صحيحة ، لأنه خالف الشريعة في كيفية الوضوء الواردة عن النبي ﷺ .

خامسا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **زمانها** ، فلو أن إنسانا صام صيام الفرض في شعبان أو في شوال ، وليس في رمضان ، أو صلى الظهر قبل الزوال ، فهذا صيامه غير صحيح ، وكذا صلاته، لأنه خالف الشريعة في زمان العبادة المحددة لها من قبل الشارع الحكيم.

سادسا: أن تكون العبادة موافقة للشريعة في **مكانها** ، فلو أن حاجا وقف يوم عرفة بمزدلفة لم يصح وقوفه ، وعليه إعادة حجة ، لأن عبادته لم توافق الشرع في مكانها.

وكذلك لو أن إنسانا اعتكف في منزله فلا يصح اعتكافه ، لأن مكان الاعتكاف هو المسجد.

فهذه ستة أوصاف لا تتحقق متابعة النبي ﷺ إلا باجتماعها في العبادة: سببها ، جنسها ، قدرها ، كيفيتها ، زمانها ، مكانها.

٤. **المقدمة الرابعة:** أن السنة سُنَّتان ؛ سنة فعلية وسنة تركية ، فالفعلية هي ما فعله النبي ﷺ أو أمر به أو أقر عليه ، كالأذان للصلوات الخمس ، ففعله سنة نبوية.

وأما السنة التركية فهي ما تركه النبي ﷺ مع قيام المقتضي لذلك ، مثل ترك الأذان لصلاة العيدين وصلاة الجنازة ، فتركه سنة نبوية ، وعلى هذا فقس بقية العبادات.

٥. **المقدمة الخامسة:** أن الأصل في العبادات المنع إلا بدليل ، والأصل في العادات الحل إلا بدليل يدل على التحريم ، وهذا قاعدة هامة ، تساعد المسلم على استبصار الطريق فيما أشكل عليه ، فمثال القاعدة الأولى: لو قال رجل: دعونا نزيد في الصلوات المفروضة صلاة سادسة ، فهذا نقول له إن هذا الفعل بدعة لأنه لم يرد عن النبي ﷺ إلا خمس صلوات في اليوم والليلة.
وكذا لو قال رجل: إنه من المستحب أن يقول المصلي في دبر كل صلاة (الله حي) مائة مرة ؛ فهذا نقول له أين الدليل الشرعي؟ فهذه كتب الأذكار الواردة عن النبي ﷺ لم يرد فيها شيء من هذا ، فيكون فعله بدعة محدثة.
فالأصل في العبادات المنع إلا إذا ثبتت عن النبي ﷺ بدليل شرعي.
وأما القاعدة الثانية وهي أن الأصل في العادات الحل ، فمثلا لبـــس الطاقية ، فإنه من العادات ، فلو قال رجل إنه حرام لقلنا له أين الدليل؟ وهكذا الأمر في سائر العادات.

٦. **المقدمة السادسة:** أن التشريع حق الله وحده ، قال تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ ، وهذا استفهام بمعنى الإنكار ، أي ليس لأحد حق تشريع شيء في الدين لم يأذن به الله ، وعليه فمن ابتدع في دين الله ما ليس منه فقد جعل نفسه مشرعا مع الله ، كما أن مقتضى فعله أن النبي ﷺ لم يتم الرسالة ، وأنه – أي ذلك المبتدع – جاء ليُتم الشريعة ، وكل هذا باطل قطعا.

٧. **المقدمة السابعة** هي أن النبي ﷺ هو الواسطة الوحيدة لنقل الشريعة ، وقد نقل الشريعة كاملة ولم يكتم شيئا ، فقد روى الشيخان عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة فقالت:
يا أبا عائشة ، ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية – وذَكَرَت منها – ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أُنزِل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾.[1]

---

[1] رواه البخاري (٤٨٥٥) ومسلم (٢٨٧ ، ١٧٧) ، واللفظ لمسلم.

وروى الشافعي في «مسنده» عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب مرسلا ، أن رسول الله ﷺ قال: ما تركت شيئا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه.[1]

٨. **المقدمة الثامنة** أن الشريعة كاملة ليس فيها نقص ، قال الله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ، فالدين شامل كامل لا يحتاج إلى زيادة كما أنه لا يجوز فيه النقص ، ولهذا قال الله تعالى في وصف القرآن ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شيء﴾ ، فما من شيء يحتاج الناس إليه في معادهم ومعاشهم إلا بينه الله تعالى في كتابه ، إما نصًّا أو إيماءً أو منطوقاً أو مفهوماً.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد ﷺ ، وما يُحرِّك طائر جناحيه في السماء إلا أذكَرَنا[2] منه علما.[3]

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: علمكم نبيكم كل شيء ، حتى الخِراءة[4] ، فقال: أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول ، أو أن نستنجي باليمين ، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن نستنجي برجيعٍ[5] أو عظمٍ.[6]

فالابتداع يعدُّ تقدما بين يدي الله ورسوله ، وقد نهى الله عن ذلك ، قال الله تعالى ﴿يا أيها الَّذِينَ آمنوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يدي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[7].

---

[1] «مسند الشافعي» (٤١٣/٢) ، (الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة) ، ورواه البيهقي من طريقه في «السنن الكبرى» (٧٦/٧).

[2] أي ذكر لنا.

[3] رواه أحمد (١٥٣/٥) ، وقال محققو «المسند»: حديث حسن.

[4] أي آداب قضاء الحاجة.

[5] الرجيع هو روث الدابة.

[6] رواه مسلم (٢٦٢).

[7] سورة الحجرات: ١ .

٩. **المقدمة التاسعة** أن النبي ﷺ كان يحذر من البدع دائما ، في كل خطبة وفي كل جمعة ، ويقول: أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة.[١]

وفي لفظ: وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.[٢]

وهذا عام في كل البدع ، لأن النبي ﷺ عمم ولم يخصص ، وأطلق ولم يقيد ، وهو الذي أوتي جوامع الكلم ، فقوله: «كل بدعة» لفظة كلية عامة شاملة ، مُسوَّرة بأقوى أدوات الشمول والعموم «كل»، والذي نطق بهذه الكلية يعلم مدلول هذا اللفظ ، وهو أفصح الخلق ، وأنصح الخلق للخلق، لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه.

وقد فهم الصحابة من نبيهم هذا الفهم ، فعن عبد الله بن مسعود قال: إنما هما اثنتان ؛ الهدي والكلام ، وأصدق الحديث كلام الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.[٣]

١٠. **المقدمة العاشرة** أن العلم بالبدع أمر هام ، من جهة العلم بتعريفها وأنواعها ، لئلا يقع فيها الإنسان وهو لا يدري ، ويظن أنه يحسن عملا وأنها تقربه إلى الله ، وهي لا تزيده من الله إلا بعدا ، فيكون ممن قال الله فيهم ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ ، فتكون الحسرة يوم لا ينفع التحسر.

وقد تفطَّن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلى هذا فقال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني.[٤]

١١. **المقدمة الحادية عشرة** أن الناس في البدع ثمانية أقسام ؛

---

[١] رواه مسلم عن جابر (٨٦٧).

[٢] رواه النسائي في «الكبرى» (٥٨٦١) ، وهي لفظة صحيحة كما قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» ، حاشية (١٢٨/١).

[٣] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧/٩).

[٤] رواه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧).

١. فمن الناس من اتبع الهدي النبوي ، وأنكر البدع ، وهم أهل الحق.
٢. ومنهم من اتبع الهدي النبوي ، ولم ينكر البدع.
٣. ومنهم من يحب الهدي النبوي ، ولكنه لم يفعله ، ولم ينكر البدع.
٤. ومنهم من لم يعرف الهدي النبوي ، وبالتالي لم يعرف قدره ، ولم ينكره.
٥. ومنهم من لم يحب الهدي النبوي ، ولم يبغضه.
٦. ومنهم من يحب البدع ، ويبغض الهدي النبوي ، عياذا بالله.
٧. ومنهم من لم يحب البدع ، ولم يبغضها.
٨. ومنهم من لم يعرف البدع ، وبالتالي لم ينكرها.

١٢. **المقدمة الثانية عشرة:** العلم بأن علماء المسلمين قد قاموا بالذود عن حياض الشريعة ، فنبهوا على البدع في كتب كثيرة ، وبينوا فيها قواعد البدع وأصولها وفروعها ، ومن أجود ما ألف في ذلك كتاب «الاعتصام» لأبي إسحاق الشاطبي رحمه الله.

ومن أهل العلم من استقرأ البدع المنتشرة في الناس ، ونبه عليها ، وبين وجه مخالفته للهدي النبوي ، وهناك كتب كثيرة للمتقدمين ، من أشهرها كتاب «الحوادث والبدع» لأبي بكر الطرطوشي ، وكتاب «البدع والنهي عنها» لابن وضاح القرطبي ، وكتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» لأبي شامة المقدسي ، كما أن هناك كتبا عدة لبعض المتأخرين ، ككتاب «البدع الحولية» لعبد الله التويجري ، وكتاب «معجم البدع» لرائد صبري ، وغيرها من كتب أهل السنة.

١٣. **المقدمة الثالثة عشرة:** موارد البدع ستة:
١. الأحاديث الضعيفة.[1]
٢. والأحاديث الموضوعة ، أو التي لا أصل لها.

---

[1] قال ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٩/١٩١): وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة ، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة ، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها ، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم.

٣. والعادات أو العبادات المأخوذة من الكفار.
٤. وما نص على استحبابه بعض العلماء بدون دليل ، اجتهادا منهم واستحسانا ، فصارت عند الناس سنة متبعة ، وهذا مما يدخل في زلات العلماء.
٥. والغلو في العبادات.
٦. والعادات التي يستحسنها العامة والجهال من باب الذوق والاستحسان.

١٤. **المقدمة الرابعة عشرة:** البدع ليست متساوية في حكمها ، فبعضها يفضي إلى الكفر عياذا بالله ، ككثير من بدع العقائد ، وبعضها لا يفضي إلى الكفر ، ككثير من بدع العبادات ، وعلى كل حال فالبدع فوق الكبيرة في المرتبة ، كما سيأتي بيانه ، وليس في البدع ما دون ذلك ، أو في مستوى المكروه أو الصغائر ، وما ذاك إلا لأن البدعة فيها تعدي على الشريعة بزيادة ، والزيادة تحريف ، ولا أظلم من ذلك.

فصل

وإثم البدع أعظم من إثم الكبيرة بكثير ، وبيان ذلك من عدة وجوه:

الأول: أن المبتدع يعتقد أنه على صواب فيما يرتكبه من عبادات محدثة ، أما فاعل الكبيرة – من سرقة أو زنا أو شرب خمر – فيعلم أنه مخطئ ، فربما أحدث هذا عنده انكسارا ، فيتوب ، فيتوب الله عليه.

الثاني: أن الابتداع يؤدي مع مرور الزمن إلى تغيير الدين ، لأنه يتطور ويتفرع ، أما الكبائر فالكل يعلم أنها مخالفة للدين ، وأنها ليست منه ، حتى أهل البدع أنفسهم.

الثالث: أن أهل البدع – في الغالب- يحاربون أهل السنة إذا نهوهم عن بدعهم ، وربما فسّقوهم أو كفروهم أو اتهموهم ، فيزدادون إثما على إثمهم . عياذا بالله ، أما أهل الكبائر فإنهم إذا جاءهم من يذكرهم بالله وعقابه فإنهم إما يقبلون النصيحة ويتوبون إلى الله ، وإما يردونها مع دعاء الله بأن يمن عليهم بالهداية ، والقليل من يخاصم من ينهاه عن كبيرته.

الرابع: أن إحياء البدع يؤدي إلى هدم السنن النبوية والبعد عنها ، كما قال أحد السلف: ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لم يعدها إليهم إلى يوم القيامة.[1]
وحسبُك دليلا على خطر البدعة قول النبي ﷺ : إن الله حـــجب التوبة عن كل صاحب بدعة ، حتى يدع بدعته.[2]

١٥. **المقدمة الخامسة عشرة:** صغار البدع تكبر مع مرور الزمن وقلة المناصح فتصير كبارا ، قال الإمام البربهاري رحمه الله ، وهو من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله ، توفي سنة ٣٢٩ هـ ، قال في كتابه «شرح السنة»:
واحذر صغار المحدثات من الأمور ، فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا ، وكذلك كل بدعة أُحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق ، فاغتر بذلك من دخل فيها ، ثم لم يستطع الخروج منها ، فعظُمت وصارت دينا يدان به ، فخالف الصراط المستقيم ، فخرج من الإسلام.
فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ، ولا تدخُلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم فيه أحد من أصحاب النبي ﷺ أو أحد من العلماء[3] ، فإن أصبت أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ، ولا تختر فيه شيئا فتسقط في النار[4].
واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين ؛ أما أحدهما ؛ فرجل قد زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير ، فلا يُقتدى بزلته ، فإنه هالك.
وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين ، فهو ضال مضل ، شيطان مَرِيد في هذه الأمة ، حقيق على من يعرفه أن يَحذر الناس منه ، ويبين للناس قصته ، لئلا يقع أحد في بدعته ، فيهلك.

---

[1] رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» ، برقم (٩٣).
[2] رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٤٢٠٢) ، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» ، وصححه الألباني رحمه الله انظر «صحيح الترغيب والترهيب» ، برقم ٥٤ ، و «الصحيحة» (١٦٢٠).
[3] أي العلماء المتبعين للحديث النبوي وآثار الصحابة ، الذين يقرِنون كلامهم **دائما** بالدليل.
[4] أي: ولا تختر على ما جاء عن السلف شيئا مما جاء به المتأخرون فتسقط في النار ، لأنك تكون قد اخترت المحدث على المأثور ، والبدعة على السنة.

واعلم رحِمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعا مصدِّقا مُسلِّما ، فمن زعم أنه قد بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كذّبهم ، وكفى بهذا فُرقة وطعنا عليهم ، وهو مبتدع ضال مضل ، مُحدث في الإسلام ما ليس فيه.

١٦. **المقدمة السادسة عشرة:** قد أشكل على بعض الناس فهمَ حديثٍ وأثرٍ ، ففهموا منهما أن في البدع ما هو حسن ، فأما الحديث فهو حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ ، عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم ، قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصدقة ، فأبطئوا عنه ، حتى رؤى ذلك في وجهه ، قال: ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصُرَّة[١] من وَرِق[٢] ، ثم جاء آخر ، ثم تتابعوا ، حتى عُرِف السرور في وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : من سن في الإسلام سنة حسنة ، فعُمل بها بعده ؛ كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها بعده كُتِب عليه مثل وزر من عمل بها ، ولا ينقُص من أوزارهم شيء.[٣]

وقد فهِم بعض الناس من قوله ﷺ : (من سن في الإسلام) ، أي من أحدث فيه ، ، والجواب عن هذا الظن من وجوه:

الأول: ما قاله ابن عثيمين رحمه الله في الجواب عن هذه الشبهة:

إن من قال (من سن في الإسلام سنة حسنة) هو القائل: (كل بدعة ضلالة) ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب له قولاً آخر ، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبداً ، ولا يمكن أن يرد على معنى واحد مع التناقض أبداً ، ومن ظن أن كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ متناقض فليعد النظر ، فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه ، وإما عن تقصير ، ولا يمكن أن يوجد في كلام الله تعالى أو كلام رسوله ﷺ تناقض أبداً.

---

[١] الصُّرة هي ما يجمع فيه الشيء ثم يشد. انظر «المعجم الوسيط».

[٢] الورِق هو الفضة.

[٣] رواه مسلم (١٠١٧).

وإذا كان كذلك فحديث (كل بدعة ضلالة) ليس مناقضا لحديث «من سن في الإسلام سنة حسنة» ، لأن النبي ﷺ قال: «من سن في الإسلام» ، والبدع ليست من الإسلام ، وقال «حسنة» والبدعة ليست بحسنة ، وفرق بين السن والتبديع.

وهناك جواب لا بأس به: أن معنى «من سن» أي من أحيا سنة كانت موجودة فعُدمت فأحياها ، وعلى هذا فيكون«السن» إضافياً نسبيّاً كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت.

وهناك **جواب ثالث** يدل له سبب الحديث وهو قصة النفر الذين وفدوا إلى النبي ﷺ ، وكانوا في حالة شديدة من الضيق ، فدعا النبي ﷺ إلى التبرع لهم ، فجاء رجل من الأنصار بيده صرة من فضة ، كادت تثقل يده فوضعها بين يدي الرسول ﷺ ، فجعل وجه النبي عليه الصلاة والسلام يتهلل من الفرح والسرور وقال: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

فهنا يكون معنى السَّن هنا هو سن العمل تنفيذاً وليس سن العمل تشريعاً ، لأن التشريع ممنوع ، كما قال النبي ﷺ : كل بدعة ضلالة.[1] انتهى كلامه بتصرف يسير.

الرابع: أن أحاديث النبي ﷺ يشهد بعضها لمعنى بعضها الآخر ، ويُفسر بعضها ما أشكل في بعضها الآخر ، وحديث أبي هريرة التالي يفسر حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا.[2]

وأما الأثر الذي أساء فهمه بعض الناس فهو ما رواه البخاري بسنده إلى عبد الرحمٰن بن عبد القارئ أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاعٌ[3]

---

[1] قاله ابن عثيمين رحمه الله في الكتاب المشار إليه آنفا «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» ، بتصرف يسير.

[2] رواه مسلم (٢٦٧٤).

[3] أوزاع أي متفرقون. انظر «النهاية».

متفرقون ، يُصلي الرجل لنفسه ويُصلي الرجل فيُصلي بصلاته الرَّهط[1] ، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أُبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم.

قال عمر: نِعم البدعة هذه.[2]

والأثر ليس فيه إشكال إذا عرفنا أربعة أمور:

الأول: أننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد الناس تعظيماً لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ ، وكان مشهوراً بالوقوف على حدود الله تعالى.

فعلى هذا فمن غير الممكن أن يخالف عمر كلام سيد البشر محمد ﷺ ، وأن يقول عن بدعة ما «نعمة البدعة» ، وتكون هذه البدعة هي التي أرادها رسول الله ﷺ بقوله: «كل بدعة ضلالة» ، بل حتما هي غير مرادة بقوله ذاك.

الثاني: أن صلاة التراويح سنّها النبي ﷺ بفِعله وقوله ، وفَعلها ثلاثة أيام جماعة في المسجد ، ثم تركها خشية أن تفرض عليهم ، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قام في الناس ثلاث ليال وتأخر عنهم في الليلة الرابعة ، فلما صلى بهم الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد ، فإنه لم يخف علي مكانكم ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها.

فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك.[3]

أي استمر الناس يصلون فرادى ، ثم كان الناس على ذلك في خلافة أبي بكر ، وصدرا من خلافة عمر[4] ، ثم ألهمه الله فعلها ، فسن قيام رمضان جماعة ، وقال (نعمت البدعة هذه).

---

[1] الرهط هم الجماعة ما دون العشرة. انظر «النهاية».

[2] رواه البخاري (٢٠١٠).

[3] رواه البخاري (٢٠١٢) ، ومسلم (٧٦١).

[4] ذكر ذلك ابن شهاب ، كما في صحيح البخاري ، في أول كتاب صلاة التراويح.

الثالث: وبناء على ما تقدم ؛ فإن معنى قوله (بدعة) أي بالمعنى اللغوي ، وهي إحداث شيء قد تُرك ، لم يكن موجودا **قبيل إيجاده** ، وليس قصده المعنى الشرعي ، وهو إحداث عبادة ليس لها أصل في الكتاب والسنة ، ومن المعلوم أن القيام مع الإمام في صلاة التراويح عبادة شرعية ، وليست محدثة في عهد عمر ولا غيره ، كيف لا وقد قال النبي ﷺ : من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة.

قال ابن عثيمين رحمه الله: وسماها عمر رضي الله عنه بدعة باعتبار أن النبي ﷺ لما ترك القيام صار الناس متفرقين يقوم الرجل لنفسه ويقوم الرجل ومعه الرجل والرجل ومعه الرجلان والرهط والنفر في المسجد فرأى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه برأيه السديد الصائب أن يجمع الناس على إمام واحد فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق الناس من قبل بدعة فهي بدعة اعتبارية إضافية وليست بدعة مطلقة إنشائية. انتهى.

فبالنظر إلى أنها موافقة لفعل النبي ﷺ فهي سنة ، وبالنظر إلى ما كان عليه الأمر قبل إحيائها من جديد فهي محدثة ، ولهذا وصفها بالحسن ، وقد أحياها عمر لأنه يعلم أنها لن تفرض ، لأن الشريعة قد تمت بوفاة النبي ﷺ ، وكان إحياؤه لهذه السنة المباركة سنة أربعة عشر من الهجرة ، وهذا شيء ألهمه الله به.

قال ابن كثير رحمه الله: والبدعة على قسمين ، تارة تكون بدعة شرعية[1] ، كقوله (فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) ، وتارة تكون بدعة لغوية ، كقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن جمعه إياهم على صلاة التراويح واستمرارهم: نعمت البدعة هذه.

وقال القرطبي رحمه الله في قول النبي ﷺ (وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة):

يريد ما لم يوافق كتابا أو سنة أو عمل الصحابة رضي الله عنهم.[2]

---

[1] أي في الشرع.

[2] «الجامع لأحكام القرآن» ، تفسير سورة البقرة: ١١٨ .

رابعا: أنه من المعلوم أن للخلفاء الأربعة سنة متبعة ، كما قال النبي ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ... الحديث.
فالتراويح ونحو ذلك لو لم تعلم دلالة النصوص الشرعية وأفعال النبي ﷺ عليها لكان أدنى أمرها أن تكون من سنة الخلفاء الراشدين ، فلا تكون من البدع الشرعية التي سماها النبي ﷺ بدعة ونهى عنها.[1]
وبهذا التقعيد لا يمكن أبدًا أن يجد أهل البدع من قول عمر هذا منفذاً لما استحسنوه من بدعهم.

١٧. **المقدمة السابعة عشرة: البدع تقع في العقائد وتقع في العبادات** ، وكلاهما خطير على دين المرء وآخرته ، قال تعالى ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ ، غير أن بدع العقائد أعظم خطرا من بدع الأعمال ، لأن العقيدة هي عمل القلب ، والقلب إذا صلُح بالعقيدة الصحيحة ؛ صلُح عمل الجوارح ، وإذا فسد القلب بالعقائد والبدع المحدثة ؛ فسد سائر عمل الجوارح وإن كثرت ، فاللهم سلِّم سلِّم.

فصل في بدع العقائد

والبدع الاعتقادية كثيرة ، وقد أخبر النبي ﷺ عن تفرق أمته في باب العقائد إلى ثلاث وسبعين فرقة ، حيث قال ﷺ : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين — أو اثنتين وسبعين – فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.[2]
فالحديث نص على افتراق الأمة إلى فرق وطوائف كثيرة كما حدث للأمم قبلها ، ولا يكون الافتراق إلا على عقائد ، لأن أساس تفرق اليهود والنصارى إلى فرق كثيرة كان تفرقا عقائديا ، لاسيما في

---

[1] قال ذلك ابن تيمية رحمه الله كما في «الفتاوى» (٣٧/٣١).

[2] رواه الترمذي (٢٦٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.
وفي الباب عن عوف بن مالك ، انظر «سنن ابن ماجه» (٣٩٩٢) ، وهو مخرج في «الصحيحة» (١٤٩٢).
وقد ورد الحديث بمعناه عن عدد من الصحابة ، انظر للتوسع «السلسلة الصحيحة» (٢٠٣ ، ٢٠٤).

باب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقد حصل ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من تفرق ، فبعد وفاة النبي ﷺ قام بعض أهل البدع بنشر بدعهم في الأمة.

فصل

وقد وقعت البدع في عامة مسائل العقيدة ، ففي باب أسماء الله وصفاته – مثلا – حرَّفت طوائف كالأشاعرة ما تضمنته أسماء الله وصفاته من معاني ، وبعض الطوائف جحدت أن يكون لتلك الأسماء والصفات معاني تدل عليها كالجهمية ، فنفوا عن الله صفة العلو مثلا ، وقالوا إن الله في كل مكان ، ثم اضطربوا ، فقالوا إن الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ، وقالوا أقوالا أخرى خبيثة ، وخالفوا الحق الذي عليه جميع الأنبياء من أن الله فوق السماء السابعة على عرشه.

ومما نفاة الجهمية عن الله تعالى صفة الكلام ، زاعمين أن هذا يقتضي التشبيه بين الله وخلقه ، فقالوا إن القرآن ليس كلام الله ، بل هو مخلوق من المخلوقات ، ولهم غير هذا من المقالات الباطلة.

وقد كفَّر السلف الجهمية الذين أتوا بهذه المقالات ، بل جاء تكفيرهم عن خمسمائة عالم من علماء السلف ، كما فنَّد أئمة الإسلام أقوالهم وردوا شبههم وأغاليطهم في كتب كثيرة.

وللفائدة فقد ألَّف فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رسالة نفيسة في بيان ضوابط فهم السلف الصالح لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، وأسماها «القواعد المثلى في صفات الله وأسماءه الحسنى».

والطوائف التي انحرفت في فهم أسماء الله وصفاته تسمى بمجموعها بأهل الكلام ، والعلم الذي يبحثون فيه يُسمى بعلم الكلام ، وهو العلم الذي يبحث في ذات الله وصفاته على طريقة الفلاسفة وما توصَّلت إليه عقول البشر ، وليس من منطلق فهم السلف الصالح ، الذي قاعدته التسليم للكتاب والسنة ، وفهم النبي ﷺ وصحابته ، فهو لا يعدو عن كونه كلام البشر ، فسُمِّي بعلم الكلام ، وهو مذموم بلا شك.

وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير من الكلام وأهله ، لما يفضي إليه من الانحراف في الفهم عن الطريق السّوي ، والوقوع في الشبهات والشكوك ، فقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يُفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل[1].[2]

وقال الشافعي رحمه الله: حُكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال ، ويُحملوا على الإبل ، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل ، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام.[3]

وكلام السلف في ذم علم الكلام كثير جدا ، وقد ألف شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي كتابا ضخما بعنوان «ذم الكلام وأهله» ، فليراجعه من أراد التوسع.

وفي باب إفراد الله بالعبادة ظهرت طوائف غلت في بعض المخلوقين حتى عبدوهم ، ومن ذلك ما انتشر في عامة بلاد المسلمين – إلا من رحم الله – من عبادة أصحاب القبور ، والتوجه لهم بسائر أنواع العبادات من ذبح ودعاء وغير ذلك ، وأكثر من تلبس بهذا هم الشيعة ، وغلاة الصوفية ، وهذا من البدع الكفرية عياذا بالله.

والبدع الاعتقادية كثيرة ، وقد صنف أهل السنة مصنفات في أسماء الفرق التي انحرفت في العقيدة عن جادة السلف الصالح ، ومن ذلك كتاب «الملل والنحل» لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) ، وكتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الأندلسي ، علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) ، ومن كتب المتأخرين فقد قامت الندوة العالمية للشباب الإسلامي بعمل موسوعة علمية في الأديان والفرق المنتسبة للإسلام والتي لا تنتسب للإسلام ، ووسموها «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» ، فليرجع لهذه الكتب ونحوها من أراد التوسع.

---

[1] الدغل هو الفساد. انظر «لسان العرب».

[2] رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٩٦).

[3] رواه البيهقي بإسناده عن الشافعي في كتابه «مناقب الشافعي» (٤٦٨/١) ، (الناشر: مكتبة دار التراث – مصر) ، وكذا ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٩٤).

ولكن رؤوس أهل البدع أربعة ، الشيعة والخوارج والجهمية والمرجئة ، وقد رد عليهم علماء السنة في القديم والحديث بما تبرأ به الذمة ، وبيَّنوا وجه الحق فيما وقعوا فيه من مسائل ، والالتباس الذي أوقعهم فيما وقعوا فيه من انحراف.

وللفائدة ، فقد ألحقت في خاتمة هذا الجزء من الكتاب ملحقا توضيحيا لمنهج هذه الطوائف الأربعة ، ليكون القارىء على بصيرة بالحق وضده ، نفع الله به.

فصل في بدع العبادات

وأما الابتداع في جانب العبادات فبحر لا ساحل له ، فلا تكاد تجد عبادة واردة عن النبي ﷺ إلا وأضاف عليها بعض الناس زيادة من عندهم ، وربما استحدثوا عبادة ليس لها أصل في الشريعة إطلاقا ، وبعضها أُخِذت من الكفار ، فأدخلوها في المسلمين من باب الذوق والاستحسان ، كبدعة الاحتفال بالمولد النبوي ، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله.

ومن البدع المتعلقة بالصلاة بدعة التلفظ بالنية قبل الصلاة ، فهذه لم ترد عن النبي ﷺ ، بل استحسنها بعض الفقهاء المنتسبين للمذهب الشافعي ، مع أن الشافعي لم ينص عليها ، وإنما زلة لبعض العلماء ، فتابعهم الناس على ذلك إلى يومنا هذا.

ومن البدع المتعلقة بالصلاة ؛ صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، وهذه عبادة لم ترد عن النبي ﷺ ، ولو أن النبي ﷺ فعلها لعلمها الصحابة ولنقلوها إلينا.

ومن البدع المتعلقة بالأذكار بدعة التسبيح الجماعي بعد الصلوات ، فهذه من البدع أيضا ، وقد أنكرها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، والذي ورد عن النبي ﷺ هو أن المصلي بعد الانفلات من صلاته يسبح بمفرده ، ولو كان التسبيح الجماعي خيرا لسبقونا إليه.

وهناك بدع متعلقة بالشهور ، كبدعة الاجتماع ليلة النصف من شعبان وإحياءها بالصلاة ، وكذلك قيام يوم النصف من شعبان ، فكل هذا لم يرد عن النبي ﷺ ، لا في حديث صحيح ولا ضعيف ، ولم يفعله الصحابة الذين هم أحرص الناس على الخير ، ولو كان خيرا لسبقونا إليه قطعا.

ومن بدع الشهور أيضا بدعة المولد النبوي ، ولما كان الكلام فيها يطول ؛ فقد أخرت الكلام فيها إلى آخر هذا الفصل المتعلق بالحق الرابع من حقوق النبي ﷺ .

وهناك بدع متعلقة بالأذان ، كجهر بعض المؤذنين بالصلاة على النبي ﷺ في مكبر الصوت ، وبدع متعلقة بالدعاء ، وبدع متعلقة بالجنائز ، وهلم جرا ، ليس المقام مقام استقصائها.

والبدع لا يستطيع الإنسان تمييزها عن السنن إلا إذا صدَق مع الله أولا في قصد الاتباع للنبي ﷺ ، ثم أقبل على العلم الشرعي ، وتعلم السنن الواردة عن النبي ﷺ ، الثابتة عنه ، التي رواها الرواة الأثبات ، وحفظوها في دواوين السنة المعروفة ، في الصحيحين والسنن وموطأ مالك ومسند أحمد ، فعندئذ سيكون عند الإنسان فرقان بين الحق والباطل ، أما إذا كان الإنسان حاطب ليل ، يقرأ ما هبَّ ودب ، ما بين حديث ضعيف أو موضوع ، ويقرأ لكل من ادعى العلم ، ولم يستند إلى دليل شرعي صحيح ؛ فهذا ستكون عبادته مشوبة بالكثير من الأخطاء والبدع ، لأن البشر غير معصومين ، أما الوحي فمعصوم.

ومن أراد التوسع في الاطلاع على البدع العملية المنتشرة بين المسلمين ؛ فعليه بكتاب «البدع الحولية» لعبد الله التويجري ، وكتاب «معجم البدع» لرائد صبري ، وقد صدر حديثا كتاب «قاموس البدع» ، جمع فيه مؤلفه جميع أقوال الشيخ الألباني رحمه الله في البدع من كتبه الكثيرة ، فجزاه الله خيرا ، وهناك غيرها من كتب أهل السنة.

كما أن هناك كتبا عدة في باب أقسام البدع ، أنفسها كتاب «الاعتصام» لأبي إسحاق الشاطبي رحمه الله ، فليرجع له من أراد التوسع في معرفة أقسام البدع.

١٨. **المقدمة الثامنة عشرة:** أضرار البدع كثيرة ، أعظمها تبديل الدين ، وهجر السنة الصحيحة ، وهذا من شؤم المعصية ، فإنك لتجد الكثير من هؤلاء الحريصين على البدع يكون فاتراً في تنفيذ أمور ثبتت شرعيتها وثبتت سنيتها ، ، فما ابتدع قوم في دين الله بدعة إلا أضاعوا من السنة مثلها أو أشد.

ومن أضرار البدع ؛ الإثم العظيم الذي يلحق صاحبها ، فإثم البدعة أعظم من إثم الكبيرة ، كشرب الخمر والسرقة ونحوه ، وذلك أن صاحب الكبيرة لم يُبدل الدين ، بينما صاحب البدعة قد بدّل فيه ، وهذا فيه نوع مشاركة لله في أمره الشرعي.

كما أن صاحب الكبيرة يعرف أنه مخطىء ، فربما أحدث هذا عنده انكسارا وتذللا لله ، بينما صاحب البدعة لا يشعر بذلك ، بل يرى أنه على صواب ، وأنه مأجور بزيادته في دين الله ما ليس منه.

تلاعب الشيطان بعقول أهل البدع

البدعة يزينها الشيطان في عيون الناس ، فيجتهد صاحبها فيها ، كما قال تعالى ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ ، ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنهما قال: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة.[1]

وعن أيوب السختياني أنه كان يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا ازداد من الله بعدًا.[2]

وقال: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية يُتاب منها ، والبدعة لا يُتاب منها.[3]

١٩. المقدمة الحادية والعشرون: بالعلم تُقمع البدع

قال ابن مسعود رضي الله عنه: **عليكم بالعلم** قبل أن يُقبض ، وقَبضُه أن يُذهب بأصحابه ، عليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدري متى يَفتقر إليه أو يُفتقر إلى ما عنده ، وإنكم ستجدون أقوامًا يدْعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم ، **عليكم بالعلم** ، **وإياكم والتبدع** ، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق ، وعليكم بالعتيق[4].[1]

---

[1] رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (١٧٩/١) ، واللالكائي (١٠٤/١) ، والمروزي في «السنة» (٧٠).

[2] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/٣) ، وروي نحوه عن الحسن في «البدع والنهي عنها» (٦٩).

[3] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٨/٧) ، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٣٨).

[4] يعني بالعتيق أي الأمر العتيق وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من الدين.

وقال أيضا: إنكم اليوم على الفطرة ، وإنكم **ستحدِثون ويُحدث لكم** ، فإذا رأيتم محدثة **فعليكم بالهدي الأول**[٢].[٣]

وروى الخطيب البغدادي عن سفيان قال: إذا كان **يأتم بمن قبله**[٤] ؛ فهو إمام لمن بعده.[٥]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني.

فقيل: كيف؟

فقال: والله إنه[٦] ليُحدث البدعة في مشرقٍ أو مغرب ، فيحملها الرجل إلي ، فإذا انتهت إلي **قمعتُها بالسنة** ، فتُردُّ عليه[٧].[٨]

وعن أبي حمزة قال: قلت لإبراهيم: إنك إمامي ، وأنا أقتدي بك ، فدُلَّني على الأهواء.

قال: ما جعل الله فيها مثقال حبة من خردل من خير ، وما الأمر إلا **الأمر الأول**[٩].[١٠]

---

[١] رواه الخطيب البغدادي في «كتاب الفقيه والمتفقه» (١٦٧/١) ، وابن عبد البر في «جامعه» مختصرا ، باب باب من تأول القرآن أو تدبره وهو جاهل بالسنة ، (٢٣٦٣).

[٢] أي هدي النبي ﷺ .

[٣] رواه المروزي في «السنة» (٨٠) ، والدارمي في باب الفتيا وما فيه من الشدة ، (١٧٢).

[٤] وهم النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم.

[٥] انظر كتاب «الفقيه والمتفقه» ، باب القول في أنه يجب اتباع ما سنّه أئمة السلف (٤٥٧).

[٦] أي الشيطان.

[٧] أي على الشيطان.

[٨] أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٥٥/١).

[٩] أي الأمر الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته ، وهو مطابق لما قاله ابن مسعود آنفا (وعليكم بالعتيق).

[١٠] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٤٧/٤-٢٤٨).

٢٠. المقدمة الثانية والعشرون: الاتعاظ بحال أهل البدع في الآخرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ودِدْت أنَّا قد رأينا إخواننا.

فقالوا: أَوَلسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد.

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟

فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُرٍّ[١] مُحجَّلة[٢] بين ظهري خيل دُهمٍ[٣] بُهمٍ[٤] ، ألا يَعرف خيله؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ، وأنا فرَطُهم[٥] على الحوض[٦] ، ألا ليُذادَنَّ[٧] رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، فأناديهم: ألا هلم ، فيقال: **إنهم قد بدَّلوا بعدك**.

فأقول: سُحقًا سُحقًا.[٨]

فقول النبي ﷺ في وصف أولئك المطرودين عن حوضه (قد بدَّلوا بعدك) ؛ صريح في وصفهم بأنهم أهل البدع ، لأن التبديل ليس إلا التغيير في الدين ، وهو فِعل أهل البدع كما تقدم.

---

[١] الغرة هي البياض في وجه الفرس. انظر «النهاية».

[٢] التحجيل هو بياض في القوائم يرتفع إلى موضع قيد الفرس. انظر «النهاية».

[٣] الدهم هم العدد الكثير. انظر «النهاية».

[٤] البهم جمع بهيم وهو اللون الذي لا يخالطه لون سواه. انظر «النهاية».

[٥] أي متقدمكم إليه. انظر «النهاية».

[٦] أي حوضه الذي في عرصات القيامة ، الذي يشربون منه المؤمنون المتبعون لشريعته فلا يظمئوا أبدا.

[٧] يذاد أي يطرد ويساق. انظر «لسان العرب».

[٨] رواه مسلم (٢٤٩).

٢١. **المقدمة التاسعة عشرة:** علامة حب الله ورسوله اتباع نبيه ﷺ ، قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ ، ولما كان الابتداع ضد الاتباع كان الابتداع علامة على الخلل في صدق محبة النبي ﷺ ، عافانا الله من ذلك.

٢٢. **المقدمة العشرون:** اتباع سنة النبي ﷺ ونبذ ما خالفه هو الطريق إلى العزة والكرامة في الدنيا ، وهو الطريق المؤدية إلى الجنة في الآخرة ، قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾ ، جعلنا الله ممن يتبعون سنة النبي ﷺ ظاهرا وباطنا.

٢٣. المقدمة الثالثة والعشرون: ذكر بعض مراجع أهل السنة والجماعة في العقيدة والاتباع

من أراد معرفة طريقة أهل السنة في الاعتقاد والاتباع كما جاءت عن النبي ﷺ وصحابته والتابعين لهم بإحسان ؛ فعليه بقراءة كتب العقائد المسندة ، ومنها:

١. الشريعة ، لأبي بكر ، محمد بن الحسين الآجري (٣٦٠ هـ).
٢. السنة ، لأبي بكر ، أحمد بن محمد الخلال (٣١١ هـ).
٣. السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠ هـ).
٤. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، لابن بطة ، عبيد الله بن محمد العكبري (ت ٣٨٧ هـ).
٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، لأبي القاسم ، هبة الله بن الحسن اللالكائي (٤١٨ هـ).

وهناك كتب مختصرة ، اختصرت ما ورد في تلك الكتب في متون علمية ، مثل:

٦. العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهي رسالة في العقيدة أرسلها الشيخ إلى أحد قضاة بلدة «واسط» فسُمِّيت بالواسطية ، وعليها عدة شروح ، من أنفسها شرح الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله.

٧. العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي ، وأفضل شروحها شرح ابن أبي العز الحنفي رحمه الله.

مقدمة

تقدمت الإشارة في الفصل السابق إلى أن الطوائف المنحرفة عن جادة النبي وصحابته كثيرة ، وأنهم اثنتين وسبعين بنص حديث النبي ﷺ ، غير أن رؤوس أهل البدع أربعة ؛ الشيعة والخوارج والجهمية والمرجئة.

فصل في بدع الشِّـيعة

في باب توقير الصحابة ؛ تفرَّد الشيعة[1] ببدعة كبرى ، ومحدثة في الدين عظمى ، ألا وهي الطعن في صحابة رسول الله ﷺ ، وكان الذي بذر أول بذور هذه البدعة رجل يهودي من أهل اليمن اسمه عبد الله بن سبأ ، وكان هدفه إفساد دين المسلمين ، مقتفيا في هذا أثر «بولس» الذي أفسد دين النصارى ، فلكل قوم وارث ، فزعم ابن سبأ أولا محبة آل البيت ، ليدخل في قلوب الناس ، ثم غلا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وادَّعى له «الوصية» ، ومفادها أن النبي ﷺ وصى له بالخلافة بعد وفاته ، ثم ادعى له الألوهية ، وأنه هو الله ، وأنه مستحق لأن يعبد ، كما أظهر الطعن لأبي بكر وعمر وعثمان ، فلما علم به علي بن أبي طالب نفاه إلى المدائن ليسلم الناس من شره ، ولكن مقالة ابن سبأ تلقفها من تلقفها من العامة والدهماء ، فعلم بهم علي ، فخدَّ لهم عليٌّ أخدودا وأضرمهم بالنار ثم قذفهم فيه ، وسُمُّوا بالسَّبئية بعد ذلك.

ثم لما حصل الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ؛ كان لكل منهما أتباع ، فاستغل بعض المدسوسين الحرب السياسية القائمة لتصعيد الأمر لشق عصا المسلمين ، وإدخال عقائد فاسدة ، فأحيا بعضهم مقالة ابن سبأ المتقدمة ، فبعثوا الغلو في علي مرة أخرى ، ثم مضى الزمان فغلو في ذريته من فاطمة بنت النبي ﷺ ، فادعوا أن من ذريته أحد عشر إماما معصوما ، لا تصح ولاية المسلمين إلا لأحد منهم ، ثم أخذ دين الشيعة في التطور ، فلما لم يجدوا في كتاب الله ما يسند عقيدتهم ؛ أولوا القرآن تأويلا تعسفيا لا تطيقه اللغة العربية ، فصار دينا مستقلا جديدا ، مخالفا تماما

---

[1] الشيعة طوائف كثيرة ، وأغلبهم الاثني عشرية ، ويُسمون أيضا بالإمامية ، نسبة إلى الأئمة الاثني عشر الذين يعظمونهم كما سيأتي.

للدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ ، فصار علي رضي الله عنه هو معبود الشيعة إذا أصابهم الضر كما سيأتي بيانه ، عياذا بالله من دين الجاهلية ، ومن ذهب إلى قبره بالكوفة رأى من تقرب الشيعة له بأنواع العبادات العجب العجاب ، من الدعاء والذبح وغيره ، ونسبوا إلى الأئمة صفة علم ما يعلمه الله ، تعالى الله عن ذلك.

موقف الشيعة من كتاب الله العزيز ، القرآن

والشيعة يقولون إن القرآن الذي بأيدي المسلمين ليس الذي أنزل على محمد ﷺ ، بل قد زيد فيه ونُقص منه وحُرف فيه ، ذكر ذلك النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب» ، ويزعمون أن القرآن الصحيح الكامل هو الذي جمعه علي ، ثم تناقله الأئمة من علي إلى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري ، الذي يزعمون أنه هو المهدي المنتظر ، وأنه في سرداب سامراء ، وأنه سيخرج في آخر الزمان.

ولا شك أن عليا لم يجمع قرآنا قط ، بل الذي جمعه عثمان ، وقولهم هذا طعن صريح في القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه في قوله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ، وقوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

ومن عجائب مقالاتهم أنهم يقولون إن القرآن المزعوم يعادل ثلاثة أضعاف القرآن الذي بأيدي المسلمين الآن ، وأنه ليس فيه من هذا القرآن الذي بأيدي المسلمين حرف واحد!

وعلى هذا فالشيعة يعتبرون أن القرآن الذي بأيدي الناس ليس على تمامه ، وهذا يستلزم تضليل الناس على مدى أربعة عشر قرنا ، ولا شك أن هذا من سوء الظن بالله العظيم ، فكيف يليق بالله أن يترك الناس في ضلال وعمى طيلة هذه القرون المتطاولة ، وكيف تقوم الحجة على الناس إذن والقرآن في جوف الأرض مع الإمام الثاني عشر ، وهل هذا إلا من مناقضة الشيعة للركن الثالث من أركان الإيمان ، وهو الإيمان بالكتب.

ومِن مقالاتهم حصْر علم القرآن ومعرفة تفسيره بالأئمة المزعومين ، وأنه مخزون عندهم ، وبه يعلمون كل شيء ، واعتمدوا في ذلك على جملة كثيرة من الأخبار المفتراة ، ولا شك أن هذا من الكذب

الفاحش ، فإن النبي ﷺ بين للناس معاني القرآن ، قال الله تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ ، ثم تناقل تفسيره الصحابة والتابعون ، وجمعت أقوالهم في التفسير في دواوين التفسير والحديث ، ولا تجد كتابا في الحديث إلا وفيه قسم في التفسير ، كما أن هناك عدة كتب في التفسير جمعت أقوال الصحابة والتابعين في التفسير ، وعلى رأسها تفسير ابن جرير الطبري ، ثم تفسير ابن أبي حاتم وابن المنذر وغيرهما.

كذلك ؛ فقد خاطب النبي ﷺ الصحابة ، ورغبهم في تبليغ الحق للناس ، ولم يخص أحدا منهم بذلك ، فقال كما في حديث زيد بن ثابت: نضر الله وجه امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فإنه رب حامل فقه ليس بقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.[1]

بل قد نفى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذه المقالة نفيا قاطعا ، أي مقالة اختصاصه بعلم خاص في القرآن ، فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة[2] ؛ ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يُعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة.

فقال أبو جُحيفة: وما في الصحيفة؟

قال: العَقل وفكاك الأسير وأن لا يُقتل مسلم بكافر.[3]

فتبين بهذه الكلمات من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن مقالة اختصاصه بعلم سري للقرآن مقالة منكرة ، وليست إلا دعوة صريحة للصد عن تدبر القرآن وفهم معانيه ، الذي هو صد عن دين الله وشريعته في الحقيقة.

ثم تطور الأمر بعد هذا ، فلما لم تلق المقالة المتقدمة قبولا عند بعض الشيعة ؛ لجئوا إلى مقالة أخرى أشنع من الأولى ، وهي قولهم إن القرآن له معنى ظاهر ومعنى باطن يخالف الظاهر تماما ، وأن المعنى الظاهر هو ما يتبادر إلى ذهن القارئ ، وأن المعنى الباطن قد اختص بعلمه الأئمة ، وأن ما حرم الله في القرآن هو الظاهر وباطنه أئمة الجور ، وهم الخلفاء الثلاثة ومن لم يؤمن بأحد من الأئمة الاثني

---

[1] رواه أحمد (١٨٣/٥) وأبو داود (٣٦٦٠) والترمذي (٢٦٥٦) وغيرهم ، وصححه الألباني.

[2] برأ أي خلق ، والنسمة هي الروح.

[3] رواه البخاري (٦٩٠٣).

عشر ، وأن ما أحل الله في القرآن هو الظاهر ، وباطنه أئمة الحق[1] ، وهم الأئمة الاثني عشر ، وهكذا تعسفوا وتجرؤوا على كتاب الله ليطوعوه بما يوافق مذهبهم ، حيث أن القوم قد ضاقت صدورهم لما لم يكن هناك ذكر لأئمتهم المزعومين في القرآن ، فأتوا بهذه المقالة ، ونسبوها إلى بعض أئمتهم ليقنعوا أتباعهم المقلِّدين ، وهي أصل من أصول اعتقاد الشيعة ، مذكورة في مقدمات تفاسيرهم ، كتفسير القمي وتفسير العياشي وتفسير الصافي ، وفي الأخير قوله: (إن للقرآن ظهرا وبطنا ، وببطنه بطن إلى سبعة أبطن)[2] ، ثم زاد مشايخ الشيعة في الكذب والجرأة على كتاب الله ، فقالوا إن لكل سبعون بطنا ، قاله أبو الحسن الشريف في كتابه «مرآة الأنوار» ، ص ٣ .

وليمسك القارئ الكريم بأعصابه ويحمد الله على نعمة العقل وهو يقرأ هذه المقالة المذكورة في كتاب «مرآة الأنوار» ص ٣ ، التي تقول إن كل آيات الفضل والإنعام والمدح والإكرام نزلت في السادة الأطهار (أي آل البيت) وفي أولياءهم ، وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع والتهديد بل جملتها نزلت في مخالفيهم وأعدائهم ، أي الصحابة وأتباعهم.

ولو تأملنا تلك البطون المزعومة لوجدنا أنها تهدف إلى أمرين لا ثالث لهما البتة: إثبات إمامة الاثني عشر ، والطعن في مخالفيهم.

ليس هذا فحسب ؛ بل يزعمون أن القرآن ظاهره تقرير التوحيد والنبوة والرسالة ، بينما باطنه تقرير الإمامة (أي إمامة الاثني عشر) والولاية (أي ولاية النبي ﷺ والأئمة الاثني عشر).

وهذا الكلام ظاهر البطلان ، فلماذا لم يقرر الله إمامة الاثني عشر وولاية علي بوضوح ، ولماذا لا يخاطب الله الناس بوضوح؟!

إنه من المعلوم أن الكلام الباطني تتعارض فيه التأويلات ، لأن التأويل لا ضابط له ، ويمكن تنزيله على وجوه شتى ، بخلاف الكلام الواضح المباشر ؛ فإن اللغة العربية هي الضابط له ، ولو كان كما

---

[1] انظر «أصول الكافي» (٣٧٤/١) و «تفسير العياشي» (١٦/٢) ، و «البحار» (٧٨/٩٢ – ١٠٦).

[2] انظر تفسير الصافي (٣١/١).

يزعمون لما عُدَّ القرآن فصيحا ، ولما عُد مبينا ، لأن الفصيح المبين هو الذي يُفصح عما فيه ، بينما الذي يضمر سبعين بطنا **فأنَّ** له الفصاحة.[1]

وإنك لو أتيت بقواميس اللغة العربية كلها لوجدت أن تفسير القرآن في وادٍ وتفسير الشيعة في وادٍ آخر ، وهذه أمثلة على تفسيرهم لبعض الآيات:

أوَّل الشيعة توحيد العبادة الذي هو أهم المهمات بالولاية لعلي والبراءة ممن هم ضده ، فقالوا إن الله ما بعث نبيا قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا ، وذلك تأويل قوله تعالى –كما يزعمون – ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ، ويروُون في هذا خبرا عن أبي جعفر.[2]

وقالت الشيعة إن عمدة بعثة الرسل لأجل الولاية.[3]

وكتب الشيعة تؤول الإلٰه بالإمام ، فقوله تعالى ﴿لا تتخذوا إلٰهين اثنين﴾ ؛ يؤولونه بلا تتخذوا إمامين اثنين إنما هو إمام واحد.

والشيعة فسروا الرب بعلي بن أبي طالب في قوله تعالى ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ ، ففسروا الكافر بعمر ، والرب بعلي.

وفسروا أسماء الله الحسنى بالأئمة.[4]

وهذا التأويل الفاسد للرب ولله وللإلٰه وللأسماء الحسنى والصفات العلى هي من آثار دعوة عبد الله بن سبأ وأتباعه الذين قالوا أن عليا هو الله ، تعالى الله عما يصفون.

والشيعة فسروا القرآن بعلي ، فقالوا في تفسير قوله تعالى ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾: الكتاب: علي ولا شك فيه.[5]

---

[1] وانظر ما قاله ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٣/٢٣٦ – ٢٣٧) و (٣/٢٩) ، و «منهاج الاعتدال» (٤/٦٦).

[2] انظر «تفسير العياشي» (٢/٢٦١) ، و «تفسير الصافي» (٣/١٣٤).

[3] انظر «مرآة الأنوار» ، ص ١٦٣ .

[4] انظر «تفسير العياشي» (٢/٤٢) ، و «تفسير الصافي» (٣/٢٥٤ – ٢٥٥).

[5] انظر «تفسير العياشي» (١/٢٦) ، و «تفسير القمي» (١/٣٠).

ثم قفز الغلو بالأئمة إلى مراحل متقدمة جدا ، فوصفوهم ببعض أوصاف الرب جل جلاله ، تعالى وتقدس عن مشابهة المخلوقين ، فعقد المجلسي في كتابه باب بعنوان: (باب أنهم جنب الله وروحه

ويد الله) ، وأمثال ذلك ، وذكر فيهم ست وثلاثين رواية مكذوبة على الأئمة.[١]

بل جعلهم المجلسي هم القبلة والكعبة ، وعقد لهذا بابا بعنوان: (باب أنهم رضي الله عنهم حزب الله وبقيته وكعبته وقبلته) ، وجاء في هذا بسبع روايات.[٢]

ويؤولون المساجد بالأئمة كما في قوله ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾.[٣]

وقال صاحب كتاب «اللوامع القرآنية في أسماء علي وآل بيته القرآنية» ، هاشم البحراني ، إن اسم علي ورد في القرآن ١١٥٤ مرة ، محطما بذلك كل مقاييس اللغة العربية ، ومتجاوزا أصول العقل والمنطق ، ومن ذلك تفسيره لكلمة «الإمام» الواردة في قوله تعالى ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ بأنه علي![٤]

وقال صاحب «بحار الأنوار» أنهم – أي الأئمة الاثني عشرية – هم الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الطاعات ، وأن أعداؤهم – وهم أهل السنة الذين لا يعتقدون إمامتهم[٥] – هم الفواحش والمعاصي.[٦]

وتارة يؤول الملائكة بهم ، وتارة بالكتب السماوية ، والأنوار الإلٰهية ، بل فسر الجمادات بهم ، فقال إنهم الماء المعين المذكور في آخر سورة تبارك ، والبئر المعطلة والقصر المشيد المذكوران في سورة الحج ،

---

[١] انظر «بحار الأنوار» (٢٤/١٩١-٢٠٣) ، وانظر «مرآة الأنوار» ، ص ٣٢٤ .

[٢] انظر «بحار الأنوار» (٢٤/٢١١-٢١٣).

[٣] انظر «تفسير العياشي» (٢/١٢) ، و «تفسير الصافي» (٢/١٨٨).

[٤] انظر ص ٣٢١ – ٣٢٣ .

[٥] إلا علي بن أبي طالب ، فإن أهل السنة يعتقدون أنه خليفة راشد مبايع ، وأنه رابع الخلفاء الراشدين ، وله فضائل ومناقب كثيرة ، رضي الله عنه.

[٦] انظر (٢٤/١٨٧ – ١٩١).

لأنهما معطلان عن الحكم ، وأما الفواكه والسحاب والمطر والظل المذكورة في القرآن فأولها بعلم الأئمة وبركتهم ومنافعهم ، وأورد في هذا إحدى وعشرين رواية.[١]

وتارة أول البحر واللؤلؤ والمرجان بأنهم الأئمة ، وذكر في هذا سبع روايات.[٢]

وتارة قالوا بأن البحرين الواردة في قوله ﴿مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان﴾ هما علي وفاطمة ، وأن اللؤلؤ والمرجان هما الحسن والحسين.[٣]

وتارة أولوا النحل بهم ، وذكر سبع روايات.[٤]

والشيعة أوَّلوا البعوضة الوارد ذكرها في سورة البقرة بعلي رضي الله عنه.[٥]

بل لفظ الذباب الوارد في سورة الحج أوَّلوه بعلي.[٦]

فما السر في إطلاق علماء الشيعة لأسماء أحط الحشرات على علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟! الله أعلم.

وتارة أول المجلسي الشهور والأيام بالأئمة ، أي قوله ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا﴾ أي إماما ، وذكر أربعة روايات.[٧]

وقبور الأئمة فلها من تأويلاتهم نصيب ، فهم يؤولون البقعة المباركة الواردة في قوله تعالى في قصة موسى ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة﴾ بأنها كربلاء ، وهذا كذب مكشوف ، لأن البقعة المباركة في طور سيناء بصحراء مصر ، بدليل الآية التي قبلها ﴿آنس من جانب الطور نارا﴾.[٨]

---

[١] انظر «بحار الأنوار» (٢٤/١٠٠-١١٠).

[٢] انظر «بحار الأنوار» (٢٤/٩٧-٩٩).

[٣] انظر «تفسير القمي» (٢/٣٤٤) و «تفسير الصافي» (٥/١٠٩).

[٤] انظر «بحار الأنوار» (٢٤/١١٠-١١٣).

[٥] انظر «تفسير القمي» (١/٣٥).

[٦] انظر «مرآة الأنوار» ، ص ١٥٠ .

[٧] انظر «بحار الأنوار» (٢٤/٢٣٨-٢٤٣).

[٨] انظر هذا الهراء في «كامل الزيارات» ، ص ٤٨ – ٤٩ ، لابن قولويه.

وكربلاء معظمة عند الشيعة ، لأن فيها قبر الحسين بن علي رضي الله عنه.

قال د. ناصر بن عبد الله القفاري حفظه الله: ولعل هذه الروايات هي السبب في شيوع عبادة الأئمة وأضرحتهم ، وعمارة المشاهد وتعطيل المساجد ، لأن المشاهد هي المساجد عندهم ، والإمام هو كعبة الله وقبلته ، ولهذا صنفوا كتبا وسموها «مناسك المشاهد» أو «مناسك الزيارات» ، أو «المزار» ، واعتنوا ببيان فضائلها وآدابها ، وأخذت هذه المسائل في كتبهم قسما كبيرا.[1]

والشيعة ، بكل تعسف وتحكم في النصوص ، يخصون أنفسهم بالرحمة ، ففي كتاب «أصول الكافي»[2] أن الشيعة هي الشيء الوارد في قوله تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾.

وهذه النقولات المشار إليها قليل من كثير ، وغيض من فيض ، وقد جاء أكثرها في أكبر موسوعة حديثية عند الشيعة وهو كتاب «بحار الأنوار» ، والذي يصفه علماء الشيعة بأنه لم يُصنف مثله ، وأن مؤلفه هو شيخ الإسلام والمسلمين ، وملاذ المحدثين ، ومعاذ المجتهدين ، إلى غير الألقاب المخلوعة عليه!

وأحوال اليوم الآخر يفسرونها في الغالب بالرجعة ، أي رجعة الأئمة.[3]

وربما فسروها بولاية علي ، فانظر إلى التناقض ، ويرؤون في هذا خبرا عنه في تفسير قوله تعالى ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ ، يعني كذبوا بولاية علي.[4]

ومن تناقُض الشيعة أيضا تفسير الحياة الدنيا بالرجعة[5] ، وربما بولاية أبي بكر وعمر.[6]

فانظر إلى الشيء واحد كم هو مختلف عندهم ، وصدق الله ، ﴿إنكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك * قتل الخراصون﴾.

---

[1] «أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية» ، ص ٢١٥ ، الناشر: مدار الوطن – الرياض.

[2] (٤٢٩/١).

[3] انظر «مرآة الأنوار» ، ص ٣٠٣ .

[4] انظر «مرآة الأنوار» ، ص ١٨٢ ، والغيبة للنعمان ، ص ٥٤ ، والبرهان (١٥٧/٣).

[5] انظر «تفسير القمي» (٢٥٨/٢ – ٢٥٩) و «تفسير الصافي» (٣٤٥/٤).

[6] انظر «أصول الكافي» (٤١٨/١) ، و «البرهان» (٤٥١/٤).

وبعبارة مختصرة ؛ فإن الدين كله عند الشيعة هو ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويروُون في هذا خبرا عن جعفر الصادق في تفسير قوله تعالى ﴿إن الله اصطفى لكم الدين﴾ ؛ قال: ولاية علي. ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ ؛ أي مسلمون لولاية علي.[1]

وهنا يقال للشيعة: إذا كان الأمر كذلك ؛ فلماذا لم يسمى دين الإسلام بدين الولاية وانتهى الأمر؟! انظر إلى الكفر والزندقة والإلحاد في آيات الله ، كيف حصروا الدين كله في بيعة رجل ، وجعلوا الشرك والطاغوت والأصنام ونحوها هو عدم اعتقاد ولاية الاثني عشر ، ومبايعة الخلفاء الثلاثة ومن تبعهم من خلفاء المسلمين.

فالإسلام عند الشيعة ليس هو عبادة الله وحده ونبذ عبادة من سواه ، واتباع النبي ﷺ واقتفاء أثره في العقيدة والشريعة والسلوك ، كلا ، بل الدين عند الشيعة هو اعتقاد أن محمدا وصى عليا بالخلافة ، وأنه — أي علي – أوصى بالخلافة لمن بعده ، وهم الحسن والحسين وباقي الأئمة الإحدى عشر المزعومين ، فمن اعتقد هذا فقد سلك سبيل الحق ، بحسب زعمهم ، ومن خالف هذا كفر ، وصار من أعداء الله!

أقول: ولا شك أن هذه مصادمة صريحة لكتاب الله ، فقد قال تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ ، والشيعة لا يؤمنون بهذا ، بل التمسك بالعروة الوثقى عندهم هو العمل بما تقدم ، وهو الإيمان بوصية محمد لعلي بالخلافة ، والإيمان بما يتبع ذلك من خرافات وخزعبلات وتحريفات لكتاب الأرض والسماوات!

ومن طوام دين الشيعة أن مصطلح الشرك والردة والكفر والضلال ليست على ظاهرها عند الشيعة ، وأنه – أي الشرك – عبادة ما سوى الله ، والردة الرجوع عن دين الإسلام ، والضلال هو الزيغ عن الصراط المستقيم الذي بينه النبي ﷺ وسار عليه ، بل هذه المصطلحات عند الشيعة تعني أمورا متعلقة بولاية علي فحسب ، فالشرك عند الشيعة يعني أن تشرك في إمامة علي غيره من الناس ، جاء هذا في تفسير القمي (٢/٢٥١) وتفسير الصافي (٤/٣٢٨).

---

[1] انظر «البرهان» (١/١٥٦) ، و «مرآة الأنوار» ، ص ١٤٨ .

وقال صاحب «مرآة الأنوار»: إن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية والإمامة.[1]

فعلى هذا ، فالشيعة يعتقدون أن من اعتقد ولاية أبي بكر أو عمر أو عثمان أو غيرهم ممن انعقدت لهم البيعة من ذلك الحين إلى هذا الحين فإنه مشرك!

وكذلك مصطلح الكفر ؛ هو عند الشيعة عدم اعتقاد ولاية علي بعد رسول الله ﷺ مباشرة ، ويرون أن اعتقاد البيعة لغيره من الخلفاء الثلاثة من الازدياد في الكفر.

هذا ما قالوه في تفسير قوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا﴾.[2]

أما مصطلح الردة فيعني عند الشيعة الردة عن بيعة علي رضي الله عنه ، قرروا ذلك في «أصول الكافي»[3].

وأما مصطلح الضلال فهو عدم معرفة الإمام ، هكذا قرروا في تفسير قوله تعالى ﴿غير المغضوب عليهم * ولا الضالين﴾.[4]

إن تفسير الشيعة للشرك والردة والكفر والضلال بترك بيعة الأئمة فيه تهوين من قدر الشرك الحقيقي ، الذي هو عبادة غير الله ، بل إلغاء تام لمفهومه ، وهذا هو الواقع في دين الشيعة ، ولهذا فالشيعة لا يرون بأسا من عبادة أئمتهم ، وخلع أوصاف الرب عز وجل عليهم كما تقدم.

ومن تأويلات الشيعة لآيات القرآن تأويل الشيطان الوارد في قوله تعالى في سورة الحشر ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ ، أولوا الشيطان بعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه.

وهذا التأويل نسبوه إلى أبي جعفر الباقر ، ونقلوه في كتب التفسير عندهم ، كتفسير العياشي[5] والصافي[6] وغيرهما.

---

[1] ص ٢٠٢ .

[2] انظر «أصول الكافي» (٤٢٠/١).

[3] (٤٢٠/١).

[4] انظر «تفسير القمي» (٢٩/١).

[5] (٢٢٣/٢).

[6] (٨٤/٣).

وهذا هو دين الشيعة ، سب وشتم ، ثم نسبة ذلك كله إلى القرآن ، ليضفوا عليها الشرعية الدينية ، وما هو إلا شذوذ عقلي وافتراء وإلحاد في آيات الله ، والإلحاد في اللغة هو الميل ، وقد توعد الله من ألحد في آياته بقوله في سورة الصافات ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾.

كلمة في تأويل الشيعة للقرآن

وتأويلات الشيعة للقرآن ليس إلا كفر وزندقة ، حيث نسبوا إلى الله تعالى أسلوب الألغاز والأحاجي في كلامه ، وليتها في أمر محمود ، بل بنسف قواعد الإسلام وأصول الملة!

والكذب على الله وتحريف آياته هو دأب أعداء الإسلام كالفلاسفة قديما ، وكمسيلمة الكذاب والأسود العنسي وأشباههم ، وهم في هذا التحريف لا يضرون الإسلام بشيء ، بل هم يفضحون أنفسهم ، ويعطون دليلا عقليا لمن له مسكة عقل أنهم كذبة.

وليس الكذب على الله بغريب على علماء الشيعة ، فهم الذين قرَّروا مبدأ التقية ، وهي استحلال الكذب على من ليس بشيعي ، كما سيأتي ، فالكذب ليس خلقا قبيحا عندهم أبدا ، بل هو من أصول اعتقادهم.

وهذا التأويل والتحريف المعنوي والإلحاد في آيات الله قد تولى كبره وتنظيره القمي والكليني والعياشي والكاشاني والمجلسي وغيرهم من شيوخ الدولة الصفوية ، فهم الذين أدخلوا هذا الإلحاد كروايات عن الأئمة ، ثم توارثها الشيعة إلى يومنا هذا كتراث مقدس لا يقبل النظر ولا التمحيص.

وقد تقدم الكلام على أن أوائل الشيعة لما رأوا أنه ليس للأئمة المزعومين ذكر في كتاب الله ؛ شعروا بضعف الموقف وضعف المذهب ، فحاولوا تعزيز مذهب الشيعة عن طريق بث فكرة التأويل الباطني للقرآن لتزويق المذهب ليكون مقبولا عند الأتباع الذين شعروا بتهالك العلاقة بين مذهب الشيعة ودين الإسلام ، فلجئوا إلى ذلك الإلحاد ، على أنه من أصول الاعتقاد التي لا تقبل المناقشة ولا الأخذ والرد ، ليغلقوا الطريق ، فتبعهم عوام الشيعة على قاعدة: أطفئ مصباح عقلك واعتقد.

وعلماء الشيعة في هذا التحريف مشابهون لليهود والنصارى الذين حرفوا التوراة والإنجيل ، ومفترون على الله الكذب ، متحملون أوزار أتباعهم إلى قيام الساعة ، لا ينقص من أوزارهم شيئا.

موقف الشيعة من السنة النبوية

والشيعة نابذون للسنة النبوية ، كافرون بها ، لا يأخذون منها إلا ما وافق دينهم وعقيدتهم ، وهم في هذا قد شابهوا اليهود الذين قال الله فيهم ﴿أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾.

وكفر الشيعة بالسنة النبوية مناقض لشهادة أن محمد رسول الله ، إذ الشهادة له بالرسالة تقتضي اتباع شريعته التي بُعث بها ، وكيف يتأتَّى اتباع الشريعة مع الكفر بما حفظه الصحابة من الحديث النبوي؟!

فكتب الحديث قاطبة (الصحيحين والسنن الأربع ومسند أحمد وموطأ مالك وغيرها) لا يؤمن بها الشيعة إلا فيما وافق عقيدتهم فقط ، وأما ما خالف عقيدتهم فيكفرون به.

موقف الشيعة من توحيد العبادة

والشيعة وقعوا في عبادة القبور ، وعبادة من وصفوهم بالأئمة الاثني عشر ، ومن زار قبر الحسين المنسوب له في مصر و «قُم» و «مشهد» في إيران ؛ وقف على ذلك ، وكذا القبر المنسوب إلى علي بالكوفة ، وقد قال ابن تيمية أن أهل المعرفة متفقون على أن المشهد الذي بالنجف ليس بقبر علي ، بل قيل إنه قبر المغيرة بن شعبة ، ولم يذكر أحد أنه قبر علي ، وإنما اتخذوا ذلك مشهدا في ملك بني بويه الأعاجم بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة.[1]

موقف الشيعة من توحيد الأسماء والصفات

---

[1] انظر «مجموع الفتاوى» (٤/٤٩٩ – ٥٠٢).

والشيعة يؤمنون بعقيدة البَداء ، ومفادها أن علم الله قد سبقه جهل.[1]

والشيعة يساوون بين الله وبين أئمتهم في بعض صفات الله الخاصة به ، فهم يعتقدون في أئمتهم أنهم خُزَّان علم الله ، وأنهم يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

بل زعم الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة» ، ص ٥٢ ، أن الإمام من الأئمة تخضع لسيطرته جميع ذرّات الكون.

والشيعة يؤمنون بعقيدة الرجعة ، ومفادها رجعة الأموات قبل يوم القيامة وبعد قيام المهدي المنتظر ، فيرجع الأئمة والخلفاء والشيعة والناس كلهم إلا الطبقة الجاهلية ، فيقتص الأئمة ممن ليسوا بشيعة ، ويذبح المهدي بعدما يخرج من سردابه جميع خصومه السياسيين ، ويعيد للشيعة حقوقهم ، حتى وصل الأمر إلى أن ادعى محمد الباقر المجلسي في كتابه «حق اليقين» ، ص ٣٧ ، أن المهدي سيحيي عائشة أم المؤمنين ، ويقيم عليها الحد ، أي حد الزنا ، فهل بعد هذا الكفر من كفر؟

يدعون أن غير الله بيده الإحياء ، ثم ادعوا إقامة حد الزنا على من برأها الله من فوق سبع سماوات في آيات تتلى إلى يوم القيامة.

موقف الشيعة من صحابة رسول الله ﷺ

وقد بلغ الشيعة في بغضهم للصحابة أن حكموا بكفر وردَّة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، وغيرهم من مشاهير الصحابة ، كأبي هريرة وخالد بن الوليد ، كما في كتاب «فروع الكافي»[2] للكليني، رادين بذلك الآيات الواردة في الترضي عن الصحابة ، والثناء عليهم ، كقوله تعالى ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾[3].

---

[1] انظر «أصول الكافي» ، ص ٤٠ .

[2] ص ١١٥ .

[3] سورة الفتح: ١٨ .

كما ورد الرضى عنهم في سورة التوبة ، قال تعالى ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار﴾.[1]

وكذلك الآية في آخر سورة الفتح ، التي تنص على أن الله قد أثنى على الصحابة في التوراة والإنجيل.

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فيما يدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم ، لاسيما الخلفاء الأربعة ، وسيأتي مزيد كلام على هذا في الحق الخامس عشر من حقوق النبي ﷺ ، وهو حق (توقير صحابته).

فهل بعد ثناء الله على الصحابة في القرآن والتوراة والإنجيل من ثناء ، وهل بعد ثناء النبي ﷺ على صحابته من ثناء؟

بل الشيعة يطعنون في عرض عائشة رضي الله عنها ، زوج النبي ﷺ ، ويرمونها بالزنا ، رادين بذلك الآيات التي برأتها في أول سورة النور ، وموافقين للمنافقين الذي رموها بذلك ، عياذا بالله.

وقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على أن من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة الترضي عن صحابة رسول الله ﷺ ، وسلامة الصدور نحوهم ، وتوقيرهم ، وأن من سب أحدا منهم فقد ارتكب كبيرة ، وأن من طعن فيهم كلهم أو أكثرهم فهو كافر ، لأنه هذا يستلزم رد خبر القرآن الذي نص على عدالتهم وتزكيتهم.

الشيعة والكذب

ومن أصول اعتقاد الرافضة عقيدة «التقية» ، وهي تسعة أعشار الدين عندهم ، وهي الكذب على من ليس شيعيا ، فلو قلت لشيعي إن عقيدتكم تنص على البداء – مثلا – ، وذكرت له الكتاب الذي نقلت منه ؛ لأنكر ذلك.

ومن تطبيقات التقية عندهم الصلاة خلف إمام المسجد الحرام ، لأنهم لو ينزوون عنه لاستغرب الناس ، وافتضح أمرهم ، ونفر الناس منهم.

---

[1] سورة التوبة: ١٠٠ .

فالحاصل أن الشيعة يسيرون على دين وطريقة مختلفة تماما عن طريقة أهل السنة في العقيدة والشريعة والسلوك ، وهم مخالفون لهم في الأصول والفروع ، ومخالفون لهم في أركان الإيمان الستة وأركان الإسلام الخمسة ، وهم يخفون هذا في كتبهم ولا يصرحون به على الملأ.

الشيعة أعداء السنة وأهلها

ولما ساء اعتقاد الشيعة في السنة النبوية وأهلها ؛ كانوا مع كل غاز لبلاد المسلمين ، والتاريخ شاهد على هذا ، فإنه لما غزا التتر بلاد المسلمين في القرن السادس ؛ ساندوهم ضد المسلمين ، ولهذا لما أراد صلاح الدين تحرير فلسطين من الصليبيين ؛ قام أولا بالقضاء على دولتهم ، الدولة الفاطمية ، لئلا يُطعن من الخلف ، فلما قضى عليهم حارب الصليبيين وطردهم من فلسطين ، فتم له نصران ، نصر على الصليبيين ، ونصر على الشيعة ، فجزاه الله خيرا.

ولعل بغض الشيعة لأهل السنة وتكفيرهم إياهم هو السبب في كون الشيعة يقفون مع اليهود والنصارى (وهم المشركون الحقيقيون) ضد أهل السنة ، لأنهم يرون أهل السنة كفار ، ثم إن أهل السنة ينغصون عليهم عيشهم ، لكونهم يردون عليهم ضلالاتهم ، ويحاربون عقيدتهم ، ويزاحمونهم في دولهم وأراضيهم ، بخلاف المشركين من اليهود والنصارى فإنهم لا يحاربون عقيدتهم ، ولا يزاحمونهم في أراضيهم ، بل ربما نصروهم ونصروا غيرهم من أهل البدع ، كالقبورية والصوفية وغيرهم ، لأن في نصرتهم تحطيم لمنهج أهل السنة ، الذي هو الإسلام الحق ، وهذه بغية اليهود والنصارى وغاية أمانيهم ، ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾.

الحُكم في الشيعة من جهة إسلامهم أو كفرهم

وبموجب ما عليه الشيعة من عقائد فاسدة فقد حكم كثير من العلماء بكفر أئمتهم وعلمائهم ومن دان بدينهم من عامتهم ، لأنهم أصول دينهم مخالفة لأصول دين الإسلام ، لاسيما أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة ، كما بينا جملة منه.

تطور التشيع إلى أديان أخرى على مر الزمن

ولما انقطع تعلق الشيعة بالسنة النبوية ، وما كان عليه الصحابة والتابعون في فهم الإسلام ، وكان مرجعهم ما يمليه عليهم مشايخهم فحسب ؛ تطور أمرهم وزاد انحرافهم ، ودخل فيهم من أراد ترويج بضاعته باسم حب آل البيت ، فنشأت الإسماعيلية والنصيرية والدرزية والبهائية ، وكلهم باطنية زنادقة ، يعبدون مع الله إلٰها آخر ، سواء أئمتهم المزعومين أو غيرهم ، ويخالفون المسلمين في عامة أصول الاعتقاد ، عافانا الله من ذلك.

خلاصة

فالحاصل أن جناية الشيعة على الدين عظيمة في باب الألوهية والنبوة والشريعة ، وهم مخالفون لأركان الإيمان الستة ، وأركان الإسلام الخمسة ، مناقضون لها ، وتفصيل هذا في كتب الفرق ، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تسع مجلدات في كتابه «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» ، وللدكتور ناصر بن عبد الله القفاري كتاب موسع في بيان أصول دين الشيعة يقع في ألف وخمسمائة صفحة تقريبا بعنوان «أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية – عرض ونقد»[1].

وخلاصة القول أن الشيعة الاثني عشرية الإمامية هم الوجه المقابل لسنة النبي ﷺ ، وهم أعظم الطوائف انحرافا عن دين الإسلام وإن انتسبوا إليهم في الظاهر ، فالعبرة في حقائق الأمور ، وليس الإسلام مجرد أعمال جوارح كالركوع والسجود وانتهى الأمر ؛ بل الإسلام عقيدة وعبادة وسلوك ، فمن نبذ عقيدة الإسلام كفر عياذا بالله ، فإن قوما خرجوا مع النبي ﷺ إلى تبوك ، فلما كانوا ببعض الطريق سخروا من النبي ﷺ وصحابته ، فحكم القرآن بكفرهم ، مع أنهم يصلون ويصومون ويزكون وكانوا خارجين للجهاد ، ولكن لما وقعوا في ناقض من نواقض الإسلام جاء القرآن بكفرهم في آيات من سورة التوبة ، فاعتذروا من النبي ﷺ بأنهم يقصدون قطع الطريق والاستئناس ، وأن استهزائهم لم

---

[1] وهو من منشورات مدار الوطن بالرياض.

يكن عن عدم تصديق بالله ورسوله ، ومع هذا جاء القرآن بكفرهم ، ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾.

فإذا كان الاستهزاء ببعض الصحابة كفر ، لأن الاستهزاء راجع إلى الدين في الحقيقة ؛ فماذا يقال لمن يلعن الصحابة ويُكَفِّرهم ، ويطعن في عرض النبي ﷺ ، وذلك باتهامه لخيرة نسائه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالزنا ، حاشاها من ذلك؟

وماذا يقال في حق من يؤول القرآن على غير وجهه ، ويخلع عليه التفاسير السامجة التي ليس لها أساس في لغة العرب ولا يدل عليها ظاهر السياق؟

أليس هذا من الاستخفاف بشرع الله تعالى والاستهزاء به ، بل ردِّه وعدم الإيمان به؟

والشيعة الاثني عشرية لهم دولة وهي إيران ، ولهم انتشار في المملكة العربية السعودية في القطيف والأحساء ، أما الشيعة الإسماعيلية فانتشارهم في نجران في جنوب المملكة.

فصل في بدعة الخوارج

وفي باب السمع والطاعة لولاة الأمور ؛ تفرد الخوارج باستحلال الخروج على ولاة الأمور إذا رأوا منهم معصية ، ففعلوا ما فعلوا من قتل علي رضي الله عنهما بعد اتهامهم له في دينه – حاشاه من ذلك – على يد عبد الرحمٰن بن ملجم ، ثم انفتح باب الشر على المسلمين إلى يومنا هذا.

والخوارج لا يؤمنون برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، ويُكفِّرون مرتكب الكبيرة ، فشارب الخمر – مثلا – كافر عندهم ، وفي الآخرة خالد مخلد في النار ، ولا شك أن هذا خطأ ، ولم تدل عليه النصوص ، بل النصوص بخلافه ، فمرتكب الكبيرة لا يكفر ، إنما يكفر من أحل الكبيرة ، لأنه يكون قد ضاهى الله في حكمه ، فأحل ما حرم الله ، أو حرم ما أحل الله.

والشفاعة ينكرون شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر يوم القيامة لإخراجهم من النار ، مع أن الأحاديث متواترة في هذا ، وهي موجودة في مظانها.

وللخوارج غير هذا من البدع الاعتقادية ، عافانا الله منها.

فصل في بدعة الجهمية

ومن أشهر الفرق التي ضلت في باب أسماء الله تعالى وصفاته فرقة «الجهمية» ، نسبة إلى ناشرها الجهم بن صفوان ، ومنهج هذه الطائفة هو نفي أسماء الله تعالى وصفاته عنه ، أي أنه ذات مجردة عن الأسماء والصفات ، تعالى الله عن ذلك ، زاعمين أن إثباتها له يلزم منه أمران:

الأول: تعدد الآلهة ، وهذا شرك بزعمهم ، وقد رد عليهم أهل السنة بأن الواحد من بني آدم يوصف بعدة صفات ، يوصف بأنه كريم وغني وتاجر وطويل ، ومع هذا فلا أحد يقول إنه عدة أشخاص! هذه مكابرة للعقول.[1]

والثاني: تشبيه الله بخلقه.

فنفوا عن الله صفة السمع والبصر والكلام والاستواء وغيرها ، وقالوا هي من قبيل المجاز ، وأوَّلوها إلى معانٍ أخرى غير مرادة.

وقد كان بزوغ هذه الطائفة على يد الجهم بن صفوان في أوائل المائة الثانية في عصر التابعين ، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى.[2]

قال الذهبي[3] في «السير» (٦/٢٦) و «تاريخ الإسلام» (٣/٣٨٩): هو الجهم بن صفوان ، أبو محرز الراسبي ، السمرقندي ، أُس الضلالة ، ورأس الجهمية ، كان ينكر الصفات ، وينزه الباري عنها — بزعمه – ، ويقول بخلق القرآن[4] ، وأن الله في الأمكنة كلها ، وأن الإيمان عقدٌ بالقلب وإن كفر بلسانه وعبد الصليب والأوثان ، فهو ولي الله من أهل الجنة. اهـ باختصار.[5]

---

[1] انظر كتاب «لمحة عن الفرق الضالة» للشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله عند الكلام عن الفرقة الرابعة: الجهمية.

[2] انظر كتاب «العرش» للذهبي ص ٦٩ ، وبالنسبة للأعلام المذكورين أعلاه فسيأتي ذكر تراجمهم في ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

[3] ستأتي ترجمته قريبا في الفصل القادم إن شاء الله.

[4] أي أنه ليس كلام الله ، وإنما شيء مخلوق كباقي المخلوقات.

[5] انظر «السير» (٦/٢٦) و «تاريخ الإسلام» (٣/٣٨٩).

وروى عبد الله بن أحمد في «السنة»[1] عن يزيد بن هارون[2] قال: لعن الله الجهم ومن قال بقوله ، كان كافرا جاحدا ، ترك الصلاة أربعين يوما ، يزعم أنه يرتاد دينا ، وذلك أنه شك في الإسلام.

قال يزيد: قتله سَلَمْ بن أحوز التميمي على هذا القول. اهـ.

قلت: سَلَمْ بن أحوز هو أمير الشرطة في آخر دولة بني أمية ، ونائبهم على «مَرْو» بخُراسان.[3]

---

[1] (برقم (١٩٧) ، وذكره الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (ترجمة يزيد بن هارون) عن السراج تعليقا قال: سمعت إبراهيم بن عبد الرحيم قال: سمعت إسماعيل بن عبيد وهو ابن أبي كريمة قال: سمعت يزيد بن هارون يقول: القرآن كلام الله ، لعن الله جهما ومن يقول بقوله ، كان كافرا جاحدا.

[2] هو الإمام القدوة الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبو خالد السُلمي ، مولاهم الواسطي ، له رواية للحديث النبوي ، قال الذهبي: (كان يزيد رأسا في السنة ، معاديا للجهمية ، منكرا تأويلهم في مسألة الاستواء) ، توفي سنة ٢٠٦ ، انظر ترجمته في «السير» (٣٥٨/٩).

[3] انظر «البداية والنهاية» ، أحداث سنة ١٢٨ هـ ، مقتل الجهم بن صفوان.

فصل في بدعة الإرجاء

وفي باب فهم معنى الإيمان ضلت المرجئة ، فقالوا أن العمل ليس شرطا لصحة الإيمان ، ولا يؤثر في الإيمان زيادة ونقصا ، فمن تلفظ بالشهادتين وآمن بأركان الإيمان الستة فهو مؤمن مسلم ، وإن ترك جميع أعمال الجوارح من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها!

ولا شك أن هذا القول خطأ ، لأن السلف الصالح قد أجمعوا على أن الإيمان اعتقاد في الجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان ، أي الجوارح ، وحسبك بإجماع السلف إجماعا.

الحق الرابع : أن لا يُعبد الله تعالى إلا بما شرع ، وليس بالأهواء والبدع

نبذة يسيرة عن منهج أشهر الطوائف المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة

خلاصة

هذه نبذة يسيرة عن مجمل اعتقاد رؤوس أهل البدع الأربعة ، الخوارج والشيعة والجهمية والمرجئة ، وقد رد عليهم علماء السنة في القديم والحديث بما تبرأ به الذمة ، ببيان المنهج الحق فيما وقعوا فيه من مسائل ، وكشف شبهاتهم ، وبيان تناقضهم فيها ، ومن تلك الكتب على سبيل المثال كتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي رحمه الله ، والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرحها للشيخ محمد بن عثيمين رحمة الله على الجميع.

الحق الخامس: التحاكم لشريعته ﷺ

ومن حقوق الرسول ﷺ التحاكم لشريعته ، والرضى بحكمه رضا قلبيا كاملا والاستسلام لها ، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً.[1]

والرضا كلمة تجمع القبول والانقياد ، فلا يكون الرضا إلا حيث يكون التسليم المطلق والانقياد الكامل ظاهراً وباطناً لما جاء به الرسول ﷺ من ربه.

وقال تعالى ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾[2] ، وقال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾[3].

فقه الآيتين:

"كلا الآيتين توجبان التسليم الكامل والانقياد التام من أهل الإيمان لِما حَكم به الله تعالى وحكم به رسوله ﷺ ، فليس في ذلك اختيار ، بل السمع والطاعة والقبول والتسليم بما جاء عن الله ورسوله.

ومن الملاحظ في كلا الآيتين أن الخطاب فيهما لأهل الإيمان ، ففي الآية الأولى ﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ ، وفي الثانية ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ ، وهذا التخصيص للمؤمنين فيه من الدلالة ما فيه ، فاسم الإيمان يُشعر بأن هذا المطلوب منهم من موجبات الاسم الذي نُسبوا إليه ، ولذلك فإنه يجب على كل من يؤمن بالله ورسوله ﷺ أن يضع هاتين الآيتين وأمثالهما من الآيات الموجبة للامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ نصب عينيه ، فيسمع ويطيع ، ويؤمن بأنه لا اختيار له في ذلك ولا رأي ، بل التسليم المطلق الذي لا يصاحبه شك ولا ارتياب.

---

[1] رواه مسلم (٣٤).

[2] سورة النور: ٥١ .

[3] سورة الأحزاب: ٢٦ .

فهذه حقيقة الإيمان ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله ، التي تعني طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

ومثل هذه الآيات هي الفاصل بين دعوى الإيمان الحقيقية التي هي للمؤمنين الصادقين ، وبين دعوى الإيمان الزائفة الباطلة التي هي سمة المنافقين الكاذبين ، المظهرين خلاف ما يُبطنون".[1]

ومن الأدلة كذلك على وجوب التحاكم لشريعة الله قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[2].

وقال الله تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[3].

قال ابن تيمية رحمه الله: فكل من خرج عن سنة رسول الله ﷺ وشريعته ؛ فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله ﷺ في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين والدنيا ، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه ، ودلائل القرآن على هذا الأصل كثيرة.[4]

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا ، ولهذا قال ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ ، أي إذا حكّموك يطيعونك في بواطنهم ، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن ، فيسلموا لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله: أقسم سبحانه بأجلِّ مقسَمٍ به – وهو نفسه عز وجل – على أنهم لا يَثبت لهم الإيمان ولا يكونون من أهله حتى يحكموا رسوله ﷺ في جميع موارد النزاع ، وهو كل ما شجر

---

[1] «حقوق النبي ﷺ على أمته» ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

[2] سورة النساء: ٥٩ ، وانظر ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة.

[3] سورة النساء: ٦٥ .

[4] «مجموع الفتاوى» (٤٧١/٢٨).

بينهم من مسائل النزاع في جميع أبواب الدين ، فإن لفظة «ما» من صيغ العموم ، فإنها موصولة ، تقتضي نفي الإيمان إذ لم يوجد تحكيمه في جميع ما شجر بينهم.

ولم يقتصر على هذا حتى ضم اليه انشراح صدورهم بحكمه ، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجا – وهو الضيق والحصر[1] – من حكمه ، بل يتلقوا حكمه بالإنشراح ويقابلوه بالتسليم ، لا أنهم يأخذونه على إغماض[2] ويشربونه على إقذاء[3] ، فإن هذا مناف للإيمان ، بل لابد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح صدر.

ومتى أراد العبد أن يعلم منزلته من هذا فلينظر في حاله ، وليطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ، ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره﴾.

فسبحان الله ، كم من حزازة في قلوب كثير من الناس من كثير من النصوص ، وبوِدهم أن لو لم ترِد ، وكم من حزازة في أكبادهم منها ، وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها ، ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء ويخزي يوم تبلى السرائر.

ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى ﴿ويسلموا تسليما﴾ ، فذكر الفعل مؤَكِّدا له بمصدره القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع له والانقياد لما حَكم به طوعا ورضا وتسليما ، لا قهرا ومصابرة ، كما يُسلِّم المقهور لمن قهره كَرها ، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه ، ويعلم أن سعادته وفلاحه في تسليمه إليه ، ويعلم بأنه أولى به من نفسه ، وأبر به منها ، وأرحم به منها ، وأنصح له منها ، وأعلم بمصالحه منها ، وأقدر على تحصيلها.

فمتى علم العبد هذا من الرسول ﷺ ؛ استسلم له ، وسلَّم إليه ، وانقادت كل ذرة من قلبه إليه ، ورأى أنه لا سعادة له إلا بهذا التسليم والانقياد.[4]

---

[1] الحصر هو الحبس ، والمقصود به هنا هو الضيق ، لأن المحبوس يضيق بحبسه. انظر «النهاية».

[2] الإغماض هو التنقص لقيمة الشيء. انظر «المعجم الوسيط».

[3] الإقذاء من القذى ، وهو الشوائب التي تكون في الشراب ، والمقصود هو السكوت على الذل كما يشرب الإنسان من الماء الذي فيه شوائب وهو كاره لذلك ، متصبر عليه.

[4] «الرسالة التبوكية» ، ص ٨٠ – ٨٣ .

وقال أيضا رحمه الله كلاما نفيسا في «الصواعق المرسلة»:

وقد أقسم سبحانه بنفسه المقدسة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم ، ولا يكفي ذلك في حصول الإيمان حتى يزول الحرج من نفوسهم بما حكم به في ذلك أيضا ، حتى يحصل منهم الرضا والتسليم ، فقال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ، فأكد ذلك بضروب من التأكيد:

أحدها: تصدير الجملة المقسم عليها بحرف النفي المتضمن لتأكيد النفي المقسَم عليه[1] ، وهو في ذلك كتصدير الجملة المثبتة بـ «إن».

الثاني: القسم بنفسه سبحانه.

الثالث: أنه أتى بالمقسم عليه بصيغة الفعل الدالة على الحدوث ، أي لا يقع منهم إيمان ما حتى يحكموك.

الرابع: أنه أتى في الغاية بـ «حتى» دون «إلا» المُشعِرة بأنه لا يوجد الإيمان إلا بعد حصول التحكيم ، لأن ما بعد «حتى» يدخل فيما قبلها.

الخامس: أنه أتى المحَكّم فيه بصيغة الموصول الدالة على العموم ، وهو قوله ﴿فيما شجر بينهم﴾ ، أي في جميع ما تنازعوا فيه من الدقيقة والجليلة.

السادس: أنه ضم إلى ذلك انتفاء الحرج ، وهو الضيق من حكمه.

السابع: أنه أتى بهِ نكرةً في سياق النفي ، أي لا يجدون نوعا من أنواع الحرج البتة.

الثامن: أنه أتى بذكر ما قضى به بصيغة العموم ، فإنها إما مصدرية ، أي من قضائك ، أو موصولة ، أي من الذي قضيته ، وهذا يتناول كل فرد من أفراد قضائه.

التاسع: أنه لم يكتف منهم بذلك حتى يُضيفوا إليه التسليم ، وهو قدر زائد على التحكيم وانتفاء الحرج ، فما كل من حكَّم انتفى عنه الحرج ، ولا كل من انتفى عنه الحرج يكون مسلِّما منقادا ، فإن التسليم يتضمن الرضا بحكمه والانقياد له.

العاشر: أنه أكَّد فعل التسليم بالمصدر المؤكد.[1]

---

[1] أي قوله ﴿فلا﴾.

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير الآية: وهذا شامل لتحكيمه[٢] في أصول الدين وفي فروعه ، وفي الأحكام الكلية ، والأحكام الجزئية.[٣]

وضد التحاكم إلى الشريعة الإعراض عنها ، وهذا من علامات الزيغ والنفاق ، قال الله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليكم وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾[٤].

---

[١] «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (١٥٢٠ – ١٥٢١).

[٢] أي النبي ﷺ ، والمقصود بتحكيمه تحكيم شريعته.

[٣] «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» ، ص ٣٩ ، بتصرف يسير.

[٤] سورة النساء: ٦٠ – ٦١ .

الحق السادس : تعظيم سنته ﷺ

تعظيم سنة النبي ﷺ تقتضي العمل بشريعته ، والعمل بسنته ، والأخذ بأوامره ظاهرًا وباطنًا ، والتمسك بها والحرص عليها ، وتحكيم ما جاء به في الأمور كلها ، والرضا بحكمه والتسليم له ، والسعي في إظهار دينه ، ونصر ما جاء به ، وتبليغ رسالته للناس ، ودعوتهم للإيمان به ، والذب عن سنته والدفاع عنها وتعلُّمها وتعليمها وخدمتها ، والموالاة والمعادة والحب والبغض لأجله ، وجهاد من خالفه ، واجتناب عما نهى عنه وزجر ، والبعد عن معصيته ومخالفته والحذر من ذلك ، والتوبة والاستغفار عما وقع فيه الإنسان من الزلل والتقصير.

ومن دلائل **تعظيم سنته** ﷺ توقير حديثه ، والتأدب عند سماعه ، والوقار عند دراسته ، وقد كان لسلف الأمة وعلمائها عموماً والمحدثين خصوصاً منهم إسهام قوي في إجلال حديث رسول الله ﷺ ، وتوقير مجلس الحديث ، والتحفز لاستباق العمل به ، تعظيماً له ، وقد كان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك ، فإذا جاء الحديث خَشع.[1]

وتعظيم سنته ﷺ يتضمن إجلال العاملين بها وتقديرهم وتوقيرهم ، وخاصة العلماء منهم ، فهُم الشامة في جبين الأمة ، وهم النور الذي يمشي بين الناس ، كما هم الأمنة والأمناء على ميراث النبوة.

ولهذا قال سفيان بن عيينة : ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لقول النبي ﷺ : نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه.[2]

ورواه الدينوري عن الفضيل بن عياض رحمه الله.[3]

وقال الشافعي رحمه الله : إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث كأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ.[4]

---

[1] ذكره الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» ، (٩٨٥) ، باب خشوعه في حال الرواية ، بسنده إلى حسين المعلم عن ابن سيرين وذكره.

[2] رواه الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» ، باب قوله ﷺ : ليبلغ الشاهد منكم الغائب.

[3] «المجالسة وجواهر العلم» ، الجزء الأول ، أثر رقم ١١٤ ، الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

وقال أحمد بن حنبل : من عظّم أصحاب الحديث تعظَّم في عين رسول الله ، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله ، لأن أصحاب الحديث أحبار[٥] رسول الله ﷺ .[٦]

---

[٤] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١١٦/٩).

[٥] الحَبر هو العالم. انظر «النهاية».

[٦] روى ذلك ابن الجوزي عنه في كتابه «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» ، الباب الثاني والعشرون في ذكر تعظيمه لأهل السنة والنقل ، ص ٢٤٩ .

الحق السابع: مجانبة الراغبين عن سنة النبي ﷺ

ومن أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة مجانبة أهل البدع ، والحكمة في ذلك ألا يُلبِّسوا على السُّني دينه ، وليكون في هجره تأديبا له لعله يرجع عن بدعته ، فعن سفيان الثوري قال: من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره[١] ، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيُدخله الله في النار ، وإما أن يقول (والله ما أبالي ما تكلَّموا ، وإني واثق بنفسي) ، فمن أَمِن الله على دينه طرفة عين سلَبه إياه.[٢]

وعن أبي قلابة[٣] أنه قال: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تخالطوهم ، فإني لا آمن أن يغمِسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.[٤]

كان عمرو بن قيس الملائي يقول: لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك.[٥]

قال ابن المبارك لإسماعيل الطُّوسي: إياك أن تجالس صاحب بدعة.[٦]

وأعظم من ينبغي الحذر من مجالستهم من أهل البدع هم أهل البدع العقائدية ، ويليهم أهل البدع العملية ، والله أعلم.

---

[١] أي يراه الناس يجالس أصحاب البدع فيقلدونه.

[٢] «البدع والنهي عنها» (١٢٠).

[٣] هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي ، أبو قلابة البصري ، ثقة فاضل. انظر «تقريب التهذيب» لابن حجر رحمه الله.

[٤] رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٤٤) ، والدارمي في المقدمة ، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة (٣٩٧) ، والبيهقي في «كتاب الاعتقاد» ، ص ٣١٩ ، وغيرهم.

[٥] رواه أبو نعيم في «الحلية» (١١٨/٥).

[٦] رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٦٠).

الحق الثامن: الدعوة لدينه

مِن أهم حقوق النبي ﷺ نشر سنته وهديه ، وتبليغها للناس ، وقد ثبت عنه أنه قال: (ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يُبلغ من هو أوعى له منه)[1] ، وقال: بلغوا عني ولو آية.[2]

وقد دعا رسول الله ﷺ لمن حمل هذا اللواء بقوله: نضر الله امرءًا سمع منا شيئًا فبلغه كما سمِعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع.[3]

ومن حقوق النبي ﷺ الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه ، لأن البدع تهدم الدين ، وتخالف هدي النبي ﷺ ، بل هي زيادة في دين الإسلام ، وهي مردودة على صاحبها ، كما قال النبي ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.[4]

فصل

والأدلة على فضل الدعوة إلى الله كثيرة جدا ، ليس المقام مقام استقصائها ، نكتفي منها بآية وثلاثة أحاديث ، وفيها كفاية لمن أراد الهداية ، أما الآية فقوله تعالى ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا﴾ ، أي لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى الله.

قوله ﴿وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى ، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد)[5].

وأما الأحاديث الثلاثة فأولهما حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ أرسل علي بن أبي طالب لغزو اليهود في خيبر ، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

---

[1] رواه البخاري (٦٧) ومسلم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

[2] رواه البخاري (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

[3] رواه ابن حبان (٦٦) والترمذي (٢٦٥٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقال الترمذي: حسن صحيح.

[4] تقدم تخريجه.

[5] قاله ابن كثير في تفسير الآية.

فقال: انفُذ على رِسلِك[1] حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم.[2]

وأما الحديث الثاني على فضل الدعوة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، الحديث.[3]

وأما الحديث الثالث فهو حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشرِبوا وسَقوا وزَرَعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان ، لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعهُ ما بعثني الله به فعلم وعلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.[4]

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: قال القرطبي وغيره:

ضرب النبي ﷺ لِما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت ؛ فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم ، فهو بمنزلة الأرض الطيبة ؛ شربت فانتفعت في نفسها ، وانبتت فنفعت غيرها.

ومنهم الجامع للعلم ، المستغرق لزمانه فيه ، غير أنه لم يعمل بنوافله ، أو لم يتفقه فيما جمع ، لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله (نضر الله امرأً سمع مقالتي فأداها كما سمعها).

---

[1] قوله (انفذ) أي امضِ ، وقوله (على رِسلِك) أي على مهلك. انظر «النهاية».

[2] رواه البخاري (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦) ، قال ابن حجر رحمه الله: (حُمْر النعم) بسكون الميم وبفتح النون والعين ، وهو من ألوان الإبل المحمودة ، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها ، وقيل تقتنيها وتملكها ، وكانت مما تتفاخر العرب بها. (باختصار).

[3] رواه مسلم (٢٦٧٤).

[4] رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء ، التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها.

وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها ، والله أعلم. انتهى.

فصل

والمبتدع لا يحب نشر السنة النبوية ، ويسعى لكتمانها ، قال ابن تيمية رحمه الله: (ومن المعلوم أنك لا تجد أحداً ممن يرد نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله ، ويود أن تلك الآية لم تكن نَزلت ، وأن ذلك الحديث لم يرِد ، ولو أمكنه كشط ذلك المصحف من قلبه لفعله.

قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا خرجت حلاوة الحديث من قلبه.

وقيل عن بعض رؤوس الجهمية – إما بشر المريسي أو غيره – أنه قال: ليس شيء أنقض لقولنا من القرآن ، فأقِروا به في الظاهر ، ثم صرِّفوه بالتأويل.

ويقال إنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب ، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل.

ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية ، بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه ، خلافاً لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه ، كما قال: (ليبلغ الشاهد الغائب) ، وقال: (بلغوا عني ولو آية) ، وقال: (نضر الله امرءاً سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه).

وقد ذم الله في كتابه الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ، وهؤلاء يختارون كتمان ما أنزله الله لأنه معارض لما يقولونه ، وفيهم جاء الأثر المعروف عن عمر ، قال: (إياكم وأصحاب الرأي ، فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ، فقالوا **بالرأي** ، فضلوا وأضلوا).[1]

فذَكر أنهم أعداء السنن.

---

[1] تقدم تخريجه.

وبالجملة ، فكل من أبغض شيئا من الكتاب والسنة ففيه من عداوة النبي بحسب ذلك ، وكذلك من أحب ذلك ففيه من الولاية بحسب ذلك ، قال عبد الله بن مسعود: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله.

وأعداء الأنبياء هم شياطين الإنس والجن ، وهؤلاء يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، والزخرف هو الكلام المزين ، كما يزيَّن الشيء بالزخرف وهو المذهب ، وذلك غرور ، لأنه يغر المستمع ، والشبهات المعارضة لما جاءت به الرسل هي كلام مزخرف يغر المستمع ، ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ، فهؤلاء المعارضون لما جاءت به الرسل تَصغى إليه[1] أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة كما رأيناه وجربناه).[2]

---

[1] أي تصغي إلى كلامهم.

[2] «درء تعارض العقل والنقل» (٥/٢١٧ – ٢٢٠) ، باختصار يسير.

الحق التاسع: الذب عن دينه ﷺ

الذب عن دين النبي ﷺ يتضمن أمورا ستة:

١. حفظ سنته من الضياع ، وقد بذل أئمة الإسلام رحمهم الله جهودا عظيمة في حفظ مخطوطات الحديث النبوي وآثار الصحابة والتابعين على مر القرون إلى وقتنا هذا الذي قامت فيه جهات حكومية متخصصة في حفظ السنة ، من جامعات ومتاحف ومراكز مخطوطات ونحوها.

٢. ومن الذب عن سنته حمايتها من انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين ، وهو باب عظيم من أبواب الذب عن الدين ، وقد قام به خير قيام علماء المسلمين منذ ظهرت البدع ، عملا بوصية النبي ﷺ : إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريُّون[١] وأصحاب ، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خُلوف[٢] ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.[٣]

هذه الأحاديث والآثار تبين صفة أَتباع الأنبياء ، فهم يطيعون أنبيائهم ويأخذون بسنتهم ويأتمرون بأمرهم ، ولا يحيدون عن ذلك ولا يخالفونه إلى ما سواه.

وأما المخالفون لهم فمنهم الذين ابتدعوا أموراً في الدين لم تشرع لهم ، وأخذوا يتعبدون الله بها ، وهم المشار إليهم بقوله: (ويفعلون ما لا يؤمرون) ، وهؤلاء ينطبق عليهم أيضا قوله تعالى ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾.

والذب عن الدين لا يقوم به إلا خواص المسلمين ، جعلنا الله منهم ، قال محمد بن المرتضى اليماني رحمه الله تعالى — الشهير بابن الوزير – في مقدمة كتابه «إيثار الحق على الخلق» ما نصه:

---

[١] الحواريون هم خاصة الإنسان ، من الأصحاب والأنصار. انظر «النهاية».

[٢] أي يأتي أناس ، يخلف بعضهم بعضا ، كلما ذهب أناس جاء آخرون.

[٣] رواه مسلم (٥٠).

المحامي عن السنة ، الذاب عن حماها ؛ كالمجاهد في سبيل الله تعالى – ، يُعد للجهاد ما استطاع من الآلات والعدة والقوة ، كما قال الله سبحانه ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾[1] ، وقد ثبت في الصحيح أن جبريل عليه السلام كان مع حسان بن ثابت يؤيده ما نافح عن رسول الله ﷺ في أشعاره ، فكذلك من ذب عن دينه وسنته من بعده ، إيماناً به وحباً ونصحاً له ورجاء أن يكون من الخلف الصالح الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين) ، والجهاد باللسان أحد أنواع الجهاد وسبله. انتهى.

وقال الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ[2]:

إن الجهاد بالعلم والحجة مقدم على الجهاد باليد والقتال ، وهو من أظهر شعائر السنة وآكدها ، وإنما يختص به في كل عصر ومِصر أهل السنة وعسكر القرآن وأكابر أهل الدين والإيمان ، فعليك بالجد والاجتهاد فيه ، واعتد به من أفضل الزاد للمعاد.[3] انتهى.

٣. ومن الذب عن سنته أيضاً الرد على الطاعنين في سنته ، المتنقصين لها ، من علمانيين وقرآنيين ورافضة وغيرهم ، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم.

---

[1] الأنفال: ٦٠ .

[2] هو الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة ١٢٢٥ هـ في بلدة العلم والعلماء ؛ الدرعية ، درس على يد عدد من المشايخ ، منهم والده الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ، وكذا ابن عمه الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن محمود الجزائري ، وغيرهم.

وبعد تضلعه في العلم تتلمذ عليه عدد من التلاميذ ، أشهرهم الشيخ الأديب الذاب عن دين الله بشعره ونظمه ؛ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى.

له العديد من الكتب والرسائل ، أما الكتب فأشهرها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» ، وأيضا «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس».

أما الرسائل فجمعها تلميذه الشيخ سليمان في المجلد الثالث من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، وبعضها مفرق في بعض المجلدات الأخرى ، وبعضها يقع في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية».

توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣ هـ.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتابه «مصباح الظلام» لمحققه د. عبد العزيز بن عبد الله الزير حفظه الله.

[3] «الدرر السنية» (٣/٢٩٤ – ٢٩٥).

٤. ومن الذب عن سنته أيضاً: الرد على شبهات المستهزئين بما ثبت من هديه في القول أو الفعل أو الاعتقاد ، كاستهزاء بعضهم بالحجاب ، أو باللحية ، أو برفع الإزار فوق الكعبين ، أو بالسواك، ونحوها.

٥. ومن الذب عن سنة النبي ﷺ تنقيحها مما أدخله المبطلون فيها من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة على النبي ﷺ ، وبيان صحيحها من سقيمها ، وقد كان لأئمة الحديث القدَح المعلى في تنقيح السنة ، وتمييز الطيب من الخبيث ، وفحص الرواة ومعرفة أحوالهم.

والاستهزاء بالسنة الصحيحة الثابتة والطعن بها كفر يخرج من الملة ، قال تعالى ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾[1].

٦. ومن الذب عن دينه الجهاد في سبيل الله ، وكتب الحديث عامرة بذكر غزوات النبي ﷺ ونصرة الصحابة له ، وكذا كتب السير والتاريخ فيها الكثير من أخبار الغزوات في عهد الخلفاء وعهد التابعين ومن بعدهم ، والجهاد باق إلى يوم القيامة ، وهو من علامات صدق الإيمان وبذل النفس لنصرة الإسلام ، والكلام فيه يطول ، يوجد في مظانه.

ومن أروع ما سطره التاريخ في الذب عن دين الإسلام في ساحات الجهاد ما قاله أنس ابن النضر يوم أحد لما انكشف المسلمون: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني أصحابه – ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ، ثم تقدم فاستقبله سعد ، فقال: يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أُحُد ، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

قال أنس بن مالك راوي الحديث: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثّل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه[2].[3]

---

[1] التوبة: ٦٥ – ٦٦ .

[2] بنانه أي أصابعه ، وقيل أطراف الأصابع ، مفردها بنانة. انظر «النهاية».

[3] انظر البخاري (٢٨٠٥) ، ومسلم (١٩٠٣) عن أنس رضي الله عنه.

الحق التاسع: الذب عن دينه

والتهاون في الذب عن شريعة رسول الله ﷺ يعتبر من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان ، أو زواله بالكلية ، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمته وعرضه وسنته ؛ فهو كاذب في دعواه.

الحق العاشر: محبة النبي ﷺ أكثر من محبة النفس والمال والوالدَين والولد والناس أجمعين

محبة النبي ﷺ وتعظيمه من **شرط إيمان العبد** ، ومن أصول الدين ، بل الأمر كما قال ابن تيمية رحمه الله: قيام المِدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله ، وسقوط ذلك سقوط الدين كله.[1]

والأدلة على وجوب محبة النبي ﷺ كثيرة ، منها قوله تعالى ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها **أحب إليكم من الله ورسوله** وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[2].

فكفى بهذه الآية حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على وجوب محبته ﷺ ، واستحقاقه لها ، إذ توعد الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله بقوله تعالى ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ ، ثم فسّقهم في تمام الآية ، وأعلمهم أنهم ممن أضل ولم يهدِ.

فصل

و**تمام كمال محبة النبي** ﷺ لا يكون إلا بتقديم محبته على النفس والمال والأهل ، ودون هذا يعتبر نقص في المحبة والإيمان ، وقد دل على هذا الكتاب والسنة ، فأما الكتاب فقوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[3].

ومن السنة قوله ﷺ : ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾.[4]

وقال رسول الله ﷺ : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه.[5]

قال ابن القيم رحمه الله: وهذه الأولوية تتضمن أمورا ، منها:

أن يكون النبي أحب إلى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أصلها الحب ، ونفسُ العبد أحب إليه من غيره ، ومع هذا فيجب أن يكون الرسول أولى به منها[1] ، فبذلك يحصل له اسم الإيمان.

---

[1] «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ » ، (٣٩٧/٢).

[2] سورة التوبة: ٢٤ .

[3] سورة الأحزاب: ٦ .

[4] رواه البخاري (٢٣٩٩) ومسلم (١٦١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري.

[5] رواه مسلم (٨٦٧) عن جابر رضي الله عنهما.

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة ، من الرضا بحكمه ، والتسليم لأمره ، وإيثاره على من سواه.

ومنها: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً ، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ ، يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده والوالد على ولده ، فليس في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها.

فيا عجبا كيف تحصل هذه الأولوية لعبد قد عزل ما جاء به الرسول ﷺ عن منصب التحكيم ، ورضي بحكم غيره ، واطمأن إليه أعظم من طمأنينته إلى رسول الله ﷺ ، وزعم أن الهدى لا يُتلقى من مشكاته ، وإنما يُتلقى من دلالات العقول ، وإن ما جاء به لا يفيد اليقين ، إلى غير ذلك من الأقوال التي تتضمن الإعراض عنه وعما جاء به ، والحوالة في العلم النافع إلى غيره ، ذلك هو الضلال المبين ، ولا سبيل إلى ثبوت هذه الأولوية إلا بعزل كل ما سواه ، وتوليته في كل شيء ، وعرض ما قاله كل أحد سواه على ما جاء به ، فإن شهد له بالصحة قبله ، وإن شهد له بالبطلان رده ، وإن لم تتبين شهادته له بصحة ولا بطلان جعله بمنزلة أحاديث أهل الكتاب ، ووقّفه حتى يتبين أي الأمرين أولى به.

ومن العجب أن يدعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كان سعيه واجتهاده ونصَبه في الاشتغال بأقوال غيره وتقريرها والغضب والحمية لها والرضا بها والتحاكم إليها ، وعرْضِ ما قال الرسول عليها ، فإن وافقها قبله ، وإن خالفها التمس وجوه الحيل ، وبالغ في رَدِّه[٢] ليًّا[٣] وإعراضا.[٤]

ومن الأدلة على أن كمال محبة النبي ﷺ لا يكون إلا بتقديم محبته على النفس والمال والأهل قوله ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.[5]

قال النووي في شرح الحديث: قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما رحمة الله عليهم:

المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس ، فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته.

---

[١] أي النفس.

[٢] أي ما قال الرسول ﷺ .

[٣] اللَيُّ هو الالتفات والانصراف. انظر «الصحاح» للجوهري ، مادة: لفف.

[٤] «الرسالة التبوكية» ص ٩٣ – ٩٧ باختصار يسير.

[5] رواه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأخرج البخاري عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك.

فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي.

فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر.[1]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار.[2]

فبين هذا الحديث أمرين ؛ الأول كيف يكون كمال المحبة ، وهو بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فلا يكتفى بأصل الحب بل لا بد من أن يقدم على كل شيء ليحصل للعبد كمال الإيمان ويذوق حلاوته.

والثاني لوازم المحبة وهن أمران ؛ الأول الحب في الله ، والثاني كره ما يكرهه الله ورسوله ، وهو الكفر.

قال ابن تيمية رحمه الله: **ومحبة الله ورسوله على درجتين:** واجبة ، وهي درجة المقتصدين ، ومستحبة ، وهي درجة السابقين ، فالأولى تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، بحيث لا يحب شيئاً يبغضه ، كما قال تعالى ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله﴾[3] وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالى ، وبغض ما حرمه الله تعالى ، وذلك واجب ، فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه ، كما تقتضي عدم الأشياء التي نهى الله عنها ، وذلك مستلزم لبغضها التام.

فيجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله ، قال تعالى ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط الله أعمالهم﴾[4] ، وقال تعالى ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم

---

[1] رواه البخاري (٦٦٣٢).

[2] رواه البخاري (١٦) ، ومسلم (٤٣) ، واللفظ لمسلم.

[3] سورة المجادلة : ٢٢ .

[4] سورة محمد : ٢٨ .

مرض فزادهم رجساً إلى رجسهم﴾[1] ، وقال تعالى ﴿والذين أتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾[2].

وأما محبة السابقين ؛ بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة ، وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه.[3]

قال ابن رجب رحمه الله: فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبةً توجب له الإتيان بما وجب عليه منه ، فإن زادت المحبة حتى أتى بما نُدب إليه منه كان ذلك فضلا ، وأن يكره ما كرِهه الله تعالى كراهة توجب له الكف عما حرَّم عليه منه ، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرِهه تنزيها كان ذلك فضلا.[4]

فصل

وقد جاء ذكر محبة الرسول ﷺ مقترِناً بمحبة الله في عدة نصوص شرعية من الكتاب والسنة ، فدل ذلك على عظم شأن محبة النبي ﷺ ، كقوله تعالى ﴿أحب إليكم من **الله ورسوله**﴾[5] ، وكذلك في قوله ﷺ : ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ؛ من كان **الله ورسوله** أحب إليه **مما** سواهما ... الحديث.

وهذا الاقتران يدل على مدى الصلة الوثيقة بين محبة الله ومحبة رسوله ﷺ .

قال ابن القيم: وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه ، كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه ، فإنها من تمام محبة مرسِلِهِ وتعظيمه ، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له ، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له ، فهي محبة لله من موجبات محبة الله ، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ﷺ لهم.

والمقصود أن النبي ﷺ ألقى الله سبحانه وتعالى عليه من المهابة والمحبة ، ولكل مؤمن مخلص حظ من ذلك.[6]

---

[1] سورة التوبة: ١٢٤ – ١٢٥ .

[2] سورة الرعد : ٣٦ .

[3] «قاعدة في المحبة» ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ ، وتقع في «جامع الرسائل» لابن تيمية ، المجموعة الثانية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

[4] «جامع العلوم والحكم» ، شرح الحديث الحادي والأربعين.

[5] سورة التوبة: ٢٤ .

[6] «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد سيد الأنام» ، الباب الثاني ، ص ٢٩٧ – ٢٩٨ .

فصل

والحب الصادق للنبي ﷺ له دلائل عدة ؛ أهمها وأولها موافقة النبي ﷺ في حب ما يحبه وكره ما يكرهه ، قال ابن رجب رحمه الله: فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ، ويرضى بما يُرضي الله ورسوله ، ويَسخط ما يُسخَطُه الله ورسوله ، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض ، فإن عمِل بجوارحه شيئا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله ، أو ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه ؛ دل ذلك على نقص محبته الواجبة ، فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة ، قال أبو يعقوب النهرُجوري: كل من ادعي محبة الله عز وجل ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة ، وكل مُحب ليس يخاف الله فهو مغرور.[1]

وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعي محبة الله عز وجل ولم يحفظ حدوده.

ولبعض المتقدمين:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع[2].[3]

فصل

وجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله ، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه ، فقال تعالى ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾[4].

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء ، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه.[5]

---

[1] «جامع العلوم والحكم» ، شرح الحديث الحادي والأربعين.

[2] هذا البيت وإن كان مُتَعلقه حب الله عز وجل فإن مطرد في حق النبي ﷺ ، لأن كلا المحبتين مستلزمة للأخرى.

[3] «جامع العلوم والحكم» ، شرح الحديث الحادي والأربعين ، باختصار يسير.

[4] سورة القصص: ٥٠ .

[5] «جامع العلوم والحكم» ، شرح الحديث الحادي والأربعين.

ومن علامات محبة النبي ﷺ حب من أحبه الله ورسوله ﷺ ، قال ابن رجب رحمه الله: وكذلك حب الأشخاص ؛ الواجب فيه أن يكون تبعا لما جاء به الرسول ﷺ ، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموما ، ولهذا كان من علامات وجوده حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ويحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عموما ، وبهذا يكون الدين كله لله ، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصا في إيمانه الواجب ، فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها.[1]

فصل

ومن علامات محبة النبي ﷺ بغض من أبغضه الله ورسوله ﷺ ، قال تعالى ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ ، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ إلى قوله ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والمؤمن عليه أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه ، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية ، قال تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة﴾ ، فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي والأمر بالإصلاح بينهم ...

---

[1] المرجع السابق ، باختصار.

وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك.

فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتاب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأولياءه والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه.

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور ، وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة ؛ استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا ، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.[1]

فصل

(والناس باعتبار الحب والبغض والولاء والبراء ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يُحَب جملة ، وهو من آمن بالله ورسوله ، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام ، علماً وعملاً واعتقادا ، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله ، وانقاد لأوامره ، وانتهى عما نهى الله عنه ورسوله ، وأحب في الله ، ووالى في الله ، وأبغض في الله ، وعادى في الله ، وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد كائناً من كان.

الصنف الثاني: من يحب من وجه ويبغض من وجه ، وهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فيُحَب ويوالى على قدر ما معه من الخير ، ولا يُبغض أكثر مما يصلح ، وإذا أردت الدليل على ذلك ؛ فهو في قصة ذلك الرجل من الصحابة والذي كان يشرب الخمر ، فأُتي به إلى رسول الله ﷺ ، فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ : لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله.

الصنف الثالث: من يُبغَض جملة ، وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره ، وأنه كُلُّه بقضاء الله وقدره ، وأنكر البعث بعد الموت ، أو أنكر أحد أركان الإسلام الخمسة ، أو أشرك بالله في عبادته أحداً من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة ، كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستعانة والاستعاذة

---

[1] «مجموع الفتاوى» (٢٠٨/٢٨ – ٢٠٩) ، باختصار يسير.

والاستغاثة والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق ، أو ألحَد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين ، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المُضِلَّة ، وكذلك من قامت به نواقض الإسلام العشرة أو أحدهما).[1]

ومن دلائل الصدق في محبة النبي ﷺ تمني رؤية النبي ﷺ في الآخرة وصحبته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: مِن أشد أمتي لي حباً ؛ ناسٌ يكونون بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله.[2]

ومن دلائل الصدق في محبة النبي ﷺ الاجتهاد في الأعمال التي تقرب لرؤية النبي ﷺ في الآخرة وصحبته ، مثل التحلي بالأخلاق الفاضلة ، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهِقون.

قالوا: يا رسول الله ، قد علِمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المُتفيهقون؟

قال: المتكبرون.

قال الترمذي: والثرثار هو الكثير الكلام ، والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو[3] عليهم.[4]

ومن أسباب صحبة النبي ﷺ في الآخرة كفالة اليتيم ، بأن يضمه إلى عِياله ، فعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) ، وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما شيئا.[5]

فصل

وقد ضرب السلف أروع الأمثلة في تشوقهم للقاء النبي ﷺ ، فقد روى أبو يعلى في مسنده عن الحسن البصري عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنبِ خشبةٍ

---

[1] «إرشاد الطالب» للشيخ سليمان بن سحمان ، ص ١٩ ، بتصرف يسير جدا.

[2] رواه مسلم (٢٨٣٢).

[3] أي يتلفظ بالكلام البذيء.

[4] رواه الترمذي (٢٠١٨) ، وصححه الألباني.

[5] رواه البخاري (٥٣٠٣) ، وأحمد (٣٣٣/٥).

يُسند ظهره إليها ، فلما كثر الناس قال: (ابنوا لي منبرا) ، فبنوا له منبرا له عَتَبتان ، فلما قام على المنبر يخطب حنَّت الخشبة إلى رسول الله ﷺ ، قال أنس: وإني في المسجد ، فسمعت الخشبة حين حنَّت حنين الوالِه[1] ، فما زالت تَحِنُّ حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاحتضنها فسكنت ، قال: فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله ، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.[2]

فصل

والذنوب تُنقِص من محبة الله تعالى ورسوله بقدرها ، فكلما كثرت الذنوب وعظمت دل هذا على نقص في محبة النبي ﷺ ، ولكنها لا تزيل المحبة لله والرسول زوالا كليا إلا إذا كانت عن كفر ونفاق أكبر ، كما في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث حِمار الذي كان يشرب الخمر ، وكان النبي ﷺ يقيم عليه الحد ، فأُتي به يوما ، فأمر به فجُلد ، فقال رجل من القوم: (اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به) ، فقال النبي ﷺ : (لا تلعنه ، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله)[3] ، أي الذي علمت أنه يحب الله ورسوله ، لأن «ما» هنا موصولة بمعنى «الذي».

فهذا الحديث يفيد أن المعصية لا تزيل المحبة زوالا كليا إلا إذا بلغت درجة الكفر ، وفي الحديث دلالة على أنا منهيون عن لعنة أحد بعينه وإن كان مذنباً ، إذا كان يحب الله ورسوله.[4]

فصل

وفضائل محبة النبي ﷺ كثيرة ، منها أن **من أحبه كان معه في الآخرة** ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟

قال: وماذا أعددت لها؟

قال: لا شيء ، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ .

قال: **أنت مع من أحببت.**

---

[1] الوَلَه ذهاب العقل ، والتحير من شدة الوجد. انظر «النهاية».

[2] رواه أبو يعلى (١٤٢/٥) (٢٧٥٦) ، والترمذي مختصرا (٣٦٢٧) ، ورواه ابن ماجه (١٤١٤) عن أبي بن كعب ، واللفظ لأبي يعلى.

[3] رواه البخاري (٦٧٨٠).

[4] «قاعدة في المحبة» ، ص ٢٥٩ ، وتقع في «جامع الرسائل» لابن تيمية ، المجموعة الثانية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم.

قال أنس: فما فرحنا بشيء فرَحَنا بقول النبي ﷺ : **أنت مع من أحببت**.

قال أنس: فأنا أُحِبُّ النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بِحُبِّي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.[1]

ورُوِي عن الشعبي قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ، فقال: لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي ، ولولا أني آتيك فأراك لظننت أني سأموت ، وبكى الأنصاري.

فقال له النبي ﷺ : ما أبكاك؟

قال: ذكرت أنك ستموت ونموت ، فترفع مع النبيين ، ونحن إن دخلنا الجنة كنا دونك.

فلم يخبره النبي ﷺ بشيء ، فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء﴾ إلى قوله ﴿عليما﴾.

فقال: أبشر.[2]

فصل

والأسباب المُعِينة على حب النبي ﷺ متعددة ، وأهمها أربعة:

الأول: تَذَكُّرُ تضحياته لأمته، فقد لقي النبي ﷺ في سبيل نشر الإسلام أذىً عظيما ، ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟

فقال: لقد لقيت من قومك ، **وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة** ، إذ عَرضت نفسي على ابن عبدِ ياليل بن عبد كِلال ، فلم يُجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفِق إلا بـ (قرن الثعالب) ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال: (إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بَعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم) ، قال: فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ثم قال: يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين[3].

---

[1] رواه البخاري (٣٦٨٨) ومسلم (٢٦٣٩).

[2] أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (١٣٠٧/٤).

[3] الأخشب هو الجبل الغليظ ، والمقصود بالأخشبان هنا هما جبلان عظيمان بمكة ، وهما أبو قبيس والأحمر. انظر «النهاية».

فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئاً.[1]

وقال ربيعة بن عِباد: رأيت رسول الله ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام بذي المجاز[٢] ، وخلفه رجل أحول يقول: لا يغلبنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم.

قلت لأبي وأنا غلام: من هذا الأحول الذي يمشي خلفه؟

قال: هذا عمه أبو لهب.[٣]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين ؛ آثر النبي ﷺ ناسا ، أعطى الأقرع مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناسا ، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله!

فقلت: لأخبرن النبي ﷺ .

قال: رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر.[4]

الثاني: ومما يقوي محبة النبي ﷺ تذكر شفقته العظيمة على أمته من الهلاك الأخروي ، كما قال تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم **عزيز عليه ما عنتم** حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾[٥].

ومعنى قوله ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾؛ أي يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنما مَثَلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يزَعَهُن[٦] ويغلِبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بِحُجَزِكم[٧] عن النار، وأنتم تَقَحَّمون[١] فيها.[٢]

---

[1] رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥) ، واللفظ لمسلم.

[٢] ذي المجاز سوق مشهور من أسواق الحجاز ، كان يقام في الجاهلية.

[٣] رواه عبد الله أحمد في زوائده على مسند أبيه (٤٩٢/٣) ، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

[4] رواه البخاري (٤٣٣٦) ومسلم (١٠٦٢).

[٥] سورة التوبة: ١٢٨ .

[٦] أي يدفعها ويطردها.

[٧] حُجَزِكم جمع حُجزة وهي موضع شد الإزار. انظر «النهاية».

الثالث: ومما يقوي محبة النبي ﷺ معرفة صفاته الحميدة وأخلاقه الطيبة ، والكلام في هذا يطول جدا ، ولكن يكفي القول بأنه ليس ثمة صفة حميدة إلا وقد تحلى بها النبي ﷺ ، وما من خلق سيء إلا والنبي ﷺ منزه عنه ، ويكفي في هذا الباب قوله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[٣].

ومن أعظم صفات النبي ﷺ الصدق والعفو ، فقد شهد له أعداؤه بصفة الصدق ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ؛ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فِهر ، يا بني عدي ، لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يَخرج أرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟

قالوا: نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا؟

فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾.[٤]

وروى الطبري عن السدي في قوله ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ الآية[٥]:

التقى الأخنس وأبو جهل ، فخلا الأخنس بأبي جهل فقال: يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ، فإنه ليس هاهنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا.

فقال أبو جهل: ويحك ، **والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط** ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش؟

فذلك قوله ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.

فآيات الله ؛ محمد ﷺ .

---

[١] تقحَّمون أي ترمون بأنفسكم فيها من غير روية ولا تثبت. انظر «النهاية».

[٢] رواه البخاري (٦٤٨٣) ، ومسلم (٢٢٨٤).

[٣] سورة القلم: ٥ .

[٤] رواه البخاري (٤٧٧٠) ، ومسلم (٢٠٨).

[٥] سورة الأنعام: ٣٣ .

ولما أخبر النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها أنه خشي على نفسه لما أتاه جبريل في غار حراء ؛ قالت له: كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتَحمِلُ الكَلّ[1] ، وتَكسِب المعدوم[2] ، وتَقري الضيف[3] ، وتُعين على نوائب الحق.[4]

وسأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ ؛ هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فقال أبو سفيان: لا ، فقال هرقل: أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.[5]

وأما العفو فقد ضرب النبي ﷺ أعظم الأمثلة في ذلك ، وقد أتى ذِكر هذه الخصلة في النبي ﷺ في التوراة والإنجيل قبل أن يُرى هذا عيانا منه ﷺ ، فعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة.

قال: أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ ، وحِرزا للأميين[6] ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخَّاب[7] في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا «لا إله إلا الله» ، ويفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غُلفا.[8]

ومن أعظم صفات النبي ﷺ أنه يعفو ويصفح ، وهذه لا يستطيعها إلا ذو خلق عظيم ، وسجايا كريمة ، فقد قال عنه أهل مكة أنه ساحر ، وشاعر ، ومجنون ، وصابئ ، وضُرِب على عَقِبِه ،

---

[1] تحمل الكل أي تحمل عن الناس ما يُثقلهم من أعباء الدنيا. انظر «النهاية».

[2] تَكسِب المعدوم أي تعطيه ، والمعدوم هو الذي لا مال عنده. انظر «النهاية».

[3] تَقري الضيف أي تكرمه.

[4] رواه البخاري (٤٩٥٣) ، ومسلم (١٦٠).

[5] رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

[6] أي حافظا لدينهم. انظر «تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي.

والأميون هم العرب بالإجماع ، قاله الشنقيطي في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليم آياتك ويزكيهم﴾ الآية.

[7] سخاب ويصح صخاب ، والسخب هو الصياح والضوضاء والجلبة ، أي ليس ممن ينافس في الدنيا وجمعها ، فيحضر الأسواق لذلك ، ويصخب معهم في ذلك. انظر «تفسير غريب ما في الصحيحين».

[8] رواه البخاري (٢١٢٥).

وخُنِق بِسَلا الجَزور[1] ، وكُسِرت رَباعيته[2]، ودُمِي وجهه الشريف ، ثم لما أمكنه الله من أهل مكة بعدما فعلوا به ما فعلوا قال لهم: يا أهل مكة ، ما ترون أني فاعل بكم؟

قالوا: خيرا ، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم.

ثم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فعفا عنهم رسول الله ﷺ ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عُنوة[3] ، وكانوا له فيئا[4] ، فبذلك سُمِّيَ أهل مكة «الطلقاء».[5]

ولما تُوُفي رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، أتى النبي ﷺ قبره بعدما دفن ، فأخرجه فنفث فيه من ريقه ، وكفنه في قميصه ، وصلى عليه صلاة الجنازة ، وكان هذا قبل نزول النهي عن الصلاة على الكفار ، قال ابن عمر: لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أن يعطيه قميصه ، أن يكفن فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، أتُصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟

فقال رسول الله ﷺ : إنما خيَّرني الله فقال ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ وسأزيد على سبعين.

قال: إنه منافق ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، وأنزل الله عز وجل ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾.[6]

فإن قيل: فلماذا صلى عليه النبي ﷺ ونفَث عليه من ريقِه وكفَّنه بقميصه؟

فالجواب أن عبد الله بن عبد الله بن أبي – الصحابي الجليل – طلب من النبي ﷺ ذلك ، فإنه كان صحابيا صالحا ، فلم يردُّه تطييبا لقلبه ، ولم يكن ﷺ يرد سائلا.

---

[1] الجزور هو البعير ، ذكرا كان أم أنثى ، وسلاه هي الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي ، قاله العيني في «عمدة القاري» ، كتاب الجهاد والسير ، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة.

[2] الرَّباعية هي سِن من الأسنان.

[3] أي قهرا.

[4] أي غنيمة.

[5] رواه الطبري في «تأريخه» ، ذكر الخبر عن فتح مكة ، وانظر «أخبار مكة» (١٢١/٢) للأزرقي.

[6] رواه البخاري (١٢٦٩) ، ومسلم (٢٤٠٠) واللفظ له.

وقيل: إنما أعطاه قميصه مكافأة له لأنه كان ألبس العباس حين أُسر يوم بدر قميصا.

قال النووي رحمه الله: إن النبي ﷺ أعطاه قميصه ليكفن فيه ، وفي هذا الحديث بيان عظيم مكارم أخلاق النبي ﷺ ، فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء ، وقابله بالحسنى ، فألبسه قميصه كفنا ، وصلى عليه ، واستغفر له ، قال الله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. انتهى.[1]

الرابع: ومما يقوي محبة النبي ﷺ الإكثار من قراءة كتب السيرة النبوية والمطالعة فيها ، وتذكر أحواله وأعماله وجهاده وتكوينه للمجتمع الإسلامي.

ومن الكتب التي يُنصح بمطالعتها كتاب «السيرة» لابن إسحاق ، وكتاب «الفصول في سيرة الرسول ﷺ » لابن كثير ، و «السيرة النبوية» لابن هشام ، و «الرحيق المختوم» للمباركفوري ، و «مختصر سيرة الرسول ﷺ» للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وكتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ » للقاضي عياض رحمه الله ، وكتاب «السيرة النبوية الصحيحة» للدكتور أكرم ضياء العمري وهو كتابٌ قمة في التوثيق العلمي ، ونحوها من الكتب.

فصل

وقد ضرب السلف أروع الأمثلة في حب النبي ﷺ وتقديمه على النفس والأهل والمال ، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك؟

قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ، ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، ورمية بسهم ، فقلت له: يا سعد ، إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: خبِّرني كيف تجدك.

قال: على رسول الله السلام وعليك السلام ، قل له: يا رسول الله ، أجِدُني أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخلص[2] إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفرٌ[3] يَطرِف[4].

قال: وفاضت نفسه رحمه الله.[1]

---

[1] «شرح صحيح مسلم».

[2] أي يصل إليه من أراده ، والمقصود هنا من أراده بسوء. انظر «النهاية».

[3] الشفر بالضم وقد يفتح هو حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر. انظر «النهاية».

[4] الطرف هو تحريك الجفون. انظر «لسان العرب».

وسأَل أبو سفيان بن حرب – وهو على الشرك حينذاك – زيد بن الدَّثنة رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه: أُنشدك الله يا زيد ، أتحب محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟

قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي.

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً.[٢]

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه.[٣]

وروى ابن جرير في «تاريخه» عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: مر رسول الله بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله بـ «أحد» ، فلما نُعُوا لها قالت: فما فعل رسول الله؟

قالوا: خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرِنِيه حتى أنظر إليه.

فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جَلَل[٤].

ولقد حكّم الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم قُبَيل غزوة بدر لما دنا المشركون منهم فقال سعد بن عبادة: والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نُخيضها البحر لأخضناها[٥] ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى «بَرَك الغماد» لفعلنا.[٦]

بل كان بعض السلف يبكي إذا ذُكر النبي ﷺ ، فقد سُئل مالك: متى سمعت من أيوب السختياني؟

---

[١] رواه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢٠١/٣) ، وابن إسحاق في «السيرة» (٣١٤/٣) (٥١٧) ، في ذكر أخبار غزوة أحد.

[٢] انظر «السيرة النبوية» لابن هشام، ذكر يوم الرجيع ، سنة ثلاث ، وعزاه لسيرة ابن إسحاق.

[٣] رواه مسلم (١٢١).

[٤] كلمة «جلل» من الأضداد ، تقال للأمر الهين وتقال للأمر العظيم ، والمقصود هنا الهين. انظر «النهاية» .

[٥] يعني خيولهم.

[٦] رواه مسلم (١٧٧٩) عن أنس رضي الله عنه.

قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»:

وبِرَكِ الغِماد – بكسر الغين – موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل بلد باليمن.

فقال: حَجَّ حِجتين ، فكنت أرمُقُهُ ولا أسمع منه ، غير أنه كان إذا **ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمُه** ، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه.[1]

فصل

ومن تلبيس الشيطان على بعض الجهلة وأهل الأهواء أن زين لهم فعل أمور ليست من الدين لم يفعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا صحابته ولا أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، يزعمون أنها من تمام المحبة له ، وهذا جهل عظيم ، لأن المحبة تقتضي التسليم للمحبوب ، والوقوف عند أمره ونهيه ، والحرص على عدم النقص أو الزيادة في دينه ، ومن هذا ما يسمى بـ «المولد النبوي» ، فهو من العبادات المحدثة، لم يفعلها النبي ﷺ ولا صحابته ولا التابعين، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2]، أي مردود على صاحبه، غير مقبول.

وفي خاتمة هذا البحث المبارك جواب مفصل عن هذه المحدثة ، والله المستعان.

---

[1] ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» ، كتاب الصلاة ، باب ما يفعل من سلم من ركعتين ساهيا ، وذكره أبو الوليد الباجي في «التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح» ، باب أيوب.

[2] رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

الحق الحادي عشر: توقيره ﷺ

جاءت الأدلة في الكتاب والسنة على وجوب توقير النبي ﷺ ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾[1] ، وقال تعالى ﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه وأتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾[2].

قال ابن تيمية: فالإيمان بالله والرسول ، والتعزير والتوقير للرسول ، والتسبيح بكرة وأصيلا لله وحده.[3]

قال ابن جرير رحمه الله: معنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة ، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال.[4]

وقال شيخ الإسلام: التعزير ؛ اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.[5]

وقال ابن جرير الطبري: فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم.[6]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التوقير» اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.[7]

ومن دلائل توقير الله تعالى لنبيه ﷺ ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (أنه خصه في المخاطبة بما يليق به ، فقال ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ ، فنهى أن يقولوا: يا محمد أو يا أحمد أو يا أبا القاسم ، ولكن يقولون: يا رسول الله ، يا نبي الله.

وكيف لا يخاطبونه بذلك ، والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء ، فلم يدعه باسمه في القرآن قط ، بل يقول ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة

---

[1] سورة الفتح: ٩ .

[2] سورة الأعراف: ١٥٧ .

[3] «مجموع الفتاوى» (٣٠٧/١) ، باختصار يسير.

[4] «تفسير الطبري» ، سورة الفتح ، آية ٩ .

[5] «الصارم المسلول» (٨٠٣/٣).

[6] «تفسير الطبري» ، سورة الفتح ، آية ٩ .

[7] «الصارم المسلول» (٨٠٣/٣).

الدنيا وزينتها﴾ ، ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين﴾ ، ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك﴾ ، ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ ، ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ ، ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ ، ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ ، ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ، ﴿يا أيها المزمل * قم الليل﴾ ، ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر﴾ ، ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾.

مع أنه سبحانه قال ﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك ﴾ الآية ، ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ ، ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ ، ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ ، ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾، ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ، ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ ، ﴿يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس﴾ ، ﴿يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾).[1] انتهى.

ومن دلائل توقير الله لنبيه ﷺ تحريم نكاح أزواجه من بعده أبدا ، كما قال تعالى ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾.

وتعظيم النبي ﷺ وتوقيره يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح ، فأما تعظيم القلب فيكون باستشعاره لهيبة النبي ﷺ وجلالَة قدْره وعظيم شأنه ، واستحضاره لمحاسنه ومكانته ومنزلته ، والمعاني الجالبة لحبه وإجلاله وكل ما من شأنه أن يجعل القلب ذاكراً لحقه من التوقير والتعزير ، ومعترفاً به ومذعناً له.

فالقلب مَلِك الأعضاء ، وهي له جند وتبع ، فمتى ما كان تعظيم النبي ﷺ مستقراً في القلب مسطورًا فيه على تعاقب الأحوال ؛ فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتماً لا محالة ، وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وترى باقي الجوارح متبعة لشرعه وأوامره ، ومؤدية لما له من الحق والتكريم.

وأما تعظيم اللسان للنبي ﷺ فيكون بالثناء عليه بما هو أهله مما أثنى به عليه ربه وأثنى على نفسه من غير غلو ولا تقصير ، ومن أعظم ذلك الصلاة والسلام عليه ﷺ ، فقد أمر الله عباده المؤمنين

---

[1] «الصارم المسلول» (٣/٨٠٣ - ٨٠٦).

بأن يصلوا على النبي ﷺ ، فقال تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

ومن تعظيم اللسان كذلك أن نتأدب عند ذكره بألسنتنا ، وذلك بأن نقرن ذِكر اسمه بلفظ النبوة أو الرسالة ، مع الصلاة والسلام عليه ﷺ .

ومن تعظيم اللسان ؛ تعداد فضائله وخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته ، وتعريف الناس بسنته وتعليمهم إياها ، وتذكيرهم بمكانته ومنزلته وحقوقه ، وذكر صفائه وأخلاقه وخِلاله ، وما كان من أمر دعوته وسيرته وغزواته ، والتمدح بذلك شعراً ونثراً ، بشرط أن يكون ذلك في حدود ما أمر به الشارع الكريم ، مع الابتعاد عن مظاهر الغلو والإطراء المحظور.

وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في توقير النبي ﷺ وتعظيمه، فلم يكن من عادة الصحابة رضوان الله عليهم أن يتجادلوا في مجلس النبي ﷺ أو يرفعوا أصواتهم بنقاش أو حوار ، عملا بقول الله تعالى ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾[1] ، بل يعطون لهذا المجلس حقه من التشريف والاحترام.

وفي الآية دليل على أن سوء الأدب مع النبي ﷺ من الذنوب التي توجب حبوط العمل.

وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظاماً له.[2]

ولما بعثت قريش أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ وقدم المدينة ؛ دخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه ، فقال: يا بُنيَّة ، أرغِبتِ[3] بهذا الفراش عني أم بي عنه؟

فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت امرؤ نجس مشرك.[1]

---

[1] سورة الحجرات: ٢ .

[2] رواه الحاكم (١/١٢١) ، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٦٥٨).

[3] أي هل فضلتيه عليَّ؟

فأكرمت أم حبيبة فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه أبوها ، فهل بعد هذا التوقير من توقير؟

وعن أسامة بن شريك قال: أتيت رسول الله ﷺ فإذا أصحابه عنده كأن على رؤوسهم الطير ، الحديث.[٢]

فهذه العبارة هي كناية عن التعظيم الذي كانوا يظهرونه في مجلس الرسول ﷺ توقيراً وإجلالاً له صلوات الله وسلامه عليه.

ومن هذا ما رآه عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه لما أتى للتفاوض مع النبي ﷺ في صلح الحديبية ، وكان إذ ذاك مشركاً ، فرأى من تعظيم الصحابة ما هاله ، فقال عندما رجع إلى قريش: أيْ قومِ ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مِلِكاً[٣] قط **يعظمه** أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له.[٤]

---

[١] رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ، ذكر أزواج رسول الله ﷺ (٢٩٢/٨) ، والبيهقي في «الدلائل» (٨/٥).

[٢] رواه النسائي في «الكبرى» (٧٥٥٣) ، وأبو داود (٣٨٥٥) ، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٠/٢) ، واللفظ للنسائي ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٣] أي: ما رأيت مِلِكا ...

[٤] رواه البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢).

الحق الثاني عشر: الذب عن ذات النبي ﷺ

الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرته آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال ، تفضل بها الصحابة عمن أتى بعدهم ، قال الله تعالى ﴿للفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً **وينصرون الله ورسوله** أولئك هم الصادقون﴾[1].

وقد سطّر الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله ﷺ ، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس في المنشط والمكره ، في العسر واليسر ، وكتب السير عامرة بقصصهم وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار والتعظيم.

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: من يردهم عنا وله الجنة ، أو: هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم لما أدركوا النبي ﷺ قال: من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة ، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة.[2]

ومن ذلك أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان يحمي الرسول ﷺ في غزوة أحد ، ويرمي بين يديه ، ويقول: يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، لا تُشرِف[3] ، لايصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك.[4]

وعن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: رأيت يد طلحة[5] شلاَّء ، وَقى بها النبي ﷺ يوم أحد.[6]

ولما قال رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلـــول: (لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل)؛ قال رسول الله ﷺ : أدعوا لي عبد الله بن عبد الله بن أُبي ، فدعاه ، فقال: ألا ترى ما يقول أبوك؟

قال: وما يقول ، بأبي أنت وأمي؟

---

[1] الحشر: ٨ .

[2] رواه مسلم (١٧٨٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[3] الإشراف هو الاطلاع من مكان مشرف أي عالي وبارز. انظر «النهاية».

[4] رواه البخاري (٣٨١١) ، ومسلم (١٨١١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[5] أي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

[6] رواه البخاري (٤٠٦٣).

قال: يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فقال: فقد صدق والله يا رسول الله ، أنت والله الأعز وهو الأذل ، أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر مني ، ولئن كان يُرضي الله ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به.

فقال رسول الله ﷺ : لا.

فلما قدموا المدينة قام عبد الله بن عبد الله بن أبي على بابها[1] بالسيف لأبيه ، ثم قال: أنت القائل: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ؟

أما والله لتعرفَنَّ العزة لك أو لرسول الله ، والله لا يأويك ظله ولا تَأويه أبدًا[2] إلا بإذن من الله ورسوله.

فقال: يا للخزرج ، إبني يمنعني بيتي ، يا للخزرج ، ابني يمنعني بيتي!

فقال: والله لا تأويه أبداً إلا بإذن منه.

فاجتمع إليه رجال فكلَّموه ، فقال: (والله لا يدخله إلا بإذن من الله ورسوله) ، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه ، فقال: اذهبوا إليه ، فقولوا له: (خلِّه ومَسْكنَه) ، فأَتوه ، فقال: أما إذا جاء أمر النبي ﷺ فنعم.[3]

وفي رواية عند الترمذي ؛ أن عبد الله قال لأبيه: والله لا تنفلِت[4] حتى تُقِر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ، ففعل.[5]

وقد ورد في ذلك عدة أدلة منها قصة الأعمى الذي كانت له أم ولد[6] ، وكانت تشتم النبي ﷺ ، فلما كان ذات ليلة جعلت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فأخذ مِغولا[1] فوضعه في بطنها فاتكأ عليه

---

[1] أي باب المدينة.

[2] أي ظل بيتك ، كما سيأتي.

[3] رواه الطبري في تفسير سورة المنافقين ، تفسير قوله تعالى ﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾.

[4] الإنفلات هو التخلص من الشيء. انظر «النهاية».

[5] برقم (٣٣١٥) ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[6] أم ولد أي أمة ، وطأها فولدت له ولدا.

حتى ماتت ، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ دعا الأعمى فأخبره بأمرها ، فقال النبي ﷺ : ألا اشهدوا أن دَمَها هَدَر.[٢]

وعن أبي برزة الأسلمي قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق ، فقلت: أقتله؟

فانتهرني وقال: ليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ .[٣]

وعن علي رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتمُ النبيَّ ﷺ وتقع فيه ، فخنقها رجل حتى ماتت ، فأبطل[٤] رسول الله ﷺ دمها.[٥]

وقد نقل ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم «الصارم المسلول على شاتم الرسول» إجماع أهل العلم على قتل من وقع في سب النبي ﷺ ، سواء كان مسلما أو كافرا.

والذب عن ذات النبي ﷺ ماضٍ بعد مماته ، بِرد الشبهات التي تثار حوله ، والأخذ على يد المتطاولين عليه والمستهزئين به ، وإقامة حد الردة عليهم إن كانوا في بلاد المسلمين ، وإن كانوا خارجها فبإظهار النكير عليهم ، وبيان سيرة النبي ﷺ وهديه ، ولا شك أن هذا من الجهاد باللسان ، وقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه يدافع عن النبي ﷺ بشعره ، وفي الحديث: جاهدوا المشركين بألسنتكم وأنفسكم وأموالكم وأيديكم.[٦]

---

[١] المِغول ، قال شمس الحق العظيم أبادي في «عون المعبود»: مِثْل سَيْف قَصِير يَشْتَمِل به الرَّجُل تَحْت ثِيَابه فَيُغَطِّيه ، وَقِيلَ حَدِيدَة دَقِيقَة لَهَا حَدّ مَاضٍ ، وَقِيلَ هُوَ سَوْط فِي جَوْفه سَيْف دَقِيق يَشُدّهُ الْفَاتِك عَلَى وَسَطه لِيَغْتَالَ به النَّاس.

[٢] رواه أبو داود (٤٣٦١) والنسائي (٤٠٨١) عن ابن عباس رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله ، وقال في الإرواء (٩٢/٥): إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٣] رواه النسائي (٤٠٨٢) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[٤] أبطل أي أهدر.

[٥] رواه أبو داود (٤٣٦٢) ، وقال في «الإرواء» (٩١/٥): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[٦] رواه أحمد (١٥٣/٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الحق الثالث عشر: الأدب معه ﷺ حيا وميتا

من الآداب مع النبي ﷺ إذ كان حيا نداءه بلفظ الرسالة أو النبوة ، وضده النداء والإشارة إليه باسمه مجردا ، وقد نهى الله قوماً كانوا ينادونه باسمه: (يا محمد) كما ذكره كثير من المفسرين ، يجئ التوجيه إلى هذا الأدب في قوله تعالى ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾[1].

ومن الآداب أيضا تحريم التنازع عنده ، توقيرا له ، فإنه لما اختلف عنده بعض الصحابة وكثر اللغط ؛ قال: قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع.[2]

ومن الآداب الواردة في حق النبي ﷺ تحريم رفع الصوت فوق صوته ، وقد جاء في القرآن أن ارتكاب ذلك موجب لحبوط العمل ، كما قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» في تفسير سورة الحجرات عند قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ ، قال رحمه الله:

ومعلوم أن حرمة النبي ﷺ بعد وفاته كحرمته في أيام حياته ، وبه نعلم أن ما جرت به العادة اليوم من اجتماع الناس قرب قبره ﷺ وهم في صخب ولغط ، وأصواتهم مرتفعة ارتفاعاً مزعجاً ؛ كله لا يجوز ولا يليق ، وإقرارهم عليه من المنكر. انتهى.

قال مقيده عفا الله عنه: والدليل على قبح رفع الصوت عند النبي ﷺ في حياته هو ما رتبه الله تعالى على ذلك في آية الحجرات المتقدمة ﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾.

وقد بلغ الصحابة الغاية في احترام النبي ﷺ والتأدب معه ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبواب النبي ﷺ كانت تُقرع بالأظافير.[3]

---

[1] النور: ٦٣ .

[2] رواه البخاري (١١٤).

[3] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٨٠) ، والبيهقي في «الشعب» (٢٠١/٢) ، وهو مخرج في «الصحيحة» (٢٠٩٢).

وضد الأدب مع النبي ﷺ إيذاءه ، وإيذائه كفر – عياذا بالله – ، ومن أسباب لعنة الله ، وقد قرن الله تعالى إيذاء النبي ﷺ بإيذائه تعالى ، قال تعالى في سورة الأحزاب ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾[1].

ومن مظاهر إيذاء النبي ﷺ سبه أو سب صحابته أو زوجاته أو سب دينه أو الاستهزاء بشيء منها أو التقليل من شأنها ، وسيأتي في هذا البحث المبارك – إن شاء الله – ذكرٌ لألوان من مظاهر إيذاء النبي ﷺ عند الكلام عن حقوق صحابة النبي ﷺ وزوجاته.

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»[2]: اعلم أن عدم احترام النبي ﷺ المُشعِر بالغض منه أو تنقيصه ﷺ والاستخفاف به أو الاستهزاء به ؛ ردة عن الإسلام وكفر بالله ، وقد قال تعالى في الذين استهزءوا بالنبي ﷺ وسخروا منه في غزوة تبوك لما ضلت راحلته ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل إبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. انتهى.

---

[1] الأحزاب: ٥٧ .

[2] تفسير سورة الحجرات ، الآية ٣ .

الحق الرابع عشر: الدعاء للنبي ﷺ

الدعاء للنبي ﷺ يتضمن أربعة أمور ؛ الصلاة عليه ، والسلام عليه ، والدعاء له بالوسيلة والفضيلة ، والدعاء له بأن يبعثه الله مقاما محمودا.

الأمر الأول: الصلاة على النبي ﷺ ، وفيها خمسة مباحث:

١. معنى الصلاة على النبي ﷺ
٢. مكانة الصلاة على النبي ﷺ
٣. صفة الصلاة على النبي ﷺ
٤. مواطن الصلاة على النبي ﷺ
٥. فضائل الصلاة على النبي ﷺ

تفصيل

١. معنى الصلاة على النبي ﷺ

معنى الصلاة على النبي ﷺ : الدعاء له بالرحمة وشريف المنزلة ، فإن الصلاة في اللغة تأتي بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها **وصلِّ عليهم** إن صلاتك سكن لهم﴾[١]، أي ادع لهم، إن دعاءك سكن لهم، أي رحمة وطمأنينة.

وصلاة الله على النبي ﷺ تعني رحمته به والثناء عليه في الملأ الأعلى، وهم الملائكة.

ومعنى صلاة الملائكة على النبي ﷺ ؛ الدعاء له بالرحمة ، والثناء عليه.

قال أبو العالية: صلاة الله ؛ ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة ؛ الدعاء.[٢]

قال الحليمي[٣]: معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه ، فمعنى قولنا (اللهم صل على محمد) ؛ عظِّم محمدًا ، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته ، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود ، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى ﴿صلوا عليه﴾ ؛ أدعوا ربكم بالصلاة عليه. انتهى.

---

[١] التوبة: ١٠٣ .

[٢] رواه البخاري تعليقا في صحيحه في تفسير سورة الأحزاب.

[٣] نقله ابن حجر عنه في «فتح الباري» ،كتاب الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ ، ولم يذكر الحافظ اسم الحليمي كاملا ، فلعله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم القاضي ، أبو عبد الله الحليمي البخاري.

قال الحاكم: أوحد الشافعيين بما وراء النهر ، وأنظرهم وآدبهم بعد أستاذيه أبوي بكر القفال والأودني.

وكان مقدما فاضلا كبيرا ، له مصنفات مفيدة ينقل منها الحافظ أبو بكر البيهقي كثيرا.

ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، ومات في جمادى – وقيل في ربيع الأول – سنة ثلاث وأربعمائة.

ومن تصانيفه «شعب الإيمان».

انظر «الطبقات» لابن قاضي شهبة (١ / ١٧٨، ١٧٩) ، و «الأعلام» (٢٥٣/٢) و «وفيات الأعيان» (٤٠٣/١) ، و«تذكرة الحفاظ» (١٠٣٠/٣).

والخلاصة أن الصلاة من الله على نبيه (صلى الله عليه وسلم) تعني الإكرام والتعظيم والمحبة والثناء ، والصلاة من الناس والملائكة تعني الطلب من الله أن يُثني عليه ويُعلي ذكره، ويزيده تعظيمًا وتشريفًا.

قال ابن تيمية رحمه الله: الصلاة عليه تتضمن ثناء الله عليه ، ودعاء الخير له ، وقربته منه ، ورحمته له.

والسلام عليه يعني طلب السلامة له من كل آفة، ويدخل في ذلك سلامة عرضه وسمعته من النيل منها والطعن فيه.

وعليه فقد جمعت الصلاة والسلام عليه جميع الخيرات.

ثم إنه يصلي سبحانه عشرا على من يصلي عليه مرة ، حضاً للناس على الصلاة عليه ، ليسعدوا بذلك ، وليرحمهم الله بها.[1]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير آية الأحزاب ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾: والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى ، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السُّفلي بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمين العُلوي والسفلي جميعا.[2]

قال البيهقي في «الشعب»: أمر الله تعالى عباده أن يصلوا عليه ويسلموا بعد إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه ، لينبههم بذلك على ما فيها من الفضل ، إذ الملائكة – مع انفكاكهم من شريعته – تتقرب إلى الله تعالى بالصلاة والتسليم عليه ، فهي في حق عباده أولى وأحق.[3]

٢. مكانة الصلاة على النبي ﷺ

ورد في شأن الصلاة على النبي ﷺ كثير من الأحاديث التي تبين مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها.

---

[1] «الصارم المسلول» (٣/٨٠١) بتصرف يسير.

[2] تفسير سورة الأحزاب ، الآية ٥٦ .

[3] «شعب الإيمان» (٢/٢٠٧) ، بتصرف يسير.

وقد روى هذه الأحاديث جمع من الصحابة رضي الله عنهم ، وقد عدَّهم ابن القيم في كتابه «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام» فبلغوا اثنين وأربعين صحابياً.

وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث ، وبيَّن طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها ، وما في معلولها من العلل بياناً شافياً.

تنبيه

قبل الدخول في بيان كيفية الصلاة على النبي ﷺ ؛ فإنه يجدر التنبيه إلى أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة إذا ذُكِر ، ومما يدل على ذلك ؛ أنه قد ورد الذم في حق من ترك الصلاة عليه إذا ذُكِر في حديثين:

الأول: قوله ﷺ : البخيل الذي من ذُكرت عنده فلم يُصلِّ علي.[1]

والثاني قوله: رغِم[2] أنف رجل ذُكرت عنده فلم يُصلِّ علي.[3]

وقال الشافعي رحمه الله: يُكره للرجل أن يقول: قال الرسول ، ولكن يقول: قال رسول الله ﷺ ، تعظيماً لرسول الله ﷺ .[4]

٣. صفة الصلاة على النبي ﷺ

ورد في السنة الصحيحة عدة صفات للصلاة على النبي ﷺ ، وهي كالتالي:

عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة رضي الله عنه فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله ، قد علِمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك؟

---

[1] رواه ابن حبان (١٨٩/٣) ، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٠٠) ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب مَن البخيل ، والترمذي (٣٥٤٦) ، وأحمد (٢٠١/١) ، عن حسين بن علي بن أبي طالب ، وصححه الألباني ، وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي.

[2] الرَّغام هو التراب ، والمقصود الدعاء عليه بالإهانة بأن يلصق أنفه بالتراب.

[3] رواه الترمذي (٣٥٤٥) وأحمد (٢٥٤/٢) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه محققو «المسند» ، وقال الألباني: حسن صحيح.

[4] «ذم الكلام وأهله» (١٨٨/٤) ، رقم (٩٧٢).

قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[1]

ولفظ مسلم: كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وعن طلحة بن عبيد الله قال: قلت يا رسول الله ، كيف الصلاة عليك؟

قال: قل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[2]

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله ، كيف نُصلي عليك؟

قال: قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد.[3]

ولفظ مسلم: وعلى أزواجه ... الحديث.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله ، هذا السلام عليك ، فكيف نصلي؟

قال: قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم.[4]

والملاحظ في هذه الأحاديث هو اختلاف ألفاظها ، وقد يتساءل المرء بأي هذه الألفاظ يدعو؟

فالجواب أن ينوّع الألفاظ ، فيذكر هذه تارة وهذه تارة ، ليصيب السنة كلها.

٤. مواطن الصلاة على النبي ﷺ

الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) مستحبة في عموم الأحوال، إلا أنها قد وردت في مواطن عشرة مخصوصة، وهي كالتالي:

---

[1] رواه البخاري (٦٣٥٧) ، ومسلم (٤٠٦).

[2] مسند أحمد (١٦٢/١) ، وقال محققو المسند: إسناده قوي على شرط مسلم.

[3] رواه البخاري (٦٣٦٠) ، ومسلم (٤٠٧).

[4] رواه البخاري (٦٣٥٨).

الموطن الأول في الصلاة في التشهد الأخير ، وقد ورد في التشهد عدة صيغ عن النبي ﷺ ، وقد جمعها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في كتابه «صفة صلاة النبي ﷺ ».

الموطن الثاني في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية، والدليل على ذلك حديث أبي أمامة أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا في نفسه ، ثم **يصلي على النبي ﷺ** ... الحديث.[1]

الموطن الثالث في الخطب، كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء ، وغيرها.
والدليل على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة ؛ ما رواه الإمام أحمد في المسند بسنده عن عون بن أبي جحيفة قال: كان أبي من شُرَط علي ، وكان تحت المنبر ، فحدثني أبي أنه صعد المنبر – يعني عليا – ، فحمد الله وأثنى عليه **وصلى على النبي ﷺ** .[2]
وقال ابن القيم: الصلاة على النبي ﷺ في الخطب أمراً مشهوراً معروفاً عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.[3]

الموطن الرابع يوم الجمعة ، فعن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن من أفضل أيامكم **يوم الجمعة** ، فيه خُلق آدم عليه السلام ، وفيه قُبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، **فأكثروا علي من الصلاة** ، فإن صلاتكم معروضة علي ، قالوا: يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمت – أي يقولون: قد بليت – ؟
قال: إن الله عز وجل قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام.[4]

---

[1] رواه الشافعي في «مسنده» ، الباب الثالث والعشرون ، في الجنائز وأحكامها ، وصححه الألباني في «الجنائز» ، ص ١٥٥ .
[2] رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على مسند أبيه (١٠٦/١) ، وقال محققو المسند: إسناده قوي.
[3] «جلاء الأفهام» ، الموطن الخامس من مواطن الصلاة على النبي ﷺ ، ص ٤٤١ ، الناشر: دار عالم الفوائد.
[4] رواه النسائي (١٣٧٣) ، وأبو داود (١٠٤٧) ، وابن ماجه (١٠٨٥) ، وأحمد (٨/٤) ، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».

الموطن الخامس: الصلاة عليه بعد إجابة المؤذن، لما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم **صلوا علي** ، فإن من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ... الحديث.[1]

الموطن السادس: عند الدعاء، والدليل على ذلك حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: بينا[2] رسولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قاعدٌ إذ دخلَ رجلٌ فصلَّى فقالَ: اللَّهمَّ اغفِر لي وارحَمني ، فقالَ رسولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): عَجِلتَ أيُّها المصلِّي، إذا صلَّيتَ فقعَدتَ فاحْمَدِ اللَّهَ بما هوَ أَهْلُهُ، **وصلِّ عليَّ** ثمَّ ادعُهُ. قالَ: ثمَّ صلَّى رجلٌ آخرُ بعدَ ذلِكَ فحمِدَ اللَّهَ **وصلَّى على النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم)** ، فقالَ النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم): أيُّها المصلِّي، ادعُ تُجَبْ.[3]

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء **حتى تصلي على نبيك ﷺ** .[4]

الموطن السابع والثامن عند دخول المسجد وعند الخروج منه ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد **صلى وسلم على رسول الله ﷺ** ثم قال: اللهم افتح لي أبواب رحمتك.

وإذا خرج **صلى وسلم على رسول الله ﷺ** ثم قال: اللهم افتح لي أبواب فضلك.[5]

والصلاة والسلام على النبي ﷺ مأثور عن غير واحد من الصحابة والتابعين ، فقد روى ابن أبي شيبة السلام على النبي ﷺ عن عبد الله بن سلام وعلقمة وإبراهيم النخعي رحمهم الله ، إلا إبراهيم النخعي فقد روى عنه الصلاة أيضا.[6]

---

[1] رقم (٣٨٤).

[2] بينا أي بينما.

[3] رواه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧) واللفظ له، والنسائي (١٢٨٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

[4] رواه الترمذي (٤٨٦) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[5] انظر سنن الترمذي (٣١٤) وابن ماجه (٧٧١) ومصنف ابن أبي شيبة (٣٤١٢) ، وصححه الألباني رحمه الله دون جملة المغفرة الواردة في تلك الروايات ، انظر «صحيح الترمذي».

[6] «المصنف» (٣٤١٥ – ٣٤١٨).

الموطن التاسع أثناء السعي بين الصفا والمروة ، فعن وهب بن الأجدع قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمكة وهو يخطب الناس قال: إذا قدم الرجل منكم حاجاً فليطف بالبيت سبعاً ، وليصل عند المقام ركعتين ، ثم ليبدأ بالصفا ، فيستقبل البيت فيكبر سبع تكبيرات ، بين كل تكبيرتين حمدا لله وثناء عليه، **وصلى على النبي** ﷺ ، وسأل لنفسه ، وعلى المروة مثل ذلك.[1]

الموطن العاشر: عند اجتماع القوم قبل تفرقهم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله **ولم يصلوا على نبيه** ﷺ إلا كان مجلسهم عليهم تِرة[2] يوم القيامة ، إن شاء عفا عنهم ، وإن شاء آخذهم.[3]

وبعد؛ فهذه عشرة مواطن مخصوصة، تستحب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) عندها، مع الوضع في الاعتبار أن الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) مستحبة في عموم الأحوال.

٥. فوائد الصلاة على النبي ﷺ [4]

ذكر ابن القيم رحمه الله في الباب الرابع من كتابه القيم «جلاء الأفهام» عدداً من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ ، أنتقي منها ما يلي:

الفائدة الأولى: امتثال أمر الله تعالى بالصلاة والسلام عليه الوارد في قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.

الفائدة الثانية: أن **صلاة العبد على النبي ﷺ دعاء** ، والدعاء عبادة مستقلة ، أمر بها الله ، ورتب عليها الأجر والثواب.

---

[1] رواه البيهقي (٥/٩٤) (٩٣٤٣) ، ورواه ابن أبي شيبة (١٤٥٠١) مختصرا ، وحسنه صاحب «جامع الآثار الصحيحة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه» ، ص ١٥٩.

[2] تِرة أي نقص. انظر «النهاية».

[3] رواه أحمد (٢/٤٨٤) ، والترمذي (٣٣٨٠) ، وصححه محققو «المسند» ، والألباني كما في «السلسة الصحيحة» (١/١٥٦).

[4] استفدت هذه الفوائد من كتاب «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ » ، الباب الرابع في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ .

الفائدة الثالثة: حصول عشر صلوات من الله على من صلى على النبي صلاة واحدة ، كما قال ﷺ : من صلى عليَّ صلاة ؛ صلى الله عليه بها عشراً.[1]

والجزاء من جنس العمل ، فمن أثنى على رسول الله ﷺ ؛ جزاه الله من جنس عمله ، بأن يثني عليه ويزيدُ تشريفه وتكريمه.

الفائدة الرابعة: أن من صلى على النبي ﷺ صلاة واحدة فإنه **يُرفع عشر درجات ، ويُكتب له عشر حسنات ، ويُمحَى عنه عشر سيئات** ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحُطَّت عنه عشر خطيئات ، ورُفعت له عشر درجات.[٢]

الفائدة الخامسة: أنها سبب لمغفرة الذنوب وكفاية العبد مِما أهمه ، فعن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

يا أيها الناس ، اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه.

قال أُبَي: قلت يا رسول الله ، إني أُكثِر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي؟

فقال: ما شئت.

قال: قلت: الربع؟

قال: ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك.

قلت: النصف؟

---

[1] تقدم تخريجه.

[٢] رواه النسائي (١٢٩٧) ، وصححه الألباني رحمه الله.

وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنه ، رواه ابن أبي شيبة (٨٦٩٨).

وفي الباب أيضا عن أبي بردة رضي الله عنه ، رواه البزار (٩/٢٦٠) ، والبيهقي في «الدعوات الكبير» ، باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ .

قال: ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك.

قال: قلت: فالثلثين؟

قال: ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك.

قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟

قال: إذاً **تُكفى همَّك**، ويُغفر لك ذنبُك.[1]

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هذا (أي أُبي بن كعب) كان له دعاء يدعو به ، فإذا جعل مكان دعائه الصلاة على النبي ﷺ كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته ، فإنه كلما صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرا ، وهو لو دعا لآحاد المؤمنين لقالت الملائكة: (آمين ، ولك بمثله) ، فدعاؤه للنبي ﷺ أولى بذلك.[2]

الفائدة السادسة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها الداعي بسؤال الوسيلة له ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى عليَّ صلاة ؛ صلى الله عليه بها عشراً ، **ثم سلوا الله لي الوسيلة** ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي **الوسيلة حلت له الشفاعة**.[3]

الفائدة السابعة: أنه تُرجى إجابة دعاء الداعي إذا قدَّم بين يديه الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، **فهي تُصاعِد الدعاء إلى رب العالمين** ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء ، حتى **تصلي على نبيك ﷺ** .[4]

---

[1] رواه الترمذي (٢٤٥٧) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ » (١٤) بنحوه ، وأحمد (١٣٦/٥) مختصرا ، وحسنه الألباني رحمه الله كما في «الصحيحة» (٩٥٤).

[2] «مجموع الفتاوى» (١٩٣/١).

[3] رواه مسلم (٣٨٤).

[4] تقدم تخريجه.

الفائدة الثامنة: أنها **سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها**، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه ؛ تَضاعَف حبه له ، وتزايد شوقه إليه ، واستولى على جميع قلبه.

وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه ؛ نقص حبه من قلبه ، ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ، ولا أقرّ لقلبه من ذكرِه[1] وإحضار محاسنه ، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه.

الفائدة التاسعة: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه ، فإنه كلما أكثر من الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه ، ومحبة النبي ﷺ من أسباب حياة القلوب.

الفائدة العاشرة: أنها سبب لطيب المجلس وزكاته ، بخلاف المجلس الذي لا يُصلى فيه على النبي ﷺ ، فإنه يعود حسرة على أهله يوم القيامة ، كما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله قال: قال

---

[1] والمقصود بالذكر هنا الذكر المشروع ، وعلى رأسه الصلاة والسلام عليه ﷺ ، امتثالاً لأمر الله تعالى الوارد في قوله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

ويدخل ضمن الذكر المشروع تعداد فضائله وخصائصه وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخِلال الفاضلة ، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل ، وذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته وأخلاقه ، وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك ، ليزدادوا إيماناً ومحبة له ﷺ ولكي يتأسوا به.

أما التمدح الذي يتجاوز به حدود بشريته ، ليُصرف له شيء من الأمور الخاصة بالله عز وجل ؛ فهذا محرم بلا شك ، كما فعل بعض الغلاة في أشعارهم ومدائحهم للنبي ﷺ كمحمد البوصيري في قصيدة «البردة» وغيره.

ومن الأمور المنهي عنها ؛ الذكر المقترن بالغناء وأدوات اللهو والطرب والرقص ، وهذا هو الذكر البدعي الذي عليه حال أرباب الطرق والتصوف ، وقد وافقهم على ذلك كثير من عوام الناس ظناً منهم أن فعل مثل هذه الأمور هو الطريق إلى تحقيق محبة النبي ﷺ ، وهو في الحقيقة ليس إلا محادّة لله ورسوله ، ومما أحدث في دين الله ، وقد تبرأ ﷺ ممن أحدث في الدين ، حيث قال: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.

رسول الله ﷺ : ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله **ولم يصلوا على نبيه ﷺ** إلا كان مجلسُهم عليهم تِرة[1] يوم القيامة ، إن شاء عفا عنهم ، وإن شاء آخذَهم.[2]

الفائدة الحادية عشرة: أنها سبب لعرض صلاة المصلي عليه على النبي ﷺ ، كما دل على هذا قوله ﷺ : (إن صلاتكم معروضة علي)[3] ، وكفى بالعبد شرفا أن تُعرض صلاته على رسول الله ﷺ.

الفائدة الثانية عشرة: أنها سبب لرد النبي ﷺ على المصلي صلاته وسلامه.

الفائدة الثالثة عشرة: أن في الصلاة عليه ﷺ أداءً لأقل القليل من حقه ، وشكرًا له على نعمته التي أنعم الله بها علينا ، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علماً ولا قدرة ولا إرادة ، ولكن لله سبحانه وتعالى لكرمه رضي عن عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

الأمر الثاني: السلام عليه ﷺ

جاء الحث في الأدلة المتقدمة من الكتاب والسنة بالسلام على النبي ﷺ مقترنا بالأمر بالصلاة عليه ، فلا داعي من إعادة الأدلة هنا.

والسلام عليه ﷺ يتضمن معنيين ؛ **أحدهما** ذكر الله تعالى ، لأن (السلام) اسم من أسماء الله تعالى، فعلى هذا يكون معنى قول القائل (السلام عليكم) ؛ أي نزلت بركة اسم الله عليكم وحلّت بكم.[4]

والمعنى الثاني هو طلب السلامة ، والسلامة تشمل السلامة من الآفات الدينية والدنيوية.

ويدخل في السلامة أيضا الأمن من فزع اليوم الأكبر ، لأن السلامة من الآفات الأخروية هو أعظم المطالب.

---

[1] تِرة أي نَقص. انظر «النهاية».

[2] تقدم تخريجه.

[3] تقدم تخريجه.

[4] قاله ابن القيم في «بدائع الفوائد» ، مسألة (سلام عليكم ورحمة الله) ، (٢/٦١٠).

قال ابن جرير رحمه الله: وقوله ﴿وسلام على المرسلين﴾[1] ؛ يقول: وأمنةٌ من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر وغير ذلك من مكروهٍ أن ينالهم من قِبل الله تبارك وتعالى.[2] انتهى

وتسليم الله على أنبياءه من الجزاء بالمثل ، لسلامة ما قالوه في ربهم لأقوامهم من الخطأ والزلل ، ولتوقيهم الذنوب والمعاصي وسلامتهم منها.

ويستفاد من الآية الكريمة أن يُسلم المسلم على جميع الأنبياء أيضا ولا يَهجر ذلك ، ﴿وسلام على المرسلين﴾.

وتسليم المسلم على من لقيه من إخوانه إذا لقيهم هو أفضل تحية يحيي بها المسلم إخوانه ، وهو من غاية الإكرام لهم ، وبها يحيي الله تعالى عباده المؤمنين ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ ، جعلنا الله منهم.

فائدة

قال النووي رحمه الله: إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم ، ولا يقتصر على أحدهما ، فلا يقول (صلى الله عليه) فقط ، ولا (عليه السلام) فقط.[3]

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة وهي قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا **صلوا** عليه **وسلموا تسليما**﴾.[4]

فإن قيل: فلم نصلي في التشهد الأخير ولا نسلم؟

فالجواب أن التسليم سبق في أول التشهد في قوله (السلام عليك أيها النبي ...).

ذكره النووي في «شرح مسلم».

---

[1] سورة الصافات ، الآية ١٨١ .

[2] وانظر ما قاله عماد الدين ابن كثير وابن سعدي في تفسيريهما للآية ، وكذا الشوكاني في «فتح القدير» ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ، وكذا ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٥/٣) ، (١٣٠/٣) ، (٣٧/٦) ، وابن القيم في «بدائع الفوائد» ، مسألة (سلام عليكم ورحمة الله) ، (٦١٥/٢).

[3] كتاب «الأذكار» ، باب صفة الصلاة على رسول الله ﷺ .

[4] تفسير القرآن العظيم ، سورة الأحزاب ، نهاية تفسيره للآية ٥٦ .

فائدة في بيان أن المشتغلين بالحديث النبوي هم أكثر الناس صلاة وسلاما على النبي ﷺ

قال أبو نعيم الأصبهاني[1] رحمه الله: (لا يُعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله ﷺ أكثر مما يُعرف لهذه العصابة نسخا وذِكرا)[2] ، قوله (عصابة) أي عصابة علماء الحديث ، ونسخا أي كتابة ، فليس أحد أكثر منهم كتابة للفظ الصلاة والتسليم على النبي ﷺ ، كما أنه ليس أحد أكثر منهم ذكرا ، أي صلاة وسلاما على النبي ﷺ باللسان ، لأنهم يمرون بذكره كلما قرؤوا حديثا ، فيصلون عليه.

فائدة في حكم الصلاة على غير النبي ﷺ

قال ابن كثير في تفسير آية الأحزاب ، (ص ١٠٨٢) فيما يتعلق بالصلاة على غير النبي ﷺ :
الصلاة على غير الأنبياء إن كانت على سبيل التبعية كما في الحديث (اللهم صل على محمد وآلِه وأزواجه وذريته)، فهذا جائز بالإجماع.
وإذا أُفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقد قال قائلون بالجواز ، واستدلوا بقول الله تعالى ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ ، وبقوله ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ ، وبقوله ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم﴾ الآية ، وبحديث عبد الله بن أبي أوْفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال (اللهم صل عليهم) ، فأتاه أَبي بصدقته فقال: (اللهم صل على آل أبي أوفى)[3] ، وبحديث جابر قال: أتانا رسول الله ﷺ فنادته امرأتي فقالت: يا رسول الله ، صلِّ علي وعلى زوجي.

---

[1] هو الحافظ الكبير محدث العصر ، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن البناء ، مات سنة ٤٣٠ . انظر «تذكرة الحفاظ» (١٩٧/٣).

[2] رواه الخطيب البغدادي عنه في «شرف أصحاب الحديث» ، باب كون أصحاب الحديث أولى الناس بالرسول ﷺ لدوام صلاتهم عليه ﷺ .

[3] رواه البخاري (٤١٦٦) ومسلم (١٠٧٨).

فقال: صلَّى الله عليكِ وعلى زوجِك.[1]

قال الجمهور من العلماء: **لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة** لأن هذا قد صار شعارا للانبياء إذا ذكروا ، فلا يلحق بهم غيرهم ، فلا يقال (قال أبو بكر صلى الله عليه) ، أو (قال علي صلى الله عليه) ، وإن كان المعنى صحيحا ، كما لا يقال (قال محمد عز وجل) ، وإن كان عزيزا جليلا ، لأن هذا من شعار ذِكر الله عز وجل ، **وحملوا ماورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ، ولهذا لم يثبت شعارا** لآل أبي أوفى ، ولا لجابر وامرأته ، **وهذا مسلك حسن.**

وأما السلام فلا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال علي عليه السلام ، وهذا مجمع عليه ، قاله أبو محمد الجويني.

وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ أن ينفرد علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة ، أو كرم الله وجهه ، وهذا وإن كان معناه صحيحا ؛ لكن ينبغي أن يُسوَّى بين الصحابة في ذلك ، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه ، رضي الله عنهم أجمعين.[2]

الأمر الثالث والرابع: الدعاء له بالوسيلة والفضيلة وأن يبعثه الله مقاما محمودا الذي وعده

ومما يُلحق بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ؛ الدعاء له بالوسيلة والفضيلة، وأن يبعثه مقاما محمودا الذي وعده، لأنه من الدعاء له بالرفعة والثناء ، الذي هو معنى الصلاة عليه، والأصل في هذا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين يسمع النداء: (اللهم

---

[1] رواه ابن حبان (١٩٧/٣) ، وأبو داود (١٥٣٣) ، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٨٤) ، وأحمد (٣٩٨/٣) ، وصححه الألباني رحمه الله والشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله.

[2] باختصار من تفسير ابن كثير لآية الأحزاب: ٥٦ .

رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آتِ محمدا **الوسيلة والفضيلة** ، **وابعثه مقاما محمودا** الذي وعدته) ؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة.[1]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى عليَّ صلاة ؛ صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي **الوسيلة** ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة.[2]

فالوسيلة هي منزلة عالية في الجنة كما في الحديث ، وأما (الفضيلة) ؛ فهي عموم الفضل والبركة والخير.

وقوله (مقاما محمودا) ، أي يُحمد القائم فيه[3] ، والمقام هو الشفاعة الكبرى لأهل الموقف لبدء الحساب ، والقائم هو النبي ﷺ ، ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : المقام المحمود ؛ الشفاعة.[4]

وقوله في آخر الحديث: (حلت له الشفاعة)؛ هذا من الجزاء بالمثل، فلما دعا الداعي للنبي (صلى الله عليه وسلم) أن يبعثه المقام المحمود؛ استحق بذلك أن يكون ممن يشفع لهم النبي في تكفير السيئات ورفع الدرجات، فاللهم اجعلنا ممن تدركه شفاعة نبيك (صلى الله عليه وسلم).

وروى ابن أبي خيثمة عن علي بن الحسين وابن عمر رضي الله عنه أن المقام المحمود هو شفاعة النبي ﷺ الشفاعة العظمى حين تنتهي إليه.[5]

---

[1] رواه البخاري (٦١٤).

[2] تقدم تخريجه.

[3] قاله ابن حجر في «فتح الباري» عند شرح الحديث المذكور.

[4] رواه أحمد (٤٧٨/٢) ، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره ، وكذا رواه ابن جرير في تفسير سورة الإسراء ، تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، آية ٧٩ .

[5] «التاريخ الكبير» ، (٢٠٤/١) ، تحقيق صلاح فتحي هلل ، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يُبعث الناس يوم القيامة ، فأكون أنا وأمتي على تلٍّ ، فيكسوني ربي حلة خضراء ، فأقول ما شاء الله أن أقول ، فذلك المقام المحمود.[1]

قال ابن جرير الطبري: قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

ثم روى عدة أحاديث وآثار عن السلف تدل على ذلك.[2]

قال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود ؛ الشفاعة.[3]

قال ابن حجر: هو المشهور.

وقال: ويظهر أن المراد بالقول المذكور[4] هو الثناء الذي يقدمه بين يدي الشفاعة ، ويظهر أن المقام المحمود هو مجموع ما يحصل له في تلك الحالة. انتهى.[5]

---

[1] رواه ابن حبان (٣٩٩/١٤) ، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط ، وكذا ابن جرير في تفسير سورة الإسراء ، تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، آية ٧٩ ، وكذا الشيخ الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (٤٨٥/٥).

[2] رواها في تفسير سورة الإسراء ، قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، آية ٧٩ ، عن حذيفة وابن عباس وابن مسعود وسلمان الفارسي والحسن البصري وعم مجاهد من طريقين وقتادة.

[3] حكاه عنه ابن حجر في «فتح الباري» ، شرح الحديث المذكور.

[4] أي قوله (فأقول ما شاء الله أن أقول).

[5] «فتح الباري» ، شرح الحديث المذكور.

تنبيه: قال مجاهد في تفسير قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما﴾: (يوسع له على العرش فيجلسه معه).

رواه ابن عبد البر في «التمهيد» ، كتاب القرآن ، باب الدعاء ، وكذا ابن جرير في «تفسيره» ، سورة الإسراء ، آية ٧٩ .

وقد تعقبه ابن عبد البر رحمه الله في «التمهيد» ، (كتاب القرآن ، باب الدعاء) فقال:

وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية ، والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته.

وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك ، فصار إجماعا في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة. انتهى.

ثم ذكر ابن عبد البر بعض الآثار عن السلف من الصحابة ومن بعدهم في تفسير المقام المحمود بالشفاعة ، كابن مسعود وسلمان الفارسي وحذيفة وقتادة ، ثم قال: وممن روي عنه أيضا أن المقام المحمود ؛ الشفاعة: الحسن البصري وإبراهيم النخعي وعلي بن الحسين بن علي ، وابن شهاب وسعيد بن هلال وغيرهم. انتهى.

وقال ابن جرير بعدما ساق القولين: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ .

«تفسير الطبري» ، سورة الإسراء ، آية ٧٩ .

فائدة

الأحاديث الواردة في الشفاعة العظمى متواترة ، رواها كثير من الصحابة منهم أنس وأبو هريرة وغيرهم ، وسنكتفي هنا بحديث أنس رضي الله عنه ، فقد روى عن النبي ﷺ قال: يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا[1] ، فيأتون آدم فيقولون:

أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا.

فيقول: لست هناكم – ويذكر ذنبه فيستحي – ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

فيأتونه فيقول: لست هناكم – ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي – فيقول: ائتوا خليل الرحمٰن ، فيأتونه فيقول: لست هناكم ، ائتوا موسى ، عبدا كلمه الله ، وأعطاه التوراة ، فيأتونه فيقول: لست هناكم ، ويذكر قتل النفس بغير نفس ، فيستحي من ربه ، فيقول: ائتوا عيسى عبد الله ورسوله ، وكلِمة الله وروحه ، فيقول: لست هناكم ، ائتوا محمدا ﷺ ، عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتونني فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا ، فيدَعُني ما شاء الله ، ثم يقال: إرفع رأسك ، وسل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تُشفّع ، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ... الحديث.[2]

وأما الحديث الوارد عن النبي ﷺ في أن المقام المحمود هو إجلاسه على العرش فضعيف ، انظر «السلسة الضعيفة» (٨٦٥).

لطيفة: أدى الاختلاف في هذه المسألة إلى قتال ، قال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» حوادث سنة ٣١٧ هجري:

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي وبين طائفة من العامة ، اختلفوا في تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، فقالت الحنابلة: (يُجلسه معه على العرش) ، وقال الآخرون: (المراد بذلك الشفاعة العظمى) ، فاقتتلوا بسبب ذلك ، وقتل بينهم قتلى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى ، وهي الشفاعة في فضل القضاء بين العباد ، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم ، ويغبطه به الأولون والآخرون. انتهى.

[1] أي التمسنا من يشفع لنا إلى ربنا للبدء في فصل القضاء بين العباد ، والذين يقولون هذا هم عموم الناس من مؤمنين وكافرين بعد أن يضيق بهم الموقف ويشتد الحر.

[2] رواه البخاري (٤٤٧٦).

الحق الخامس عشر: توقير صحابته ﷺ

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ وهو حي ورآه وهو مؤمن ومات على ذلك ، ولو لم يجالسه أو لم يره بعينه لِعمًى في بصره.

ومن حقوق النبي ﷺ ، ودلائل توقيره وبِرِّه ؛ توقيرُ أصحابه وبرُّهم، ومعرفةُ حقهم، والاقتداءُ بهم ، وحسنُ الثناء عليهم ، والاستغفارُ لهم ، والإمساكُ عما شجر بينهم ، ومعاداةُ من عاداهم ، والإعراضُ عن الأخبار القادحة في أحد منهم ، والتي نقلها بعض المؤرخين ، وجهلة الرواة ، وضلال الشيعة والمبتدعين ، وأن نلتمس لهم فيما نُقل عنهم من الفتن أحسن التأويلات ، ونُخرّج لهم أصوب المخارج ، إذْ هم أهلٌ لذلك ، ولا يُذكر أحد منهم بسوء ولا يُعاب عليه أمر ، بل تُذكر حسناتهم وفضائلهم ، وحمِيدُ سيرتهم ، ويُسكتُ عما وراء ذلك.[1]

وقال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المسماة بـ «العقيدة الطحاوية»: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نُفرِط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، كما وصفهم الله في قوله تعالى ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾[2].[3]

والصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ، وثنائه عليهم ، وثناء رسوله ﷺ عليهم ، قال ابن عبد البر: الصحابة كلهم عدول مرضيون ثقات أثبات ، وهذا أمر مجتمع عليه عند أهل العلم بالحديث.[4]

قال النووي في «التقريب»: الصحابة كلهم عدول ، مَن لابس الفتن وغيرهم ، بإجماع من يُعتد به.[1]

---

[1] باختصار وتصرف يسير من «الشفا» للقاضي عياض ، الفصل السادس: ومن توقيره وبره توقير أصحابه وبرهم.

[2] سورة الحشر: ١٠ .

[3] قاله في كتابه «العقيدة الواسطية».

[4] «التمهيد» ، كتاب الصيام ، باب ما جاء في الصيام في السفر ، (٢/٢٢٤) ، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر.

وقال الخطيب البغدادي[٢] رحمه الله: عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾[٣] ، وقوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[٤].

وهذا اللفظ وإن كان عاماً ؛ فالمراد به الخاص.

وقيل هو وارد في الصحابة دون غيرهم.

ثم قال بعد ذكر عدة آيات وأحاديث في فضل الصحابة:

وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة ، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يَحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم ، المطلع على بواطنهم ، إلى تعديل أحد من الخلق له.

ثم قال: على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المُهَج[٥] والأموال وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة في الدين ، وقوة الإيمان واليقين ، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المُعَدّلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتد بقوله من الفقهاء.[٦] انتهى.

---

[١] النوع التاسع والثلاثون.

[٢] هو الحافظ الكبير الإمام محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، مات سنة ٤١٢ هـ . انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٣/٢٢١).

[٣] سورة آل عمران: ١١٠ .

[٤] سورة البقرة: ١٤٣ .

[٥] المُهج جمع مُهجة ، وهي الروح. انظر «لسان العرب».

[٦] «الكفاية في علوم الرواية» ، باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة وأنه لا يحتاج للسؤال عنهم ، وإنما يجب ذلك فيمن دونهم ، باختصار.

الخصائص الأربع عشرة للصحابة رضي الله عنهم

- لقد فَضُل الصحابة على غيرهم من الناس بأن الله **اختارهم من بين سائر البشر لصحبة نبيه ﷺ** ، وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف ، وتلقي الشريعة وأمور الدين عنه ، والتربية على يديه، وتبليغ ما بُعث به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها.
- ومن فضائل الصحابة حب النبي (صلى الله عليه وسلم) لهم.
- ومن فضائلهم أن **لهم الأجر العظيم لجِهادهم مع النبي ﷺ في سبيل نشر الإسلام** والدعوة إليه، فصار لهم من الأجور مثل أجور من بعدهم، فإنه من المعلوم أن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

فالحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين ؛ أوجبت القطع بعدالتهم ، واعتقاد أنهم أفضل من جميع المُعدَّلين والمُزَكَّين الذين يجيئون بعدهم ، أبد الآبدين.

- ومن الدلائل على عِظَم قدر الصحابة **حفظهم للقرآن والسنة وتبليغهما للناس**، وانتشارهما بسببهم في الآفاق إلى قيام الساعة.
- ومن فضائلهم أن الله **أثنى عليهم أحسن الثناء ، ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن ، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم** ، قال تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾.[1]

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾:

---

[1] سورة الفتح ، الآية: ٢٩ .

سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام ، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته ، وآثار أداء فرائضه وتطوعه ، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به ، وذلك الغُـرَّة في الوجه ، والـتَّحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء ، وبياض الوجوه من أثر السجود. انتهى.

قلت: الغُـرَّة هي البياض الذي يكون في الوجه ، والتَّحجيل هي البياض الذي يكون في الأيدي والأرجل.

وقال القرطبي رحمه الله في تفسير الآية: هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ ، يعني أنهم يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون، فكان النبي ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه ضعيفاً ، فأجابه الواحد بعد الواحد حتى قَـوِي أمره ، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً ، فيقوَى حالاً بعد حالٍ حتى يغلُظَ ساقه وأفراخه ، فكان هذا من أصح مثلٍ ، وأوضح بيان. انتهى بتصرف يسير.

- ومن فضائل الصحابة أن الله **ألزمهم كلمة التقوى، وأخبر أنهم أحَقُّ بها من غيرهم، وأنهم أهلُها،** قال تعالى ﴿**وألزمهم** كلمة **التقوى** وكانوا **أحقَّ** بها **وأهلَها**﴾، فأخبر أنه ألزمهم كلمة التقوى، وهي (لا إله إلا الله)، فألزمهم حقوقها والقيام بها، فالتزموها وقاموا بها، ثم أخبر أنهم أحَقُّ بها من غيرهم، وأنهم أهلُها، أي أنهم استأهلوا أن يوصفوا بأنهم أهلٌ للتقوى، لِما يعلم ما في قلوبهم من الخير.

- ومن فضائل الصحابة أن الله أخبر **أن الناس إن آمنوا بمثل ما آمن به النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة فقد اهتدوا،** قال تعالى ﴿فإن آمنوا **بمثل ما آمنتم به** فقد اهتدوا﴾.

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): ... وإنَّ بَني إسرائيل تفرَّقت على ثِنتينِ وسبعينَ ملَّةً، وتفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ ملَّةً، كلُّهم في النَّارِ إلَّا ملَّةً واحِدةً.

قالوا: مَن هيَ يا رسولَ اللَّهِ؟

قالَ: ما أنا علَيهِ **وأَصحابي**.[1]

---

[1] رواه الترمذي (٢٨٣٢)، وصححه الألباني.

وفي هذا الحديث ثلاث فوائد؛ **الأولى** إخبار النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الأمة ستفترق إلى فرق كثيرة، عَبَّرَ عنها بالملل، عددها ثلاث وسبعون.

الثانية: إخباره بأنه لن ينجو من تلك الفرق إلا فرقة واحدة، وهي الفرقة التي تسير على منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) ومنهج الصحابة الكرام، في العقيدة والشريعة والسلوك، جعلنا الله منهم.

الفائدة الثالثة: إثبات أن الصحابة كانوا على الهدى المستقيم.

- ومن فضائل الصحابة أن الله شَهِد لهم بأنهم **هم المؤمنون حقا**، وكفى بالله شهيدا، قال تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا **أولئك هم المؤمنون حقاً** لهم مغفرة ورزق كريم﴾.
- ومن فضائل الصحابة أن جاء في التنزيل ذكر **رِضَى الله عنهم في موطنين من القرآن** ، وهما قوله تعالى ﴿لقد **رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً﴾[1].
- ومن فضائل الصحابة أنهم **أفقه الأمة بأمر دينها**، لأنهم تربوا على عين النبي (صلى الله عليه وسلم) وعاينوا التنزيل، وقد أخبر (صلى الله عليه وسلم) بأن للأربعة المُقَدَّمين منهم – وهم الخلفاء الراشدون – سنة متبعة، ينبغي على من أتى بعدهم أن يتبعها، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا مُجَدَّعا[2]، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ**[3]، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.[4]

---

[1] سورة الفتح: ١٨ .

[2] أي مقطع الأطراف.

[3] النواجذ آخر الاضراس، ولكل إنسان أربع نواجذ.

[4] رواه ابن حبان (١٧٩/١) واللفظ له، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤ – ١٢٧)، وغيرهم، والحديث صححه الألباني رحمه الله.

وما أحسن قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: من كان مستناً فليستنن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ﷺ ، كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، ونقلِ دينه ، فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم أصحاب محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم.[1]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئا فهو عند الله سيء.[2]

وقوله رضي الله عنه (المسلمون) يعني بذلك علماءهم ، لأن العلماء هم أهل النظر وهم حملة الشريعة.

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في فضل الصحابة رضوان الله عليهم ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي ﷺ ، ولقد عقد البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وكذا أهل السنن وغيرهم ، فصولا في فضائل الصحابة ، أوردوا فيها الكثير من الأحاديث الواردة في فضلهم ، وبعضهم أفرد كتبا مستقلة في فضائلهم ، كالنسائي وأحمد رحمهم الله.

وبناء على هذه النصوص فقد أجمعت الأمة على أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ .

- ومن فضائل الصحابة أن الله أمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) **بمشاورتهم** ، فقال ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾.

---

[1] رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٩/١) ، ورواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٤/٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بنحوه.

[2] رواه أحمد في «مسنده» (٣٧٩/١) ، وقال محققو «المسند»: إسناده حسن.

- ومن فضائل الصحابة أن الله ندب من جاء بعدهم إلى **الاستغفار لهم** ، وأن لا يجعلوا في قلوبهم غلاً عليهم ، فقال ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم﴾.
- ومن فضائل الصحابة أن النبي ﷺ **وصف قرنَهم الذي عاشوا فيه بأنه خير القرون** ، فقال ﷺ : خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم.[1]

ولفظ مسلم: خير أمتي القرنُ الذي بُعثت فيهم.

وفي الحديث شهادته ﷺ لهم بأنهم خير الأمم.

- ومن فضائل الصحابة أنَّ **أجرُهم مضاعف على أجر من جاء بعدهم** ، لقوله ﷺ : (لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل (أُحُدٍ)[2] ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفَه[3]).[4]

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث:

(قال البيضاوي[5]: معنى الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحدٍ ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه ، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية.

---

[1] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[2] أُحُد؛ جبل معروف بالمدينة، وهو أكبر جبالها.

[3] النصيف هو النصف ، والمد هو ربع الصاع ، يعني أن صدقة الصحابي لو كانت مُدًّا لكانت أعظم ثوابا مِن صدقة من أتى بعده ولو كانت كجبل أحد ، وانظر «النهاية».

وسبب التفاوت بين الصدقتين هو ما يقارِن صدقة الصحابي من مزيد الإخلاص وصدق النية.

[4] رواه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه ، رواه مسلم (٢٥٤٠).

[5] هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، أبو الخير ، ناصر الدين ، البيضاوي ، كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والأصلين والعربية ، نظارا صالحا متعبدا زاهدا شافعيا. انظر «طبقات المفسرين» للداوودي ، ص ١٧٣ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

قلت: وأعظم من ذلك في سبب الأفضلية عِظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه ، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال ، كما وقع في الآية ﴿من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ ، فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذي ذكرته ، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيما لشدة الحاجة إليه وقلة المعتني به ، بخلاف ما وقع بعد ذلك ، لأن المسلمين كثُروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا ، والله أعلم).[1]

كما ورد الرضى عنهم في سورة التوبة ، قال تعالى ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان **رضي الله عنهم** ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾.[2]

فهذه أربع عشرة خصيصة اختُصَّ بها صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) على من قبلهم ومن بعدهم من الناس، مَن علِمها ووعاها عَلِمَ مكانة الصحابة ومنزلتهم في دين الإسلام، وانفتح في قلبه بابُ حبهم وتعظيمهم.

- **فصل**

وأهل السنة والجماعة يقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ، فيؤمنون بأن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ويُثلثون بعثمان ، ويُربعون بعلي رضي الله عنهم ، ويُقدمون المهاجرين على الأنصار ، لأن المهاجرين لهم السابقة في الإسلام، ثم جاء الأنصار فآووا النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته المهاجرين ونصروهم، ويُفضلون من أنفق قبل الفتح[3] وقاتل ، على من أنفق من بعده وقاتل ، ويؤمنون بأن الله تعالى قال لأهل بدر – وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر – (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[4]، ويؤمنون بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ، أيْ

---

[1] باختصار من «فتح الباري».

[2] سورة التوبة: ١٠٠ .

[3] أي فتح مكة.

[4] رواه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

شجرة الرضوان في الحديبية، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، ويشهدون بالجنة لمن شَهِد له رسول الله ﷺ بالجنة ، كالعشرة وغيرهم من الصحابة.

ومذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة وسَطٌ بين الإفراط والتفريط ، فليسوا من المفرِّطين الغالين الذين يرفعون من يُعظمون منهم ما لا يليق إلا بالله أو برسله ، وليسوا من المفرِّطين الجافين الذين ينتقصونهم ويسبونهم ، فهم وسط بين الغلاة والجفاة.

ويحبونهم جميعاً ، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف ، فلا يرفعونهم إلى ما لا يستحقون ، ولا يقصرون بهم عما يليق بهم ، فألسنتهم رطبة بذكرهم بالجميل اللائق بهم ، وقلوبهم عامرة بحبهم ، وما صح فيما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون ، إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور ، وليسوا معصومين ، بل هم بشر يصيبون ويخطئون ، **ولكن ما أكثر صوابَهم بالنسبة لصواب غيرهم ، وما أقل خطأهم إذا نسب إلى خطأ غيرهم** ، ولهم من الله المغفرة والرضوان.

وقد انحرفت طوائف من المبتدعة في حق الصحابة رضي الله عنهم انحرافا عظيما ، فقدحوا فيهم ، وقللوا من شأنهم ، واتهموهم بالكذب والنفاق والخيانة ، ولم يعرفوا لهم فضلهم وسابقتهم ، وهم الرافضة قبحهم الله ومن سلك مسلكهم.

وهذا الفعل محرم ، لقوله ﷺ : (لا تسبوا أصحابي) ، فمن سب صحابيا أو صحابيين فلا شك في أنه آثم لأنه عصى النبي ﷺ وسب أصحابه ، وأما من طعن في عمومهم كما تفعل الرافضة ؛ فإن هذا كفر ، لأن الدين نُقل من طريقهم ، فمن طعن فيهم لزم من هذا الطعن فيما نقلوه ، من آيات وأحاديث ، وهذا كفر بيّن.

والقدح في الصحابة رضي الله عنهم قدح في النبي ﷺ ، فهم خاصته وبطانته ، ولهذا قال ابن تيمية رحمه الله: فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام ، كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ ، إنما طعنوا في أصحابه لِيقول

القائل: (رجل سوء ، كان له أصحاب سوء ، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين).[1] يعني بالرجل: النبي ﷺ .

وقال أبو زرعة الرازي ، وهو من أجل شيوخ الإمام مسلم:

إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا[2] ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح أولى بهم ، وهم زنادقة.[3]

وقد روى مسلم عن عروة قال: قالت لي عائشة: (يا ابن أختي ، أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم)[4] ، تشير إلى الاستغفار الوارد في قوله تعالى ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون **ربنا اغفر لنا** ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾.

وكما تقدم ، فالذين عُرف عنهم القدح في الصحابة هم فرقة الرافضة ، قبحهم الله ، قال ابن تيمية: وأما الرافضة فيطعنون في الصحابة ونقلهم ، وباطن أمرهم الطعن في الرسالة.[5]

وقال تلميذه ابن كثير رحمه الله:

فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول ﷺ وخيرهم وأفضلهم ، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة ، رضي الله عنه ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم ، عياذا بالله من ذلك . وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ، إذ يسبون من رضي الله عنهم؟

---

[1] «مجموع الفتاوى» (٤/٤٢٩).

[2] الشهود هم العلماء ، والمقصود بالعلماء هنا خصوص علماء الصحابة ، فإن الزنادقة يطعنون فيهم لإسقاط الشريعة ، وقد وصف الله تعالى العلماء بأنهم شهداء في قوله ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾.

[3] «تهذيب الكمال» ، ترجمة أبو زرعة الرازي.

[4] رواه مسلم (٣٠٢٢).

[5] «منهاج السنة النبوية» (٣/٤٦٣).

وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمَّن رضي الله عنهم ، ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويَقتدون ولا يَبتدعون ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون. انتهى.[1]

والقدحُ في زوجات النبي ﷺ داخل في القدح في الصحابة ، وقد وقع في هذا بعض المنافقين ، فاتهموا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه بتهمة الزنا ، فبرأها الله عز وجل من ذلك في آيات تتلى إلى قيام الساعة ، ثم تبعهم على هذا الرافضة ، قبحهم الله ، وسيأتي الكلام على هذا في حق مستقل قريبا إن شاء الله.

وقد وردت خصوصية تفضيل لبعض أصناف من الصحابة ، وهذا التفضيل تفضيل جنس لا تفضيل عين ، فأفضل الصحابة جنسا هم **المهاجرون** ، قال تعالى في وصفهم ﴿للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾[2].

ويجمع النص القرآني بين المهاجرين والأنصار ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنهم وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾[3].

وبعد المهاجرين يأتي الأنصار في المرتبة ، وقد قدمهم الله عليهم في الذكر كما في آيتي الحشر والتوبة اللتان تقدمتا.

والأنصار آووا النبي ﷺ ونصروه ، وجعلوا له منطلقا للدعوة إلى دين الإسلام ، فعن أنس رضي الله عنه قال: مرّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون ، فقال: ما يُبكيكم؟

---

[1] انظر «تفسير القرآن العظيم» ، سورة التوبة ، الآية ١٠٠ .

[2] سورة الحشر: ٨ .

[3] سورة التوبة: ١٠٠ .

قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا ، فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك ، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية بُرْدٍ ، قال: فصعد المنبر- ولم يصعده بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشي وعيبتي[1] ، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزا عن مسيئهم.[2]

بل تبلغ الدعوة إلى حب الأنصار أن جعل رسول الله ﷺ حبهم آية على الإيمان ، وبغضهم آية على النفاق ، فقال فيهم: لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله.

وممن وردت النصوص بتفضيلهم من الصحابة وإجلالهم ؛ أهل بيت النبي ﷺ ، سواء كانوا من المهاجرين أو الأنصار ، فقد روى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً ، بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال: أما بعد ، أيها الناس ، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثَقَلين[3]:

أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: وأهل بيتي ، وأذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي.[4]

وسيأتي مزيد كلام قريبا إن شاء الله في بيان من هم آل بيته ﷺ .

وسيأتي خصوص كلام في حق آل بيت النبي ﷺ في الحق الرابع عشر إن شاء الله.

---

[1] كرشي أي بطانتي وموضع سري وأمانتي ، واستعيرت الكرش لذلك لأنها مجمع الغذاء ، والعيبة هي ما يجمع فيه الإنسان نفيس ما عنده. انظر «فتح الباري».

[2] رواه البخاري (٣٧٩٩) ، ورواه مسلم (٢٥١٠) مختصرا عن أنس بن مالك.

[3] قال ابن الأثير رحمه الله: سماهما ثقلين ، لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل ، ويقال لكل خطير نفيس: ثقل ، فسماهما ثقلين ، إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما. انظر «النهاية».

وكلمة الثقلان تطلق أيضا على الجن والإنس.

[4] رواه مسلم (٢٤٠٨).

وخلاصة القول إن القيام بحقوق الصحابة يتضمن أربعة أمور:

الأول: محبتهم والترضي عنهم.

الثاني: الإيمان بأنهم خير الناس بعد النبي (صلى الله عليه وسلم).

الثالث: الكف عما شجر بينهم.

الرابع: الذب عنهم مما قاله بعض المبتدعة فيهم، كالروافض ومن سلك مسلكهم.

الحق السادس عشر: توقير زوجاته ﷺ

ومن حقوق النبي ﷺ ودلائل توقيره ؛ توقير زوجاته ، كيف لا ، وقد رفع الله مقام أزواج النبي ﷺ وبوّأهن منزلة عالية ، بل رفعهن إلى منزلة الأمومة لجميع المؤمنين ، كما في قوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم **وأزواجه أمهاتهم**﴾ ، وفي ذلك من الحُرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام ما يوجب على كل مسلم أن يحفظ لهن هذا الحق ، ويؤديه على الوجه المطلوب منه شرعاً.

ومما يوجِب توقير زوجات النبي ﷺ أنهن حفِظن هديه في بيته ونقلنه للأمة ، لاسيما عائشة رضي الله عنها ، فإنها من المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ .

وأما خديجة رضي الله عنها فهي أول أزواجه ﷺ ، وكانت تُثَبِّتُهُ وتُطَمئنه إلى أن ما هو عليه هو الحق ، وأن الله تعالى لن يخزيه أبدا ، كما هو معلوم من قصته لما جاءها يرجف فؤاده لما نزل عليه جبريل بالوحي أول مرة في غار حراء ، فطمأنته ثم ذهبت به لابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان قد تنصَّر في الجاهلية ، فزاده طمأنينة ، وبين له أن الذي نزل عليه هو الوحي من الله تعالى.[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة ، خصوصاً خديجة رضي الله عنها أمُّ أكثرُ أولاده ، وأولُ من آمن به وعاضده على أمره ، وكان له منها المنزلة العالية.

والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ، التي قال فيها النبي ﷺ : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.[2] انتهى كلامه رحمه الله.

ومما يدل على عِظم حق أمهات المؤمنين تخصيصهن بالصلاة عليهن **في التشهد في الصلاة**، ومن المعلوم أن الصلاة عليهن تعني الدعاء لهن بأن يثني الله عليهن ويرفع قدرهن، فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله ، كيف نصلي عليك ؟

---

[1] انظر القصة في صحيح البخاري (٣) وصحيح مسلم (١٦٠).

[2] انظر «مجموع الفتاوى» (١٥٤/٣) وهي جزء من «العقيدة الواسطية» ، والحديث رواه البخاري (٣٧٦٩) ومسلم (٢٤٤٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال: قولوا اللهم صل على محمد **وأزواجه** وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد **وأزواجه** وذريته كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد.[1]

ولفظ مسلم: وعلى **أزواجه** ... الحديث.

- ومن حقوق أمهات المؤمنين الاستغفار لهن ، وذكر مدائحهن وفضائلهن وحسن الثناء عليهن ، وذلك لمكانتهن من رسول الله ﷺ ، وزيادة فضلهن على غيرهن من نساء هذه الأمة.
- وقد نص القرآن على طهارة زوجات النبي ﷺ من الرجس ، كما في قوله ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ ، قال ابن جرير رحمه الله: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا. انتهى.

قلت: وأعظم الرجس الوقوع في الزنا عياذا بالله ، وفراش النبوة مطهر من ذلك ، والرافضة لا يتحاشون اتهام عائشة بذلك ، مع تطهير الله لها من فوق سبع سماوات، وهذا مما يناقض توقير زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم)، بل ما يناقض توقير النبي (صلى الله عليه وسلم) نفسه، ومن عظيم إيذائه.

وطهارة فراش النبوة مطرد في الأنبياء كلهم ، والطعن في فراش النبوة طعن فيهم ، عياذا بالله من تنقص الأنبياء.

- والوقيعة في أزواج النبي ﷺ إيذاء له، وقد حرم الله إيذاء النبي ﷺ في قوله ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا عظيما﴾.
- والرافضة قبحهم الله تَبِعوا المنافقين في اتهام أم المؤمنين عائشة بالزنا ، فهم يدينون الله بهذا الاعتقاد الفاسد ، **وهو كفر عياذا بالله** ، لأن الذي يتهم عائشة بالزنا لم يصدق بخبر براءتها الوارد في القرآن في صدر سورة النور ، وقد وصف الله تعالى في هذه السورة اتهامها

---

[1] تقدم تخريجه.

بالزنا بأنه إفك وبهتان، أي كذب، قال الله تعالى ﴿إن الذين جاءوا **بالإفك** عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين﴾ إلى أن قال ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا **بهتان** عظيم * يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: وقد أجمع العلماء رحمهم الله **قاطبة** على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذُكر في هذه الآية ؛ فإنه **كافر، لأنه معاند للقرآن.**[2]

- وأزواج النبي ﷺ هنَّ من دخل بهنَّ من النساء ، وهن إحدى عشرة:

١- خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.
٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها.
٣- سودة بنت زَمعة رضي الله عنها.
٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن أبيها.
٥- أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وعن أبيها.
٦- أم سلمة، هند بنت أبي أمية بن المغيرة، القرشية، رضي الله عنها.
٧- زينب بنت جحش رضي الله عنها.
٨- زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها.
٩- جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.
١٠- صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.
١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها.

---

[1] النور: ١١ – ١٧ .

[2] «تفسير ابن كثير» ، سورة النور : ٢٣ .

الحق السابع عشر: توقير آل بيته ﷺ

من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة توقير آل بيته، ومحبتهم وتوليهم وحفظ وصية رسول الله ﷺ فيهم.

والأدلة على هذا الأصل كثيرة ، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى «خُمّاً»[1] ، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكَّر ، ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسولُ ربي فأُجيبُ، وأنا تارك فيكم ثَقَلَين[2]:

أولهما: كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: وأهل بيتي[3] ، **وأذكرِّكم الله في أهل بيتي** ، أُذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي.

فقيل لزيد: ومن أهلُ بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته **من حُرِم الصدقةَ بعده.**[4]

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أرقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته.[5]

قال ابن حجر رحمه الله: المراقبة للشيء المحافظة عليه ، يقول: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم.[6]

والأحاديث في فضائل آل بيت النبي ﷺ ومناقبهم كثيرة جداً ، وهي مبسوطة في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها من كتب الحديث.[1]

---

[1] «خُم» موضع بين مكة والمدينة، فيه ماء.

[2] سيأتي بيان أن مقصوده بالثقلين هما كتاب الله وآل بيته، سماهما ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما والقيام بحقهما **ثقيل**، ولذا سماهما ثقلين إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما. انظر «النهاية».

[3] هذا هو الثَّقَلُ الثاني.

[4] تقد تخريجه.

[5] رواه البخاري (٣٧١٣)

[6] «فتح الباري» ، شرح الحديث المتقدم.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ولا نُنكر الوصاة بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم ، كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل بيته وذريته ، رضي الله عنهم أجمعين.[٢]

وآل بيت النبي ﷺ هم الذين تحرم عليهم الصدقة كما تقدم ، وقد حرم الله الصدقة على آل محمد تعظيما لقدْرهم ، لأن الصدقة أوساخ الناس ، قال ﷺ : إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس.[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وآل محمد ﷺ هم الذين حرُمت عليهم الصدقة ، هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء.[٤]

وعلى هذا فآل بيت النبي ﷺ فَخِذان؛ بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف.

وبنو هاشم أربعة ، هم أبو طالب وعبد المطلب وعبد الله وأبو لهب ، وأبناء أبو طالب هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر ، وأبناء عبد المطلب هم آل العباس وآل الحارث ، وعبد الله لم يترك إلا محمدا ﷺ ، وأبو لهب لا كرامة له ، لأنه لم ينصر النبي ﷺ كغيره ، فلا تحرم الصدقة على أبناءه ، وقد تقدم أن مناط التحريم هو التكريم ، وأبو لهب لا كرامة له.

وبنو المطلب قد أشركهم النبي ﷺ مع بنو هاشم في سهم ذوي القربى ، ولا يكون إشراكُهم معهم إلا لأنهم ممن حُرِم الصدقة ، والصدقة لا تحرم إلا على آل محمد ﷺ ، فيدخلون في وصفهم بآل محمد ، أو آل البيت.

---

[١] انظر «الصحيح المسند من فضائل آل بيت النبوة» لأم شعيب الوادعية ، الناشر: دار الآثار – صنعاء.

[٢] «تفسير القرآن العظيم»، تفسير قوله تعالى ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ ، سورة الشورى: ٢٣ .

[٣] رواه مسلم (١٠٧٢) عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث.

[٤] «مجموع الفتاوى» (٤٠٧/٣).

قال في «سيرة النبي المختار»[1]: وأخذ أبو طالب يحشد بطون بني عبد مناف وهم أربعة: بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وبنو عبد شمس ، وبنو نوفل ، فأجابه بنو هاشم وبنو المطلب ، وخذله بنو عبد شمس وبنو نوفل ، وانسلخ أيضا من بني هاشم أبو لهب.

ثم قال:

قال العلماء: ولأجل نصرة بني المطلب لبني هاشم وموالاتهم لهم شاركوهم في التشريف بتسميتهم أهل البيت ، وفضل الكفاءة على سائر قريش ، واستحقاق سهم ذوي القربى ، وتحريم الزكاة ، دون البطنين الآخرين ، إذ لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام.

وروى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم بن عدي بن الحارث **بن نوفل** بن عبد مناف قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله ، أعطيت **بني المطلب** وتركتنا ، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة!

فقال: إنما بنو المطلب **وبنو هاشم** شيء واحد.[2] انتهى مختصرا.

وقال ابن تيمية رحمه الله: ولا ريب أن لآل محمد ﷺ حقاً على الأمة لا يشركُهم فيه غيرُهم ، ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر بطون قريش ، كما أن قريشاً يستحقون من المحبة والموالاة ما لا يستحقه غير قريش من القبائل ، كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والموالاة ما لا يستحقه سائر أجناس بني آدم ، وهذا على مذهب الجمهور الذين يرون فضل العرب على غيرهم ، وفضل قريش على سائر العربَ وفضل بني هاشم على سائر قريش ، وهذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره.[3]

---

[1] (١/١٨٠ - ١٨٢) ، «حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار» ، تأليف محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي ، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول ، ١٩٩٨م ، الطبعة الأولى ، دار النشر: دار الحاوي – بيروت.

[2] رواه البخاري (٣١٤٠).

[3] «منهاج السنة النبوية» (٤/٥٩٩).

ثم ذكر رحمه الله حديث واثلة بن الأسقع الذي دل على التفضيل المذكور، ونصه: قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.[١]

وقد جعل الله لآل البيت حقاً في الخُمُسِ[٢] والفيء[٣] ، عِوضا عما حُرِموا من الصدقة ، فقد روى البخاري عن جبير بن مطعم قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ ، فقلنا: يا رسول الله ، أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة.

فقال رسول الله ﷺ : إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد.[٤]

ومن دلائل توقير آل البيت ؛ أن النبي ﷺ علَّم أمته أن يقولوا في التشهد في الصلاة: اللهم صل على محمد وعلى **آل محمد** كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى **آل محمد** كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.[٥]

فهل بعد الدعاء لهم في الصلوات الخمس توقير أفضل من هذا التوقير؟!

وقد ضرب السلف الصالح المثل الأعلى في توقير آل بيت النبي ﷺ ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: والذي نفسي بيده ؛ لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي.[٦]

وأهل السنة والجماعة يتولون أهل البيت ويحبونهم ، لا كما يزعم الروافض أنهم هم القائمون بحب أهل البيت وحدهم ، وأن غيرهم ظلموهم ، بل الحقيقة أن الروافض هم الذين ظلموا أهل البيت ظلماً لا نظير له ، وهم الذين خذلوهم وغَرُّوهم ، وتسببوا في رِدّ كثير من روايات أهل البيت ، بسبب ما اشتهر عنهم من الكذب عليهم.

---

[١] رواه مسلم (٢٢٧٦) وغيره.

[٢] أي خمس الغنائم.

[٣] الفيء هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد. انظر «النهاية».

[٤] تقدم تخريجه.

[٥] أخرجه البخاري (٣٣٧٠) ومسلم (٤٠٦) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

[٦] رواه البخاري (٣٧١٢) ، ومسلم (١٧٥٩).

ثم إن الروافض يحصرون محبتهم في نفر قليل من أهل البيت ، أما أهل السنة المستقيمين عليها فيحبون أهل البيت كلهم ويتولونهم.

ثم إن الذين يبغضهم الروافض من أهل البيت أكثر بكثير ممن يحبونهم.

وزوجات النبي ﷺ داخلات في آل البيت بنص القرآن ، قال تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم **الرجس أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾[1] ، قال ابن كثير رحمه الله: وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هٰهنا ، لأنهن سبب نزول هذه الآية.

---

[1] سورة الأحزاب: ٣٤ .

الفصل الخامس: نواقض الإيمان بالنبي ﷺ

شهادة أن محمدا رسول الله تنتقض بالوقوع في أحد خمسة أمور ، نذكرها إجمالا ثم نفصل الكلام فيها بما يسر الله:

الناقض الأول: مناقضة شرط من شروط تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله.

الناقض الثاني: إنكارُ أمر معلوم من الدين بالضرورة.

الناقض الثالث: إيذائه ﷺ ، سواء في حياته أو بعد مماته.

الناقض الرابع: الوقوع في شيء من نواقض الإسلام.

الناقض الخامس: الغلو فيه ﷺ .

تفصيل

الناقض الأول: مناقضة شرط من شروط تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله الثمانية، وقد تقدم ذكرها في جزء «شروط شهادة أن محمدا رسول الله».

الناقض الثاني: إنكارُ أمر معلوم من الدين بالضرورة، كإنكار نبوته ، أو بشريته ، أو إنكار أن له حقوقا على أمته ، أو إنكار أنه خاتم النبيين ، أو إنكار أن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع ، أو إنكار أنه بلَّغ الدين كله ، أو إنكار عموم رسالته للإنس والجن، أو إنكار ركن من أركان الإسلام، أو إنكار أمر معلوم تحريمه من الدين بالضرورة كتحريم الخمر أو السرقة أو الزنا ونحو ذلك.

الناقض الثالث: إيذائه ﷺ ، سواء في حياته أو بعد مماته ، بالطعن في شخصه ، ومن ذلك الطعن في صدقه ، أو في عقله ، أو في عفته ، فهذا كله كفر بشهادة أن محمدا رسول الله، لأنه يتنافى مع الايمان بما تقرر في القرآن العزيز من اصطفاء الله تعالى له.

والدليل على كفر من آذى النبي ﷺ قوله تعالى ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا﴾ ، واللعن هو الطرد من الرحمة ، ومن طرده الله من رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا.

وفي هذه الآية نرى أن الله تعالى قرن بين أذى النبي ﷺ وأذاه ، كما قرن في آيات أخر بين طاعته وطاعة نبيه ، وهذا وغيره بيان لتلازم الحقين ، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة ، فمن آذى الرسول فقد أذى الله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ، لأن الأمة لا تصل ما بينها وبين ربها إلا بواسطة النبي ﷺ ، وليس لأحد منها طريق غيره ولا سبب سواه.[1]

قال القاضي عياض رحمه الله في «الشفا»: اعلم – وفقنا الله وإياك – أن جميع من سب النبي ﷺ أو عابه ، أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله ، أو عرَّض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغضُّ منه والعيب له ؛ فهو سابٌّ له ، والحكم فيه حكم الساب ، يُقتل كما نبينه.

ثم قال: وكذلك من لعنه ، أو دعا عليه ، أو تمنى مضرة له ، أو نسب إليه مالا يليق بمنصِبه على طريق الذم ، أو عيّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه ، أو غَمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه.

وهكذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جَرًّا.[2]

فصل

ومن إيذائه (صلى الله عليه وسلم) الاستهزاء به، جادا أو هازلا، والدليل على كفر المستهزئ به قوله تعالى في سورة التوبة ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته **ورسوله** كنتم **تستهزئون** * لا تعتذروا قد **كفرتم** بعد إيمانكم﴾.

---

[1] انظر «الصارم المسلول» ، ص ٨٦ .

[2] باختصار يسير من «الشفا» للقاضي عياض رحمه الله ، القسم الرابع ، الباب الأول.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير الآية: فإن الاستهزاء بالله ورسوله كفر مخرج عن الدين، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة. انتهى.

والاستهزاء بالنبي ﷺ كفر ، والدليل على ذلك قصة النفر الذين خرجوا معه ﷺ في غزوة ، فلما كانوا ببعض الطريق قال أحدهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ؛ أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنزل القرآن بتكفيره في قوله تعالى في سورة التوبة ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾.

قال عبد الله بن عمرو: أنا رأيته متعلقا بحقِبِ[1] ناقة رسول الله ﷺ تنكِبُهُ[2] الحجارة وهو يقول يا رسول الله: إنما كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله ﷺ يقول ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ الآية.

وفي هذه الآية أعظم تنبيه على أهمية حق التوقير والتعظيم والإجلال للنبي ﷺ ، قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير الآية: فإن الاستهزاء بالله ورسوله كفر مخرج عن الدين ، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة. انتهى.

وفي الآية أيضا تنبيه على الحكم بكفر المستهزئ يستوي فيه الجاد والهازل ، لأن الرجل جاء معتذرا بأنه إنما كان يخوض ويلعب ، ولم يكن جادا في استهزائه ، فجاء الحكم العام بكفره ، ليبين دخوله الجاد والهازل في الحكم سواء.[3]

فصل

وموضوع الاستهزاء بالنبي ﷺ فيه عشرة مسائل:

المسألة الأولى: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ لون من ألوان إيذائه ، وقد تقدم بيان ذلك.

المسألة الثانية: حكم الاستهزاء بالنبي ﷺ ، وقد تقدم الكلام في ذلك ، وبيان أنه كفر.

---

[1] الحقب هو الحبل الذي يشد على حقو البعير. انظر «النهاية».

[2] تنكِبُهُ تناله وتصيبه أثناء مشيه عليها. انظر «النهاية».

[3] انظر القصة مسندة في تفسير الطبري وتفسير ابن أبي حاتم.

المسألة الثالثة: عقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ .

أجمع المسلمون على وجوب قتل من سب النبي ﷺ ، حكى ذلك القاضي عياض في كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ »[1] ، وكذا إسحاق بن راهويه ومحمد بن سحنون ، كما حكى ذلك عنهما ونقل كلامهما ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ »[2] ، ومما قاله رحمه الله في هذا الباب: وتحرير القول فيها[3] أن الساب إن كان مسلما فإنه يكفر ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم.[4]

كما أجمع المسلمون على قتل من سب رسول الله ﷺ ، وقد حكى الإجماع على ذلك جمع من العلماء ، منهم القاضي عياض في كتاب «الشفا»[5] ، وأبو بكر بن المنذر ، حيث قال: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل ، وممن قال ذلك: مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق ، وهو مذهب الشافعي.

ومما يُحتج به في هذا الباب قصة كعب بن الأشرف ، وأن النبي ﷺ قال: من لكعب بن الأشرف ، فإنه قد آذى الله ورسوله؟

فانتدب له جماعة بإذن النبي ﷺ فقتلوه.[6]

وتغيظ أبو بكر الصديق رضي الله عنه على رجل ، فقال من أصحابه أبو برزة: أضرب عنقه؟

فقال: ما كانت لأحد بعد رسول الله ﷺ .[7]

قال أبو بكر: فأما من بعدَ رسول الله ﷺ فلا أعلم أحدا يوجب قتل من سُبَّ بعد رسول الله ﷺ .[8]

---

[1] انظر القسم الرابع ، الباب الأول.

[2] ص ١٥ .

[3] أي في مسألة سب النبي ﷺ .

[4] «الصارم المسلول» ، ص ١٦ .

[5] انظر كتاب «الشفا» للقاضي عياض ، القسم الرابع ، فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه ﷺ .

[6] رواه البخاري (٤٠٣٧) ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

[7] رواه أبو داود (٤٣٦٣) ، والنسائي (٤٠٨٣) ، وصححه الألباني رحمه الله.

[8] «الإشراف» لابن المنذر ، كتاب المرتد ، باب ما يجب على من سب نبي الله ﷺ (٦٠/٨) ، باختصار يسير ، وانظر «الإجماع» ، كتاب المرتد.

وكذا قال الخطابي ومحمد بن سحنون وأبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي ، حكى ذلك عنهم ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الصارم المسلول» ، ص ١٤-١٥.

المسألة الرابعة: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ معاداة له ، ومن المعلوم أن من عادا رسول الله ﷺ فقد عادا الله في الحقيقة ، لأن النبي ﷺ من أولياء الله ، ومن عادا وليا من أولياء الله فإنه معادٍ لله في الحقيقة ، فكيف بمن عادى خير أولياء الله تعالى وهو محمد ﷺ ؟!

قال النبي ﷺ : إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته **بالحرب**.[١]

المسألة الخامسة: أن المستهزئ بالنبي ﷺ حقيقٌ بعقوبة الله له في الدنيا قبل الآخرة ، وفي التاريخ شواهد على ذلك ، فقد روى الطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ ، قال:

المستهزئين: الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، وأبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى ، والحارث بن غيطل السهمي ، والعاص بن وائل السهمي ، فأتاه جبريل عليه السلام ، فشكاهم إليه رسول الله ﷺ ، فأراه أبا عمرو الوليد بن المغيرة ، فأومأ جبريل إلى أبجله[٢] فقال[٣]: ما صنعت شيئا.[٤]

قال: كفيتُكَه.

ثم أراه الحارث بن غيطل السهمي فأومأ إلى بطنه ، فقال: ما صنعت شيئا.

فقال: كفيتُكَه.

ثم أراه العاص بن وائل السهمي ، فأومأ إلى أَخْمُصِهِ[٥] ، فقال: ما صنعت شيئا.

فقال: كفيتُكَه.

فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يَرِيشُ[٦] نبلاً له ، فأصاب أبجله[٧] فقطعها.

---

[١] رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] قال ابن الأثير: الأبجل ؛ عرق في باطن الذراع ، وقيل: عرق غليظ في الرجل فيما بين العصب والعظم. انتهى مختصرا من «النهاية».

[٣] أي النبي ﷺ .

[٤] قول النبي ﷺ لجبريل (ما صنعت شيئا) ؛ أي بحسب علم النبي ﷺ ، وإلا فإنه صنع فيه وصنع ،كما سيتضح بعد أسطر.

[٥] الأخمُص هو الموضع من القدم الذي لا يلصق بالأرض إذا وطأها. انظر «النهاية».

[٦] أي ينحِتها لتستقيم. انظر «النهاية».

[٧] الأبجل عرق في باطن الذراع بين العصب والعظم. انظر «النهاية».

وأما الأسود بن عبد المطلب فعَمِي ، فمنهم من يقول عمي هكذا ، ومنهم من يقول: نزل تحت شجرة فجعل يقول: يا بني ، ألا تدفعون عني ، قد هلكت ، أُطعن بشوكٍ في عيني ، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئا ، فلم يزل كذلك حتى عَمِيت عيناه.

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها.

وأما الحارث بن غيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فِيهِ ، فمات منها.

وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوما حتى دخل في رجله شِبرِقة[1] حتى امتلأت منها فمات.

وفي رواية للبيهقي: فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة ، فدخلت في أخمص قدمه شوكة ، فقتلته.[2]

وعن أنس رض الله عنه قال: كان رجلا نصرانيا ، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبي ﷺ ، فعاد نصرانيا ، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فِعلُ محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا فألقَوه.

فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم ، فألقوه خارج القبر ، فحفروا له ، فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقَوه.[3]

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في «الصارمِ المسلولِ» معلقاً على القصة:

فهذا الملعونُ الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كَتب له ؛ قصمهُ اللهُ وفضحهُ بأن أخرجهُ من القبرِ بعد أن دُفن مراراً ، وهذا أمرٌ خارجٌ عن العادةِ ، يدلُ كلّ أحدٍ على أن هذا عقوبة لما قالهُ ، وأنه كان كاذباً ، إذ كان عامةُ الموتى لا يصيبهم مثل هذا ، وأن هذا الجُرمَ أعظمُ من مجرد الارتداد ، إذ كان عامةُ المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا ، وأن اللهَ منتقمٌ لرسولهِ ﷺ ممن طعن عليه وسبهُ ، ومُظهرٌ لدينه ، ولكذبِ الكاذبِ إذا لم يُمكن للناسِ أن يقيموا عليه الحد.[4]

وذكر القاضي عياض في «الشفا» أن فقهاء القيروان وأصحاب سحنون أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري ، وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم ، وكان يستهزئ بالله تعالى وأنبيائه ونبينا محمد ﷺ ، فأمر

---

[1] قال ابن الأثير في معناها: نبت حجازي يؤكل وله شوك. انظر «النهاية».

[2] رواه البيهقي في «الكبرى» (٨/٩) ، والطبراني في «الأوسط» ، باب من اسمه القاسم (١٧٣/٥) ، واللفظ للطبراني.

[3] رواه البخاري (٣٦١٧) ومسلم (٢٧٨١).

[4] ص ٢٣٣ .

القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء بقتله وصلبه ، فطعن بالسكين وصلب منكسا ، ثم أنزل وأحرق بالنار.

وحكى بعض المؤرخين أنه لما رُفِعت خشّبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحوّلته عن القبلة ، فكان آية للجميع وكبر الناس ، وجاء كلب فولغ في دمه.[1]

وحكى الشيخ العلامة أحمد شاكر أن خطيبا فصيحا مفوها أراد أن يثني على أحد كبار المسئولين لأنه احتفى بطه حسين ، فلم يجد إلا التعريض بالنبي ﷺ ، فقال في خطبته: جاءه الأعمى (أي طه حسين) ، فما عبس وما تولى.

قال الشيخ أحمد: ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجازيه جزاءه في الأخرى ، فأُقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين ، وبعد أن كان عاليا منتفخا مستعزا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء ؛ رأيته مهينا ذليلا خادما على باب مسجد من مساجد القاهرة ، يتلقى نعال المصلين ، يحفظها في ذلة وصغار.

وذكروا أن رجلا ذهب لنيل الشهادة العليا من جامعة غربية ، وكانت رسالته متعلقة بالنبي ﷺ ، وكان مُشرفه شانئا حانقا ، فأبى أن يمنحه الدرجة حتى يُضَمِّن رسالته انتقاصا للنبي ﷺ ، فضعفت نفسه وآثر الأولى على الآخرة ، فلما حاز شهادته ورجع إلى دياره فوجئ بهلاك جميع أولاده وأهله في حادث مفاجئ.

وصدق الله ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذِكْره.

المسألة السادسة: أن النبي ﷺ لم يسلم من السخرية والأذى والاعتداء منذ بعث إلى يومنا هذا، شأنه شأن إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم على الحق ، وصدق الله ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ ، فوصفوه بالجنون والكذب والسحر والشعر ، وغمزوه في عرضه الشريف ، ولكن الله عصمه من أذاهم ، قال تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ، وقال ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ ، وقال ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾.

---

[1] «الشفا» للقاضي عياض رحمه الله ، القسم الرابع ، الباب الأول.

ومن استهزائهم بالنبي ﷺ أنهم كانوا يسمونه مُذمّم بعد أن كانوا يسمونه بالأمين وبمحمد ، وفي هذا قال النبي ﷺ : ألم تروا كيف يصرف الله عني لعن قريش وشَتمهم؟ يشتمون مذمما ، وأنا محمد.[1]

وإيذاء النبي ﷺ والاستهزاء به ليس أمرا حديثا ، فقد استهزىء بالأنبياء قبله وأوذوا ، قال تعالى ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾.[2]

وقال تعالى لنبيه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾.[3]

ولهذا سلى الله نبيه فقال ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾.[4]

المسألة السابعة: أن الاستهزاء لا يضر الدين شيئا ، فدين الله سيبلغ ما بلغ الليل والنهار لا محالة ، كما روى الإمام أحمد عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر[5] ولا وبَرَ[6] إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز الله به الإسلام ، وذلا يذل الله به الكفر.[7]

المسألة الثامنة: أن من سب الرسول ﷺ مكرها فإنه لا يؤاخذ ، والدليل على ذلك أن عمار بن ياسر رضي الله عنه عذبه المشركون بمكة ليكفر بمحمد ﷺ ، فوافقهم في ظاهر القول مكرها ، ثم جاء معتذرا إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾[8].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته ، ويجوز له أن يأبى ، كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك ، وهم يفعلون به الأفاعيل. انتهى.

---

[1] رواه أحمد (٣٤٠/٢) ، وصححه محققو «المسند».

[2] سورة الأنعام: ١٠ .

[3] سورة الأحزاب: ٦٩ .

[4] سورة آل عمران: ١٨٦ .

[5] المدَر هي القرى والمدن ، واحدتها مدرة. انظر «النهاية».

[6] بيت الوبر هي الخيمة المصنوعة من وبر الإبل.

[7] (١٠٣/٤) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[8] سورة النحل: ١٠٦ .

المسألة التاسعة: ما ذكره ابن تيمية عن بعض أهل التجارب ؛ أن الكفار المحاربين إذا وقعوا في عرض النبي ﷺ جاء النصر ، قال رحمه الله في «الصارم المسلول»:

ونظيرُ هذا ما حدثناه أعدادٌ من المسلمين العُدول ، أهل الفقه والخبرة ، عما جربوهُ مراتٍ متعددةٍ في حصر الحصونِ والمدائنِ التي بالسواحلِ الشاميةِ ، لما حُصر فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصرُ الحصن أو المدينةَ الشهر أو أكثر من الشهرِ ، وهو ممتنعٌ علينا حتى نكادُ نيأسُ منه ، **حتى إذا تعرَّض أهلهُ لسبِّ رسولِ** اللهِ ﷺ **والوقيعة في عرضه تعجّلنا فتحه وتيسّر** ، ولم يكد يتأخرُ إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك ثم يُفتحُ المكانُ عَنْوةً ، ويكونُ فيهم مَلحمةٌ عظيمةٌ ، قالوا: **حتى إنا كنا لَنتباشر بتعجيلِ الفتحِ إذا سمعناهم يقعون فيه** ، مع امتلاءِ القلوب غيظاً بما قالوه فيه.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع أهل المغرب كذلك ، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده ، وتارة بأيدي عباده المؤمنين.[1]

المسألة العاشرة: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ مستلزم للاستهزاء بدين الإسلام الذي جاء به ، لأنه لولاه لما استُهزىء به ، ولأن النبي ﷺ علمٌ عليها ، ولأن الاستهزاء به ﷺ لم يَحدُث إلا بعد بعثته ، عافانا الله من ذلك.

---

[1] ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

الناقض الرابع[1]: **الوقوع في شيء من نواقض الإسلام** ، ورؤوس تلك النواقض عشرة ، قال الشيخ سليمان بن سحمان[2] رحمه الله:

ذكر أهل العلم نواقض الإسلام ، وذكر بعضهم أنها قريب من أربعمائة ناقض ، ولكن الذي أجمع عليه العلماء هو ما ذكره شيخ الإسلام ، وعَلم الهداة الأعلام ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام ، وأنها عشرة ، فقال رحمه الله:

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له ، قال الله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [3]، ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [4]، ومنه الذبح لغير الله ، كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم ، كفر إجماعا.

الثالث: من لم يكفر المشركين ، أو شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم ، كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حُكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء الرسول ﷺ – ولو عمل به – كفر.

---

[1] هنا رجوع للموضوع الأصلي ، وهو الكلام على نواقض الإيمان بالنبي ﷺ .

[2] هو الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح من آل عامر من قبيلة خثعم ، ولد في قرية السُّقا من بلدان أبها ، درس على الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، ودرس كذلك على ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ، ولازمهما عشر سنوات ، ودرس كذلك على الشيخ حمد بن عتيق سبعة عشر سنة ، كما درس على الشيخ حمد بن فارس ، ألف كتبا كثيرة تقرب من الأربعين كتابا ، وله أشعار كثيرة ، فقد كان أديبا بارعا ، وشاعرا خرّيتا ، سخر لسانه للدفاع عن عقيدة أهل السنة ، له دواوين في الدفاع عن الإسلام ، رد على قريب من خمسين ضالا بشعره ، فكان بحق «حسّان السنة» في زمانه.

توفي رحمه الله سنة ١٣٤٩ هجرية، وله من العمر ثمانون عاما.

ذُكِر أنه لما خرجت روحه شموا من جسده رائحة مسك طيبة لم يعهدوا مثلها.

انظر ترجمته في «تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان» ، حوادث سنة ١٣٤٩ هجري ، للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن رحمه الله ، وكذا كتاب «ابن سحمان ، تاريخ حياته ، وعلمه ، وتحقيق شعره» ، لمحمد بن حمد العقيل ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

[3] سورة النساء: ٤٨ .

[4] سورة المائدة: ٧٢ .

السادس: من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر ، والدليل قوله تعالى ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾[1].

السابع: السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به كفر ، والدليل قوله تعالى ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾[2].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين﴾[3].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وَسِع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾[4].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا وأكثر ما يكون وقوعًا ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ، ويخاف منها على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه. انتهى.[5]

قال مقيده عفا الله عنه: ومن نواقض الإسلام أيضا إنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة ، كإنكار وجوب الصلاة أو الزكاة أو الحج ، أو إنكار تحريم الخمر والسرقة ، أو إنكار شيء من أركان الإيمان، ونحو ذلك.

ولعل الشيخ لم يذكر هذا الناقض لأنها لم تكن واقعة في عهده بشكل صريح ، والذي يظهر من كلام الشيخ أنه اكتفى بذكر ما هو أكثر وقوعا ، كما قال في آخر كلامه.

---

[1] سورة التوبة: ٦٥ – ٦٦ .

[2] سورة البقرة: ١٠٢ .

[3] سورة المائدة: ٥١ .

[4] سورة السجدة: ٢٢ .

[5] «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٣٥٠ – ٣٦٢).

الناقض الخامس: الغلو فيه ﷺ ، وفيه ثمانية مباحث:

الأول: تعريف الغلو لغة وشرعا

الثاني: تأصيل في حقوق الأنبياء الشرعية

الثالث: مقدمة في الغلو

الرابع: أقسام الناس في تعظيم النبي ﷺ

الخامس: تحذير النبي ﷺ من الغلو فيه

السادس: اتباع الصحابة لنبيهم في اجتناب الغلو في الأنبياء والصالحين

السابع: بيان أهم مظاهر الغلو في الأنبياء والصالحين مما هو من الشرك بالله ، ورؤوسها ستة

الثامن: فصل في بيان مظاهر محرمة في الغلو بالنبي ﷺ مما هو دون الشرك بالله ، ورؤوسها ثلاثة عشرة

تفصيل

المبحث الأول: تعريف الغلو لغة وشرعا

الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد ، وفي الشرع مجاوزة الحد الشرعي في باب الاعتقاد أو العبادة ، والذي يعنينا في هذا السياق هو مجاوزة الحد في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، والعلة في النهي عن الغلو ألا يصل الأمر إلى حد اتخاذه شريكا مع الله ، بصرف شيء من خصائص الله له ، سواء من الصفات كصفة علم الغيب ، أو من العبادات كالدعاء أو الذبح أو النذر له ، فهذا كله محرم ومخرج من ملة الإسلام ، فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارِك هو الاعتراف له بالكمال المطلق ، والغنى المطلق ، والتصرف المطلق من جميع الوجوه ، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه ، فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبًا من هذه الأشياء ؛ فقد ساوى به رب العالمين ، ووقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة قبل الممات.[1]

[1] انظر ما قاله ابن تيمية في تعريف الغلو في «اقتضاء الصراط المستقيم» ، ص ١٠٦ تحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله.

المبحث الثاني: خطر الغلو

الغلو في الصالحين – عموما – هو الذي أدى بكثير من الأمم إلى الوقوع في الشرك ، بدءا من قوم نوح إلى أمة محمد ﷺ ، فقد كان منشأُ الشرك في عهد نوح عليه الصلاة والسلام من تعظيم الصالحين ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا[1] أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالِسهم التي كانوا يجلسون أنصابا[2] ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم[3] عُبدت.[4]

وروى ابن جرير بإسناده إلى الثوري عن موسى عن محمد بن قيس أنه قال عن يغوث ويعوق ونسرا: كانوا قومًا صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوّروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس ، فقال: إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر ، **فعبدوهم**.[5]

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.[6]

وبعد نشوء الشرك وعبادة الأصنام في قوم نوح تتابع الناس على ذلك وانتشر بينهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ ، أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل[7] ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحِمير لآل ذي الكلاع.[8]

---

[1] أي ماتوا.

[2] أي اصنعوا أنصابا ، وهي تماثيل تصنع على هيئتهم ثم تنصب في المجالس ليراها الناس فيقتدوا بهم في أفعالهم! وهكذا دخل عليهم الشيطان.

[3] أي تحول من حال إلى حال. انظر «النهاية».

قال مقيده: وسبب التحول والتحريف هو عدم الحفظ.

[4] رواه البخاري (٤٩٢٠).

[5] «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة نوح: ٢٤ .

[6] «إغاثة اللهفان» ، (١٨٤/١) ، تحقيق محمد حامد الفقي.

[7] موضع في شمال جزيرة العرب.

[8] رواه البخاري (٤٩٢٠).

وقال قتادة: كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح ، **ثم اتخذها العرب بعد ذلك.**[1]

وبناء على ما تقدم من الحقائق التاريخية ، فقد قرر ابن القيم في «زاد المعاد» أن غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور.[2]

فصل

ولما كان الغلو من أعظم أسباب الانحراف ، سواء كان في حق من كانوا أنبياء أو من ليسوا بأنبياء ؛ نهى الله أهل الكتاب عن ذلك ، قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾.[3]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي لا تُجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تُطروا[4] من أُمرتم بتعظيمه ، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية ، كما صنعتم في المسيح ، وهو نبي من الأنبياء ، فجعلتموه إلها من دون الله ، وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم ، شيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً. انتهى.

وقال في تفسير آية النساء ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾:

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله ، يعبدونه كما يعبدونه ، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه ، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً ، أو ضلالاً أو رشاداً ، أو صحيحاً أو كذباً ، ولهذا قال الله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾.

ثم ساق حديث عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[5] انتهى.

وسيأتي في المبحث الخامس سرد مزيد أحاديث نبوية في نهي النبي ﷺ عن الغلو.

---

[1] «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة نوح: ٢٤ ، (٢٥٤/١٢).

[2] «زاد المعاد» (٤٥٨/٣).

[3] سورة المائدة: ٧٧ .

[4] الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.

[5] رواه البخاري (٣٤٤٥) واللفظ له ، وأحمد (٥٥/١) ، والدارمي (٢٧٨٧).

المبحث الثالث: تأصيل في حقوق الأنبياء

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم[1] رحمه الله في معرض كلام له عن حقوق الأنبياء صلى الله عليهم وسلم:

فإن فضلهم وحياتهم وكرامتهم ونبوتهم ورسالتهم لا تقتضي صرف حق الله لهم ، وتنزيلهم منزلة الملك الخلاق في القصد والدعاء والخوف والرجاء والرغبة والرهبة ، ولا يوجب ذلك صرف الوجوه عن علام الغيوب إليهم في شيء من المطالب والمقاصد الإلٰهية التي بيده تعالى وتقدس ، بل ذلك لله وحده لا شريك له ، لا يشرَكه فيه نبي مرسل ، ولا ملَك مقرب ولا غيرهما ، وقد قال تعالى لأكرم خلقه وأفضل رسله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾.[2]

والغلو قد لا يصل إلى الكفر ، بل يكون في دائرة البدع الغير مكفرة ، فلا يعتبر الواقع فيه مرتكب لشيء من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ ، بل يكون قادح فيه ، منتقص لأجره ، محتمل لِوِزرِ الغلو.

وإن مما امتاز به هذا الدين الوسطية في كل شيء ، فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا إجحاف ، قال تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: والوسط هنا المراد به الخيار والأجود ، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً ودارا ، أي خيرها.

---

[1] الشيخ عبد الرحمٰن من علماء نجد المعروفين ، ولد سنة ١٣١٩ هجري ، ودرس على يد جملة من علماء نجد ، تميز الشيخ بخدمة التراث العلمي من مصادره ثم تحقيقه وطباعته ، أبرزها فتاوى ابن تيمية ، جمعها في خمسة وثلاثين مجلدا عدا الفهارس ، وطبعت على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٨١ هجري ، وكذا جمع فتاوى علماء نجد بدءا من الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر إلى العلماء المعاصرين في زمنه ، وهي المعروفة بـ «الدرر السنية في الفتاوى النجدية» ، وتقع في ستة عشر مجلدا ، وطبعت على نفقة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود سنة ١٣٥٦ هجري ، وجمع الشيخ أيضا فتاوى مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في ثلاثة عشر جزءا ، وطبعت بأمر من الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله في عام ١٣٩٠ هجري.

وللشيخ مؤلفات وشروحات في العقيدة وأصول التفسير والفقه والحديث والنحو ، قد نفع الله بها كثيرا واستفاد منها المسلمون ، رحمه الله وأجزل ثوابه.

توفي الشيخ عبد الرحمٰن سنة ١٣٩٢ هجري رحمه الله رحمة واسعة.

[2] «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً ؛ خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب ، كما قال تعالى ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول عليكم شهيدا وتكونوا شهداء على الناس﴾.[1]

المبحث الرابع: أقسام الناس في تعظيم النبي ﷺ

ينقسم الناس في معاملة النبي ﷺ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول هم أهل الجفاء الذين يهضمونه حقه ، ولا يقومون بحقه الواجب من الحب والموالاة له والتوقير والتبجيل، وهؤلاء **نوعان؛**

الأول أهل المعاصي والغفلة، المعرضون عن طاعته (صلى الله عليه وسلم).

والنوع الثاني هم غلاة أهل البدع من الصوفية الباطنية، الذين فضلوا الأولياء والأقطاب على النبي (صلى الله عليه وسلم).

والقسم الثاني هم أهل الغلو الذين يرفعونه فوق منزلته التي أنزله الله إياها ، وهم الذين يرفعونه فوق منزلته التي أنزله الله إياها، فصرفوا له خالص حق الله تعالى من أفعال العباد، من دعاء ونذر وذبح وغير ذلك، أو وصفوه بصفات الله الخاصة به كعلم الغيب ونحو ذلك، ويغلب هذا في عُباد القبور.

والقسم الثالث أهل الحق، وهم أهل الطريق الوسط، الذين يحبون النبي (صلى الله عليه وسلم) ويوالونه ويقومون بحقوقه الشرعية ، ويتبرأون من الغلو فيه.

المبحث الخامس: تحذير النبي ﷺ من الغلو فيه

وقد كان النبي ﷺ يزجر الناس ويحذرهم عن الغلو فيه في حياته وحتى سياق الموت ، وسنقتصر هنا على ذكر عشرة أحاديث:

١. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[2]

والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.[3]

---

[1] «تفسير القرآن العظيم» ، سورة البقرة: ١٢٩ ، باختصار يسير.

[2] تقدم تخريجه.

[3] انظر «النهاية في غريب الحديث».

قال الشيخ أحمد بن يحيى النجمي[1] رحمه الله:

والإطراء هو أن يُرفع فوق منزلته ، ويُعطى أكثر من حقه.

وقد فرَّق الله بين حقه الخاص به والحق المشترك بينه وبين رسوله ﷺ فقال تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾.

فجعل الطاعة مشتركة بينه وبين رسوله ، وخص نفسه بالخشية والاتقاء ، **لأن هاتين الخصلتين من خصائصه سبحانه وتعالى.**[2]

٢. وعن قيس بن سعد رضي الله عنه قال: أتيت الحِيرة[3] ، فرأيتهم يسجدون لمرزُبان[4] لهم فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك ، قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟

قلت: لا.

قال: فلا تفعلوا ، لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله عليهن من الحق.[5]

٣. ولما قدم معاذ رضي الله عنه من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟

فقال: أتيت الشام ، فوجدتهم يسجدون لأساقفتهم[6] وبطارقتهم[7] ، فأردت أن أفعل ذلك بك.

قال: فلا تفعل ، فإني لو أمرت شيئا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.[8]

---

[1] أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي ، من أهالي قرية النجامية في جنوب المملكة العربية السعودية ، مولده في ١٣٤٦ هـ ، من مشايخه: عبد الله القرعاوي ، والشيخ حافظ حكمي ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهم الله.

كان فقيها محدثا ، له عدة مؤلفات منها: «تنزية الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة) ، «رسالة في حكم الجهر بالبسملة» ، «المورد العدب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال». ، توفي عام سنة ١٤٢٩ هـ رحمه الله رحمة واسعة.

[2] «أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة» ، ص ٢٩٥ – ٣٠٠ ، باختصار وتصرف يسير.

[3] الحيرة بلد معروف بالعراق آنذاك.

[4] المرزبان هو الفارس الشجاع ، وهو مقدم عندهم.

[5] رواه أبو داود (٢١٤٠) ، والدارمي في «كتاب الصلاة» (١٤٣٥) ، والحاكم (١٨٧/٢) ، وصححه الألباني.

[6] الأساقفة جمع أُسقف – بضم الهمزة – ، وهو رئيس النصارى في الدين. انظر «لسان العرب».

[7] بطارقة جمع بِطريق ، بكسر الباء ، ويقال بطريك ، وهو من المقدمين عند النصارى. انظر «لسان العرب» و «المعجم الوسيط».

[8] رواه ابن ماجه (١٨٥٣) وابن حبان (٤١٧١) ، وحسنه الشيخ الألباني كما في «الإرواء» (٥٥/٧) ، وكذا الشيخ شعيب كما في حاشيته على «صحيح ابن حبان».

٤. وعن ابن بريدة عن أبيه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، إيذن لي فلأسجد لك.

قال: لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة تسجد لزوجها.[١]

وقد تكرر هذا الفعل عدة مرات أمام النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ ينكره في كل مرة أشد الإنكار.[٢]

٥. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت.

فقال له النبي ﷺ : أجعلتني والله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده.[٣]

وفي لفظ: جعلت لله ندا؟ ما شاء الله وحده.[٤]

٦. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ : إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت ، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت.[٥]

٧. وعن طُفيل بن سَخبرة رضي الله عنها أخي عائشة لأمها ، أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن اليهود.

قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عزيرا ابن الله.

فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن النصارى.

فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله.

قالوا: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

فلما أصبح أخبر بها من أخبر ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: هل أخبرت بها أحدا؟

---

[١] رواه الدارمي في كتاب الصلاة ، باب النهي أن يسجد لأحد ، (١٤٣٦).

[٢] انظر ما رواه الدارمي في كتاب الصلاة ، باب النهي أن يسجد لأحد عن قيس بن سعد ، والحديث الآخر عن ابن بريدة عن أبيه.
وانظر أيضا ما رواه ابن ماجه (١٨٥٢) وابن أبي شيبة كلاهما في كتاب النكاح عن عائشة رضي الله عنها.
وانظر أيضا ما رواه الترمذي (١١٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣] رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨) ، وأحمد (٢١٤/١) ، واللفظ له ، وصححه لغيره محققو «المسند» ، وخرجه الألباني في «الصحيحة» (١٣٩) ، ولفظ النسائي: أجعلتني لله عدلاً؟

[٤] رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٤).

[٥] رواه ابن ماجه (٢١١٧) ، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ، (١٠٩٣).

قال عفان[1]: قال: نعم ، فلما صلوا خطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: إن طفيلا رأى رؤيا ، فأخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها ، قال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد.[2]

٨. وعن خالد بن ذكوان قال: قالت الرُّبيّع بنت مُعوّذ: جاء النبيُّ ﷺ يدخل حين بُنِيَ عليَّ[3] ، فجلسَ على فِراشي كمجلِسكَ[4] منّي ، فجعلتْ جُوَيْرِياتٌ[5] لنا يَضربنَ بالدُفِّ ويَندُبنَ[6] مَن قُتلَ من آبائي يومَ بدرٍ ، إذ قالت إحداهنَّ: وفينا نبيٌّ يَعلمُ ما في غَدِ.

فقال: دَعي هذِهِ وقولي بالذي كنتِ تقولين.[7]

وفي لفظ قال: أَمَّا هٰذَا فَلاَ تَقُولُوهُ ، مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّه.[8]

وأخرج الطبراني في «الأوسط» من حديث عائشة أن النبي ﷺ مر بنساء من الأنصار في عرس لهنَّ يُغَنّين:

وأهدى لها كبشاً تنحنح في المِربد[9] وزَوجُكُمُ في النادي[10] ويعلمُ ما في غدِ

فقال رسولَ الله ﷺ : لا يعلم ما في غدٍ إلا الله.[11]

٩. ولم يقف النبي ﷺ عند هذا ، فقد نهى عن مدحه بما فيه من الخصال سدًّا لباب الغلو فيه ، فكيف بمن مدحه بما ليس فيه ، كمن نسب له شيئا من خصائص الربوبية أو الألوهية؟!

فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا.

---

[1] وهو الذي روى عنه أحمد ، وهو عفان بن مسلم الصفار.

[2] رواه أحمد (٥/٧٢) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٨) ، وكذا محققو «المسند».

[3] أي دخل عليها زوجُها ليلة زفافها.

[4] لم يأتِ في الحديث بيان من هو المخاطَب ، والظاهر أنه خالد بن ذكوان ، راوي الحديث عن عائشة ، رضي الله عنها.

[5] الجُويرية تصغير جارية ، والمقصود بنيات صغيرات.

[6] النّدب هو عَدُّ خصال الميت.

[7] قال ابن حجر رحمه الله: فيه إشارة إلى جواز سماع المدح والمرثية مما ليس فيه مبالغة تفضي إلى الغلو.

[8] رواه البخاري (٥١٤٧) ، واللفظ الآخر لابن ماجه (١٨٩٧) وصححه الألباني.

[9] المربد: هو الموضع الذي تحبس فيه الغنم والإبل. انظر «النهاية».

[10] النادي: هو مجتمع القوم وأهل المجلس. انظر «النهاية».

[11] رقم (٣٤٠١) ، وحسَّن إسناده ابن حجر في «الفتح» ، شرح حديث رقم (٥١٤٧).

فقال: السيد الله تبارك وتعالى.

قلنا: وأفضلنا فضلا ، وأعظمُنا طَولا[1].

فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان.[2]

١٠. وعن أنس رضي الله عنه أن أناسا قالوا: يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال: يا أيها الناس ، عليكم بتقواكم[3] ، لا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني.[4]

ففي هذين الحديثين وغيرهما نرى كيف سد النبي ﷺ طرق الغلو بأن نهى عن مجرد الزيادة في مدحه وإن كان المدح منصبا على ما فيه من الخصال ، فهو سيد ولد آدم وخير الناس وأفضلهم ، ولكن لما كان ذلك المدح يفضي إلى الغلو فيه وربما عبادته ، نهاهم عنه ، وقال لهم: لا يَستجرينَّكم الشيطان ، أي لا يتدرج بكم ويستزلكم إلى الغلو فيَّ.

قال الشيخ صالح آل الشيخ في «كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد»:

فإن في سنة النبي عليه الصلاة والسلام من الدلائل على قاعدة سد الذرائع ما يبلغ مائة دليل أو أكثر ، وأعظم الذرائع التي يجب أن تسد ذرائع الشرك التي توصل إليه ، ومن تلك الذرائع قول القائل: أنت سيدنا وابن سيدنا ، وخيرنا وابن خيرنا ونحو ذلك.[5]

١١. وعن جابر رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد ، وأبو بكر يُسمِع الناس تكبيره ، فالتفت إلينا فرآنا قياما فأشار إلينا فقعدنا ، فصلينا بصلاته قعودا ، فلما سلّم

---

[1] أي أعظمُنا عطاءً وعلُواً على الأعداء ، انظر شرح الحديث في «عون المعبود».

[2] رواه أبو داود (٤٨٠٦) ، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٦) ، وأحمد (٢٤/٤ – ٢٥) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١) ، وصححه الألباني.

[3] أي عليكم بمراعاة تقوى الله في أقوالكم.

واللفظ الآخر لأحمد وهو لفظ ابن حبان: (قولوا بقولكم) ، أي تكلموا بما يحضركم من القول ، ولا تتكلفوا ، كأنكم وكلاء الشيطان ورسله ، تنطقون عن لسانه. نقلا من حاشية «المسند» (١٦٧/٢١).

[4] رواه أحمد (١٥٣/٣ ، ٢٤١) ، واللفظ له ، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٨) (٢٤٩) ، وابن حبان (٦٢٤٠) ، وصححه محققو «المسند» وقالوا: على شرط مسلم. (٢٣/٢٠).

[5] شرح «باب حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك».

قال: إن كدتم آنفا لتفعلون فعل فارس والروم ؛ يقومون على ملوكهم وهم قعود ، فلا تفعلوا ، ائتموا بأئمتكم ، إن صلى قائما فصلوا قياما ، وإن صلى قاعدا فصلُّوا قعودا.[1]

قال ابن تيمية رحمه الله: فإذا كان قد نهاهم مع قعوده – وإن كانوا قاموا في الصلاة – حتى لا يتشبهوا بمن يقومون بعظمائهم ، وبيّن أن من سَرَّه القيام له كان من أهل النار ، فكيف بما فيه[2] من السجود له ، ومن وضع الرأس[3] وتقبيل الأيادي؟[4]

---

[1] رواه مسلم (٤١٣).

[2] أي في القيام للمعَظَّمين.

[3] أي خفضِه وطأطأته.

[4] «مجموع الفتاوى» (٩٣/٢٧).

المبحث السادس: اتباع الصحابة لنبيهم في اجتناب الغلو في الأنبياء والصالحين

وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على هدي نبيهم في **التحرز من الغلو في الأنبياء والصالحين** ، ومن ذلك تعميتهم لقبر «دانيال» وهو **نبي من أنبياء بني إسرائيل** وجد الصحابة قبره في «تُستَر»[1] لما فتحوها ، فما كان منهم إلا أن أخفوا قبره حتى لا يفتتن به الناس إذا وجدوه فيغلون في تعظيمه ، وقصته رواها محمد بن إسحاق في «مغازيه»[2] عن خالد بن دينار قال: حدثنا أبو العالية قال:

لما فتحنا «تُستر» وجدنا في بيت مال الهرمزان[3] سريرا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف ، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب ، فدعا له كعبا فنسخه بالعربية[4] ، فأنا أول رجل من العرب قرأه قراءةً مثل ما أقرأ القرآن هذا ، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟

قال: سِيَرُكم وأموركم ولحون كلامكم[5] وما هو كائن بعد.

قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينبشونه.

قلت: وما يرجون منه؟

قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون.

قلت: من كنتم تظنون الرجل؟

قال: رجل يقال له دانيال.

قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟

قال: منذ ثلاثمائة سنة ما تغير منه شيء؟

قال: لا ، إلا شعرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليه الأرض ولا تأكله السباع.

---

[1] هي مدينة في خوزستان فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر رضي الله عنه ، والخوز هم أهلها وأهل نواحي الأهواز بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان. انظر «معجم البلدان» ، مادة: خوز.

[2] ص ٦٦ – ٦٧ ، تحقيق سهيل زكار.

[3] أطلق العرب لقب الهرمزان على الكبير من ملوك العجم. انظر «المعجم الوسيط».

[4] أي ترجمه إليها.

[5] لحن الكلام هو معناه وفحواه. انظر «النهاية».

قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية ، ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظاً منذ ثلثمائة سنة فليس بنبي ، بل هو رجل صالح ، لأن عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في «البخاري» ، والفترة التي كانت بينهما كانت أربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة ، وقيل ستمائة وعشرون سنة ، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال ، إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر ، فإنه قد يكون رجلاً آخر إما من الأنبياء أو الصالحين ، ولكن قربت الظنون أنه دانيال ، لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس فأقام عنده مسجونا كما تقدم.

وقد روي بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شبر.

وعن أنس بن مالك بإسناد جيد أن طول أنفه ذراع.

فيحتمل على هذا أن يكون رجلا من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد ، والله أعلم.[1]

فالشاهد من القصة هو ما فعله الصحابة رضوان الله عليهم من تعمية قبر ذاك النبي لئلا يفتتن به الناس إذا علموا أنه قبر نبي فيغلون في تعظيم قبره ، الأمر الذي قد يؤدي إلى عبادته من دون الله أو مع الله ، فسَدَّ الصحابة ذلك الباب بأن عمَّوا قبره تماما.

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحرق الزنادقة الذين قالوا أنه هو الله ، كما روى ابن حجر في «الجزء الثالث» من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قوما على باب المسجد يدّعون أنك ربهم!

فدعاهم فقال لهم: ويلكم ، ما تقولون؟

قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا!

فقال: ويلكم ، إنما أنا عبد مثلكم ، آكل الطعام كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، إن أطعت الله أثابني إن شاء ، وإن عصيته خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله وارجعوا.

فأبوا ، فلما كان الغد غدوا عليه ، فجاء قَنبر[2] فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام.

فقال: أدخِلهم.

---

[1] «البداية والنهاية» ، (٢/٤٠) ، ذكر شيء من خبر دانيال عليه السلام.

[2] قَنبر هو مولى لعلي رضي الله عنه.

فقالوا كذلك.[1]

فلما كان الثالث[2] قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قِتلة.

فأبوا إلا ذلك ، فأمر بفَعَلة[3] مَعهم مَرُورهم[4] ، فخد لهم أخدودا بين باب المسجد والقصر ، وقال: (أحفروا) ، فأبعدوا في الأرض ، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارِحِكم فيها أو ترجعوا.

فأبوا أن يرجعوا ، فقذف بهم فيها ، حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قَنبرا

ثم قال الحافظ: وهذا سند حسن.[5]

---

[1] أي كقولهم في اليوم الأول.

[2] أي اليوم الثالث.

[3] الفَعلة صفة غالبة على عملة الطين والحفر ونحوهما. انظر «لسان العرب».

[4] المَرُّ هو المسحاة. انظر «لسان العرب».

[5] «فتح الباري» شرح حديث (٦٩٢٢) ، باختصار يسير.

ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (الناشر: دار الفكر - بيروت) (٤٢/٤٧٥-٤٧٦) في (ترجمة علي بن أبي طالب) ، والأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/٣٤٢-٣٤٣) (الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت) عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء أناس إلى علي بن أبي طالب من الشيعة ، فذكره بنحوه.

فائدة: قال السمعاني في «الأنساب» (٥/٣٩٦) (الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت) في النسبة إلى (النصيري):

وهذه النسبة لطائفة من غلاة الشيعة يقال لهم النصيرية ، والنسبة إليها نُصيري ، وهذه الطائفة ينتسبون إلى رجل اسمه نُصير ، وكان في جماعة قريبا من سبعة عشر نفسا كانوا يزعمون أن **عليا هو الله** ، وهؤلاء شر الشيعة ، وكان ذلك في زمن علي ، فحذّرهم وقال: إن لم ترجعوا عن هذا القول وتجددوا إسلامكم وإلا عاقبتكم عقوبة ما سُمِع مثلها في الإسلام.

ثم أمر بأخدود ، وحُفِر في رَحَبة جامع الكوفة ، فأشعل فيه النار ، وأمرهم بالرجوع فما رجعوا ، فأمر غلامه قنبر حتى ألقاهم في النار ، فهرب واحد من الجماعة اسمه نصير ، واشتهر هذا الكفر منه ، وأن عليا لما ألقاهم في النار التفت واحد وقال: الآن تحققت أنه هو الله ، لأنه بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: لا يعذب بالنار إلا ربُّها ، وكان علي يرميهم في النار وينشد:

إني إذا أبصرت أمرا منكرا أوقدت ناري ودعوت قَنبرا

ولما بلغ ابن عباس ما فعل علي رضي الله عنه قال: لو كنت مكان علي رضي الله عنه كنت أقتلهم وما كنت أحرقهم.

وهذه الطائفة بالحديثة ، بلدة على الفرات.

سمعت الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني شيخ الزيدية بالكوفة يقول: لما انصرفت من الشام دخلت الحديثة مجتازا ، فسألوا عن اسمي فقلت: عمر ، فأرادوا أن يقتلوني لأن اسمي عمر ، حتى قلت إني علوي وإني كوفي ، فتخلصت منهم ، وإلا كادوا أن يقتلوني.

انتهى كلام السمعاني.

وعلى هذا سار أئمة الهدى ، قال علي بن عبد الله الطيالسي: مسحت يدي على أحمد بن حنبل ، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر[1] ، فغضب غضبا شديدا ، وجعل ينفض نفسه ويقول: (عمن أخذتم هذا؟!) ، وأنكره إنكارا شديدا.[2]

فالحاصل من هذه الأحاديث والآثار هو تحريم الغلو في النبي ﷺ ، ومن باب أولى من هم دونه من الصالحين.

وروى البخاري بسنده عن عكرمة قال: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعذبوا بعذاب الله) ، ولقتلتهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه). «صحيح البخاري» (٦٩٢٢).

[1] أي بقصد التبرك كما يفعله بعض الناس هداهم الله!

[2] «طبقات الحنابلة» (٢١٦/١) ، ترجمة رقم (٣١٦) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

المبحث السابع: بيان أهم مظاهر الغلو في النبي ﷺ مما هو من الشرك بالله

ومظاهر الغلو في النبي ﷺ كثيرة ، بعضها يعتبر من نواقض الإسلام ، وفاعله يعتبر في حكم الإسلام مشركا ، وبعضها يدخل في حيز البدع الغير مكفرة ، وصاحبها من أهل الكبائر ، أما المظاهر المكفرة المشتهرة فستة ، وهي كالتالي على سبيل الإجمال:

المظهر الأول: دعاء النبي ﷺ ، كقول: (يا نبي الله أغثني) ونحو ذلك ، فهذا شرك ، لأن الدعاء عبادة ، قال ﷺ: الدعاء هو العبادة ، وقرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ إلى قوله ﴿داخرين﴾.[1]

فمن صرف دعاءه لغير الله فهو ضال مشرك ، ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾.

المظهر الثاني: الذبح له ﷺ ، والذبح لغير الله شرك ، لأن الذبح عبادة ، وجميع العبادات لا يجوز صرفها إلا لله ، قال تعالى ﴿فصل لربك وانحر﴾.

المظهر الثالث: الطواف حول قبره ﷺ ، وهذا شرك أيضا ، لأن الطواف عبادة ، لا يجوز صرفه إلا لله ، والطواف حول القبر النبوي متعذر في هذه الأزمنة بسبب الحاجز الذي وضعته الحكومة السعودية ، جزاها الله خيرا.

والطواف الشرعي لا يجوز إلا لله وحده ، ومحله حول الكعبة الشريفة ، ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ ، فمن طاف لغير الله – أيا كان ذلك المُطاف به – فقد أشرك.

المظهر الرابع: النذر له ﷺ ، وهذا شرك ، والنذر لا يجوز إلا لله ، كما قال ﷺ : لا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله عز وجل.[2]

المظهر الخامس: دعوى الربوبية فيه ﷺ ، كقول أنه يخلق أو يرزق أو يدبر الأمر ، وهذا شرك ظاهر ، وهو من أقبح أنواع الشرك ، والله هو المتفرد بالربوبية على خلقه سبحانه وتعالى.

---

[1] رواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٢٩٦٩) وغيرهما عن النعمان بن بشير ، وصححه الشيخ الألباني.

[2] رواه أحمد (١٨٥/٢) ، وأبو داود (٣٢٧٣) ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، وحسنه الشيخ الألباني وكذا محققو «المسند».

المظهر السادس: ادعاء علم الغيب له ﷺ ، سواء في حياته أو بعد مماته ، وهذا شرك في توحيد الأسماء والصفات ، وعلم الغيب خاص بالله تعالى ، ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ ، فمن وصف غير الله بهذه الصفة فقد رد خبر القرآن ، وجعل لله شريكا فيما هو من خصائص الله.

المبحث الثامن: بيان مظاهر محرمة في الغلو بالنبي ﷺ مما هو دون الشرك بالله ، ورؤوسها ثلاثة عشر مظهرا

وهناك مظاهر محرمة في الغلو بالنبي ﷺ تدخل في حيز البدع ، وبعضها في حيز الكبائر التي دون البدع ، وليست هي من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ ، ولا مكفرات بحد ذاتها ، ولكنها تؤدي إليه ، ففاعلها على خطر عظيم ، فلهذا حذر منها النبي ﷺ ، لأن من قواعد الشريعة أن ما كان وسيلة إلى محرم فهو محرم ، والوسائل لها أحكام المقاصد.

المظهر الأول: اتخاذ قبره مسجدا ، أي مكانا يصلى فيه ، وهذا متعذر بحمد الله بسبب الحجرة النبوية والحاجز الحديدي المحيط بها ، والدليل على تحريم اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدا حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس[1] يقول: ... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فأني أنهاكم عن ذلك.[2]

ولهذا دَفن الصحابة رسول الله ﷺ في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في المقبرة لئلا يُتخذ قبره مصلى ، وقد صرحت عائشة بهذه العلة كما سيأتي ، رضي الله عنها وعن أبيها.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

قالت: لولا ذلك أُبرز قبره غير أنه خُشي أن يتخذ مسجدا.[3]

المظهر الثاني: بناء مسجد على قبره ﷺ ، وهذا لم يحصل بحمد الله ، فالنبي ﷺ مدفون بحجرة عائشة ، قد كان بين الحجرة والمسجد باب يدخل منه النبي ﷺ ويخرج ، ودليل تحريم بناء مسجد على قبره ﷺ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها

---

[1] أي خمس ليال.

[2] رواه مسلم (٥٣٢).

[3] رواه البخاري (١٣٣٠) ، ومسلم (٥٢٩) واللفظ له ، وأحمد (٨٠/٦) ، والنسائي (٧٠٢) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (١١٨١٩).

بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة.[1]
قال ابن عبد البر رحمه الله: هذا يُحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد.[2]

المظهر الثالث: دعاء الله عند قبره ﷺ ، والذين يفعلون هذا يظنون أن الدعاء عند قبره قريب للاستجابة ، وهذا قول على الله بغير علم ، ولهذا أنكره سبط النبي ﷺ ، فقد رآى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رجلاً يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها **فيدعو** فنهاه فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وسلموا عليَّ ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.[3]
قال ابن تيمية رحمه الله: فهذا علي بن الحسين ، زين العابدين ، وهو من أجل التابعين علما ودينا ، حتى قال الزهري: ما رأيت هاشميا مثله ، وهو يذكر هذا الحديث بإسناده ، ولفظه: لا تتخذوا بيتي عيدا ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم.
وهذا يقتضي أنه لا مزية للسلام عليه عند بيته ، كما لا مزية للصلاة عليه عند بيته[4] ، بل قد نهى عن تخصيص بيته بهذا وهذا.[5]

المظهر الرابع: طلب الدعاء منه ﷺ بعد مماته ، وهذا سفه في العقل ، لأن النبي ﷺ قد مات بنص القرآن وإجماع الصحابة ، والميت ليس له اتصال بالحياة الدنيا البتة ، بل هو في حياة برزخية ، لا يعلم كُنهها إلا الله ، ولو أن النبي ﷺ يدعو لمن طلب منه الدعاء لفعل ذلك الصحابة رضوان الله

---

[1] رواه البخاري (١٣٤١) ، ومسلم (٥٢٨) واللفظ له ، والنسائي (٧٠٣) ، وأحمد (٥١/٦) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٨١٤).

[2] «التمهيد» ، كتاب الجامع ، باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة ، (٣٢٦/١٤) ، الناشر: دار الفاروق الحديثة – مصر.

[3] رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٦١/١) رقم (٤٦٩) ، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (٢٠) ، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٥٤١) ، وعنه الحافظ الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤٢٨) ، وقال الألباني في تحقيقه عليه: حديث صحيح بطرقه وشواهده ، وقد خرجتها في «تحذير الساجد» ، ص (٩٨-٩٩).

[4] يشير إلى حديث: لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ... الخ.

[5] «الرد على الإخنائي» ، ص ٢٦٥ .

عليهم ، لاسيما وقد دهمتهم نوائب ، وأصابتهم خطوب ، ولم يرد عنهم طلب دعاء ولا غيره ، بل يُصلون ويُسلمون عليه في اليوم والليلة ، ويتبعون أمره ويجتنبون نهيه ، ولم يرد عنهم غير ذلك البتة.

المظهر الخامس: الحلف به ﷺ ، وهذا محرم ، وقد يكون شركا مخرجا من الملة وقد لا يكون بحسب قصد الحالف ، فإن كان الحالف معظما للمحلوف به كما يعظم الله فقد أشرك ، لأنه ساوى بين الله وبين خلقه في المنزلة ، وإن كان دون ذلك فهو من الشرك الأصغر الذي هو من كبار الذنوب ، عافانا الله من ذلك ، والدليل على تحريم الحلف بغير الله حديث سعد بن عبيدة أن ابن عمر سمع رجلا يقول: لا والكعبة ، فقال ابن عمر: لا يُحلف بغير الله ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.[1]

المظهر السادس: اتخاذ قبره ﷺ عيدا ، أي معاودة قبره كل يوم أو كل أسبوع ونحو ذلك ، فهذا محرم لأنه من الزيادة في التعظيم فوق القدر المشروع ، ودليل التحريم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تتخذوا قبري عيدا ، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا ، وحيثما كنتم فصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني.[2]

والمأثور عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يزور القبر النبوي كلما جاء من سفر أو أراد سفرا ، وعلى هذا فما يفعله بعض الناس – من زوار المدينة خصوصا — من ارتياد القبر النبوي كل يوم ، أو بعد كل فريضة ؛ فهذا مخالف للشريعة ، وليس من التعظيم المشروع في شيء.

المظهر السابع: السفر إلى قبره ﷺ ، وهذا محرم ، لقوله عليه الصلاة والسلام: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجد الأقصى ، ومسجدي هذا[3].[4]

فعلى هذا فمن أراد السفر للمدينة فلتكن نيته شد الرحال للمسجد النبوي لا القبر النبوي ، وبعد زيارة المسجد النبوي يجوز له زيارة القبر النبوي، ولكن لا يجعل نيته السفر له ابتداء، فمن نوى بقلبه

---

[1] رواه الترمذي (١٥٣٥) واللفظ له ، وأبو داود (٣٢٥١) ، وأحمد (١٢٥/٢) ، وصححه الألباني.

[2] رواه أحمد (٣٦٧/٢) ، وأبو داود (٢٠٤٢) ، واللفظ لأحمد ، وسنده حسن كما قال الألباني في «الجنائز» ، وقال: وهو صحيح بما له من طرق وشواهد ، ثم ساقها.

[3] أي المسجد النبوي.

[4] رواه البخاري (١٩٩٥) ومسلم (٨٢٧) والترمذي (٣٢٦) وابن ماجه (١٤١٠) وأحمد (٤٥/٣) عن أبي سعيد رضي الله عنه ، ورواه البخاري (١١٨٩) ومسلم (١٣٩٧) وأبو داود (٢٠٣٣) والنسائي (٦٩٩) والدارمي في كتاب الصلاة عن أبي هريرة.

شد الرحل إلى القبر النبوي فقد تقرب بعملٍ لم تحث عليه الشريعة، وهو مردود عليه، غير مقبول، فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)، وعليه فإذا دخل المسلم المسجد النبوي وصلى فيه فقد تم قصده، فله بعدها أن يزور القبر النبوي ويسلم على النبي (صلى الله عليه وسلم) وعلى صاحبيه، وله أن يذهب إلى مسجد قباء ويصلي فيه ركعتين، كما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يفعل، وله أن يزور مقبرة البقيع ويسلم على أهلها، وكذلك مقبرة شهداء أحد، كما يزور غيرها من المقابر لأجل الاتعاظ والسلام على أهلها.

المظهر الثامن: تعظيم الأماكن التي مر بها ﷺ أو صلى عندها ، فهذا محرم ، لأنه من التعلق بالجمادات ، فعن المعرور بن سُوَيد قال: خرجنا مع عمر في حَجة حَجها ، فقرأ بنا في الفجر ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ ، و ﴿لإيلاف قريش﴾ ، فلما قضى حَجّه ورجع والناس يبتدرون[1] ، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجدٌ صلى فيه رسول الله ﷺ .

فقال: هكذا هلك أهل الكتاب ، اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً[2] ، من عَرضت له منكم الصلاة فليُصلِّ ، ومن لم تعرض له منكم فيه الصلاة فلا يُصلّ.[3]

وفي روايةٍ: أنه رأى أناسٌ ينزِلون فيُصلون في مسجدٍ ، فسأل عنهم فقالوا: مسجدٌ صلى فيه النبي ﷺ .

فقال: **إنما هلك من كان قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بِيعاً** ، من مرّ بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليُصل ، وإلا فليمضِ.[4]

ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ أصحابه أرسل فقطعها ، رواه ابن وضاح في كتابه فقال: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع

---

[1] أي: يبتدِرون مكاناً يقصدونه للصلاة والعبادة.

[2] جمع بيعة بكسر الباء ، وهي كنيسةُ للنصارى. انظر «مختار الصحاح» ، مادة: «بيع».

[3] هذه رواية ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٣/٢).

[4] هذه رواية عبد الرزاق في «المصنف» (١١٨/٢) رقم (٢٧٣٤) ، ورواه ابن وضاح بسنده في «البدع والنهي عنها» ، باب ما جاء في اتّباع الأذان ، وعزاه ابن تيمية في «الاقتضاء» (٧٥١/٢) إلى «سنن سعيد بن منصور» ، وليس في القسم المطبوع منه ، فلعله في المفقود.

والأثر صححه ابن تيمية رحمه الله كما في «الرد على البكري» (٤٣٣/٢) ، وكذا ابن حجر في الفتح (٦٧٨/١) شرح أثر رقم (٤٨٣) ، والألباني في «فضائل الشام ودمشق» ، ص ٥٠ ، (ط ١ ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض) ، وقال في إسنادَي سعيد بن منصور وابن وضاح: إسناد صحيح على شرط الشيخين.

الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها ، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها ، فخاف عليهم الفتنة.[1]

المظهر التاسع: التبرك بقبره ﷺ ، بالتمسح بجدران حجرته والحديد المحيط بها ونحو ذلك ابتغاء البركة[٢] ، وهذا باطل من وجهين ؛ الأول أن الله لم يجعل البركة في التمسح بها ، ولم يرد به دليل لا في الكتاب ولا في السنة ، ثم إنه من التعلق بالجمادات ، بل قد ورد النص في النهي عن ذلك ، فعن أبي واقد الليثي ، أن رسول الله ﷺ خرج وأصحابه إلى حنين ، فمروا بشجرة خضراء عظيمة يقال لها ذات أنواط[٣] ، كان المشركون يعكفون عندها ويتبركون بها ويعلقون عليها سيوفهم ، معتقدين أن ذلك يزيدها مضاءً فقالوا: يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.
فقال النبي ﷺ : سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى ﴿اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة﴾ ، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم.[4]
وروي عن أنس رضي الله عنه أنه رأى رجلا وضع يده على قبر النبي ﷺ فنهاه وقال: ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ .[٥]
وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر بدأ بقبر النبي ﷺ ، فصلى عليه وسلم ودعا له **ولا يمس القبر** ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم قال: السلام عليك يا أبتِ.[٦]
وروى أبو الحسن علي بن عمر القزويني في «أماليه» عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ .[٧]

---

[1] «البدع والنهي عنها» ، برقم (١٠٦) ، وجزم ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٣/٢٧) بثبوت خبر عمر في قطع الشجرة.

[٢] ينبغي التنبه إلى أن التبرك بالقبور على ضربين ؛ **الأول** تبرك به معتقدا أنه يأتي بالبركة من دون الله ، فهذا شرك أكبر في الربوبية ، لأن البركة رزق ، وجميع الأرزاق لا يأتي بها إلا الله ، فمن نسب ذلك لغير الله فقد اتخذه شريكا.
والثاني: مس القبر أو غيره اعتقادا أنه سبب لحصول البركة ، فهذا شرك أصغر ، لأنه وسيلة للقسم الأول ، ولأن الله لم يجعل التمسح سببا ، فهو نسبة شيء إلى الله لم يأذن به ، والواجب ترك هذا كله.

[٣] الأنواط هي الأغصان.

[4] رواه الترمذي (٢١٨٠) واللفظ له ، وأحمد (٢١٨/٥) ، وصححه الألباني.

[٥] قاله نور الدين السمهودي في «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» ، (١٤٠٢/٤) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

[٦] (٨٨/٨ – ٨٩) برقم (٣٨٥٤).

[٧] نقلا من «الرد على الإخنائي» ، ص ٤١٣ – ٤١٤ .

المظهر العاشر: التوسل به ﷺ ، أي بذاته ، كقول: (اللهم إني أتوسل بجاه نبيك أن ترزقني الولد أو تسقينا الغيث) ، فهذا من التوسل البدعي ، لأن النبي ﷺ لم يُعلّمنا أن نتوسل بذاته بل علمنا أن نتوسل بثلاثة وسائل: إما بطلب الدعاء منه ﷺ ، وهذا متعذر بعد موته ، أو بعمل صالح قام به الداعي نفسه ، أو بأسماء الله الحسنى ، أما التوسل بأعمال الآخرين أو بذواتهم فلم يرد إطلاقا ، لا في الكتاب ولا في السنة ، وما لم يرد في الكتاب ولا في السنة فالتعبد به بدعة كما تقرر آنفا.

المظهر الحادي عشر: ومن مظاهر الغلو بالنبي ﷺ اعتقاد أن الله ما خلق الدنيا إلا لأجله ، وقد جاء في تقرير هذا الأمر حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ ، وهو الحديث الذي رواه ابن عساكر[1] وابن الجوزي في «الموضوعات»[2] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه وفيه: ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأُعرِّفهم كرامتك ومنزلتك عندي ، **ولولاكَ يا محمد ما خلقتُ الدنيا**.

ورواه الديلمي[3] مختصرا عن ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه:

وعزتي وجلالي لولاك ما خلقتُ الجنة ، ولولاكَ ما خلقتُ الدنيا.

والجواب أن هذا حديث موضوع ، كما قال السيوطي في «اللآلىء المصنوعة»[4] ، والألباني في «الضعيفة»[5].

تنبيه: الكراهة عند السلف تعني التحريم كما هي طريقة القرآن ﴿وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾.

انظر «إعلام الموقعين» للإمام ابن القيم (٥٢/١) ، (فصل: تحريم القول على الله بغير علم – قد يطلق لفظ الكراهة على التحريم) ، و «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٢٤١/٣٢) ، و «المذكرة في أصول الفقه» للشنقيطي ، ص ٢٢ ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة.

وتعريف الكراهة عند العلماء المتأخرين: ما يثاب تاركه ، ولا يعاقب عليه فاعله.

وبعض أهل العلم يعرفون المكروه بأنه ما تركه خير من فعله ، أو ما نُهي عنه نهيا غير جازم.

انظر «شرح الورقات» ، ص ٣٩ ، للشيخ د. سعد بن ناصر الشثري حفظه الله ، الناشر: كنوز أشبيليا – الرياض.

[1] انظر «تاريخ دمشق» (٥١٨/٣).

[2] انظر «كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» (١٩/٢) ، كتاب الفضائل والمثالب ، باب: حديث آخر في فضله على الأنبياء.

[3] انظر «مسند الفردوس» (رقم ٨٠٣١).

[4] (٢٧٢/١).

[5] (٤٥١/١).

والحق الذي لا مرية فيه أن الحكمة من خلق الجنة والنار والناس كلهم هي العبادة وليست خلق محمد ﷺ ، هذا مع الإقرار بِعِظم قدره ﷺ، والدليل قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا **ليعبدون**﴾ ، وقوله ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش **ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾.

المظهر الثاني عشر: ومن مظاهر الغلو بالنبي ﷺ اعتقاد أن الله خلقه من نور ، وقد نسب بعضهم إلى عبد الرزاق في «المصنف» حديثا عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله: بأبي أنت وأمي ، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء.

قال: يا جابر ، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء **نور نبيك من نوره** ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس ، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسَّم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلَق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السماوات ، ومن الثاني الأرَضين ، ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسَّم الرابع أربعة أجزاء ؛ فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد: لا إلـه إلا الله ، محمد رسول الله ...الخ.

والجواب: أن هذا الحديث باطل ، قد بيَّن بطلانه الشيخ العلامة محمد أحمد عبد القادر الشنقيطي بدلالة العقل والنقل في رسالته المسماة «تنبيه الحُذاق على بـــطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرازق» ، وقد قدم لها الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله – ، وقال:

وكل من تأمل الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة علِم يقيناً أن هذا الخبر من **جملة الأباطيل** التي لا أساس لها من الصحة ، وقد أغنى الله نبيه ﷺ عن مثل هذا بما أقام من الدلائل القاطعة ، والبراهين الساطعة ، والمعجزات الباهرة على صحة نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام ، كما أغناه عن هذا الخبر المكذوب وأشباهه بما وهبه من الشمائل العظيمة والصفات الكريمة والأخلاق الرفيعة التي لا يشاركه فيها أحد من قبله ولا ممن بعده ، فهو سيد ولد آدم ، وخاتم المرسلين ، ورسول الله إلى جميع

الثقلَين ، وصاحب الشفاعة العظمى ، والمقام المحمود يوم القيامة ، إلى غير ذلك من خصائصه وشمائله وفضائله الكثيرة صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله ونصر دينه وذبّ عن شريعته وحارب ما خالفها.[1]

١ نقلا من حاشية الشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله على «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» ، ص ٣٤ .

المظهر الثالث عشر: الاحتفال بذكرى مولده ﷺ ، وهذا المظهر يعتبر من المظاهر البدعية المشتهرة في بلاد المسلمين ، وقد أنكره علماء الإسلام على مر العصور ، وبينوا أنه من التشبه بالكفار من النصارى في ميلاد عيسى عليه السلام ، فإن النصارى تحتفل بيوم مولد عيسى ويتخذونه عيداً ، وذلك بإيقاد الشموع وصنع الطعام وارتكاب المحرمات وفعل الموبقات من شرب للخمور وفعل الفواحش وغير ذلك من القبائح.

وقد صرح بعضهم معللاً مشروعية الاحتفال بفعل المولد بقوله: (إذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً أكبر فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر) ، وهذا الكلام مردود على صاحبه ، فقد حذر النبي ﷺ من مشابهة اليهود والنصارى في عباداتهم وخصوصياتهم ، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

قالوا: يا رسول الله ، اليهود والنصارى؟

قال: فمن؟[1]

أي فمن القوم غير أولئك.

ثم إن المولد النبوي لو كان خيرا لفعله الصحابة والتابعون الذين هم أشد الناس تعظيما للنبي ﷺ ، والواقع أن المسلمين لم يعرفوه في القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، ولم يدخل عليهم إلا في بداية القرن الرابع ، فلو كان خيرا لسبق إليه الصحابة والتابعون ، فالأمر كما قال الأول:

وخير الأمور السابقات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

والموالد تتضمن منكرات عدة ، على رأسها القصائد الشركية ، والتي تتضمن عبارات التوسل والاستشفاع والاستغاثة بالنبي ﷺ ، ووصفه بالمتصرف في هذا الكون وأول الموجودات ، والقطب الذي تدور عليه الأفلاك ، والغاية التي من أجلها وجد هذا الكون ، وتشبيهه بالله في أمور ، كعلم الغيب ، وتدبير أمر الآخرة ، إلى غير ذلك من الافتراءات والأباطيل التي شُحنت بها تلك القصائد.

وأشهر القصائد التي تتضمن ذلك وصارت يتناقلها الناس على مر القرون هي القصيدة المعروفة بـ «البردة» لشاعر يقال له محمد بن سعد البوصيري المصري ، عاش في الفترة ما بين ٦٠٨ – ٦٩٦

[1] رواه البخاري (٣٢٦٩) ومسلم (٢٦٦٩).

هجرية ، ألف هذه القصيدة ، والتجأ بأبيات فيها إلى النبي ﷺ ، والتاذ به من كربات يوم القيامة ، وطلب منه الشفاعة في الآخرة ، وادّعى بأن الدنيا والآخرة ملك له ، وأنه يعلم الغيب ، وذكر طوام عدة ، وأقوال كفرية تقشعر لسماعها جلود الموحدين ، وهذه القصيدة كثيرا ما يرددها أهل الموالد ، والتي يسمونها بالموالد النبوية ، يظنونها تقربهم إلى الله ، وتحيي في قلوبهم محبة النبي ﷺ ، وهي في الحقيقة لا تزيدهم إلا بعدا ، بل هي الكفر بعينه.

وقد أنكر كثير من أهل العلم عليه قصيدته أشد الإنكار وحذروا الناس منها ، إذ أن التفوُّه بتلك الأبيات والرضا بسماعها مفضٍ إلى الكفر ، وهو أعظم من منكر حضور المولد بحد ذاته ، منهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله في «تفسير سورة الفاتحة» ، والشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[2] في كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»[3] ، وكذا العلامة المجدد عبد الرحمٰن بن حسن[4] في كتابه «فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد»[1] ، والشيخ

---

[1] الشيخ محمد من المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري ، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا ، ونفع به وبمؤلفاته ، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه ، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالٌ عليه إلى يومنا هذا .

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، وانظر لزاما كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود .

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٧٨-٤٢٩) ، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩).

[2] هو العلامة الفقيه المحدث الأصولي ، حفيد إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة ١٢٠٠ هـ ، نشأ في الدرعية في وسط علمي زاخر بجهابذة العلماء ، له عدة مؤلفات ، من أشهرها كتابه «تيسير العزيز الحميد» ، وهو شرح نفيس على كتاب «التوحيد» لجده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والكتاب على مدى ثلاث قرون ينهل منه العلماء وطلبة العلم إلى وقتنا هذا ، وهو عمدة في علم توحيد العبادة ، ومن بعده عيال عليه.

وله أيضا حاشية على كتاب «المقنع» في الفقه في ثلاث مجلدات ضخام ، وله غيرها ، توفي رحمه الله سنة ١٢٣٤ هـ وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

انظر ترجمته موسعة في كتاب «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، وله ترجمة في مقدمة كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» بقلم محققه الشيخ أسامة بن عطايا العتيبي.

[3] انظر باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

[4] هو الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة ١١٩٦ هـ في الدرعية ، نشأ في بيت جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودرس عليه وعلى أعمامه التوحيد والحديث والفقه ، كما درس الحديث على بعض المشايخ في مصر ، كالشيخ حسن القويسيني ، والشيخ عبد الرحمٰن الجبرتي ، والشيخ عبد الله باسودان ، وكذا قرأ على مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري ، وقد أجازه هؤلاء المشايخ بجميع مروياتهم.

عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن[٢] في كتابه «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» ، وكذا العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين[٣] في كتابه «الرد على البردة»[٤] ، والعلامة الشوكاني[٥] في كتابه «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ، والعلامة محمود شكري

كما درس الشيخ عبد الرحمٰن على مشايخ آخرين في مصر في النحو والقراءات وغيرها.

وقد تتلمذ على الشيخ عبد الرحمٰن جما غفيرا من الطلبة ، أبرزهم ابنه الشيخ عبد اللطيف.

وللشيخ عبد الرحمٰن عدة مصنفات ، أشهرها كتابه «فتح المجيد» ، وهو مختصر لكتاب ابن عمه ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد» ، وله أيضا «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» ، وهو حاشية على كتاب التوحيد.

كما ألف الشيخ عبد الرحمٰن رسائل كثيرة ، وهي مبثوثة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» ، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

توفي رحمه الله عام ١٢٨٥ هـ بعد أن أبلى بلاء حسنا في نصرة الإسلام ، ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص ، ودحض البدع والشركيات في نجد وغيرها.

انظر ترجمته في مقدمة كتاب «فتح المجيد» بتحقيق أشرف بن عبد المقصود ، والترجمة لحفيده ، الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن حسن ، رحمهم الله.

[١] انظر باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وترك دينهم هو الغلو في الصالحين.

[٢] تقدم التعريف به.

[٣] هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، ولد سنة ١١٩٤ هـ في روضة سدير ، تتلمذ على بعض تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تولى القضاء والافتاء ، وصار من أكابر علماء نجد ، حتى لُقِّب بـ «مفتي الديار النجدية» ، برع في الفقه ، ودرَّس في بلاد كثيرة ، وله تلامذة كثر ، منهم أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٣٢٩ هـ) ، شارح نونية ابن القيم ، وعثمان بن عبد الله بن بشر (١٢٩٠ هـ) ، المؤرخ المعروف ، له عدة كتب في الذب عن العقيدة الإسلامية ، منها «الانتصار لحزب الله الموحدين ، والرد على المجادل عن المشركين» ، وكتاب «الرد على البردة» ، وكتاب «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وله رسائل وردود بعضها مثبت في كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» ، وبعضها مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، توفي في شقراء سنة ١٢٨٢ هجرية ، رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار وزيادة من ترجمته المذكورة في مقدمة كتابه « تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وهي من إعداد د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله ، وانظر للتوسع في ترجمته كتاب «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، مفتي الديار النجدية» ، تأليف د. علي بن محمد العجلان ، الناشر: دار الصميعي – الرياض.

[٤] هو مطبوع بهذا العنوان ، وملحق به رسالة: «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، مفتي الديار النجدية».

[٥] هو الشيخ الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، اليمني ، درس على شيوخ كثر في فنون كثيرة ، وألف كتبا كثيرة منها «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» ، وفي التفسير له كتاب «فتح القدير» ، وطُبع له مجموع فتاوى بعنوان «الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني» ، وله رد على أرباب القول باتحاد الخالق والمخلوق في كتاب «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات

الألوسي[1] في كتابه «غاية الأماني في الرد على النبهاني»[2] ، والشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم[3] في كتابه «السيف المسلول على عابد الرسول» ، والشيخ محمد بن عثيمين[4] في كتابه «القول المفيد على كتاب التوحيد» ، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان[5] في كتابه «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» ، والشيخ د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف حفظه الله في مقال له[6] ، وغيرهم[7] ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم.

أرباب الاتحاد» ، وغيرها من الكتب والرسائل التي بلغت ١١٤ مؤلفا ، توفي رحمه الله سنة ١٢٥٠ . انظر ترجمته لنفسه في «البدر الطالع» ، وانظر «الأعلام» للزركلي (٢٩٨/٦).

[1] هو أبو المعالي ، محمود شكري بن السيد عبد الله الألوسي البغدادي ، له عدة مؤلفات في الذب عن عقيدة التوحيد الصافية ، منها «غاية الأماني في الرد على النبهاني» ، و «فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب» ، و «صب العذاب على من سب الأصحاب» و «كنز السعادة في شرح كلمتي الشهادة» ، وغيرها من الكتب.

وأبو المعالي هو حفيد أبي الثناء محمود الألوسي ، المتوفى عام ١٢٧٠ ، صاحب التفسير المعروف «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني». توفي أبو المعالي رحمه الله سنة ١٣٤٢ هـ.

[2] (٤٢٣/٢) ، وهو من منشورات مكتبة الرشد بالرياض ، بتحقيق الداني بن منير آل زهوي.

[3] تقدمت ترجمته.

[4] هو الشيخ الأصولي الفقيه المفسر محمد بن صالح بن عثيمين ، من علماء القرن الخامس عشر الهجري ، برّز في العقيدة والفقه والتفسير ، نفع الله به الناس في زمانه نفعا عظيما ، وانتشر علمه في الآفاق ، سواء منه ما كان مسجلا على الأشرطة أو ما كان مدونا في الكتب ، له طلبة كثر ، جُمعت فتاواه ورسائله فوقعت إلى حين كتابة هذه الأسطر في ٢٩ مجلدا ، وبعد وفاته استؤجرت قناة فضائية لبث علمه ، فتضاعف انتشار علمه على ما كان في حياته ، وهذا من دلائل الإخلاص ، نحسبه كذلك ، والله حسيبه ، والله يؤتي فضله من يشاء.

وانظر ترجمته في كتاب «ابن عثيمين الإمام الزاهد» للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

[5] هو الشيخ الفقيه الذاب عن دين الله ، العالم في العقيدة والفقه ، المقدم في علوم الشريعة ، طالما دافع عن العقيدة الإسلامية ورد على أهل البدع ، جمعت ردوده فوقعت في ثلاث مجلدات ، له مؤلفات كثيرة في فنون متنوعة ، أوصى بالرجوع إليه الشيخان الجليلان عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين قبيل وفاتهما ، حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين.

[6] مقال الشيخ عبد العزيز يقع في آخر كتاب «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال» ، الناشر: المنتدى الإسلامي – لندن ، وهو بعنوان «قوادح عقدية في بردة البوصيري».

[7] هناك بحث عام في آخر كتاب «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال» في بيان الانحرافات الواقعة في قصائد المديح النبوي للشيخ سليمان بن عبد العزيز الفريجي بعنوان «مظاهر الغلو في قصائد المديح النبوي» ، فليراجعه من أراد الاستزادة.

تنبيه هام

والموالد – تتضمن منكرات عدة غير التغني بتلك القصائد ، فهم يعتقدون أن النبي ﷺ يحضر المولد إما بجسده – كما يدعيه بعضهم – أو بروحه ، كما يدعيه البعض الآخر منهم.

ومن المنكرات التي تتضمنها الموالد الرقص الصوفي ، وضرب الدفوف ، والتزمير بالمزامير ، والذكر البدعي وليس هذا بغريب ، فالإنحراف تتسع دائرته شيئا فشيئا ، وأهل البدع قلبوا دين الله ، فجعلوا المنكر معروفا والمعروف منكرا ، وقلدهم في ذلك جهلة الناس وضعاف النفوس والعقول من العامة والدهماء.

وللفائدة ؛ فقد جمع أحد الباحثين بعض فتاوى أهل العلم في حكم الاحتفال بالمولد النبوي فوقعت في مجلدين ، فليرجع إليها من أراد الاستفادة.[1]

وفيما يلي فتوى جامعة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، حفظه الله ، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية في حكم الاحتفال بما يسمى بالمولد النبوي.

[1] اسم الكتاب المشار إليه هو «رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي» ، وهو من منشورات دار العاصمة – الرياض.

فتوى جامعة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان في حكم الاحتفال بما يسمى بالمولد النبوي

حكم الاحتفال بذكرى المولد النبوي[1]

الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فلا يخفى ما ورد في الكتاب والسنة من الأمر باتباع ما شرعه الله ورسوله ، والنهي عن الابتداع في الدين ، قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[2]، وقال تعالى ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون﴾[3] ، وقال تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[4] ، وقال ﷺ : (إن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها) ، وقال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، وفي رواية لمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).

وإن من جملة ما أحدثه الناس من البدع المنكرة ؛ الاحتفال بذكرى المولد النبوي في شهر ربيع الأول ، وهم في هذا الاحتفال على أنواع:

فمنهم من يجعله مجرد اجتماع تُقرأ فيه قصة المولد ، أو تُقدم فيه خطب وقصائد في هذه المناسبة.

ومنهم من يصنع الطعام والحلوى وغير ذلك ، ويقدمه لمن حضر.

ومنهم من يقيمه في المساجد ، ومنهم من يقيمه في البيوت.

ومنهم من لا يقتصر على ما ذكر ، فيجعل هذا الاجتماع مشتملاً على محرمات ومنكرات من اختلاط الرجال بالنساء ، والرقص والغناء ، أو أعمال شركية ، كالاستغاثة بالرسول ﷺ وندائه والاستنصار به على الأعداء وغير ذلك.

---

[1] تقع هذه الفتوى في كتاب «حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال» ، ص ١٣٩ وما بعدها ، الناشر: المنتدى الإسلامي – لندن.

[2] سورة آل عمران: ٣١ .

[3] سورة الأعراف: ٣ .

[4] سورة الأنعام: ١٥٣ .

وهو[1] بجميع أنواعه واختلاف أشكاله واختلاف مقاصد فاعليه لا شك ولا ريب أنه بدعة محرمة محدثة أحدثها الشيعة الفاطميون بعد القرون الثلاثة المفضلة لإفساد دين المسلمين ، وأول من أظهره بعدهم الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري ملك إربل في آخر القرن السادس أو أول القرن السابع الهجري ، كما ذكره المؤرخون ، كابن كثير وابن خلكان وغيرهما.

وقال أبو شامة: وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا ، أحد الصالحين المشهورين ، وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية» في ترجمة سعيد كوكبوري:

وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً ...

إلى أن قال: قال السبط:

حكى بعض من حضر سِماط[2] المظفر في بعض الموالد أنه كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة ألف زبدية[3] ، وثلاثين ألف صحن حلوى ...

إلى أن قال: ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر ، ويرقص بنفسه معهم.[4]

وقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: (فإذا كان أول صَفر زينوا تلك القِباب بأنواع الزينة الفاخرة المتجملة ، وقعد في كل قبة جَوق[5] من الأغاني ، وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، ولم يتركوا طبقة من تلك الطبقات (طبقة القباب) حتى رتبوا فيها جوقاً ، وتبطل معايش الناس في تلك المدة ، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم ..

إلى أن قال: فإذا كان قبل يوم المولد بيومين أُخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف ، وزَفّها[6] بجميع ما عنده من الطبول والأغاني والملاهي ، حتى يأتي بها إلى الميدان ..

إلى أن قال: فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة).

---

[1] أي الاحتفال بالمولد النبوي.

[2] السِّماط هو المائدة.

[3] الزِّبدية وعاء يحثر فيه اللبن. انظر «المعجم الوسيط».

[4] انتهى كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله.

[5] الجوق هم كل خليط من رعاء الناس أمرهم واحد. انظر «المعجم الوسيط».

[6] زفها أي ذهب بها. انظر «المعجم الوسيط».

فتوى جامعة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان في حكم الاحتفال بما يسمى بالمولد النبوي

فهذا مبدأ حدوث الاحتفال وإحيائه بمناسبة ذكرى المولد ، حدث متأخراً ومقترناً باللهو والسرف وإضاعة الأموال والأوقات وراء بدعة ما أنزل الله بها من سلطان.

والذي يليق بالمسلم إنما هو إحياء السنن وإماتة البدع ، وألا يُقدم على عمل حتى يعلم حكم الله فيه.

فتوى جامعة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان في حكم الاحتفال بما يسمى بالمولد النبوي

حكم الاحتفال بذكرى المولد النبوي

الاحتفال بمناسبة مولد الرسول ﷺ ممنوع ومردود من عدة وجوه:

أولاً: أنه لم يكن من سنة الرسول ﷺ ولا من سنة خلفائه ، وما كان كذلك فهو من البدع المنهوعة، لقوله ﷺ : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة.

والاحتفال بالمولد محدث ، أحدثه الشيعة الفاطميون بعد القرون المفضلة لإفساد المسلمين ، ومن فعل شيئاً يتقرب به إلى الله تعالى ، لم يفعله الرسول ﷺ ، ولم يأمر به ، ولم يفعله خلفاؤه من بعده ؛ فقد تضمن فِعله إتهام الرسول بأنه لم يبين للناس دينهم ، وتكذيب قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[1] ، لأنه جاء بزيادة يزعم أنها من الدين ولم يأت بها الرسول ﷺ .

ثانياً: في الاحتفال بذكرى المولد تشبه بالنصارى ، لأنهم يحتفلون بذكرى مولد المسيح عليه السلام ، والتشبه بهم محرم أشد التحريم ، ففي الحديث النهي عن التشبه بالكفار ، والأمر بمخالفتهم ، فقد قال ﷺ : (من تشبه بقوم فهو منهم) ، وقال: (خالفوا المشركين) ، ولاسيما فيما هو من شعائر دينهم.

ثالثاً: أن الاحتفال بذكرى مولد الرسول مع كونه بدعة وتشبهاً بالنصارى – وكل منهما محرم – فهو كذلك وسيلة إلى الغلو والمبالغة في تعظيمه حتى يفضي إلى دعائه والاستغاثة به من دون الله ، كما هو الواقع الآن من كثير ممن يحيون بدعة المولد ، من دعاء الرسول من دون الله ، وطلب المدد منه ، وإنشاء القصائد الشركية في مدحه ، كقصيدة البردة وغيرها ، وقد نهى ﷺ عن الغلو في مدحه فقال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبدهُ ، فقولوا عبد الله ورسوله.

أي تغلو في مدحي وتعظيمي كما غلت النصارى في مدح المسيح وتعظيمه حتى عبدوه من دون الله ، وقد نهاهم الله عن ذلك بقوله: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾[2].

---

[1] سورة المائدة: ٣ .

[2] سورة النساء: ١٧١ .

ونهانا نبينا ﷺ عن الغلو خشية أن يصيبنا ما أصابهم ، فقال: إياكم والغلو ، فإنما هلك من كان قبلكم الغلو.

رابعًا: إن إحياء بدعة المولد يفتح الباب للبدع الأخرى والاشتغال بها عن السنن ، ولهذا تجد المبتدعة ينشطون في إحياء البدع ويكسلون عن السنن ، ويبغضونها ويعادون أهلها ، حتى صار دينهم كله ذكريات بدعية وموالد ، وانقسموا إلى فرق ، كل فرقة تحيي ذكرى موالد أئمتها ، كمولد البدوي وابن عربي والدسوقي والشاذلي ، وهكذا لا يفرغون من مولد إلا وينشغلون بآخر ، ونتج عن ذلك الغلو بهؤلاء الموتى وبغيرهم دعاؤهم من دون الله ، واعتقاد أنهم ينفعون ويضرون ، حتى انسلخوا من دين الإسلام وعادوا إلى دين أهل الجاهلية الذين قال الله فيهم: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[1] ، وقال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[2].

---

[1] سورة يونس: ١٨ .

[2] سورة الزمر: ٣ .

مناقشة شُبه مقيمي الموالد

يتعلق من يرى إحياء هذه البدعة بشُبهٍ أوهى من بيت العنكبوت ، ويمكن حصر تلك الشبُه فيما يلي:-

١- دعواهم أن في ذلك تعظيماً للنبي ﷺ .

والجواب عن ذلك أن نقول: إنما تعظيمه ﷺ بطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه ومحبته ﷺ ، وليس تعظيمه بالبدع والخرافات والمعاصي ، والاحتفال بذكرى المولد من هذا القبيل المذموم لأنه معصية ، وأشد الناس تعظيماً للنبي ﷺ هم الصحابة رضي الله عنهم ، كما قال عروة بن مسعود لقريش: أيْ قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمداً ﷺ ، والله إن تَنخم نخامة إلا وقعت في كفِّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له.

ومع هذا التعظيم ما جعلوا يوم مولده عيداً واحتفالاً ، ولو كان ذلك مشروعاً ما تركوه.

٢- الاحتجاج بأن هذا عمل كثير من الناس في كثير من البلدان.

والجواب عن ذلك أن نقول: الحجة بما ثبت عن الرسول ﷺ ، والثابت عن الرسول ﷺ النهي عن البدع عموماً ، وهذا منها ، وعمل الناس إذا خالف الدليل فليس بحجة وإن كثروا ، ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾[١] ، مع أنه لا يزال – بحمد الله – في كل عصر من ينكر هذه البدعة ويبين بطلانها ، فلا حجة بعمل من استمر على إحيائها بعد ما تبين له الحق.

فمِمَّن أنكر الاحتفال بهذه المناسبة شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» ، والإمام الشاطبي في «الإعتصام» ، وابن الحاج في «المدخل» ، والشيخ تاج الدين علي بن عمر اللخمي ألف في إنكاره كتاباً مستقلاً ، والشيخ محمد بشير السهسواني الهندي في كتابه «صيانة الإنسان» ، والسيد محمد رشيد رضا ألف فيه رسالة مستقلة ، والشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ ألف فيه رسالة مستقلة ، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وغير هؤلاء ممن لا يزالون يكتبون في إنكار هذه البدعة كل سنة في صفحات الجرائد والمجلات في الوقت الذي تقام فيه هذه البدعة.

---

[١] سورة الأنعام: ١١٦ .

٣- يقولون: إن في إقامة المولد إحياءً لذكر النبي ﷺ .

والجواب عن ذلك أن نقول: إن ذكرى الرسول ﷺ تتجدد مع المسلم ، ويرتبط بها المسلم كلما ذُكر اسمه ﷺ في الآذان والإقامة والخطب ، وكلما ردد المسلم الشهادتين بعد الوضوء ، وفي الصلوات، وكلما صلى على النبي ﷺ في صلواته وعند ذِكره ، وكلما عمل عملاً صالحاً واجباً أو مستحباً مما شرعه الرسول ﷺ فإنه بذلك يتذكره ، ويصل إليه من الأجر مثل أجر العامل ، وهكذا المسلم دائماً يحيي ذكرى الرسول ويرتبط به في الليل والنهار طوال عمره بما شرعه الله ، **لا في يوم مولده فقط** وبما هو بدعة ومخالفة لسنته ، فإن ذلك يُبعد عن الرسول ﷺ ويتبرأ منه ، والرسول ﷺ غني عن هذا الاحتفال البدعي بما شرعه الله له من تعظيمه وتوقيره كما في قوله تعالى ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[١] ، فلا يذكر الله عز وجل في أذان ولا إقامة ولا خطبة إلا ويذكر بعده الرسول ﷺ ، وكفى بذلك تعظيماً ومحبة وتحديداً لذكراه ، وحثاً على اتباعه.

والله سبحانه وتعالى لم يُنوه في القرآن بولادة الرسول ﷺ ، وإنما نوه ببعثته ، فقال ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾[٢] ، وقال ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم﴾[٣].

٤- قد يقولون: الاحتفال بذكرى المولد النبوي أحدثه ملك عادل عالم ، قصد به التقرب إلى الله!

والجواب عن ذلك أن نقول: البدعة لا تُقبل من أي أحد كان ، وحُسن القصد لا يُسوغ العمل السيئ ، وكونه عالماً وعادلاً لا يقتضي عصمته.

٥- قولهم: إن إقامة المولد من قبيل البدعة الحسنة ، لأنه ينبئ عن الشكر لله على وجود النبي الكريم!

ويجاب عن ذلك بأن يقال: ليس في البدع شيء حسن ، فقد قال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، وقال ﷺ : (فإن كل بدعة ضلالة) ، فحكم على البدع كلها بأنها ضلالة ، وهذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة ، بل هناك بدعة حسنة!

---

[١] سورة الشرح: ٤ .

[٢] سورة آل عمران: ١٦٤ .

[٣] سورة الجمعة: ٢ .

فتوى جامعة للشيخ صالح بن فوزان الفوزان في حكم الاحتفال بما يسمى بالمولد النبوي

قال الحافظ ابن رجب[1] في «شرح الأربعين»: فقوله ﷺ : (كل بدعة ضلالة) من جوامع الكلم ، لا يخرج عنه شيء[2] ، وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وهو شبيه بقوله ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة ، والدين برئ منه ، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة. انتهى.

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: نعمت البدعة هذه.

وقالوا أيضاً: إنها أحدثت شيئاً لم يستنكرها السلف ، مثل جمع القرآن في كتاب واحد ، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور لها أصل في الشرع ، فليست محدثة.

وقول عمر: (نعمت البدعة) ؛ يريد البدعة اللغوية لا الشرعية ، فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه إذا قيل إنه بدعة ؛ فهو بدعة لغة لا شرعاً ، لأن البدعة شرعاً ما ليس له أصل في الشرع يُرجع إليه.

وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع ، لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن ، لكن كان مكتوباً متفرقاً ، فجمعه الصحابة في كتاب واحد حفظاً له.

والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه ليالي وتخلف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم ، واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ، إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلف إمام واحد كما كانوا خلف النبي ﷺ ، وليس هذا بدعة في الدين.

---

[1] هو زين الدين أبو الفرج ، عبد الرحمٰن بن أحمد البغدادي ثم الدمشقي المعروف بابن رجب الحنبلي ، من علماء الشام الأفذاذ ، عاش في القرن الثامن الهجري ، بلغ عدة شيوخه أربعين شيخا ، منهم ابن القيم وابن عبد الهادي رحمهما الله ، برَّز في الحديث والفقه فصار من أعلام المذهب الحنبلي ، له مؤلفات عديدة أبرزها «فتح الباري شرح صحيح البخاري» ، و «القواعد الفقهية» و «شرح علل الترمذي» و«جامع العلوم والحكم» ، و «ذيل طبقات الحنابلة». جمع بعض الباحثين رسائله المتفرقة في مجموع يقع في خمسة مجلدات ، ونشرتها دار الفاروق الحديثة بمصر. ترجم له ابن حجر رحمه الله في كتابه «إنباء الغمر» وابن العماد في «شذرات الذهب». توفي ابن رجب رحمه الله في دمشق سنة ٧٩٥ هـ .

[2] أي لا يُستثنى شيء من البدع من هذا الأصل ، فكل بدعة ضلالة.

وكتابة الحديث أيضاً لها أصل في الشرع ، فقد أمر النبي ﷺ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طُلب منه ذلك ، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه ، فلما توفي ﷺ انتفى هذا المحذور ، لأن القرآن قد تكامل وضُبط قبل وفاته ﷺ ، فدون المسلمون السنة بعد ذلك حفظاً لها من الضياع ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً ، حيث حفظوا كتاب الله وسنة نبيهم ﷺ من الضياع وعبث العابثين.

ويقال أيضاً: لما تأخر القيام بهذا الشكر[1] – على زعمكم – ، فلم يقم به أفضل القرون من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، وهم أشد محبة للنبي ﷺ وأحرص على فعل الخير والقيام بالشكر ، فهل كان من أحدث بدعة المولد أهدى منهم وأعظم شكراً لله عز وجل؟ حاشا وكلا.

٦- قد يقولون: إن الاحتفال بذكرى مولده ﷺ ينبئ عن محبته ، فهو مظهر من مظاهرها ، وإظهار محبته ﷺ مشروع.

والجواب أن نقول: لا شك أن محبته ﷺ واجبة على كل مسلم أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين- بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه – ، ولكن ليس معنى ذلك أن نبتدع في ذلك شيئاً لم يشرعه لنا ، بل محبته تقتضي طاعته واتباعه ، فإن ذلك من أعظم مظاهر محبته ، كما قيل:

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحبَّ لمن يحب مطيع

فمحبته ﷺ تقتضي إحياء سنته ، والعض عليها بالنواجذ ، ومجانبة ما خالفها من الأقوال والأفعال ، ولا شك أن كل ما خالف سنته فهو بدعة مذمومة ومعصية ظاهرة ، ومن ذلك الاحتفال بذكرى مولده وغيره من البدع ، وحسن النية لا يبيح الإبتداع في الدين ، فإن الدين مبني على أصلين: الإخلاص والمتابعة ، قال تعالى ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[2] ، فإسلام الوجه هو الإخلاص لله ، والإحسان هو المتابعة للرسول وإصابة السنة.

---

[1] انظر شبهة رقم ٥ .

[2] سورة البقرة: ١١٢ .

٧- ومن شبههم أنهم يقولون: إن في إحياء ذكرى المولد وقراءة سيرة الرسول ﷺ في هذه المناسبة حثاً على الإقتداء والتأسي به!

فنقول لهم: إن قراءة سيرة الرسول ﷺ والتأسي به مطلوبان من المسلم دائماً طوال السنة وطِوال الحياة ، أما تخصيص يوم معين لذلك بدون دليل على التخصيص فإنه يكون بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، والبدعة لا تثمر إلا شراً وبعداً عن النبي ﷺ .

وخلاصة القول أن الاحتفال بذكرى المولد النبوي بأنواعه واختلاف أشكاله بدعة منكرة يجب على المسلمين منعها ومنع غيرها من البدع ، والاشتغال بإحياء السنن والتمسك بها ، ولا يُغتر بمن يروج هذه البدعة ويدافع عنها ، فإن هذا الصنف يكون اهتمامهم بإحياء البدع أكثر من اهتمامهم بإحياء السنن ، بل ربما لا يهتمون بالسنن أصلاً ، ومن كان هذا شأنه فلا يجوز تقليده والاقتداء به، وإن كان هذا الصنف هم أكثر الناس ، وإنما يُقتدى بمن سار على نهج السنة من السلف الصالح وأتباعهم وإن كانوا قليلاً ، فالحق لا يُعرف بالرجال ، وإنما يُعرف الرجال بالحق ، قال ﷺ : فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة.

فبين لنا ﷺ في هذا الحديث الشريف بمن نقتدي عند الاختلاف ، كما بين أن كل ما خالف السنة من الأقوال والأفعال فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة.

وإذا عرضنا الاحتفال بالمولد النبوي لم نجد له أصلاً في سنة رسول الله ﷺ ، ولا في سنة خلفائه الراشدين ، إذن فهو من محدثات الأمور ومن البدع المضلة ، وهذا الأصل الذي تضمنه هذا الحديث قد دل عليه قوله تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[١].

والرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه الكريم ، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرجوع إلى سنته بعد وفاته ، فالكتاب والسنة هما المرجع عند التنازع ، فأين في الكتاب والسنة ما يدل على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي؟ فالواجب على من يفعله أو يستحسنه أن يتوب إلى الله تعالى منه ومن غيره من البدع ، فهذا هو شأن المؤمن الذي ينشد الحق ، وأما من عاند وكابر بعد قيام الحجة فإنما حسابه عند ربه.

---

[١] سورة النساء: ٥٩ .

هذا ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا التمسك بكتابه وسنة رسوله إلى يوم نلقاه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

انتهى كلام الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله.

قال مقيده عفا الله عنه: ولما كان الاحتفال بالمولد النبوي وسيلة للإنحراف عن الشريعة ؛ استغل أعداء الإسلام هذه المناسبة ، وشجعوا على إقامتها ، ففي زمن احتلال فرنسا لمصر أمر نابليون بإقامة الاحتفال بالمولد ، وتبرع له ، وحضر الحفل بنفسه ، لما فيه من الخروج عن الشريعة ، واجتماع النساء ، واتباع الشهوات ، وفعل المحرمات ، ذكر ذلك الجبرتي في «تاريخه»[1].

[1] (٢/٣٠٦).

الفصل السادس – ملاحق الكتاب

١. كمـالُ خَلْقِ النبي ﷺ

٢. ملحق – دلائل رحمته ﷺ

٣. ملحق — محمد ﷺ ؛ كتابٌ مفتوح على مر القرون إلى نهاية الدنيا

٤. ملحق – خصائص أمة محمد ﷺ ، ورؤوسها ثلاثة وعشرون

كمـالُ خَلْقِ النبي صلى الله عليه وسلم[1]

(ملحق الدليل التاسع والخمسين من دلائل عظمة النبي ﷺ)

لقد وصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خَلْقهُ وأفاضوا في ذلك حتى لكأنك تراه أمامك من دقة وصفهم، فذكروا صفة وجهه، وخدِّه، وعينيه، وأشفارِ[2] عينيه، وأنفه، ورقبته، ورأسه، وجبينه، وفمه، وأسنانه، وكتفيه، وكفيه، وقدميه وغير ذلك.

ومما ذكروا في ذلك قول البراء بن عازب رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم مربوعا[3] بعيد ما بين المنكِبَيـن[4]، له شعرٌ يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئًا قط أحسن منه.[5]

وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهًا، وأحسنُهم خَلْقاً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير.[6]

وعن أبي جُحَيفة السُّوائي قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم)، ورأيتُ بياضا من تحت شفته السفلى العنفقة.[7]

وعن أبي الطفيل أنه قيل له: صِف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: كان أبيض مليح الوجه.[8]

وسُئِلَ البراء بن عازب رضي الله عنه: أكان وجهُ النبي (صلى الله عليه وسلم) مثل السيف؟
قال: لا، بل مثل القمر.[1]

---

[1] هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٤٥- ٤٧، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض، وقد عدلت فيه وزدت عليه.

[2] أشفار جمع شُفر، وهو جفن العين الذي ينبت عليه الشعر. انظر النهاية.

[3] مربوعا أي بين الطويل والقصير. انظر «النهاية».

[4] مَنْكِبَيْن واحدها منكب، وهو ما بين الكتف والعنق. انظر «النهاية».

[5] رواه البخاري (٣٥٥١) ومسلم (٢٣٣٧)، واللفظ للبخاري.

[6] رواه البخاري (٣٥٤٩) ومسلم (٢٣٣٧)، واللفظ للبخاري.

[7] رواه البخاري (٣٥٤٥)، ومسلم (٢٣٤٢)، والعنفَقة هي الشعَرات التي تحت الشفة، فانظر إلى الدقة في وصف الصحابة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

[8] رواه مسلم (٢٣٤٠).

وعن أنس قال: ما مسست حريراً ولا ديباجاً[٢] ألين من كفِّ النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولا شمَمتُ ريحا قط ولا عَـرْفًا[٣] قط أطيب من رِيح أو عَرفِ النبي (صلى الله عليه وسلم).[٤]

لقد كان منظر النبي (صلى الله عليه وسلم) يوحي لمن رآه بأنه أمام رجل صادق وليس أمام كذاب، فقد قال عبد الله بن سَلَام، حَـبْـرُ اليهود الأعظم: لما قدم النبي (صلى الله عليه وسلم) المدينة انجفل الناس عليه[٥]، فكنت فيمن انجفل، فلما تبينت وجهَهُ عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذاب.[٦]

لو لم تكن فيه آياتٌ مبـيَّـنةٌ لكان منظره يُـنبيك بالخبرِ

وقال عمرو بن العاص (رضي الله عنه): ما كان أحدٌ أحب إليَّ من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا أجلُّ في عينـي منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصِفه ما أطقتُ، لأني لم أكن أملأ عـينَـيَّ منه.[٧]

وكان (صلى الله عليه وسلم) يحب الطيب والنظافة، ويكره أن يكون الرجل لا يعتني بنظافة بدنه وثيابه وشعره. فقد قال: إن الله جميل يحب الجمال.[٨]

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) قال: أتانا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زائرا في منزلنا فرأى رجلاً شَـعِـثاً[٩] قد تفرَّق شعرُه فقال: أما كان يجد هذا ما يُـسَكِّن به شعر رأسه؟

ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة، فقال: أما كان يجد هذا ماءً يغسل به ثيابه؟[١٠]

---

[١] رواه البخاري (٣٥٥٢).

[٢] الديباج هو الثوب المصنوع من الإبريسم. انظر «النهاية».

[٣] العَرْف هو الريح. انظر «النهاية».

[٤] رواه البخاري (٣٥٦١).

[٥] انجفل الناس عليه أي ذهبوا مسرعين إليه. انظر «النهاية».

[٦] رواه أحمد (٤٥١/٥)، وصححه محققو «المسند» (٢٣٧٨٤).

[٧] رواه مسلم (١٢١).

[٨] رواه مسلم (٩١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[٩] الرجل الشعِثُ هو الرجل الذي تفرق شعره. انظر «النهاية».

[١٠] رواه أحمد (٣٥٧/٣)، وصححه محققو «المسند» (١٤٨٥٠).

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئًا قط أحسن منه.[1]

هذا بعض ما رواه الصحابة رضي الله عنهم في صورة نبيهم الظاهرة، والأمر أعظم من ذلك بكثير.[2]

وإذا نظرتَ إلى فهرس كتاب واحد من الكتب المتعلقة بأخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) وشمائله سوف تجد أن الرواة لم يتركوا صغيرة أو كبيرة عنه (صلى الله عليه وسلم) إلا وقد أثبتوها، **ولم يتحقق هذا على الإطلاق إلا لنبي واحد هو محمد (صلى الله عليه وسلم). لماذا؟**

لأنه النبي الخاتَم الذي يجب أن يعرف عنه الناس كلّ شيء، ليكون قدوة للناس جميعاً في جميع أحوالهم.

---

[1] رواه البخاري (٣٥٥١) ومسلم (٢٣٣٧)، واللفظ للبخاري.

[2] قال صاحب المقال الأصلي الشيخ خالد أبو صالح في ص ٤٦: ((**فأين هذا الجمال النبوي من تلك الصور الدنيئة التي تدل على جهل أصحابها بهذا النبي الكريم؟!**))

يقصد الكاتب الصور الكريكاتيرية التي نشرتها بعض الصحف الغربية، فجمعوا بهذا بين الجهل بصفات النبي (صلى الله عليه وسلم) والعدوان عليه.

ملحق الدليل الثاني والتسعين من دلائل عظمة النبي ﷺ

تقدم في فصل الدلائل على عظمة النبي ﷺ ذِكر الدليل الثاني والتسعين على عظمة النبي ﷺ ، وهو كونه رحمة للعالمين ، وبيان ذلك من عشرة وجوه ، أفردتها في هذا الملحق ، هذا أوان ذكرها:

الأول: ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في «زاد المعاد»[1] في التعليق على قول النبي ﷺ : أنا محمد ، وأحمد ، والمُقَفِّي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، **ونبي الرحمة**.[2]

قال رحمه الله مبينا كيف حصلت الرحمة لأهل الأرض ببعثته:

وأما **نبي الرحمة** فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم ، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة ، وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده ، وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة. انتهى.

قلت: ومن تأمل في سيرته العطرة وما وقع فيها من وقائع وأحداث تبين له على عظيم شفقته بهم ، فهو في الحرب رحيم ، وفي السِّلم رحيم ، فقد وُجِدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى عليه الصلاة والسلام عن قتل النساء والصبيان.[3]

وكان ﷺ إذا أَمَّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال: اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا فلا تَغُلُّوا[4] ، ولا تُمَثِّلوا[5] ، ولا تقتلوا وليدا.[6]

ولما فتح النبي ﷺ مكة ووضعت الحرب أوزارها وسقط كفارها في يده عفا عنهم عفوا جماعيا عاما ، مع أن منهم من أذاقه وأصحابه أنواع الأذى والعذاب قبل هجرته إلى المدينة وبعدها ، فلم يحقد عليهم أو ينتقم

---

[1] (١/٩٥ – ٩٦) ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

[2] رواه مسلم (٢٣٥٥).

[3] رواه البخاري (٣٠١٥) ومسلم (١٧٤٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[4] غلَّ من الغنيمة أي أخذ منها قبل أن يقسمها الإمام. انظر «النهاية».

[5] المُثلة هي تقطيع الأطراف وتشويه المقتول ، بجدع أنف أو أذن. انظر «النهاية».

[6] رواه مسلم (١٧٣١) عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه.

لنفسه منهم ، بل الذي حصل أنهم اجتمعوا إليه قرب الكعبة بعد الفتح ينتظرون حكمه فيهم ، فقال لهم: ما تظنون أني فاعل بكم؟

فقالوا: خيرا ، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم.

فقال: لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم.

وفي رواية أنه قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.[1]

وكان ﷺ يحمل عن الناس ما يثقلهم من أعباء الدنيا ، ويُعطي الذي لا مال عنده ، ويُعين على نوائب الحق ، ويصل الرحم ، ويصبر على الأذى ، وكان حريصا على ما ينفع المسلمين ، وقد وصفه الله بذلك أعظم وصف فقال ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ ، ومعنى ﴿عزيز عليه ما عَنِتُّم﴾ أي يشق عليه ما تلقون من المكروه والعَنت ، ثم قال ﴿حريص عليكم﴾ أي حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم.

ولما بعث النبي ﷺ معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال لهما: يسِّرا ولا تُعسِّرا ، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا ، وتطاوعا ولا تختلفا.[2]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يَسِّروا ولا تُعَسِّروا ، وسَكِّنوا ولا تُنَفروا.[3]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا ، وكان يقول: إن من خياركم أحسنُكم أخلاقا.[4]

وقال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: عليكِ بالرفق ، وإياكِ والعنف والفحش.[5]

---

[1] انظر التخريج الموسع لهذا الحديث في كتاب «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» ، الفصل الحادي والعشرون ، غزوة فتح مكة.
وانظر للتوسع كتاب «أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية» لصالح بن علي الشمراني ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض ، وكذا كتاب «أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية» لمنير محمد روضبان ، الناشر: دار السلام – القاهرة.

[2] رواه البخاري (٣٠٣٨) ومسلم (١٧٣٢) عن أبي موسى رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٦١٢٥) ومسلم (١٧٣٤). ومعنى قوله (سكِّنوا) من السكينة وهي السعي لما يحصل به نشر الطمأنينة وقبول الحق بين الناس ، وهي تقابل التنفير الذي نهى عنه في تتمة الحديث.

[4] رواه البخاري (٣٥٥٩) ، ومسلم (٢٣٢١).

[5] رواه البخاري (٦٠٣٠) عن عائشة رضي الله عنها.

الثاني من دلائل رحمته: أن النبي ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج سعى في تخفيف الشرائع على أمته ، فإنه راجع ربه لتخفيف عدد الصلوات ، فإن الله شرعها أول ما شرعها خمسين صلاة في اليوم والليلة ، ثم إنه ﷺ راجع ربه حتى جعلها خمس صلوات ، وهذا من رحمته بأمته ﷺ .

ومن ذلك أيضا ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ.[1]

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ، ثُمَّ صَلَّى مِنْ الْقَابِلَةِ ، فَكَثُرَ النَّاسُ ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنْ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : (قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إلا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ)، وَذَلِكَ فِي رَمَضَان.[2]

الثالث من دلائل رحمته: أنه ﷺ لم يدع على قومه الذين ردوا دينه وعذبوه وعذبوا أتباعه ، مع أن هذا من حقِّه ، فلكل نبي دعوة مستجابة ، وقد فعله بعض الأنبياء كنوح وموسى ، بل كان يدعوا لهم بالهداية إلى دين الإسلام.

ومن اللطيف ذكره أن الفرصة قد تهيأت للنبي ﷺ لإهلاك قومه ، وذلك لما جاءه ملِك الجبال وقال له: لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين – وهما جبلان عظيمان بمكة – ، ولكن النبي ﷺ الرحيم بأمته لم يفعل ذلك بل قال: أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا.[3]

فنظرة النبي ﷺ كانت بعيدة ، تجاوزت المرحلة التي كان فيها ، فقد كان يطمع في هداية الأجيال إن لم يؤمن الآباء ، فيدخلوا في الإسلام فيكونوا من المرحومين.

ولما قيل للنبي ﷺ : أُدع على المشركين ، قال: إني لم أبعث لعانا ، وإنما بُعثت رحمة.[4]

قلت: وقد حصل دعاء من بعض الأنبياء على أقوامهم بعد أن أيِسوا منهم ، أما النبي ﷺ فلا ، فقد دعا نوح على قومه فقال ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * إنك إن تذرهم يُضلوا عبادك ولا

---

[1] رواه البخاري (١١٢٨) ، ومسلم (٧١٨).

[2] رواه البخاري (١١٢٩) ومسلم (٧٦١).

[3] رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.

[4] تقدم تخريجه.

يلِدوا إلا فاجرا كفارا﴾ ، ومعنى الآيتين الكريمتين: ربِّ لا تترك على الأرض من الكافرين أحدًا حيًّا على الأرض يدور ويتحرك. إنك إن تتركهم يُضلوا عبادك الذين قد آمنوا بك ، ولا يأت من أصلابهم وأرحامهم إلا من هو مائل عن الحق ، شديد الكفر بك ، فأرسل الله الطوفان على أهل الأرض فهلكوا جميعا إلا من كان مع نوح من المؤمنين.

وأما دعاء موسى على قومه فقد ذكره الله في القرآن في قوله ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ على أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حتى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيم * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُون﴾.

ومعنى الآيتين الكريمتين: قال موسى: ربنا إنك أعطيت فرعون وأشراف قومه زينة من متاع الدنيا ، فلم يشكروا لك ، وإنما استعانوا بها على الإضلال عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم فلا ينتفعوا بها ، واختم على قلوبهم حتى لا تنشرح للإيمان ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الشديد الموجع.

فقال الله تعالى لهما: قد أجيبت دعوتكما يا موسى وهارون في فرعون وملئه وأموالهم ، فاستقيما على دينكما ، واستمرَّا على دعوتكما لفرعون وقومه إلى توحيد الله وطاعته.

الرابع من دلائل رحمته: أن كفار مكة كانوا في أمانٍ من العذاب لما كان النبي ﷺ بينهم ، وهذا من رحمة الله بهم ، قال الله تعالى ﴿وما كان الله معذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾[1] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان فيهم أمانان ، نبي الله والاستغفار ، فذهب النبي ﷺ ، وبقي الاستغفار.[2]

الخامس: وفي يوم القيامة تتجلى رحمة النبي ﷺ بأمته ، فإن له يوم القيامة ثلاث شفاعات خاصة ، **الأولى** شفاعته لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر ممن استحقوا دخول النار ألاّ يدخلوها ، والتي عناها النبي ﷺ في قوله: لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعَجَّل كلُّ نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، **فهي نائلة ، إن شاء الله** ، من مات من أمتي لم يشرك بالله شيئا.[3]

---

[1] سورة الأنفال ، الآية: ٣٣ .

[2] رواه ابن جرير عنه في تفسير الآية ، ورواه أحمد في «مسنده» (٣٩٣/٤) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

[3] رواه مسلم (١٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

دلائل رحمته ﷺ

قال النووي رحمه الله هنا كلاما نفيسا في شرحه على الحديث: وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ، ورأفته بهم ، واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة ، فأخَّر دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجتهم.

والثانية شفاعته ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة ، **وثالثها** شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، وقد تقدم الكلام على كل نوع منها بالتفصيل.

السادس: وكما أن النبي ﷺ كان سببا في الرحمة لمن لحقه ، فإنه كذلك سبب في الرحمة لمن سبقه من الأمم، فهو صاحب الشفاعة العظمى لبدء الحساب يوم القيامة ، مؤمنهم وكافرهم ، وذلك بعد أن يضِجُّوا من الحر وطول الوقوف ، وقد تقدم بيان ذلك وذكر أدلته.

السابع من دلائل رحمته ما قاله البغوي رحمه الله: فهو مبعوث ﷺ بالرحمة أيضا من حيث إن الله وضع في شريعته عن أمته ما كان في شرائع الأمم السالفة عليهم من الآصار والأغلال ، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه في قصة موسى عليه السلام ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾.[1]

الثامن: ومن دلائل رحمته ﷺ أنه كان يخفف في العبادات إذا لزِم الأمر ، فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إني لأقوم في الصلاة أريد أن أُطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز[2] في صلاتي كراهية أن أشق على أُمِّهِ.[3]

ولما أطال معاذ بن جبل رضي الله عنه في صلاته وشق ذلك على من كان معه يصلي ، عاتب النبي ﷺ معاذا فقال له: يا معاذ ، أفتَّانٌ أنت؟ أو: أفاتنٌ أنت؟ – ثلاث مرات – ، فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى ، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة.[4]

ومن رحمته بأمته أنه ضَحَّى عمَّن لم يُضَحِّ من أمته ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى ، فلما انصرف أُتِي بكبشٍ فذبحه فقال: باسم الله والله أكبر ، اللهم إن هذا عني وعمَّن لم يُضَحِّ من أمتي.[5]

---

[1] باختصار يسير من «شرح السنة» (٢١٤/١٣).

[2] أي: أخففها. انظر «النهاية».

[3] رواه البخاري (٧٠٧).

[4] رواه البخاري (٧٠٥) ومسلم (٤٦٥) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما.

[5] رواه أحمد في «مسنده» (٣٥٦/٣) وغيره ، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

ومن رحمته بأمته أن أعرابيا جاهلا أتى إلى المسجد النبوي فبال فيه ، فقام إليه الصحابة وصاحوا به ، فنهاهم عليه الصلاة والسلام وقال لهم: دعوه وهَرِيقوا[1] عليه بوله سَجلاً[2] من ماء ، فإنما بعثتم مُيسرين ولم تبعثوا معسرين.

ثم دعا الأعرابي فقال له معلما: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر ،إنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن.[3]

التاسع: ومن دلائل رحمته أيضا رحمته بالجمادات ، ومن ذلك قصة حنين جذع نخلة كانت في المسجد إليه ، فقد كان النبي ﷺ يخطُب يوما إلى جذع نخلة في المسجد ، فصنعوا له منبرا ، فلما كانت الجمعة قعد إليه النبي ﷺ ، فبكى الجذعُ حتى سمعوا له صوتا مثل صوت العِشار[4] ، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه وضمَّهُ فسكت.[5]

العاشر: ومن دلائل رحمته أيضا رحمته بالحيوانات ، فعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل حائطا[6] لرجل من الأنصار ، فإذا فيه ناضِح[7] له ، فلما رأى النَّبيَّ ﷺ حنَّ وذرَفت عيناه[8] ، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذِفراه[9] وسَراته[10] فسكن ، فقال: من ربُّ هذا الجمل[11]؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء شاب من الأنصار فقال: أنا.

فقال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكاك إليَّ ، وزعم أنك تُجيعه وتُدئِبُهُ[12].[1]

---

[1] هَريقوا أي أَريقوا. انظر «النهاية».

[2] السَّجلُ هو الدَّلو.

[3] انظر «صحيح البخاري» (٢٢٠) ومسلم (٢٨٤).

[4] العِشار جمع عُشراء ، وهي الناقة التي فصل راعيها ولدها عنها بعد مضي عشرة أشهر.

[5] تقدم تخريجه.

[6] الحائط هو البستان من النخيل إذا كان عليه جدار. انظر «النهاية».

[7] النضح هو رش الماء ، والناضح هو الجمل الذي يُستقى عليه الماء. انظر «النهاية».

[8] أي ذرفت دمعا.

[9] ذِفرى البعير أصل أذنه. انظر «النهاية».

[10] سراته أي سنامه. انظر «النهاية».

[11] ربُّ الجمل أي صاحبه.

[12] تُدئبه أي تكده وتتعبه. انظر «النهاية».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمَّـرةً[٢] معها فَرْخان ، فأخذنا فرخيها ، **فجاءت الحُمَّرةُ**[٣] فجعلت تَـفْـرُش[٤] ، فجاء النَّبي ﷺ فقال: من فَجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها.

ورأى قرية نمل قد حرقناها ، فقال: من حرَّق هذه؟ قلنا: نحن ، قال: إنَّه لا ينبغي أن يعذِّب بالنَّار إلَّا ربُّ النَّار.[٥]

---

[١] رواه أحمد (١/٢٠٥) ، وصححه محققو «المسند» (١٧٥٤).

[٢] الحُمَّرةُ طائر صغير كالعصفور. انظر «النهاية».

[٣] أي جاءت إلى النبي ﷺ وهذا هو الشاهد ، أنها جاءت إليه تشتكي.

[٤] أي تفرِش جناحيها وتقرُب من الأرض وترفرف. انظر «النهاية».

[٥] رواه أبو داود (٢٦٧٥) ، وصححه الألباني رحمه الله.

ملحق الدليل السابع والتسعين من دلائل عظمة النبي ﷺ

تقدم في فصل الدلائل على عظمة النبي ﷺ ذِكر الدليل السابع والتسعين على عظمة النبي ﷺ ، وهو كون سيرته محفوظة بتفاصيلها الدقيقة ، بخلاف غيره من الأنبياء والعظماء ، وهذا أوان التفصيل في هذا الوجه.

محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ كتابٌ مفتوح على مر القرون إلى نهاية الدنيا[1]

مقدمة

ومن دلائل عِظم قدره (صلى الله عليه وسلم) أن سيرته وحياته تُـعَـدُّ كتابا مفتوحا لكل قارئ ومسترشد إلى نهاية العالم، فهو النبي الوحيد الذي يعرف الناس عنه كل شيء، حتى ما يدور داخل غُـرَف نومه وحياته الزوجية، فلم يُخفِ شيئا من حياته العامة أو الخاصة، لماذا؟ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ولابد لمن كان كذلك أن لا يَخفى من أمره شيء، حتى يتأسى الناس بكل جانب من جوانب حياته إلى آخر الزمان.

لقد ذُهل أحد اليهود من شمولية تعاليم النبي (صلى الله عليه وسلم) وتغطيتها لكافة مناحي الحياة وأركانها، فقال لبعض المسلمين: علَّمكم نبيكم كل شيء، حتى الخِراءة[2]، فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائِط أو بول، أو أن نستنجي باليمين[3]، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيعٍ[4] أو عظمٍ.[5]

---

[1] هذا فصل مهم، انتقيته من الكتاب المفيد: «من أسرار عظمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) »، ص ٤١-٥٠، لمؤلفه: خالد أبو صالح، الناشر: مدار الوطن للنشر – الرياض، وقد اختصرت منه وعدلت فيه وزدت عليه من مصادر علمية أشرت إليها في مظانِّها.

[2] أي آداب قضاء الحاجة.

[3] الاستنجاء هو التنظف بالماء من البول أو الغائط، ومعنى العبارة هو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى عن استعمال اليد اليمنى في الاستنجاء، وإنما يستعمل المسلم اليد اليسرى، لأن اليد اليمنى مُكَرّمـَة.

[4] الرجيع هو روث الدابة.

[5] رواه مسلم (٢٦٢).

ولكي يُتِم الله تعالى نشر هذه الفضائل والمكارم، قـيَّــض للنبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابا أمناء، وزوجات فاضلات، نقلوا كل شيء سمعوه من نبيهم ورأوه منه في سفره وإقامته، في حِـلِّـهِ وترحاله، في أمنه وخوفه، في يُسره وعُسره، في سِلمه وحربه، في عبادته وأخلاقه، في بيعــه وشرائه، ماذا كان يقول عند النوم، ماذا كان يقول عند اليقظة، ماذا كان يقول عند القلق، ماذا كان يقول عند الأرق، ماذا كان يقول عند الفزع، ماذا كان يقول عند دخول الحمام والخروج منه، وعند دخول المنزل والخروج منه، وعند دخول السوق، وعند رؤية الهلال، وعند نزول المطر، وعند لبس الثوب الجديد، وعند رؤية أهل البلاء، وعند الوُضوء، وبعد الفراغ من الوضوء، وعند استفتاح الصلاة، وأثناء الصلاة، وبعد الصلاة، حتى عند جِماع الزوجة، فقد رووا عنه أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: (بسم الله، اللهم جنِّـبـنـي الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا)، فإنه إن يُقدَّر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضرَّه شيطان أبدا.[1]

وفيما يلي فهرساً لكتابٍ واحدٍ من الكتب المتعلقة بسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ليعرف القارئ إلى أي حد تكفل الله بحفظ كافة تفاصيل حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ليتمكنوا من الاقتداء به.

هذا الفهرس هو لكتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» للإمام ابن القيم رحمه الله، ذكر فيه كل ما يتعلق بهدي النبي (صلى الله عليه وسلم) وسنته في عباداته ومعاملاته وأخلاقه وآدابه وشؤونه اليومية، مما يدل على تميز الشريعة الإسلامية بحفظ سيرة نبيها وتدوينها تدوينًا دقيقا، وهو مقسم على ما يزيد على ثمانين فصلا، وهي كالتالي:

١- في ذكر نسبه
٢- كيفية تربيته ووفاة والديه
٣- ذكر مبعثه ومراتب الوحي
٤- في ختانه
٥- في ذِكر مرضعاته

---

[1] رواه البخاري (٥١٦٥) ومسلم (١٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ لمسلم.

٦- في ذِكر حَـوَاضِنه[١]

٧- في مبعثه نبيا وأول ما نزل عليه من الوحي

٨- في ذِكر أسمائه

٩- في ذِكر أولاده

١٠- في ذِكر أعمامه وعماته

١١- في ذِكر أزواجه

١٢- في ذِكر خُـدَّامه

١٣- في ذِكر كُتّابه

١٤- في ذِكر كتبه ورسله إلى الملوك

١٥- في ذِكر مؤذِّنيه الذين كانوا يؤذنون للصلاة

١٦- في ذِكر أُمرائه الذين كان يستعملهم على البلدان

١٧- في ذِكر حَرسه

١٨- في ذِكر من استعمل على نفقاته ومن كان يَـأْذِنُ عليه[٢]

١٩- في ذِكر شعرائه وخطبائه

٢٠- في ذِكر حُداتِه[٣] الذين كانوا يَحدون بين يديه في السفر

٢١- في ذِكر غزواته وبعوثه وسراياه

٢٢- في ذِكر سلاحه وأثاثه

٢٣- في ذِكر دوابّه

٢٤- في ذِكر ملابسه

٢٥- في ذِكر عِمامته وسراويله ونعله وخاتمه وغير ذلك

٢٦- في ذِكر هديه في الأكل والشرب

---

[١] حواضنه أي النساء اللاتي احتضنَّه لما كان صغيرا يتيما.

[٢] أي الذي يأذِن للناس بالدخول عليه في بيته. راجع الزاد أفضل

[٣] حُداة جمع حادي، والحادي هو الذي ينشد الشعر في السفر بصوت جميل لتنشط الإبل على المسير.

٢٧- في ذِكر هديه في النكاح ومعاشرة أهله

٢٨- في ذِكر هديه وسيرته في نومه وانتباهه

٢٩- في ذِكر هديه في ركوب دابته

٣٠- هديه في اتخاذ الغَنم ومعاملة الإماء والعبيد

٣١- هديه في بيعه وشرائه ومعاملاته

٣٢- هديه في مسابقته

٣٣- هديه في معاملته

٣٤- هديه في مشيه وحده أو مع أصحابه

٣٥- هديه في جلوسه واتكائه

٣٦- هديه عند قضاء الحاجة

٣٧- هديه في الفطرة (قص الشارب، تقليم الأظفار، حلق العانة، نتف الإبط وغير ذلك)

٣٨- هديه في كلامه وسكوته

٣٩- هديه في خُطبه

٤٠- هديه في الوضوء والأذكار الصلاة

٤١- هديه في الصلاة

٤٢- هديه في السُّنن الرواتب والتطوعات في الحضر والسفر

٤٣- هديه في قيام الليل

٤٤- هديه في قراءة القرآن وترتيله

٤٥- هديه في صلاة الضحى

٤٦- هديه في سجود الشكر

٤٧- هديه في سجود القرآن

٤٨- هديه في صلاة الجمعة

٤٩- هديه في العيدين

٥٠- هديه في صلاة الكسوف

٥١- هديه في الاستسقاء (الصلاة لطلب نزول المطر)

٥٢- هديه في السفر وعبادته فيه

٥٣- هديه في عيادة المرضى

٥٤- هديه في الجنائز والقبور والتعزية

٥٥- هديه في صلاة الخوف

٥٦- هديه في الصدقة والزكاة وإنفاق المال

٥٧- هديه في الصيام

٥٨- هديه في الحج والعمرة

٥٩- هديه في الذبح، أي ذبح البهيمة للأكل

٦٠- هديه في تسمية المولود وخِتانه

٦١- هديه في الأسماء والكُنى

٦٢- هديه في الأذكار المطلقة والمقيدة

٦٣- هديه في السلام

٦٤- هديه في الاستئذان

٦٥- هديه في العطاس والتثاؤب

٦٦- هديه عند الغضب

٦٧- هديه في الجهاد والغزوات

٦٨- هديه في إعداد العدة واتخاذ الوسائل للحرب

٦٩- هديه في معاملة الأُسارى

٧٠- هديه في عقود الأمان، ومعاهدات الصلح، ومعاملة رسل الكفار، وأخذ الجزية، ومعاملة أهل الكتاب والمنافقين

٧١- هديه في عقد الذمة وأخذ الجزية

٧٢- هديه في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم

٧٣- هديه في علاج أمراض القلب (النفس) وأمراض البدن ومن ذلك: علاج الحمى، والإسهال، والطاعون، والاستسقاء، والجروح، والحِجامة، والصَّرع، وعرق النسا، والصداع، والحكة، والرمد، والأورام والخُـرَّاجات، والسُّم، والقرحة، واللدغة، وغير ذلك

٧٤- هديه في علاج الهم والحزن والأرق

٧٥- هديه في علاج المصائب

٧٦- هديه في حفظ الصحة

٧٧- هديه في تدبير أمر المَسكن

٧٨- هديه في النوم واليقظة

٧٩- هديه في الرياضة

٨٠- هديه في الجِماع

٨١- هديه في علاج العشق

٨٢- هديه في الأقضية والأحكام في مختلف القضايا،كالسرقة، والزنا، والأسرى، وقسمة الغنائم، وعقوبة الساحر، والنكاح، والطلاق، والخلع، والأنساب، والحضانة، والنفقة، والرضاع، والإحداد، والبيوع.

انتهى النقل من فهرست كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد».

***

فصل في شهادات بعض المستشرقين في شمول تعاليم النبي (صلى الله عليه وسلم) لمناحي الحياة

لقد قال أحد علماء الألمان:

((يكفي لإقناع أوربا بعظمة محمد وصِدقه أن يُـتَرجم لهم كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض رحمه الله)).

إنه لا يوجد نبي من الأنبياء يستطيع أن يكون قدوة لجميع البشر في كافة مناحي الحياة وتفاصيلها سوى محمد، لأنه لا يوجد نبي من الأنبياء نُـقِـلَ عنه كل شيء عن أدق تفاصيل حياته سوى محمد.

ولنضرب لذلك مثلاً بالمسيح عليه السلام.

إنني لا أستطيع أن أقتدي بالمسيح مثلاً في حياته الزوجية وعشرته لزوجته، لأنه ببساطة لم يكن متزوجاً.

ولا أستطيع أن أقتدي به في تربية الأبناء، لأنه لم تكن لديه ذرية.

ولا أستطيع أن أقتدي به في حروبه وقتاله، لأعرف منه آداب القائد المحارب، لأنه ببساطة لم يحارب.

نعم هو أَمَـرَ أَتْـباعه بأن يبيعوا ملابسهم، ويشتروا بها سيوفاً كما ذكر لوقا في إنجيله (٢٢-٣٦)، ولكن الظروف لم تتهيأ له لاستعمال هذا السلاح في مقاومة الشر والطغيان، وبذلك لا نستطيع أن نتأسى به في ذلك أبداً.

لا نستطيع أن نعرف منه كيف تكون أخلاق المنتصر نحو أعدائه الذين آذوه واضطهدوه، لأن الفرصة لم تسنح له – عليه السلام – أن يكون منتصراً.

لا نستطيع أن نتأسى به كحاكم وصاحب سلطة يحكم بين الناس ويقضي بينهم بالحق، لأنه – عليه السلام – لم يكن حاكماً أو قاضياً.

أما محمد – صلى الله عليه وسلم – فإننا نستطيع أن نتأسى به في ذلك كله، **فقد كان زوجاً، وحاكماً، وقاضياً، ومحارباً، وقائداً، وفاتحاً، ومنتصراً، وكانت أخلاقه في تلك المواقف المختلفة على**

أكملِ وجهٍ وأحسنه، ولذلك ذكرنا في بداية هذا الفصل أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان كتاباً مفتوحاً لكل قارئ ومسترشد ومهتدٍ.[1]

***

وقال الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله (١٣٧٣ هـ) في كتابه «الرسالة المحمدية»، ص ٨٨-٨٩:

وقد كتب جون ديونبورت[2] John Davenport في سنة ١٨٧٠ م كتابا بالإنجليزية في السيرة المحمدية عنوانه «اعتذار من محمد والقرآن» (An Apology from Mohammad & the Quran)والذي يقرؤه يُخَـيّل إليه أنّه كتبه بنزعة الإخلاص والإنصاف، ويقول في مقدمته:

(لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين والذين سنُّوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلا وأشمل بيانا مما يعرفون من سيرة محمد صلّى الله عليه وسلم وأحواله).

***

وقال أيضا في كتابه «الرسالة المحمدية»، ص ٨٨-٨٩:

ألقى ريورند باسورث سميث[3] Basworth smith عضو كلية التثليث في أوكسفورد سنة ١٨٧٤ م محاضرات عن (محمد والمحمدية) في الجمعية المَـلَـكية لبريطانيا العظمى، هذا الكتاب أشد تحاملا على النبي صلّى الله عليه وسلم، ومما جاء فيه:

(كلّ ما يقال في الدّين يغلب فيه الجهل ببدايته، ومما يؤسَف له أن هذا يصحّ إطلاقه على الدّيانات الثلاث[4] وعلى أصحابها الذين نعُـدُّهم تاريخيين، لأننا لا نعمل لهم وصفا أحسن من هذا الوصف، فإنّنا

---

[1] إلى هنا انتهى النقل بتصرف من كتاب «من أسرار عظمته صلى الله عليه وسلم»، والذي يأتي عبارة عن فوائد نقلتها من كتاب «الرسالة المحمدية»، للشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله.

[2] مستشرق إنجليزي، عاش في الفترة من (١٥٩٧ – ١٦٧٠م). انظر ترجمته باللغة الإنجليزية في wikepedia.org

[3] مستشرق أمريكي، عاش في الفترة من (١٧٩٤ – ١٨٨٤). انظر ترجمته باللغة الإنجليزية في wikepedia.org

[4] يقصد المؤلف ديانات بوذا وكونفوشيوس وزردشت.

قلّما نعلم عن الذين كانوا في طلائع الدعوة، والذي نعلَمه عن الذين جاؤوا بعدهم واجتهدوا في نشر عقائدهم أكثر من الذي نعلمه عن أصحاب الدعوة الأولين.

فالذي نعلمه من شؤون زردشت وكونفوشيوس أقل من الذي نعلمه عن سولون وسقراط.

والذي نعلمه عن موسى وبوذا أقل مما نعلمه عن أمبرس[1] وقيصر.

ولا نعلم من سيرة عيسى إلا شذرات تتناول شعبا قليلة من شعب حياته المتنوعة والكثيرة.

ومن ذا الذي يستطيع أن يكشف لنا الستار عن شؤون ثلاثين عاما هي تمهيد واستعداد للثلاثة أعوام التي لنا عِلم بها من حياته. إنّه بَعث ثلث العالم من رقدته، ولعله يُحيِي أكثر مما أحيا، وحياته المثالية بعيدة عنّا مع قربها منّا، وإنها تتراوح بين الممكن والمستحيل، بَيْدَ أنّ كثيرا من صفحاتها لا نعلم عنها شيئا أبدا، وما الذي نعلمه عن أمّ المسيح، وعن حياته في بيته، وعيشته العائلية، وما الذي نعلمه عن أصحابه الأولين، وحوارِيه، وكيف كان يعاملهم، وكيف تدرجت رسالته الروحية في الظهور، وكيف فاجأ الناس بدعوته ورسالته. وكم وكم من أسئلة تجيش في نفوسنا، ولن يستطيع أحد أن يجيب عليها إلى يوم القيامة؟!

أما الإسلام فأمره واضح كلّه، ليس فيه سرّ مكتوم عن أحد، ولا غُـمَّة يَنْبَهِمُ أمرها على التاريخ. ففي أيدي الناس تاريخه الصحيح، وهم يعلمون من أمر محمد صلّى الله عليه وسلم كالذي يعلمونه من أمر «لوثر» و «ملتن»، وإنّك لا تجد فيما كتبه عنه المؤرخون الأولون أساطيرا ولا أوهاما ولا مستحيلات، وإذا عرض لك طرف من ذلك أمكنك تمييزه عن الحقائق التاريخية الراهنة، فليس لأحدٍ هنا أن يخدع نفسه، أو يخدع غيره، والأمر كلّه واضح وضوح النهار، كأنه الشمس رأْد الضُّحى[2] يتبين تحت أشعة نورها كلّ شيء).

***

[1] قال سيد عبد الماجد الغوري في حاشيته على الكتاب (الرسالة المحمدية) في التعريف بإمبرس أنه رئيس أساقفة ميلانو.

[2] الشمس رأد الضحى أي الشمس في الضحى في وقت انبساطها حين ارتفاع النهار. انظر «النهاية».

كلمات كبار المستشرقين في المقارنة بين محمد صلّى الله عليه وسلم وبين من سبقه من الرسل في جانب حفظ سيرتهم[1]

وجدير بالذكر شهادة الإنجليزي «باسورث سميث»[2] إذ يقول: «ترى الشمس هٰهنا بارزة بيضاء، تثير أشعتها كلَّ شيء وتصل إلى كل شيء. لاشك أن في الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئًا، ولا نتبيَّن حقيقتها أبدًا، أو تبقى منها أمورٌ مجهولة، بيد أن التاريخ الخارجي لمحمد صلى الله عليه وسلم **نعلم جميع تفاصيله، من نشأته إلى شبابه، وعلاقته بالناس، وروابطه، وعاداته، ونعلم أول تفكيره، وتطوره، وارتقاءه التدريجي، ثم نزول الوحي العظيم عليه نوبةً بعد نوبةٍ، ونعلم تاريخه الداخلي بعد ظهور دعوته وإعلان رسالته،** وأن عندنا كتابه (القرآن) لا مثيل له في حقيقته، وفي كونه محفوظاً مصونًا، وفي عدم التزام الترتيب في معانيه، وأنه لم يستطع أحد أن يشُك فيه شكًّا يُعْتَدُّ به، فهو عندنا مُمَثِّل لروح عصره، ومرآة لبيئته، فهو لذلك بريء من كل تصنّع أو تكلف».[3]

***

وقال جون ديونبورت[4] في كتابه «الاعتذار عن محمد والقرآن»[5]:

(إنّ أتْباع عيسى ينبغي لهم أن يجعلوا على ذِكْرٍ منهم أنّ دعوة محمد أحدثت في نفوس أصحابه من الحميّة ما لم يحدث مثله في الأتْباع الأولين لعيسى، ومن بَحَث عن مثل ذلك لا يرجع إلا خائبا، فقد هرب الحواريون وانفضُّوا عن عيسى حين ذهب به أعداؤه ليصلبوه، فخذله أصحابه، وصَحَوا من سكرتهم الدّينية، وأسلَموا نبيّهم لأعدائه يسقونه كأس الموت، أما **أصحاب محمد** فالتفُّوا حول نبيهم المَبغي عليه، ودافعوا عنه مُخاطرين بأنفسهم إلى أن تغلّب بهم على أعدائه). انتهى كلامه.

---

[1] هذا النقل من ص ١٠٦ من كتاب «الرسالة المحمدية».

[2] باسورث سميث مستشرق أمريكي، مات سنة ١٨٥٧م. نقلا من هامش مؤلف كتاب «الرسالة المحمدية»، ص ١٠٦ .

[3] «الرسالة المحمدية»، ص ١٠٦-١٠٧، تأليف: سيد سليمان الندوي، عناية: سيد عبد الماجد الغوري، الناشر: دار ابن كثير – دمشق، بتصرف يسير.

[4] في المطبوع «هيجنس»، وأظنه خطأ في الطبع، لأن مؤلف هذا الكتاب هو المذكور أعلاه: «**جون ديونبورت**».

[5] نقلا من كتاب «الرسالة المحمدية»، ص ١٠٨ .

ثم قال الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله في كتابه «الرسالة المحمدية»:

(وحين كرّ[1] مشركو قريش يوم أُحُـد على المسلمين، فاختلَّت صفوفهم وتفرّق جمعهم؛ نادى الرسول صلّى الله عليه وسلم: من يفديني؟ فخرج من الأنصار سبعة دافع كلٌّ واحد منهم عن الرسول، وما زال يقاتل دونه حتى قُـتِـل، وقد قُـتِـل لامرأة من الأنصار في هذه الحرب ثلاثة رجال مِن بيتها؛ أبوها، وأخوها، وزوجها، وتـتابع إليها نعيُ الثلاثة واحدا بعد واحد، فكانت تسأل أولا عن الرسول صلّى الله عليه وسلم: كيف هو؟

فيقولون لها: إنّه سالم.

ثم لما رأت وجهه صلّى الله عليه وسلم سُرِّيَ[2] عنها، ولم تتمالك أن صاحت قائلة: «كلُّ مصيبة بعدك جَـلَـلٌ[3] يا رسول الله».[4]

إنّ الذين دافعوا عنه وقُـتِلوا دونه وفَدَوه بأنفسهم قد عرَفوه حقّ المعرفة، وعلِموا سنته وهديه وخُـلُـقه، ولولا أنّ حياة الرسول صلّى الله عليه وسلم كانت عظيمة كاملة، ونَفسُه كانت أحبّ النفوس إليهم وأعظمها في أعين أصحابه وأحبابه؛ لمَا فدوه بأنفسهم. ومن أجل ذلك كانت حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلم أسوة لأصحابه، ومحبته ذريعة[5] لمحبة الله، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فجعَل اتّباع الرسول في أخلاقه وأعماله، والاقتداء بسنته وهديه من علامات حبّهم لله، **ومن السّهل أن يبذل الإنسان نفسه حمِيّة لدينه لأمر يعرض له فجأة، ولكن من العسير أن يقتدي المرء مدّة حياته كلّها في جميع أطوارها وشُـعَـبها ومناحيها بهدي شخص وسننه اقتداء كاملا، لا يحيد عنه، ولا يَـعدِل إلى شيء غيره**، أما أصحاب محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلم فإنهم اتبعوه في جميع أخلاقهم وأعمالهم وسائر نواحي حياتهم وطرقها، واقتفوا أثره، وامتُحنوا في ذلك امتحانا شديدا، وأبلوا فيه بلاء عظيما، ثم خرجوا من هذا الامتحان فائزين.

---

[1] كرَّ أي هجم.

[2] سُرِّي عنها أي ذهب عنها ما كانت تجد من الحزن.

[3] كلمة «جلل» من الأضداد، تقال للأمر الهين وتقال للأمر العظيم، والمقصود هنا الهين. انظر «النهاية» .

[4] رواه ابن جرير في «تاريخه» في أحداث غزوة «أُحُد».

[5] ذريعة أي سبب.

وإنّ الوَلَـعَ الشديد بالرسول والمحبّة الصادقة له قد حمل الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ثم المحدِّثين ومؤلفي السير والمؤرخين، على أن يُعنوا عناية كبرى بجمع كلّ ما يتعلق بالرسول صلّى الله عليه وسلم من قول وعمل، وأمر ونهي، وحديث وخُـلُق، وأن يُـبَـلِّغوا ذلك للذين يأتون بعدهم، فأحسنوا كلّ الإحسان ووفَّـوا هذه المهمّة حقها، ليعمل بهذه الهداية كلُّ مسلم ما استطاع، ولولا أنّ حياة محمد صلّى الله عليه وسلم كانت كاملة وعظيمة في عيون أصحابه لما اعتبَـروا اتّباعه شرفا لهم وكمالا، ولـمَا عَـدُّوا الاقتداء به ملاك السّعادة، وأصل الهناء، وقوام الخير.

فالإسلام قرّر أنّ حياة محمد هي المَثل الكامل لجميع المسلمين، وينبغي بيان جميع نواحيها وشُـعَـبِها ووجوهها للناس كافّة، وقد حقّق المسلمون ذلك، وحرصوا على معرفة ذلك وبيانه، فلم تُـخفَ منه خافية، **ولم تُـفقد ولا حلقة واحدة من سلسلة الحياة النبوية المباركة، فجميع أحواله وشؤونه مسطورة في كتب التاريخ، ومن ذلك يُستدلّ على أنّها كانت حياة كاملة**، ولا تكون كذلك إلا إذا كانت واضحة ناصعة معلومة من كل وجوهها ونواحيها، جامعة لجميع المحامد، شاملة لأكرم الأخلاق وأحسن التعاليم.

سُـنَن الأمم السالفة في الأخلاق بادت ولم يبق إلا سُـنَن الإسلام

لقد كانت لبلاد بابل والهند والصين ولمصر والشام واليونان والرومان حضارات زاهرة، ومدنيّات عظيمة، وثقافات عالية، وقد كانت لأهالي تلك البلاد سنن في الأخلاق اتخذوا منها أصولا وضوابط للثقافة، وآدابا للمعاشرة في النهوض والقعود والكلام والطعام والشراب، واختاروا مناهج خاصّة بمعيشتهم، ووضعوا آدابا لهم في الزّيّ والشارة[1]، وأوضاعا في الملابس، وكان لهم هديٌ في نومهم ويقظتهم، وحدودٌ في لقاء الناس والتعامل معهم، وسنّوا لأنفسهم سننا في الزواج، ورسموا رسوما للتهنئة والتعزية وتكفين الموتى ودفنهم، ولم يتركوا حالا من أحوال الإنسان- من عيادة المريض، ومصافحة الإخوان، ولقاء الخلّان، والاستحمام- إلا اتخذوا لها السنن والرسوم والآداب، فنشأت من ذلك أصول وقواعد لمدنِـيَّـتِهم، وثقافتهم.

[1] الشارة هي العلامة التي توضع على الملابس لتميزها عن غيرها من الملابس لتكون شعارا لأهل تلك البلد.

وبديهيٌّ أنّ هذه السنن والآداب لم تتم لهم إلا في قرون متطاولة، ثم دَرسَت[1] آثارها، ومُحِيت رسومُها، وطُمست معالمها، فكان قيامها واكتمالها في زمان طويل، وزوالها في مدّة قليلة.

أما مدنية الإسلام وثقافته فإن قيامهما واكتمالهما وظهور بهائهما في سنوات قليلة، ولا تزال مدنِيةُ الإسلام وثقافته مستمرة ومعمولا بها في الدّنيا منذ أربعة عشر قرنا بين أُمَمٍ شتّى وأقوام مختلفة، يستوي في ذلك العربيّ والهنديّ، والشرقيّ والغربي، لأنّ المسلمين اقتبسوا ذلك من مشكاة نبيهم صلّى الله عليه وسلم، وتأسَّوا فيه بحياته الكريمة، فاستنارت بهذا النور حياة الصحابة، وانعكست أضواؤها على حياة التابعين ومن جاء بعدهم، فنشأت عن ذلك بيئة صالحة زكيّة، وكان منها للعالم الإسلامي كلّه أسوة حسنة في رسومه الفاشِـيَة وآدابه القويمة.

ويمكننا أن نقول بعبارة أخرى: **إن الحياة المحمدية كانت مركز الدائرة،** فجاء الصحابة فخَـطُّوا حول نقطة المركز خطوطا تمّت بها تلك الدائرة، والتف المسلمون بعد ذلك من حولها. وإذا كانت المدنية الإسلامية لم تبق اليوم في مِثل كمالها الأول، وجمالها الأسنى؛ فإن آثارها لا تبرح باقية تلمع، والمسلمون يقتفون تلك الآثار إلى يومنا هذا.

وقد علِمنا أنّ حياة محمد صلّى الله عليه وسلم كانت في بادئ الأمر قدوة لجميع الصحابة في حياتهم، فكانوا يهتدون بهديه، ويستنّون بسنّته، ثم كان لسائر المسلمين أسوة حسنة بها يتخذونها مثالا كاملا لهم، ولا تنفكُّ صورتُها معروفةً لهم، باقيةً فيهم.

ولو أنّ قبيلةً من وثَـنِـيِّـي الهند أو إفريقية تنصّرت ودخلت في دين المسيح عليه السلام فإنّها تأخذ مسيحيتها من الأناجيل، **أما مدنيتها ومنهاج حياتها في مظاهرها وأوضاعها فإن تلك القبيلة تأخذه عن مدنية أوربا وثقافتها ومنهاج حياتها، وليس ذلك من المسيحية في شيء.**

أمّا الإسلام فإذا دخل في هدايته قوم جُـدُد لم يكونوا مسلمين من قبل، فإنهم كما يقتبسون دينهم مما كان يدعو إليه النبي صلّى الله عليه وسلم، فإنّهم من هديه ومن سنته أيضا يتعلمون آداب المعاشرة، ومنهاج الحياة الاجتماعية، وطرق المعيشة.[2]

---

[1] أي زالت وانمحت.

[2] يقصد المؤلف أنهم لن يأخذوا منهج حياتهم من الأوربيين وأمثالهم، بل من الهدي النبوي فقط.

وإنّ تعاليم الرسول صلّى الله عليه وسلم- من أدبٍ وخُـلُـقٍ ومعاشرة- هي التي تؤثر في أخلاق المسلمين، فـتُـصاغ في هذه البَـوْتقة حتى تُـسبَك بها في أزكى قالب.

وقد قال يهوديٌّ مرةً لأحد الصحابة وهو يُـعَـرِّض[1] بالإسلام: إنّ رسولكم يعلمكم كلّ شيء، حتى بعض الأمور الحقيرة.

فأجابه الصحابي وهو مغتبط: نعم، إن رسولنا يعلمنا كل شيء، حتى آداب الخروج إلى الخلاء.[2]

وكذلك نحن لا نزال نقدّم للناس تلك السيرة الكاملة التي هي لنا سراج وهّاج في جميع شؤون الحياة البشرية، فكأنّ السيرة المحمّدية مرآة صافية للدّنيا كلّها يرى فيها كلُّ إنسان صورته وروحه، ظاهره وباطنه، قوله وعمله، خلقه وأدبه، هديه وسنته، وفي استطاعته أن يُصلح أخلاقه ويُـثَـقِّـف عِـوَجه بحسب ما يراه في تلك المرآة الصّافية.

***

المسلمون لا يحتاجون إلى أصول وضوابط من خارج دينهم

لأجل ذلك لا ترى أمّة مسلمة تبحث في خارج دينها وبمنأى عن سيرة نبيّها عن أصول وضوابط تُـقَـوِّم بها اعوجاجها، وتُصلح زيغها، لأنها في غنى عمّا هو أجنبيّ عنها، وعندها في هدي سيرة نبيها صلّى الله عليه وسلم الميزان القويم والقِسطاس[3] المستقيم، الذي تتبين به ما في العالم من خير وشرّ، وتميّز به الحقّ من الباطل.

وفي الحق إنّ العالم كله لفي حاجة شديدة إلى سيرة بشرٍ كامل تتّخذ من حياته الأسوة العظمى، وليس في الدّنيا إنسان كامل يَعرف التاريخ سيرته على التفصيل كما يعرف تفاصيل حياة محمّد صلّى الله عليه وسلم خاتم النبيين. فالناس كلّهم في أمسّ الحاجة إلى أن يتخذوا من السيرة المحمدية منهاج حياتهم، ففيها الأسوة الطّاهرة، وهي الحياة المثاليّة للناس جميعا.

انتهى كلام الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله من كتابه «الرسالة المحمدية».

---

[1] يُعَرِّض بالإسلام أي يستهزئ به بطريقة خفية.

[2] تقدم تخريج هذا الحديث.

[3] القسطاس المستقيم هو الميزان العدل المستقيم.

***

ملحق الدليل السادس والتسعين من دلائل عظمة النبي ﷺ

تقدم في فصل الدلائل على عظمة النبي ﷺ ذِكر الدليل السادس والتسعين على عظمة النبي ﷺ ، وهو ما اختص الله به أمته من خصائص ورؤوسها ثلاثة وعشرون ، وقد أفردتها في هذا الملحق ، هذا أوان ذكرها:

الأول: أن الله تعالى جعل أمة محمد ﷺ خير الأمم ، واصطفاها من جميع الخلق ، لتكون أمة محمد ﷺ ، قال تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ قال: إنكم تُتمون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله.[1]

الثاني: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن الله اجتباها لتكون الأمة الوسط الشاهدة على جميع الأمم السابقة ، قال تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ ، وقال تعالى ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يجيء نوح وأمته ، فيقول الله تعالى: هل بلّغت؟

فيقول: نعم أي رب.

فيقول لأمته: هل بلغكم؟

فيقولون: لا ، ما جاءنا من نبي.

فيقول لنوح: من يشهد لك؟

فيقول: محمد ﷺ وأمته.

فتشهد أنه قد بلغ ، وهو قوله جل ذكره ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾.

والوسط العدل.[1]

---

[1] رواه الترمذي (٣٠٠١) ، وابن ماجه (٤٢٨٨) ، وأحمد (٣/٥) ، والبيهقي (٥/٩) ، وحسن إسناده محققو «المسند» والألباني.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: وأرى أن الله – تعالى ذِكره – إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين ، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلو بالترهُّب ، وقِيلِهم[٢] في عيسى ما قالوا فيه[٣] ، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله ، وقتلوا أنبيائهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به ، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه ، فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها. انتهى.

الثالث: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن فيها خير القرون قاطبة منذ خلق الله الخليقة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا ، حتى كنت من القرن الذي كنت منه.[٤]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير؟

قال: القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث.[٥]

الرابع: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن الله أتم لها الدين فلا تحتاج إلى دين غيره ولا نبي بعد نبيها ﷺ، قال الله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[٦].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم ، صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذِب فيه ولا خُلف ، كما قال تعالى ﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا﴾ ، أي:

---

[١] رواه البخاري (٣٣٣٩).

[٢] أي: وقولهم.

[٣] أي: قول طائفة منهم إنه ابن الله وقول طائفة إنه ثالث ثلاثة وقول طائفة إنه هو الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

[٤] تقدم تخريجه.

[٥] تقدم تخريجه.

[٦] سورة المائدة ، الآية ٣ .

صدقا في الأخبار ، وعدلا في الأوامر والنواهي ، فلما أكمل الدين لهم تمت عليهم النعمة ، ولهذا قال تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ ، أي : فارضَوه أنتم لأنفسكم ، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه ، وبعث به أفضل الرسل الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه. انتهى كلامه رحمه الله.

الخامس: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن الله يقيض لها من يُجدِّد لها دينها على رأس كل مائة سنة، ليُحفظ دينها على مر القرون ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها.[1]

قال ابن كثير رحمه الله في معنى الحديث: الظاهر والله أعلم أنه يعم جملة أهل العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء ونحاة ولغويين ، إلى غير ذلك من الأصناف ، والله أعلم. انتهى كلامه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فَلَمَّا كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدَهُ رَسُولٌ، وَلَا مَنْ يُجَدِّدُ الدِّينَ؛ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُقِيمُ لِتَجْدِيدِ الدِّينِ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا يَكُونُ مُقْتَضِيًا لِظُهُورِهِ، كَمَا وَعَدَ بِهِ فِي الْكِتَابِ، فَيُظْهِرُ بِهِ مَحَاسِنَ الْإِيمَانِ وَمَحَامِدَهُ، وَيُعَرِّفُ بِهِ مَسَاوِئَ الْكُفْرِ وَمَفَاسِدَهُ. [2]

السادس: ومن خصائص أمة محمد ﷺ منها بقاء طائفة منها على الحق إلى قيام الساعة ، جعلنا الله والقارئين منهم ، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، حتى يأتيهم أمر الله وهو ظاهرون.[3]

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.[1]

---

[1] أخرجه أبو داود (٤٢٩١) ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٩٩).

[2] «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١/٨٤-٨٥)، ط دار الفضيلة – الرياض.

[3] أخرجه البخاري (٧٣١١) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة.[٢]

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة.[٣]

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ، ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة.[٤]

وفي رواية أن عمير بن هانئ قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان على هذا المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم ظاهرون على الناس.[٥]

وفي الباب أحاديث صحيحة عن زيد بن أرقم[٦] ، وأبي أمامة[٧] ، وعمران بن حصين[٨] ، والمغيرة بن شعبة[٩] ، رضي الله عنهم أجمعين.

قال النووي رحمه الله في بيان هذه الطائفة: ويُحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض.

---

[١] أخرجه مسلم (١٩٢٠) والترمذي (٢٢٢٩) وابن ماجه (١٠) ، وأحمد (٢٧٩/٥).

[٢] أخرجه مسلم (١٩٢٣) وأحمد (٣٤٥/٣) ، والبيهقي (٣٩/٩).

[٣] أخرجه الترمذي (٢١٩٢) ، وابن ماجه (٦) ، وابن حبان (٢٦١/١) ، واللفظ لابن ماجه.

[٤] أخرجه أحمد (٩٣/٤) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٥] أخرجه أحمد (١٠١/٤) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الصحيح.

[٦] أخرجه أحمد (٣٦٩/٤).

[٧] أخرجه أحمد (٢٦٩/٥).

[٨] أخرجه أحمد (٤٢٩/٤ ، ٤٣٧) ، وأبو داود (٢٤٨٤).

[٩] رواه مسلم (١٩٢١).

ثم قال رحمه الله: وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة ، فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن ، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث.
وفيه دليل لكون الإجماع حجة ، وهو أصح ما استُدِلَّ به له من الحديث.[1]
قال مقيده عفا الله عنه بمنه وكرمه: اللهم اجعلني والقارئ الكريم منهم.

السابع: ومن خصائص هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة ، ودليل هذا حديث كعب بن عاصم الأشعري رضي الله عنه ، سمع النبي ﷺ يقول: إن الله تعالى قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة.[2]

وقال أبو مسعود، عقبة بن عمرو، رضي الله عنه: عليكم بالجماعة ، فإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة.[3]
وقال الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه: ما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئا فهو عند الله سيء.[4]
وقوله رضي الله عنه (المسلمون) يعني بذلك علماءهم ، لأن العلماء هم أهل النظر وهم حملة الشريعة.

الثامن والتاسع: ومن خصائص أمة محمد ﷺ ما منَّ الله به عليها ببعض العبادات التي تتضمن رفع الحرج والمشقة في العبادات[5] ، وتشبيه الأمة في صفوف الصلاة بصفوف الملائكة عند ربها ، ومن ذلك ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: فُضِّلت هذه الأمة على سائر الأمم بثلاث: جُعِلت لها

---

[1] «شرح النووي على صحيح مسلم» ، حديث رقم (١٩٢٠).
[2] رواه ابن أبي عاصم (٨٢) وحسنه الألباني بشواهده كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٣١).
[3] رواه ابن أبي عاصم (٨٥) وصححه الألباني في «ظلال الجنة».
[4] رواه أحمد في «مسنده» (٣٧٩/١) ، وقال محققو «المسند»: إسناده حسن.
[5] انظر للتوسع كتاب «رفع الحرج في الشريعة الإسلامية» للدكتور يعقوب بن عبد الوهاب أبا حسين ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.
أقول: ورفع الحرج يعتبر واحد من خصائص الشريعة الإسلامية ، وإلا فخصائص الشريعة كثيرة ، انظر كتاب «خصائص الشريعة الإسلامية» للدكتور عمر بن سليمان الأشقر رحمه الله ، الناشر: دار الفلاح – الكويت.

الأرض طهورا ومسجدا ، وجُعِلت صفوفها على صفوف الملائكة[1] ، وأُعطِيت هذه الآيات من آخر البقرة من كنز تحت العرش ، لم يعطها نبي قبلي.[2]

وعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا – أي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ – فَقَالَ: أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟

قَالَ: يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ.[3]

العاشر: ومن فضائل أمة محمد ﷺ أنهم هُدُوا ليوم الجمعة ، ففي حديث أبي هريرة المتقدم: ... ، ثم هذا يومهم الذي فُرِضَ عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا ، والنصارى بعد غد.

قال ابن حجر رحمه الله في معنى (فُرض عليهم) أي فُرض تعظيمه.

وهداية الصحابة ليوم الجمعة كان عن اجتهاد منهم ، اختاره ابن حجر رحمه الله كما في شرحه للحديث ، واستدل بما رواه عبد الرزاق في «مصنفه»[4] وصححه عن محمد بن سيرين قال: جَمَّع[5] أهل المدينة قبل أن يَقدُم رسول الله ﷺ وقبل أن تُنْزَل الجمعة[6] ، وهم الذين سموها الجمعة ، فقالت الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى أيضا مثل ذلك ، فهلُم فلنجعل يوما نجتمع ونذكر الله ونصلي ونشكره فيه – أو كما قالوا – فاجعلوه يوم العَروبة ، وكانوا يُسمُّون يوم الجمعة يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرارة فصلى بهم يومئذ وذكّرهم ، فسمَّوه الجمعة ، حتى اجتمعوا إليه ، فذبح أسعد بن زرارة لهم شاة ، فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة ، وذلك لقلتهم ، أنزل الله في ذلك ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾.

---

[1] أي: جُعِلت صفوف أمته في الصلاة على مِثالِ صفوف الملائكة في السماء.

[2] رواه أحمد (٣٨٣/٥) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[3] رواه مسلم (٤٣٠).

[4] كتاب الجمعة ، برقم (٥١٤٤).

[5] جمع بتشديد الميم أي صلوا الجمعة.

[6] أي سورة الجمعة.

قال ابن حجر رحمه الله: وهذا وإن كان مرسلا فله شاهد بإسناد حسن ، أخرجه أحمد وأبو داود[1] وابن ماجه[2] وصححه ابن خزيمة[3] وغير واحد ، من حديث كعب بن مالك قال: كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة أسعد بن زرارة ، الحديث.

فمُرسَل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد.

ولا يمنع ذلك أن يكون النبي ﷺ علِمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من إقامتها ثَمّ[4] ، فقد ورد فيه حديث عن ابن عباس عند الدارقطني ، ولذلك جَمّع بهم أول ما قدِم المدينة ، كما حكاه ابن إسحاق وغيره ، وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتَي البيان والتوفيق.

وقيل في الحكمة في اختيارهم الجمعة وقوع خلق آدم فيه ، والإنسان إنما خُلِق للعبادة ، فناسب أن يَشتغل بالعبادة فيه ، ولأن الله تعالى أكمل فيه الموجودات ، وأوجد فيه الإنسان الذي ينتفع بها ، فناسب أن يشكر على ذلك بالعبادة فيه. انتهى.

قال مقيده عفا الله عنه: وقد ذكر ابن القيم في «زاد المعاد» ثلاثين خَصيصة ليوم الجمعة.

الحادي عشر: ومن خصائص أمة محمد مضاعفة أجرها ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: مَثَلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء ، فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط[5]؟

فعمِلت اليهود.

ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟

فعمِلت النصارى.

ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم ، فغضبت اليهود والنصارى ، فقالوا: ما لنا أكثر عملا وأقل عطاء؟

---

[1] برقم (١٠٦٩).

[2] برقم (١٠٨٢).

[3] انظر «صحيح ابن خزيمة» (١١٢/٣).

[4] أي في ذلك الوقت.

[5] المراد بالقيراط النصيب ، وهو في الأصل نصف دانق ، والدانق سدس درهم. قاله ابن حجر في شرح الحديث.

قال: هل نقصتُكُم من حقكم؟

قالوا: لا.

قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء.[1]

ومن دلائل مضاعفة أجور أمته أن الله فرض على النبي ﷺ ليلة أسري به خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم راجع ربه ليخفِّف عدد الصلوات ، فما زال يخففها حتى بلغت خمسا ، ثم راجعه فقال: هن خمس وهن خمسون ، لا يُبدَّل القول لدي.[2]

أي هي خمس في الأداء ولكنها خمسون في الثواب.

ومن دلائل مضاعفة أجور أمته ما اختص الله به هذه الأمة من ليلة القدر ، والتي يضاعف فيها العمل الصالح مضاعفة عظيمة حتى يكون للعامل فيها ثواب مَن عَمِل ألف شهر وزيادة ، أي أربعٌ وثمانون سنة وأربعة أشهر ، قال الله تعالى ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾.

ومن دلائل مضاعفة أجور أمته أن من عمِل حسنة فإن الله يضاعف ثوابها له إلى عشر أمثالها ، قال الله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هَـمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هَـمَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعاف كثيرة ، وإن هَـمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هَـمَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة.[3]

وسأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم: كيف تصوم؟

فقال: ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان ، فهذا صيام الدهر كله.

صيام يوم عرفة ، أحتسب على الله أن يُكَفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده.

وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يُكَفِّر السنة التي قبله.[4]

---

[1] رواه البخاري (٢٢٦٨).

[2] رواه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٦٤٩١) ومسلم (١٣١).

[4] رواه مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه.

أي الخطايا التي ارتكبها الإنسان في السنة التي قبلها.
وهذا من فضل الله علينا أن أعطانا بصيام يوم واحد تكفير ذنوب سنة كاملة ، والله ذو الفضل العظيم.
والكلام في مضاعفة الأجور وتكفير السيئات – والتي أنعم الله بها على أمة محمد ﷺ – يطول جدا ، ومن أراد التوسع في معرفة فضائل الأذكار والعبادات فليرجع غلى كتب الفضائل الصحيحة مثل «رياض الصالحين» للنووي رحمه الله وأمثاله من الكتب.
فالحاصل أن الله أعطى أمة محمد ﷺ في الأعمار القصيرة على الأعمال اليسيرة أضعاف ما أعطى الأمم الماضية في الأعمار الطويلة على الأعمال الكثيرة الشاقة ، والحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد ﷺ .

الثاني عشر: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أنه لا يَعُمُّها الهلاك بجدبٍ (وهو قلة المطر) ولا غرق ، ولا يُسلط عليهم عدوٌّ فيستأصلهم ، فعن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية ، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربه طويلا ، ثم انصرف إلينا ، فقال ﷺ : سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة ؛ سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسَّنة[1] فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمَنَعنيها.[2]

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ... وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنةٍ عامَّة[3] ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم[4] ، وإن ربي قال: يا محمد ، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أُهلِكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط

---

[1] السَّنةُ هي الجدب.
[2] رواه مسلم (٢٨٨٩).
[3] أي جدب يعمهم فيهلكون.
[4] البيضة هي المجتمع وموضع السلطان ، وبيضة الدار هي وسطها. انظر «النهاية».

عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها – أو قال: مَن بينَ أقطارها – حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا.[1]

الثالث عشر: أنهم الآخِرون في الدنيا ، السابقون يوم القيامة في الحساب ودخول الجنة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمِع رسول الله ﷺ يقول: نحن الآخِرون السابقون يوم القيامة ، بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا.[2]

قال ابن حجر رحمه الله: أي الآخرون زمانا الأولون منزلة ، والمراد أن هذه الأمة – وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية – فهي سابقة لهم في الآخرة ، بأنهم أول من يحشر ، وأول من يحاسب ، وأول من يُقضى بينهم ، وأول من يُدخَلُ الجنة. انتهى.

الرابع عشر: ومن خصائص أمة محمد أنهم يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحجَّلين[3] من أثر الوضوء ، والغرة بياض في الوجه ، والتحجيل بياض في القدم ، وفي هذا تخصيصهم بالزينة على غيرهم من الأمم، وبهذا يَعرفهم النبي ﷺ من غيرهم يوم القيامة ، قال ﷺ : إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا مُحجَّلين من آثار الوضوء.[4]

الخامس عشر: ومن خصائص هذه الأمة أنهم أول من يجوز على الصراط يوم القيامة ، مع النبي ﷺ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته.[5]

السادس عشر: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن الله يُدخل منهم الجنة سبعين ألفا بغير حساب ولا عذاب ، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين[1].

---

[1] رواه مسلم (٢٨٨٩).

[2] رواه البخاري (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥) ، ورواه مسلم عن حذيفة أيضا (٨٥٦) ولفظه: الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق.

[3] هاتان الكلمتان تستعملان في وصف الفَرَس ، ولكنهما استعيرتا هنا لوصف المؤمنين يوم القيامة ، جعلنا الله منهم.

[4] انظر صحيح البخاري (١٣٦) ومسلم (٢٤٦).

[5] رواه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي حديث آخر: مع كل ألف سبعون ألف ، وثلاث حثَياتٍ[٢] من حثياته.[٣]
قال النووي رحمه الله: فيه عِظم ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبي ﷺ وأمته ، زادها الله فضلا وشرفا.[٤]

السابع عشر: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أنهم أكثر أهل الجنة ، فقد بشر الله نبيه بأن أمته نصف أهل الجنة ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوما لأصحابه: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة.[٥]

ثم أكمل النبي ﷺ البشارة في الحديث الصحيح الآخر الذي قال فيه: أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ.[٦]

قال النووي رحمه الله: فهذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة ، فيكون النبي ﷺ أَخبر أولا بحديث الشطر ، ثم تفضل الله سبحانه بالزيادة ، فأُعلِم بحديث الصفوف ، فأخبر به النبي ﷺ بعد ذلك.[٧]

الثامن عشر: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن الله سماهم المسلمين ولم يُسمِّ بهذا الاسم أمةٌ قبلها من الأمم ، مع أن جميع الأنبياء أتوا برسالة الإسلام بمعناها العام وهي الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ، ولكن تسمية الرسالة نفسها بالإسلام فهذه لم تحصل إلا لشريعة محمد ﷺ ، قال الله تعالى ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم **المسلمين** من قبل وفي هذا﴾ ، أي: هو اصطفاكم لحمل هذا الدين ، وقد منَّ عليكم بأن جعل

---

[١] انظر صحيح البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه مسلم (٢١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] الحثوة هي الغَرفة باليد ، يقال حثا أي اغترف بيده ، ومعنى السياق أن الله يحثو من الناس ثلاث حثيات يدخلهم الجنة بغير حساب ، والله اعلم بالكيفية لأنه من الغيب الذي اختص الله بعلمه.

[٣] أخرجه الترمذي (٢٤٣٧) وابن ماجه (٤٢٨٦) وأحمد (٢٥٠/٥) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، وصحح إسناده الألباني ومحققو «المسند».

[٤] انظر «شرح النووي» ، حديث رقم (٢١٦)

[٥] أخرجه البخاري (٦٥٢٨) ومسلم (٢٢١).

[٦] رواه الترمذي برقم (٢٥٤٦) عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما ، وصححه الألباني.

[٧] انظر شرحه لحديث رقم (٢٢١) من صحيح مسلم.

شريعتكم سمحة ، ليس فيها حرج ولا تضييق ولا تشديد في تكاليفها وأحكامها كما كان في بعض الأمم قبلكم ، هذه الملة السمحة هي ملة أبيكم إبراهيم بمعناها العام ، فإن مِلة إبراهيم هي إفراد الله بالعبادة ، وقد سَمَّاكم الله المسلمين مِن قبلُ في الكتب المنزلة السابقة وفي هذا القرآن ، وقد اختصَّكم بهذا الاختيار.

التاسع عشر: ومن خصائص هذه الأمة ودلائل تكريمها أن المسيح عيسى ابن مريم سيصلي معهم إذا نزل آخر الزمان ، خلف إمامهم ، وهو المهدي ، وهذا من تكريم الله لهذه الأمة ، وبهذا سيكون المسيح واحدا من هذه الأمة ، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الأمة.[1]

أي: إذا قال الأمير وهو المهدي للمسيح (صلِّ لنا) أي صلِّ لنا إماما ، فإن المسيح يعتذر بأن بعض هذه الأمة أمراء على بعض ، والأمير هو الأحق بأن يصلي بالناس ، فلا ينبغي لغيركم أن يكون إماما لكم ، لأجل تكرمة الله إياكم.[2]

العشرون: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن المسيح عليه السلام – وهو من أولي العزم من الرسل – سيحكمهم ويكون واليا على المسلمين كلهم ، مطبقا للشريعة الإسلامية ، وسيكون هذا إذا نزل في آخر الزمان ، فيقتل الدجال ومن معه من اليهود ، ويُهلِك الله قوم يأجوج ومأجوج بسبب دعائه عليهم ، ثم يكون واليا على المسلمين بعد المهدي ، وتكون مدة لبثه في الأرض أربعون سنة ، وسيكون الرخاء ورغـد العيش وبسط الأمن في تلك الفترة ، وبعد مـوته يكون شرار الناس ، فتأتي ريح طيبة فتقبض أرواح المؤمنين ، ثم تقوم الساعة على شِرار الناس.[3]

---

[1] رواه مسلم (١٥٦).

[2] انظر شرح الحديث للشيخ محمد بن علي آدم الأثيوبي حفظه الله في كتابه «البحر المحيط الثجاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣٠٠/٤) ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.

[3] انظر «مسند أحمد» (٤٠٦/٢) ، وقد صححه محققوه (٩٢٧٠).

ولْيتأمل المُتأمل هذه الخصيصة العظيمة لهذه الأمة ؛ أنْ حَـكَـمَـها في أول أمرها نبي وهو محمد ﷺ ، وسيحكمها في آخر الزمان نبي وهو المسيح ابن مريم عليه السلام.

الحادية والعشرون: ومن خصائص أمة محمد ﷺ كثرة العلماء المجاهدين العُباد في صحابة النبي ﷺ ،

وقد كان في صحابة النبي ﷺ جميع أنواع الشرائح المطلوبة في المجتمع لإقامة دين الإسلام، فمنهم من كان مستشارا خاصا للنبي ﷺ لإدارة شئون الدولة، كالخلفاء الأربعة.

ومنهم الفقهاء المحدِّثون كابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود وأبو هريرة وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري ومعاذ بن جبل، ومن النساء عائشة رضي الله عنهم أجمعين.

وممن اعتلى في الجهاد خالد بن الوليد وأبو عبيدة عامر بن الجراح وأسامة بن زيد، رضي الله عنهم.

والكلام في هذا يطول جدا، ومن رجع إلى كتاب «سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي رحمه الله وجد إرثا علميا ضخما يحكي أمجاد الصحابة رضي الله عنهم ومكانة كثير ممن تميز منهم بعلم أو عمل أو جهاد.

الثانية والعشرون: ومن خصائص أمة محمد ﷺ كثرة العلماء في أمته منذ عهد النبوة وإلى زماننا هذا، الذين حفظوا الدين، وساهموا في التأليف في شتى الفنون العلمية، كالعقيدة والتفسير والحديث والفقه، وتجديد ما اندرس من معالم دين الإسلام، ولا زال العلماء في كل قرن يقومون بدين الله ويجاهدون لنشر العلم وبثه بين الناس مهما كانت الظروف السياسية والاجتماعية والبيئية التي تحيط بهم.

وهذا في الحقيقة امتداد لما كان النبي ﷺ يفعله، وهو بث العلم بين الناس ونشره في الآفاق بقدر الإمكان، فعاد الفضل بعد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من دلائل عظمته.

وقد دَوَّن علماء التاريخ الإسلامي تراجمهم في كتبهم، ومن أشهر تلك الكتب الكتاب السالف ذكره «سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي رحمه الله، وكذلك كتاب «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحَّالة رحمه الله.

الثالثة والعشرون: ومن خصائص أمة محمد ﷺ كثرة السابقين إلى الخيرات في أمته مقارنة بالأمم الأخرى، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿مِنهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾[1]:

وقوله ﴿منهم أمة **مقتصدة** وكثير منهم ساء ما يعملون﴾، كقوله تعالى ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾[2]، وكقوله عن أتباع عيسى ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾[3]، **فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد**، وهو أوسط مقامات هذه الأمة، وفوق ذلك رتبة السابقين، كما في قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها﴾[4] الآية. انتهى.

وقال ابن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُون﴾:

أي: من أهل الكتاب أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ، أي: عاملة بالتوراة والإنجيل، **عملا غير قوي ولا نشيط**، ﴿ وكثير مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُون، أي: **والمسيء منهم الكثير**، وأما السابقون منهم فقليلٌ ما هم. انتهى.

قلت: فإذا كان هذا هو حال أمة موسى التي هي أفضل الأمم بعد أمة محمد ﷺ ، فكيف بالأمم الأخرى؟

الرابعة والعشرون: ومن خصائص أمة محمد ﷺ أن الله سيرضي نبيه ﷺ فيهم يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ تَلا قَوْلَ اللهِ عزَّ وجلَّ في إبْراهِيمَ: ﴿رَبِّ إنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فمَن تَبِعَنِي فإنَّه مِنِّي﴾ الآيَةَ، وقالَ عِيسَى عليه السَّلامُ: ﴿إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ وإنْ تَغْفِرْ لهمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وقالَ: (اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي)،

---

[1] سورة المائدة: ٦٦ .

[2] سورة الأعراف: ١٥٩ .

[3] سورة الحديد: ٢٧ .

[4] سورة المائدة: ٦٦ .

وبَكَى، فقالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: (يا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، وربُّكَ أعْلَمُ، فَسَلْهُ ما يُبْكِيكَ؟)، فأتاهُ جِبْرِيلُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فَسَألَهُ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بما قالَ، وهو أعْلَمُ، فقالَ اللَّهُ: يا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ، ولا نَسُوءُكَ.[1]

قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها.

وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل ﴿ولسوف يُعطيكَ رَبُّكَ فَتَرضى﴾. انتهى باختصار.

وفي الحديثِ بيانٌ لِمَا كان عليه النبيُّ ﷺ من الشفَقَةِ والدُّعاءِ لأمَّتِه.

وفي الحديثُ توضيح لمعنى الآيةِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وفيه بيانُ المكانةِ العُليا للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم عندَ ربِّه، حيثُ إنَّه تعالى وعدَه أن يُرضيهِ في أمَّته، ولا يسوءُه.[2]

---

[1] رواه مسلم (٢٠٢).

[2] استفدت هذه الفوائد من التعليق على الحديث الذي قامت به مؤسسة (الدرر السنية)، وفق الله العاملين بها.

خاتمة الكتاب

تم بحمد الله الفراغ من إعداد هذا الكتاب المبارك – إن شاء الله – والذي أراد به مؤلفه نصرة النبي محمد ﷺ بذكر حقوقه السبعة عشر على أمته ، لعل الله أن ينفع بها نفسه وعموم المسلمين ، فينصروا دينهم ونبيهم بتطبيق تلك الحقوق كما أمر الله بذلك ورسوله ، وكما طبَّقها الرعيل الأول من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وقبل ذِكر حقوقه يسر الله تعالى ذكر ثلاث مواضيع تمهيدية بين يدي هذا الموضوع الهام لتكون كالمرقاة إليه ، وهي: ١) مقدمات في الإيمان بمحمد ﷺ ، ٢) مقتضيات الإيمان به ، ٣) الدلائل المِئة على عِظم قدره ﷺ .

وبعد الفراغ من ذكر حقوقه السبعة عشر على أمته تم تقرير ما يناقض الإيمان به ﷺ ، وذِكر بحوث أخرى لطيفة، ليكون القارىء على بصيرة بالحق وضده.

اللهم أنِر بصائرنا ، واهدِ قلوبنا ، واحشرنا تحت لواء نبيك محمد ﷺ يوم القيامة ، واسقِنا من حوضه ، كما سقيتنا من شريعته في الدنيا.

وبه انتهى تأليف كتاب «النصر المؤزر للنبي الموقر» ، فالحمد لله على إعانته ، فحقٌ هو أن يُحمد ، وحقٌ هو أن يُعبد ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

وكتبه ماجد بن سليمان الرسي ، في ليلة عيد الفطر لعام ١٤٣٣ هجري.

ثبت لأهم المراجع

كتب الحديث

١. السنن الكبرى ، أحمد بن شعيب النسائي ، عناية جاد الله بن حسن الخداش ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض

٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

٣. السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد بن عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت

٤. سنن الدارمي ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، الناشر: دار القلم – دمشق

٥. المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق أيمن صالح شعبان والسيد أحمد إسماعيل ، الناشر: دار الحديث – القاهرة

٦. شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٧. دلائل النبوة ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٨. دلائل النبوة ، أبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق د. محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس ، الناشر: دار النفائس – بيروت

٩. الصحيح المسند من دلائل النبوة ، مقبل بن هادي الوادعي ، سنة ١٤٢٤ هـ ، الناشر: مكتبة صنعاء الأثرية – اليمن

١٠. سنن سعيد بن منصور ، تحقيق د. سعد بن عبد الله آل حميد ، الناشر: دار الصميعي – بيروت

١١. الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق سمير بن أمين الزهيري ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض
١٢. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، عبد الله بن أبي شيبة ، تحقيق محمد بن عبد السلام بن شاهين ، الناشر: مكتبة دار الباز – مكة
١٣. المصنف ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت

كتب العقيدة

١٤. كتاب السنة ، عمرو بن أبي عاصم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت
١٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، هبة الله بن الحسن اللالكائي ، تحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي ، الناشر: دار طيبة – الرياض
١٦. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق أحمد أبي العينين ، الناشر: دار الفضيلة – الرياض
١٧. شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق د. عبد الله التركي ، سنة ١٤١٨ هـ ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
١٨. النبوات ، ابن تيمية ، تحقيق د. عبد العزيز الطويان ، الناشر: دار أضواء السلف – الرياض
١٩. الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ، ابن تيمية ، الناشر: رمادي للنشر – الدمام
٢٠. الرد على الإخنائي ، ابن تيمية ، تحقيق أحمد بن مونس العنزي ، الناشر: دار الخراز – جدة
٢١. الاستغاثة في الرد على البكري ، ابن تيمية ، تحقيق عبد الله السهلي ، ط ١ ، الناشر: مدار الوطن – الرياض
٢٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، تحقيق د. علي بن حسن الألمعي وغيره ، سنة ١٤٢٤ هـ ، الناشر: دار الفضيلة – الرياض

٢٣. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن القيم ، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله ، الناشر: دار العاصمة – الرياض
٢٤. الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم ، الناشر: دار القاسم – الرياض

كتب السيرة والسير

٢٥. سيرة ابن إسحاق ، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، تحقيق محمد حميد الله ، الناشر: دار طيبة – الرياض
٢٦. السيرة النبوية ، ابن هشام ، الناشر: دار الخير – بيروت
٢٧. الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد الزهري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
٢٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق محمد العلاوي ، الناشر: دار ابن رجب – مصر
٢٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم الأصفهاني ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
٣٠. أخبار مكة ، محمد بن عبد الله الأزرقي ، تحقيق د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، الناشر: مكتبة الأسدي – مكة
٣١. مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ابن الجوزي ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: دار هجر – مصر
٣٢. حقوق النبي ﷺ على أمته ، د. محمد بن خليفة التميمي ، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض

كتب الاعتصام بالسنة والحذر من البدع

٣٣. البدع والنهي عنها ، ابن وضاح القرطبي ، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم ، الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة

٣٤. ذم الكلام وأهله ، شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي ، عناية عبد الله الأنصاري ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة
٣٥. جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر النمري ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام
٣٦. المدخل إلى السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق د. محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي ، الناشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض
٣٧. كتاب الفقيه والمتفقه ، الحافظ البغدادي ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام
٣٨. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، تحقيق صالح بن محمد عويضه ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
٣٩. السنة ، محمد بن نصر المروزي ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار غراس – الكويت
٤٠. تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر المروزي ، تحقيق كمال بن السيد سالم ، الناشر: مكتبة العلم – القاهرة

كتب الإيمانيات

٤١. الرسالة التبوكية ، ابن القيم ، تحقيق سليم الهلالي ، الناشر: مكتبة الخراز – جدة
٤٢. بدائع الفوائد ، ابن القيم ، تحقيق علي بن محمد العمران ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة
٤٣. الفوائد ، ابن القيم ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض
٤٤. مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل ، الناشر: دار طيبة – الرياض
٤٥. جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد سيد الأنام ، ابن القيم ، تحقيق زائد بن أحمد النشيري ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة

كتب متنوعة

٤٦. صفة صلاة النبي ﷺ ، محمد ناصر الدين الألباني ، سنة ١٤٢٤ هـ ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض
٤٧. أحكام الجنائز وبدعها ، محمد ناصر الدين الألباني ، سنة ١٤١٢ هـ ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض
٤٨. البداية والنهاية ، عماد الدين ابن كثير ، الناشر: دار ابن كثير – دمشق
٤٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم ، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت

فهرست تفصيلي لمواضيع الكتاب

مقدمة

فهرست عام لمحتويات الكتاب

الفصل الأول: مباحث في الإيمان بالنبي ﷺ

المبحث الأول: تعريف معنى الإيمان

المبحث الثاني: معنى النبوة والرسالة

المبحث الثالث: الفرق بين النبي والرسول

المبحث الرابع: أهمية الإيمان بالنبي ﷺ

المبحث الخامس: أدلة وجوب الإيمان بالنبي ﷺ

المبحث السادس: دلائل نبوته

الحكمة من دلائل النبوة

سرد دلائل نبوته حسب أنواعها:

الأولى بشارات الأنبياء قبله

الثانية أنه لو لم يكن نبيا لحذر الأنبياء منه

الثالثة أنه من أعقل الناس وأصدقهم

الرابعة انقطاع استراق السمع من السماء قُبيل بعثته

الخامسة أنه كان لا يرى رؤيا في المنام إلا جاءت مطابقة للواقع

السادسة أن الله خرق له العادة مرارا

السابعة إخباره ببعض الأمور الغائبة عن عيون الناس في حينها

الثامنة توقير بعض الحيوانات والجمادات له

التاسعة إخباره عن أمور مستقبلية ، فوقعت كما أخبر

العاشرة من الدلائل إنزال القرآن الكريم

المبحث السابع: الغاية من إرسال الرسل

المبحث الثامن: بيان شروط شهادة أن محمدا رسول الله

الفصل الثاني: مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ الخمسة عشرة

١. معرفة اسمه ونسبه

٢. الإيمان بنبوته ورسالته

٣. الإيمان بأن هديه أكمل هدي وطريقته أحسن طريقة

٤. الإيمان ببشريته وأنه عبد لله

٥. القيام بحقوقه

٦. الإيمان بما صح في سيرته من الأخبار الدالة على سيرته المباركة

٧. الإيمان بما جاء من صفاته الخَلقية والخُلُقية

٨. الإيمان بما جاء من خصائصه الذاتية والشرعية

٩. الإيمان بما جاء من دلائل نبوته

١٠. الإيمان بأنه خاتم النبيين ، ورسالته خاتم الرسالات

١١. الإيمان بأن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع

١٢. الإيمان بأنه لا دين مقبول عند الله إلا دين الإسلام

١٣. الإيمان بأنه قد بلغ الرسالة وأكملها

١٤. الإيمان بعموم رسالته إلى الإنس والجن

١٥. الإيمان بعصمته ، وفيه خمسة مباحث:

الأول: عصمته في مجال التبليغ من الخطأ والنسيان

الثاني: عصمته من الشرك

الثالث: عصمة نسبه الذي تناسل منه من السِّفاح

الرابع: عصمته من كبائر الذنوب

الخامس: عصمته من رذائل الأخلاق

فصل في بيان مسألة وقوع الخطأ منه

الفصل الثالث: الدلائل المِئة على عظم قدر النبي ﷺ :

١. اصطفاء الله له واختياره له من بين سائر الناس ليقوم بأعباء الرسالة

٢. أن الله تعالى جمع له بين النبوة والرسالة

٣. أنه من أولي العزم من الرسل

٤. ما اختصه الله به من آيات كثيرة تدل على نبوته

٥. أن الله اختصه بآية خالدة مستمرة إلى يوم القيامة ، وهي القرآن الكريم

٦. أن الله تعالى أنزل عليه أحسن كتبه وهو القرآن الكريم

٧. أن الله أنزل عليه أحسن شرائعه

٨. أن الله أوحى إليه بالسُّنة

٩. أن الله أرسله للناس كافة ، إنسُهم وجِنُّهم

١٠. أن الله ختم به النبوات والرسالات

١١. أن الله تعالى أخذ الميثاق على الرسل جميعا أنه إذا خرج فيهم النبي محمد ﷺ أن يؤمنون به وينصرونه

١٢. أن التوراة والإنجيل قد بشَّرت به وذكرت صفته

١٣. أن الله تعالى قد جمع فيه ما تفرق في غيره من الأنبياء من الخصائص

١٤. أنه جمع كل كمال وخير في الأنبياء قبله

١٥. أن الله تعالى فضله على جميع الخلق أولهم وآخرهم ، الأنبياء وغيرهم

١٦. أن الله تعالى اتخذه خليلاً

١٧. أنه أتقى الناس وأعلمهم بالله تعالى

١٨. أن الله جعله قدوة للناس ومثالا أعلى

١٩. أن من اقتدى به صار عظيما

٢٠. كثرة العلماء المجاهدين العُباد في صحابته

٢١. كثرة العلماء في أمته منذ عهد النبوة وإلى زماننا هذا

٢٢. كثرة السابقين إلى الخيرات في أمته مقارنة بالأمم الأخرى

٢٣. وجوب محبته على الناس أجمعين

٢٤. وجوب التأدب معه بقدرٍ زائدٍ عن القدر الواجب مع غيره

٢٥. أن الله قرن حقه بحقه في ثلاث مواطن

٢٦. أنّ الله رفع ذِكره رَفعا عظيما

٢٧. أن الله زكى عَقْلَهُ

٢٨. أن الله زَكَّى لسانَه

٢٩. أن الله زَكَّى فُؤادَهُ

٣٠. أن الله زَكَّى بَصَرَهُ

٣١. أن الله زَكَّى أُمَّتَهُ

٣٢. أن الله زَكَّى جَليسَهُ جبريل

٣٣. أن الله تعالى أمر بالصلاة والسلام عليه ﷺ في عموم الأحوال

٣٤. أن الصلاة عليه من أسباب إجابة الدعاء

٣٥. أن الله أقسم بحياته

٣٦. أن الله أقسم بأن يرضيه

٣٧. أن الله وقّره في ندائه

٣٨. أن الله تولى تبرئته بنفسه مما نسبه إليه المشركون من السَّفه والجنون

٣٩. أن السماء حُرِست من استراق الشياطين للسمع قُـبَيل بعثته

٤٠. أن الأصنام تساقطت لمولده الكريم

٤١. حادثة شق صدره ، واستخراج حظ الشيطان منه

٤٢. ما اختصه الله به من حادثة الإسراء والمعراج

٤٣. أنه أمَّ الأنبياء في الصلاة ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس

٤٤. أنه في حادثة الإسراء والمعراج **رحَّب** به من لقيه من الملائكة عند باب كل سماء وفتحوا له ليدخل منها، كما رحَّب به كل نبي لقاه في تلك السماء

٤٥. أن حصلت له الرفعة الحسية على إخوانه الأنبياء

٤٦. أن الله أراه بيته في الجنة في المنام

٤٧. أن الله خيَّـره بين أن يكون مَلِكا نبيا أو يكون عبدا رسولا فاختار الثانية

٤٨. أن قرنه هو خير القرون قاطبة منذ خلق الله الخليقة

٤٩. أن الله أَطْـلَـعَـهُ على أمور غيبية تتعلق بالآخرة لم يُطلِع عليها أحدا من الأنبياء قبله

٥٠. أن الله أَطْـلَـعَـهُ على أمور غيبية ستحدث بالدنيا لم يُطلِع عليها أحدا من الأنبياء قبله

٥١. ما ميزه الله تعالى به من شرف النسب

٥٢. تشريف آل بيته من أجله تشريفا خاصا

٥٣. أن من اجتمع به ولو لحظة واحدة صار صحابيا

٥٤. أنه أوتِي جوامع الكلم

٥٥. أن الله تعالى أثنى على عِظم خُلُقه

٥٦. أن الله تعالى وصفه الله بأوصاف لم يصف بها أحد قبله

٥٧. تعدد أسمائه

٥٨. أن أصحابه حفِظوا أوصافه الخَلقِيَّة ونقلوها للناس

٥٩. أنه نُصِر بالرعب مسيرة شهر

٦٠. أن الله تعالى رزقه الشهادة

٦١. ما اختصه الله به من خصائص ذاتية

٦٢. ما اختصه الله به من خصائص شرعية

٦٣. أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأول من يُفيق

٦٤. أنه صاحب الشفاعة العظمى لبدء الحساب يوم القيامة

٦٥. أن له يوم القيامة ثلاث شفاعات خاصة غير العظمى

٦٦. أن الله جعل لواء الحمد بيده ﷺ يوم القيامة

٦٧. أن له حوضا خاصا به يوم القيامة في أرض المحشر

٦٨. أنه أكثر الأنبياء تبعاً

٦٩. أنه أعظم الناس أجرا يوم القيامة

٧٠. أن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

٧١. أن الله يبعثه يوم القيامة وأمته على تل

٧٢. أنه أول من يجوز على الصراط

٧٣. أنه أول من يدخل الجنة

٧٤. أنه أول من يقرع باب الجنة

٧٥. اختصاصه بنهـَر الكوثر الذي بالجنة

٧٦. توقير بعض الحيوانات له

٧٧. تسليم بعض الجمادات عليه ، وتعظيمها ومحبتها له ، وانقيادها لأمره

٧٨. انقياد بعض الأشجار له

٧٩. تعظيم مدينته

٨٠. أن ما بين بيته ومِنبره روضة من رياض الجنة

٨١. أن الشيطان لا يتمثل به في المنام

٨٢. عصمته من الوقوع في الشرك

٨٣. أن من سبه فإنه يكفر وعقوبته القتل

٨٤. أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبي

٨٥. أن الكذب عليه موجب للدخول في النار

٨٦. أن الميت يُسأل عنه في قبره

٨٧. أن الله عصمه من أذى الناس

٨٨. أن الله أعزَّ به الحق وأهله عِـزًّا لم يُـعِـزَّه بأحد قبله

٨٩. أنه رأى انتصار دينه واعتزاز أمته واندحار عدوه ودخول الناس في دين الإسلام أفواجا

٩٠. أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مستعدون للتضحية بأنفسهم وأموالهم عن أن تقال كلمة تمس مكانة النبي ﷺ أو مكانة زوجاته أو أصحابه أو أن يُنتقص من أقدراهم.

٩١. أن الله أَغلق أبواب الجنة عمَّن أعرض عن دينه وسلك غير طريقه ولم يقتدِ به

٩٢. كونه رحمة للعالمين

٩٣. أن المهدي من ذريته

٩٤. أن المسيح إذا نزل في آخر الزمان سيُصَلِّي خلف المَهدي أمير المسلمين

٩٥. أن المسيح – وهو من أولي العزم من الرسل – سيعبد الله على شريعة محمد ﷺ

٩٦. ما اختص الله به أمته من خصائص

٩٧. أن سيرته محفوظة بتفاصيلها الدقيقة ، بخلاف غيره من الأنبياء أو العظماء بشكل عام

٩٨. كثرة ما أُلِّفَ في سيرته

٩٩. شهادات بعض المُستشرقين – من العلماء والمُفكرين غير المسلمين – على عِظَم قدره

١٠٠. أن في الآيات التي أوتيها ما هو أظهر في الدلالة على نبوته من آيات غيره من الأنبياء

١٠١. أنه حصل له من الآيات والفضائل نظير ما حصل لجمعٍ من إخوانه الأنبياء وزيادة

الفصل الرابع: حقوق النبي ﷺ السبعة عشر على الأمة:

١. تصديقه فيما أخبر
٢. طاعته فيما أمر
٣. اجتناب ما نهى عنه وزجر
٤. أن لا يعبد الله إلا بما شرع
٥. التحاكم لشريعته
٦. تعظيم سنته
٧. مجانبة أهل البدع ، الراغبين عن سنته
٨. الدعوة إلى دينه
٩. الذب عن دينه
١٠. محبته
١١. توقيره
١٢. الذب عن ذاته
١٣. الأدب معه حيا وميتا
١٤. الدعاء له ، ويتضمن الصلاة والسلام عليه
١٥. توقير صحابته
١٦. توقير زوجاته
١٧. توقير آل بيته

الفصل الخامس: نواقض الإيمان بالنبي ﷺ وهي خمسة:

١. مناقضة شرط من شروط تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله

٢. إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة

٣. إيذائه ﷺ ، سواء في حياته أو بعد مماته

فصل ، موضوع الاستهزاء بالنبي ﷺ فيه عشرة مسائل:

المسألة الأولى: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ لون من ألوان إيذائه

المسألة الثانية: حكم الاستهزاء بالنبي ﷺ

المسألة الثالثة: عقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ

المسألة الرابعة: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ معاداة له

المسألة الخامسة: أن المستهزئ بالنبي ﷺ حقيقٌ بعقوبة الله له في الدنيا قبل الآخرة

المسألة السادسة: أن النبي ﷺ لم يسلم من السخرية والأذى والاعتداء منذ بعث إلى يومنا هذا

المسألة السابعة: أن الاستهزاء لا يضر الدين شيئا ، فدين الله سيبلغ ما بلغ الليل والنهار لا محالة

المسألة الثامنة: أن من سب الرسول ﷺ مكرها فإنه لا يؤاخذ

المسألة التاسعة: أن الكفار المحاربين إذا وقعوا في عرض النبي ﷺ جاء النصر

المسألة العاشرة: أن الاستهزاء بالنبي ﷺ مستلزم للاستهزاء بدين الإسلام الذي جاء به

٤. الوقوع في شيء من نواقض الإسلام ، ورؤوسها عشرة

٥. الغلو فيه ﷺ ، وفيه ثمانية مباحث:

الأول: تعريف الغلو لغة وشرعا

الثاني: خطر الغلو

الثالث: تأصيل في حقوق الأنبياء الشرعية

الرابع: أقسام الناس في تعظيم النبي ﷺ

الخامس: تحذير النبي ﷺ من الغلو فيه

السادس: اتباع الصحابة لنبيهم في اجتناب الغلو في الأنبياء والصالحين

السابع: بيان أهم مظاهر الغلو في النبي ﷺ مما هو من الشرك بالله ، ورؤوسها ستة:

١. دعاء النبي ﷺ

٢. الذبح له

٣. الطواف حول قبره

٤. النذر له

٥. دعوى الربوبية فيه

٦. ادعاء علم الغيب له

الثامن: فصل في بيان مظاهر محرمة في الغلو بالنبي ﷺ مما هو دون الشرك بالله ، ورؤوسها ثلاثة عشر مظهرا:

١. اتخاذ قبره مسجدا

٢. بناء مسجد على قبره ﷺ

٣. دعاء الله عند قبره ﷺ

٤. طلب الدعاء منه ﷺ بعد مماته

٥. الحلف به ﷺ

٦. اتخاذ قبره ﷺ عيدا

٧. السفر إلى قبره ﷺ

٨. تعظيم الأماكن التي مر بها ﷺ أو صلى عندها

٩. التبرك بقبره ﷺ

١٠. التوسل به ﷺ ، أي بذاته

١١. اعتقاد أن الله ما خلق الدنيا إلا لأجله ، أو اعتقاد أن الله خلقه من نور

١٢. اعتقاد أن الله خلقه من نور

١٣. الاحتفال بذكرى مولده

فتوى في حكم الاحتفال بما يسمى بالمولد النبوي

الفصل السادس – ملاحق الكتاب

١. كمـالُ خَلْقِ النبي ﷺ

٢. ملحق – دلائل رحمته ﷺ

٣. ملحق – محمد ﷺ ؛ كتابٌ مفتوح على مر القرون إلى نهاية الدنيا

٤. ملحق – خصائص أمة محمد ﷺ ، ورؤوسها ثلاثة وعشرون:

١. أن فيها خير القرون قاطبة منذ خلق الله الخليقة

٢. أن الله اجتباها لتكون الأمة الوسط الشاهدة على جميع الأمم السابقة

٣. أن فيها خير القرون قاطبة منذ خلق الله الخليقة

٤. أن الله أتم لها الدين فلا تحتاج إلى دين غيره ولا نبي بعد نبيها ﷺ

٥. أن الله يقيض لها من يُجدِّد لها دينها على رأس كل مائة سنة

٦. بقاء طائفة منها على الحق إلى قيام الساعة

٧. أنها لا تجتمع على ضلالة

٨. ما منَّ الله به عليها ببعض العبادات التي تتضمن رفع الحرج والمشقة في العبادات

٩. تشبيه الأمة في صفوف الصلاة بصفوف الملائكة عند ربها

١٠. أنهم هُدوا ليوم الجمعة

١١. مضاعفة أجرها

١٢. أنه لا يَعُمُّها الهلاك بجدبٍ (وهو قلة المطر) ولا غرق ، ولا يُسلط عليهم عدوٌّ فيستأصلهم

١٣. أنهم الآخِرون في الدنيا ، السابقون يوم القيامة في الحساب ودخول الجنة

١٤. أنـهم يأتون يوم القـيامة غُـرًّا مُـحجَّـلين من أثر الوضـوء

١٥. أنهم أول من يجوز على الصراط يوم القيامة ، مع النبي ﷺ

١٦. أن الله يُدخل منهم الجنة سبعين ألفا بغير حساب ولا عـذاب

١٧. أنهم أكثر أهل الجنة

١٨. أن الله سماهم المسلمين ولم يُسمِّ بهذا الاسم أمةٌ قبلها من الأمم

١٩. أن المسيح عيسى ابن مريم سيصلي معهم إذا نزل آخر الزمان

٢٠. أن المسيح عليه السلام سيحكم المسلمين

٢١. كثرة العلماء المجاهدين العُباد في صحابة النبي ﷺ

٢٢. كثرة العلماء في أمته منذ عهد النبوة وإلى زماننا هذا

٢٣. كثرة السابقين إلى الخيرات في أمته مقارنة بالأمم الأخرى

خاتمة الكتاب